

الخط المستقيم

إلى محمد بن محمد

تأليف العلامة المتكلم الشيخ زكي الدين
أبي محمد علي بن أبي القاسم النباضي البصري

المؤلف ٨٧٧

مكتبة مشرفة - المكتبة البرقسية
لاخبار الآباء المحققين

الضَّارِّ الْمُسْتَفِيرِ

إِلَى مَسْحَى الْقَدِيمِ

تَأْلِيفُ الْعَالِمِ الْمُتَكَلِّمِ الشَّيْخِ زَيْدِ الدِّينِ
أَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ نَسْرِ الْعَامِلِ الْبَنَاطِيِّ الْبَصْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى ٨٧٧

صَحَّحَ وَحَقَّقَ عَلَوُ عَلَيْهِ

محمد الباقر البهبودي

الجزء الأول

عُنِيَتْ نَشْرُهُ - الْمَكْتَبَةُ الْمُرْتَضَوَّةُ
لَاخِبَاءُ الْأُمَمِ الْمُجْتَهِدِينَ

حقوق الطبع بهذه الصورة محفوظة

الطبعة الاولى - ١٤٨٢

مطبعة الحيدري تليفون ٥٢٩٥٢

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

الصراط المستقيم

الى مستحقى التقديم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الله سبحانه وتعالى على وجوب وجوده وآياته انكرت كبر لا يتناهى على افاضة خيره ووجوده الذي من
 انتم الاعتراف من مناظره له ومن انتم الاعتراف بصدق رسله ومن اجله الايمان بخلافه اوصيائه ومن
 انكم عرفان ما اختصهم من صفات انبيائه ومن انتم اعتقاد ما اتزل فيهم من الايات الحكيمات ومن
 انتم نصوص بنية عليهم في الروايات المشهورات والافراق فيما جاء من رسله في قيام حاتمهم
 والاشراق بالظهور الانام من فضاههم ظالمهم والمجادلة لنصرة دينهم الذي هو الحق اليقين والمحاولة
 لرد شبهات المنافقين والتمسح الى تحطيتنا من الضلال والتمسح في تعصيع شرايع خيرا لآل فله الفصل
 الاكمل بما خصنا من العلايق الدينية للحساب ومنه الطول الاكمل بما تجا من العلايق الزمنية الظالمية
 وبما اوسل على ارواحنا من شوارق افواره وبما اعمل على قوسنا من بوارق انواره انه اكثر من المقصود والغز
 والجلال اما بعد فلما كان كمال الايمان بمعرفة ائمة الان زمان بخطوق شريف القرآن وجب صرف الهمة
 اليها في كل اوان لوجوب الاستمرار على الايمان في كل آن وقد صنف علما وناوضون الله عليهم في ذلك
 كتب متفرقة والف فضلا وبنا في الرد على مخالفينهم انوارا محمودة واجالا في الخصايق والدقائق خو لهم
 واحالوا من العلايق والعوايق فواظروهم ونصبوا في ذلك رايات الحق والموسع واوضحوا ايات المستبسط
 المطبوع بخو حايدين عن رواية الصدق المبين وغير ما يلين عن رعاية الحق اليقين فيستضي المتعرف بالزور
 مصفا قلوبهم ويندي الحرف باسرار مبتنائهم فاحيت ان اصنع في دين كتابا متوسطا بين الخفيف والثقيل
 ولبس من كتب الفريقتين ما يقتضي من التطويل وان كان فيها وضعا كفاية فيدانه زيادة في الحسن وفيما صنعوه اية
 فهدى ناكيد المعنى وكيد لا تصرف العباد الى قورهم الاحبار لاسمهم والاجار الاخصم احد السبين الذين من
 اعتلق بها فانه قد ادها وتاني الثقلين الذين من تعلق بها اسر عن جميل السرى صباحه ولا ينهم بحاة
 في الاولى والرقبي مودتهم واجبة قل لا اشكر طرية ابراهيم المودة في القربى فاس شرفي بمعد اليه الا بضا
 ولا من طرفي يرفع لويه الاقدار ولا بامتكم في الاخطار ولا بالابرة تقم به الا انار الا وقد جازته قادات
 الاطهار وحازته سادات ابراهيم سبي المعاندين في اطفاء نورهم ويابى الله الا ان يتم نوره وبقي الخا

صورة فتوغرافية من الصفحة الاولى للم نسخة التي كانت هي الاصل

عند الطباعة تاريخ كتابتها ١٠٨٠ هـ

حياة المؤلف

رسالة سمح بها قلم العلامة أبي المعالي شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي
دامت بركاته العالوية ، المصنف برياض الاقاصي في ترجمة العلامة البياضي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلقنا في أحسن تقويم ، وهدانا إلى الصراط المستقيم ، وحبانا
بجنته النعيم ، و أكرمنا بالكوثر والنسيم ، و الصلاة والسلام على سيدنا ونبيّنا
عَدُوٍّ و على آله الطارفة الأئمة ، سيما ابن عمه و خليفته أمير المؤمنين عليّ بن
أبي طالب النبا العظيم .

و بعد : يقول الأئمة العائذ بأبواب أهل بيت الوحي والسفارة ، الغادي بنفسه
و مهجته في إعلاء كلمتهم ، و نشر علومهم ، و بث آثارهم أبو المعالي شهاب الدين
الحسيني المرعشي النجفي حشره الله مع أحبّته ، و أخرجه من الدنيا بولايتهم .
إن أصحابنا شيعة آل الرسول الأكرم ، و تبعة العترة الطاهرة ، قد أتعبوا
نفوسهم الزكية ، و سهروا الليالي ، و أجهدوا الأيام في تأليف كتب و رسائل ، و
تنسيق زبر و أسفار في المعتقدات ، خصوصا مسألة الإمامة ، فكلم لهم فيها تصانيف
رشيقة ، و تأليف أنيقة ، جزاهم الله جزاء المحامين عن دينه ، و أوردهم المنهل العذب
من رحمته .

و من أحسن ما رأيته في هذا المضمار ، بحيث لا بُدَّ في عدّه من النمط الأوّل
و الصفّ المقدّم هو كتاب « الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم » للعلامة
البحّثة ، المتكلم النحرير الشيخ زين الدين أبي محمد عليّ بن يونس العاملي
النباطي البياضي قدّس الله لطيفه ، و أجزل تشريفه .

ألا وهو سفر عجيب في بابه ، وحيد في شأنه ، فريد في مسابقته ، أودع المصنف
الهام فيه لباب مائتي كتاب من رشرات أقلام أعلام الفريقين و عاصرتها ، مع تقديم
مقدمة وجيزة في البراهين العقلية على إثبات أصول الاعتقاد بمبائر سهلة ، و
قوالب جزلة ، حياء الله بما تقر به العين ، و يثلج الفؤاد .

و حيث لم تكن نسخته مطبوعة منتشرة ، وكانت نادرة جداً في خبايا خزائن
الكتب تحت أيدي المتصرفين الأشعفاء ، لا تصل إليها أيمان أرباب الاستفادة .
قيض الله همة الشهم الكريم ، التاجر الكنبى الوجيه ، ذي الفضل و السداد
المؤيد لترويج كلمات الأئمة الهداة ، أخينا في الله ، و الخليل في مرضاته **الحاج**
الشيخ عبد الكريم المشتهر به : حيت جهان مؤسس المكتبة المرتضوية ببلدة طهران
أدام الله أيامه ، و أسعد أعوامه ، ببذل الثقة لطبعه و نشره ، و توفيره و تكثيره
تعميماً للنفع ، و طلباً للأجر .

و قام العالم الفاضل الموفق لأحياء الزبر الدينية الاقام محمد باقر البهردى
شكر الله مساعيه ، و وفر معاليه بتصحيحه و تنقيحه بالمراجعة إلى النسخ العديدة
و أرجو من فضل ربى الرحيم أن يديم توفيق الناشر و المصحح ، و كل من له
دخل في هذا المشروع الجميل ، و أن يضاعف أجورهم و حسناتهم آمين آمين .
ثم إن الناشر المكرم طلب منى رسالة في ترجمة حياة المؤلف المقدم إحياء
لذكره ، و تعريفاً بشأنه ، و حيث لم أجد بدءاً من إسعاف مأموله ، و لإنجاح مسؤله
ألقت هذه العجالة مع ما يبي من تزلزل البال ، و انكسار الحال ، و تراكم الأحزان
و لواجع الأشجان ، بحيث أخذ منى الرقاد و سلب الارتياح ، و أسأل الله تعالى أن يكشف
عنا غمرات الكرب ، و سميتها به « رياض الاقاصى فى ترجمة العلامة البياضى »
سائلاً من فضل المولى سبحانه ، أن يكرم منى بقبولها ، و عذها في صفحات أمهالي ، إنه
البر الرحيم . فأقول :

اسم المؤلف و كنيته و لقبه

هو العلامة أبو محمد الشيخ زين الدين علي بن محمد بن يونس العاملي النباطي
البياضى العنقري .

آبائهم الفراء الكرام

كان والده العلامة الشيخ محمد ومن قبله من أسلافه وأجداده ، من فطاحل العلم وأرباب الأدب والكمال في لبنان .

ميلاده

ولد في النباطية من قرى جبل عامل لأربع مضي من شهر الله رمضان المبارك سنة ٧٩١ .

البياضيون

فليعلم أن عدّة من العلماء والأدباء اشتهروا بالبياضي .

منهم : علامة الشعر والأدب أبو جعفر مسعود بن محسن بن عبد الوهاب بن عبدالعزيز القرشي البغدادي المتوفى في يوم الثلاثاء ١٦ ذي القعدة سنة ٤٦٨ صاحب الكتب الأدبية وديوان الشعر ، ومنه قوله في التفرّج :

يا ليلة بات فيها البدن معتقي ❖ إلى الصباح بلا خوف ولا حذر
كلامه الدثر يغني عن كواكبها ❖ ووجهه عوض فيها عن القمر
وددت لو أنّها طالت عليّ ولو ❖ أمددتها بسواد القلب والبصر

و منهم : العلامة الشيخ زين الدين عليّ بن عبد الجليل الرازي البياضي من مشايخ العلامة الشيخ متّجب الدين بن بابويه صاحب الفهرست المتوفى سنة ٥٨٥ له كتب : منها كتاب الاعتصام في علم الكلام .

و منهم : العلامة الشاعر الأديب الملا محمد إبراهيم الهندي الخراساني الأصل البياضي من شعراء السلاطين التيمورية .

و منهم : العلامة الشيخ زين الدين عليّ بن محمد بن يونس النباطي البياضي الذي ألّف هذه الرسالة في ترجمة حياته .

وجه الاشتهار بالبياضي

فبعضهم كأبي جعفر مسعود الشاعر اشتهر به ، لأنّ رجلاً من سلفه حضر في مجلس أحد الخلفاء العباسيين ، لابساً الثوب الأبيض ، جالساً بين العباسية اللاّبيين الثياب السود ، فسأل الخليفة من هذا البياضي ؟ فقليل : هو فلان . فلمّا

خرج من المجلس اشتهر بين الناس بالبياضي ، و سرى اللقب في أعقابه .
و بعضهم اشتهر بالبياضي نسبة إلى البياض بالياء المشناة التحتانية المشددة
بعد الباء الموحدة قرية من أعمال بلدة صور ، من لبنان .

و بعضهم اشتهر بالبياضي لأنه ألف سفرأ عرف بالبياض و هو في المصطلح
العربي ما يفتح و يقرأ طوياً بخلاف الكتاب فإنه يفتح و يقرأ عرضاً .
و ممن وجه شهرته هذا الوجه هو الملا محمد إبراهيم المذكور ، و كان يقال له
« بياض خان » ثم قيل له بياضي .

والاظهر عندي في وجه اشتهار المترجم بالبياضي هو المحتمل الثاني ، فاذأ
البياضي بالتشديد ، ثم بعد الغمض عن ذلك فالأظهر الوجه الأول .

وجه الاشتهار بالبنطاطى

الظاهر أنه نسبة إلى عين « فجور » وهي قرية كانت بقرى « لبايا » من أعمال
البقاع في طريق دمشق الشام و هي اليوم خراب و العين باقية ، كما أفاده الشريف
الجليل العالم الفاضل السيد حسن الأمين في تعليقه على ج ٤٢ من أعيان الشيعة .

وجه الاشتهار بالنباطى

عرف به المترجم لأنه ولد في قرية النباطية العليا من قرى جبل عامل ، و
هذه القرية من القرى المباركة ، حيث خرج منها جماعة من علماء الشيعة ، و سباق
رهان الفضل .

مشايعه

أخذ عن جماعة من تلامذة شيخنا الشهيد الأول قدس سره .
و ممن أخذ وروى عنه والده العلامة الشيخ أبو جعفر محمد بن يونس العاملي .
و منهم : عمه العلامة الشيخ حسن بن يونس البياضي ، كما وجدته في هامش
نسخة مخطوطة من أمل الآمل و غيرها .

تلاميذه الاخذون منه و الراوون عنه

أخذ و روى عنه جماعة :

منهم : ابنه العلامة الشيخ محمد البياضي ، رأيت إجازة والده له على ظهر نسخة من الفقيه في خزانة كتب العلامة فقيد الفضل و الأدب الحاج حيدر قلي خان المشنهر به « سردار الكابلي » نزيل بلدة قرميسين حشره الله مع أحبته و مواليه .
وقد أطرى شيخنا المترجم في تلك الإجازة بحيث يظهر منها جلالة شأن ابنه و غزارة علمه ، و أنه كان صاحب تأليف و تصنيف .

كلمات العلماء في حقه

كل من ذكره من أرباب معاجم التراجم أثنى عليه ثناء جليلاً ، و وصفه بالفضل و الفقه و الحديث و الأدب ، و أنه من الأكابر .

قال العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب الوسائل في كتابه أمل الآمل بعد ذكر اسمه ما لفظه : كان عالماً فاضلاً محققاً مدققاً ثقة متكلماً شاعراً أديباً متبحراً الخ . . .

و قال في حقه علامة علمي التراجم و الرجال ، مؤيد الميرزا عبد الله أفندي في موسوعته النقيصة « رياض العلماء » فوق ما ذكر صاحب الأمل .

و ذكره العلامة آية الله السيد محسن الحسيني الأمين النعمشي العاملي من مشايخنا في الرواية في كتابه أعيان الشيعة ج ٤٢ ص ٣١ و أورد في حقه ما ينسب عنه نبالته و علو شأنه و نبوغه

و ذكره العلامة صاحب الروضات و أثنى عليه .

و ذكره العلامة المعاصر البحاث الميرزا محمد علي المدد من الخياباني التبريزي في كتابه : ربحانة الأدب ج ١ ص ١٨٧ قالاً في حقه : عالمي است فاضل فقيه محدث محقق مدقق اديب شاعر متكلم ماهر متبحر ، و حيد عصر و فريد دهر خود و از اكابر مشايخ شيعة و جامع كمالات اوائل و اواخر .

ولماته و مدفنه

توفي قدس سره سنة ٨٧٧ كما نقل ذلك علامة التراجم مولانا الميرزا عبد الله أفندي وكانت وفاته في النباطية من قرى جبل عامل و بها دفن .
وما عن بعض المؤلفين من دفنه بالبصرة لم أقف على مستنده .

آثاره العلمية

١ - الباب المفتوح إلى ما قبل في النفس و الروح ، رتبته على مقصدين الأول في مباحث النفس ، و الثاني في مباحث الروح ، وقد أورد مولانا العلامة المجلسي تمام هذا الكتاب في المجلد الرابع عشر من موسوعته و بحار الأنوار ، الذي من على أهل الفضل و التشيع بتأليفه .

٢ - كتاب الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم ، ها هو المؤلف الشريف الذي بين يديك .

٣ - كتاب مختصر مختلف الشيعة لآية الله العلامة الحلي .

٤ - مختصر صحاح اللغة للعلامة محمد بن إسماعيل الجوهري اللغوي الشهير .

٥ - زبدة البيان في تلخيص مجمع البيان في التفسير ، لأمين الاسلام الطبرسي .

٦ - اللمعة ، رسالة في المنطق ، جيّدة في بابها ، نسبها إليه العلامة صاحب

الروضات و أنّه رآها بخطه الشريف و تاريخ تأليفها ٨٣٨ .

٧ - نجد الفلاح ، نسبته إليه العلامة الكفعمي في تعاليقه على كتابي نفسه :

البلد الأمين و المصباح .

٨ - منخل الفلاح ، نسبته إليه الكفعمي في تعاليقه عليهما .

٩ - المقام الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى ، جيّدة الفوائد ، ينقل عنه

الكفعمي في تعاليقه عليهما ، وقد رآه صاحب الروضات .

١٠ - رسالة الأكرام و الانعام في علم الكلام ، نسبت إليه في هامش النسخة

المخطوطة من أمل الآمل .

١١ - رسالة في الامامة حسنة جداً ، و مما يغتبط بها .

١٢ - كتاب منتخب بصائر الدرجات .

١٣ - كتاب الكلمات النافعات في تفسير الباقيات الصالحات ، وهو توضيح للرسالة التي ألفها شيخنا العلامة السعيد الشهيد الأول في تفسير الكلمات ، رآه صاحب الروضات بخطه .

١٤ - ذخيرة الايمان ، أرجوزة في علم الكلام ، نظمها سنة ٨٣٤ أو لها :

الحمد لله على تمامه ✽ والشكر لله على إنعامه
وقال في آخرها :

وهذه أرجوزة الضعيف ✽ عليّ اللّاجي إلى اللطيف

والرسل والأئمة الأتجابه ✽ ليشفعوا في موضع الحساب

سميتها ذخيرة الايمان ✽ هدية مني إلى الإخوان

١٥ - كتاب فاتح الكنوز المحرزة ، في ضمن الأرجوزة ، وهو شرح على الأرجوزة التي مر ذكرها .

١٦ - الرسالة اليونانية في شرح المقالة التكميلية لشيوخنا العلامة الشهيد السعيد .

١٧ - وديوان شعره ، أكثره في مناقب الأئمة ومراثيمهم ، إلى غير ذلك مما جادت به يراعته ، وسمع قلمه .

التعريف بكتاب الصراط المستقيم

ولعمري إنه الكتاب العجيب في موضوعه ، قال العلامة صاحب الروضات :
لم أربعد كتاب الشافي لسيدنا المرتضى علم الهدى مثله ، بل راجح عليه لوجوه شتى .
وقال مولانا الآية العلامة السيد محسن الحسيني الأمين في كتابه : « أعيان الشيعة » ج ٤٢ ص ٣١ ما لفظه : وجدنا منه نسخة في كربلاء مخطوطة وهو في إثبات الواجب وصفاته والنبوة والامامة ، يدل على فضل مؤلفه ، وختمه بأبيات من نظمه ، قال إنه سمحت بها فكرتي عند تمامه و تاريخ فراغه منه سنة ٨٥٤ و كانت

تاريخ كتابه تلك النسخة سنة ١٠٥٩ وكان على ظهر الكتاب بعد ذكر اسم المؤلف هذه الأبيات :

هذا الكتاب مبشر برشاد من * يسلك طرائقه بغير خلاف
و كأنه المبعوث أحد إذ أتى * في آخر الأديان بالانصاف
و كأنهم بين كتب الشيعة المنتق دمه من كسوة الأعراف
ينبيك عن حال الرجال ومارووا * بمهارة تقني وقول شاف
سهل الطرائق عذبة ألفاظه * و كأنها ممزوجة بسلاف
فاذا قرأت أصوله وفروعه * روائك من عذب فرات صافي
فهو الصراط المستقيم ومنهج الد * ين القويم لسالكيه كافي
تأليف من شهدت له آراؤه * بكماله في سائر الأوصاف
للمشيخ زين الدين قطب زمانه * ربّ المكلام عبد آل مناف
فلقد أنار منار شيعة حيدر * وأباد من هو للنصوص منافي
فجزاءه من أحد ووصيته * أهل السماحة معدن الأشراف

الخ...

أقول : و كفى في جلالة الكتاب و اعتباره أن مولانا العلامة المجلسي عدّه من مآخذ كتاب البحار و مداركه ، و اعتمد عليه كل الاعتماد .

و حيث إن الناشر المحترم ، مستعجل في نشر الكتاب و بثّه ، فلنكتف بهذه الأسطر .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يكثّر بين الكتّيبين و تجربة الأسفار أمثاله و أن يبارك له في متجره و مكسبه ، و أرجو من فضله سبحانه أن يوفّقنا للعلم و العمل الصالح و أن يجسّبنا ممّا لا يرضاه آمين آمين .

حرّره الداعي لآخوانه في الدين شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي
أقال الله عثرته يوم تتبّع العثرات في سويغات آخرها أصيل يوم الاثنين لأربع عشر
مضين من شهر رمضان المبارك ١٣٨٤ ببلدة قم المشرفة حرم الأئمة عليهم السلام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الله أحمد حمداً لا يضاها على وجوب وجوده ، وإياه أشكر شكراً لا يتناهى على إفاضة خيره وجوده ، الذى من أتمه الاعتراف من مناهل (١) عدله ، ومن أهمه الاعتراف بصدق رسله ، ومن أجمله الإيمان بخلافة أوصيائه ، ومن أكمله عرفان ما اختصهم به من صفات أنبيائه ، ومن أعمه اعتقاد ما أنزل فيهم من الآيات المحكمات ، ومن أشمته نصوص نبوته عليهم في الروايات المشهورات ، والإغراق فيما جاء من الله ورسوله في قيام خاتمهم ، والإشراق بما أظهر الأيام من فضائح ظالمهم ، والمجادلة لنصرة دينهم الذى هو الحق اليقين ، والمحاولة لرد شبهات المنافقين ، والتسرع الى تخطئة أئمة الضلال ، والتسرع في تصحيح شرائع خير الآل . فلما فضل الأشمل بما خلصنا من العلائق الدنيئة الجسمانية ، ومنه الطول الأكمل بما نتجنا من العوائق الرديئة الظلمانية ، وبما أرسل على أرواحنا من شوارق أنواره ، وبما أسجل على نفوسنا من بوارق آثاره إنه الكريم المفضل ذوالعز والجلال .

أما بعد فلما كان كمال الإيمان بمعرفة أئمة الأزمان بمنطوق شريف القرآن ، وجب صرف الهمة إليها في كل أوان ، لوجوب الاستمرار على الإيمان في كل آن وقد صنف علماءنا رضوان الله عليهم في ذلك كتباً مقررّة ، وألف فضلاؤنا في الرد على مخالفيهم أقوالاً محرّرة ، وأجالوا في الحقائق والدقائق خواطرهم ، وأحالوا عن العلائق والعوائق نواظرهم ، ونصبوا في ذلك رايات المعقول والمسموع ، وأوضحوا

آيات المستنبط المطبوع ، غير حائدين (١) عن رواية الصدق المين ، وغير مائلين عن رعاية الحق اليقين ، فيستضيء المتعرف بأنوار مصنفاتهم ويرتدى المتحرف بأسرار بيناتهم ، فأحببت أن أضع في ذلك كتاباً متوسطاً بين الخفيف والثقيل ، وأجمع من كتب الفريقين ما يعني عن التطويل ، وإن كان فيما وضعوا كفاية فهذا زيادة في الحسنى ، وفيما صنعوا هداية فهو تأكيد للمعنى . وكيف لاتصرف العناية إلى قوم هم الأخبار الأشم والأبحار الأخضم أحد السبين اللذين من اعتلق بهما فازقاده ، وثاني الثقلين اللذين من تعلق بهما اسفر من جميل السرى (٢) صباحه ، ولايتهم نجاة في الأولى والعقبى ، مودسهم واجبة قل لأسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى ، فما من شرف تمتد إليه الأبصار ، ولا من طرف يرتفع لديه اقتباس الأقدار ، ولا باب تعظم فيه الأخطار ، ولالباب تتعم به الآثار إلا وقد جازته قادات الأطهار ، وحازته سادات الأبرار ، مع سعي المعاندين في إطفاء نورهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وبني الجاحدين تطريدهم وتشيت قبورهم ويريد الله أن يظهر حجتهم ومزبوره ، فهل قدّم عليهم إلا من سمل (٣) عين الإيمان ، وهل تقدّمهم إلا من شمل قلبه على الطغيان ، وقد ضاعت مدائحهم ومناائحهم في كتاب رب العالمين ، وجاءت لأعدائهم قبائحهم وفنائهم ظاهرة للناظرين ، فوضعت هذا الكتاب وسميته :

الصراط المستقيم إلى مستحقى التقديم

مهدياً إليه كل ذي عقل سليم . مسلماً فيه كل ذي طبع قويم . وسأجمع فيه إن شاء الله من الأدلة العقلية والنقلية وأضع فيهم من البراهين القطعية الجليلة والآيات التي لا تحتمل شيئاً من التأويل ، والروايات المغنية عن الفحص والتطويل ، والأشعار المنشئة من كل

١ - حادثة - من باب نصر - : مال وارض ٢ - السير بالليل .

٣ - سمل عينه - من باب نصر - قلعها .

خير تحرير، الكافية لكل دى خبر وتحرير، ملحقاً بها ما سنح لفهمي الضعيف وسمح به فكرى النحيف، راجياً بوضعه الوصول إلى مراتب المؤمنين، مؤملاً بجمعه الحصول على سعادة المخلصين، فمن تمسك بشراه طاب نشره ومن تمسك بعراء آب بشره. ولا أضمنه ما تمجته (١) الأسماع، ولا أودع فيه غالباً إلا ما شاع وذاع، بل أمرى لسامعه إخلاف رواية الخلف عن السلف، وأعرى له وجوه الأدلة عن شائن السخف والكلف، وأقرّر فيه براهين بحكمة الأسباب، وأعتمد فيه على الكتاب المبين الناطق بالصواب، راجياً أن نعم أهل الوفاق نفعه، ومؤملاً أن يغتم ذوى النفاق جمعه، راغباً إلى الله في النفع به في الدنيا والآخرة، راعياً أن يبقى لي عملاً صالحاً عند الكون في الحافرة، إنه الولي الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل. وأسأل الناظر فيه إذا اتهمني أن يرابع المصنفات التي كتبت منها، ويطلع المؤلفات التي نقلت عنها وأن لا يسارع إليّ بالمعيب حتى يعلم تخرصي على الغيب، فإن ذلك الاتصاف بالانصاف والميل عن الاعتساف والإعتاف، فإنني نقلت ذلك بالمعنى ولعل بعض ما أضفت إليه لم يجده فيه من عثر عليه فليراجع ذلك من نسخة أخرى فإن ذلك بطلب اليقين أخرى. قال الحميدى في الجمع بين الصحيحين: من المتفق عليه من حديث ابن مسعود في قوله تعالى: (٢) «ولقد رآه نزلة أخرى» قال رأى جبرائيل. قال الحميدى: «وليس ذلك في مارؤنياء من النسخ» فحمل ذلك من المتفق على صحته عند مسلم والبخارى ولم يره فيها وزاد الحميدى أن البخارى أخرج حديثاً ولم يخرج صاحب الأطراف، وقال «أخرج مسلم زيادة في حديث أبي مسعود الدمشقي وليس ذلك فيما عندنا من كتاب مسلم» فيعتذر (١) لهما ويعيرهما بأن يكون عندهم نسخة ناقصة ثم يخرجوا غيرها تامة فتختلف النسخ.

١ - مجه التمج - من باب نصر - استكرهه .

٢ - سورة النجم : ١٣ .

٣ - في الاصل: فيعتذر لهما.

مقدمة

في ذكر أشياء من الكتب التي عثرت عليها وأضفت ما نقلته إليها :

١٦ - عقد الدرر لابي بدر يوسف بن يحيى السلمي ١٧ - نهج البلاغة للشريف الموسوي ١٨ - شرحه لابن ميثم البحراني ١٩ - اللوامع للمقداد السيوري ٢٠ - كتاب الشيخ حسن الصيرفي ٢١ - كتاب سليم بن قيس الهلالي ٢٢ - الارشاد للمفيد ٢٣ - العيون والمحاسن للمفيد ٢٤ - كشف الالتباس ليحيى بن سعيد ٢٥ - الطرائف لعبدالمحمود (١) ٢٦ - الطرف لابن طاوس ٢٧ - نقض الرسالة العثمانية لابن طاوس ٢٨ - الاستيعاب ليوسف بن عبد البر ٢٩ - الخصائص لابن البطريق	١ - كتاب الكشف للزمخشري ٢ - منهاج المحدثين للنووي ٣ - بغية الطالبين للكنجي الشافعي ٤ - الملل والتحل للشهرستاني ٥ - الاستيفاء للشيخ الطوسي ٦ - تلخيص الشافعي للطوسي ٧ - المفصح للطوسي ٨ - الفرق للنوبختي ٩ - المسترشد للطبري ١٠ - مجمع البيان للطبرسي ١١ - تهذيب الأحكام للطوسي ١٢ - الاحتجاج للطبرسي ١٣ - مصالحت القواضب للمازندراني ١٤ - كتاب القاضي النعماني ١٥ - إصائر الألسن للكيدري

٤٣ - الألفين لابن مطهر	٣٠ - تقدير الأحكام للمفيد
٤٤ - منهاج الكرامة لابن مطهر	٣١ - مطالب السؤل لابن طلحة
٤٥ - كشف اليقين لابن مطهر	٣٢ - الكر والفر جواب مسائل ابن مقاتل
٤٦ - الرسالة السعدية لابن مطهر	٣٣ - خصائص يوم الغدير
٤٧ - مقتضب الأثر لمحمد بن عبد الله بن عباس	٣٤ - عيون أخبار الرضا لابن بابويه
٤٨ - الخرائج للراوندي	٣٥ - كشف معائب المتصوفة
٤٩ - الماء والخضرة والوجه الحسن لعباس بن أحمد	٣٦ - الفرر والدُرر لأبي القاسم
٥٠ - المعالم للرازي	٣٧ - المسائل البغدادية لأبي القاسم
٥١ - افعَل لا تفعل لمؤمن الطاق	٣٨ - المسائل الفاخرية للمرتضى
٥٢ - نهج الإيمان لابن جبر	٣٩ - مراصد العرفان لابن قُوطَة
	٤٠ - ذخر البشري يحيى بن طيء
	٤١ - استقصاء النظر لابن مطهر
	٤٢ - نهج الحق لابن مطهر

وقد ذكر في ديبا جته أنه جمعه بعد الوقوف على ألف كتاب أو ما يقاربها وكتابه هذا يشتمل ان شاء الله تعالى عليه وعلى غيره ، والمشتمل على المشتمل على شيء مشتمل على ذلك الشيء ، فأنسى سأحتلب دررها من أصدافها لأحلى بها اخواني المؤمنين وأحتلب دررها من اخلافها لاغذي بها طالبى النجاة يوم الدين ، وما توفيقى الا بالله الرب الممين عليه أتوكل وبه أستعين .



مقدمة

في ذكر الكتب التي لم تصفحها ولا عثرت عليها ولكن وجدت في ما نظرت
اشياء مضافة اليها فحكيتها عنها :

١٩ - نزول القرآن في شأن علي للشيرازي	١ - صحيح البخاري
٢٠ - الأربعين للمؤذن	٢ - صحيح مسلم
٢١ - المسند لابن حنبل	٣ - صحيح النسائي
٢٢ - الخصائص للنطنزي	٤ - صحيح الترمذي
٢٣ - المناقب لابن المغازلي	٥ - موطأ مالك
٢٤ - المراتب للبتي	٦ - سنن أبي داود
٢٥ - الدرجات للبصري	٧ - الجمع بين الصحيحين للحُميدى
٢٦ - الحدائق للخطيب	٨ - الجمع بين الصحاح الستة لزيين
٢٧ - التفسير للشعلبي	القَبْدَرِي
٢٨ - الأربعين للرازي	٩ - الفدير لابن جرير
٢٩ - التفسير لابن المرتضى	١٠ - المناقب لابن شاهين
٣٠ - التفسير للقاضي	١١ - الفضائل لابن أبي شيبه
٣١ - المعالم للفراء	١٢ - العلوية للجاحظ
٣٢ - المعتمد لابن يعلى	١٣ - المتنبه للاصفهاني
٣٣ - الشافي في بشارات المصطفى	١٤ - نزول القرآن للرّماني
٣٤ - شرح الطوالع للفنوي	١٥ - الجعفریات للموفق المكي
٣٥ - البلغة لمحمد بن علي	١٦ - الأربعين لابن مردويه
٣٦ - الناسخ والمنسوخ لهبة الله البغدادي	١٧ - رد الشمس لابن مردويه
٣٧ - إحياء العلوم للفرّالي	١٨ - العمدة لابن البطريق

- ٣٨ - المستضيء للغزالي
 ٣٩ - المصابيح للغزالي
 ٤٠ - التفسير للسُّدِّي
 ٤١ - الرسالة للمرئضي
 ٤٢ - الواحدة لابن جمهور
 ٤٣ - الحلية لابي نعيم
 ٤٤ - الفصول لابن فورك
 ٤٥ - التاريخ للبلاذري
 ٤٦ - الآل لابن خالويه
 ٤٧ - التفسير للإمام العسكري عليه السلام
 ٤٨ - الملتحمة لابن عقبة
 ٤٩ - فضائل العشرة لأبي السعادات
 ٥٠ - الشافي للمرئضي
 ٥١ - التبيان للطوسي
 ٥٢ - أسباب النزول للواحدى
 ٥٣ - الفائق للزمخشري
 ٥٤ - المفردات للراغب
 ٥٥ - الأُمالي للنيشابوري
 ٥٦ - الفضائل للسمعاني
 ٥٧ - الفردوس للديلمى
 ٥٨ - الأُمالي لابن بابويه
 ٥٩ - الكشف والبيان للثعلبي
- ٦٠ - الأُمالي لابن شاذان
 ٦١ - التفسير لعطاء السجستاني
 ٦٢ - اصول الحديث لابن البيّس
 ٦٣ - المعجم الأوسط لسليمان بن احمد
 ٦٤ - التَّنْفِيبُ لبيهقي
 ٦٥ - التنوير للفتال
 ٦٦ - العقد لابن عبدربه
 ٦٧ - الشريعة للجرمي
 ٦٨ - التفسير للثُمالي
 ٦٩ - التفسير لوكيع
 ٧٠ - التحقيق للجزري
 ٧١ - الأُمالي لابن منيع
 ٧٢ - نزهة الأَبصار لابن مهدي
 ٧٣ - التفسير لابن المجاهد
 ٧٤ - الفضائل للعكبري
 ٧٥ - ربيع المذكَو لابن الثعلبي
 ٧٦ - غرر الأُمالي للطوسي
 ٧٧ - شرف النبي للخزرجي
 ٧٨ - الفتيا للنظام
 ٧٩ - شواهد التنزيل للحسكاني
 ٨٠ - التفسير للقطنان
 ٨١ - التوحيد لابن بابويه

- ٨٢ - المحاضرات للراغب
 ٨٣ - التفسير لأبي القاسم ابن حبيب
 ٨٤ - الجامع للموصلي
 ٨٥ - الكافي للكليني
 ٨٦ - جواهر الكلام للبيهقي
 ٨٧ - الدلائل للبسطامي
 ٧٨ - نعوت المهدي للحافظ
 ٨٩ - الفتر لأبي نعيم
 ٩٠ - الكفاية لعلي بن محمد الخزار
 ٩١ - تحصيل النجاة لفخر الدين بن مطهر
 ٩٢ - شرح السنة للفرّاء
 ٩٣ - كتاب عبدالله بن بشار رضيع
 الحسين عليه السلام
 ٩٤ - التاريخ للبشوي
 ٩٥ - محاسن الجوابات للدّينوري
 ٩٦ - الغيبة للنعماني
 ٩٧ - كتاب الحضرمي
 ٩٨ - كتاب الكمال للعلاوي
 ٩٩ - الواحدة للشيخ القمي
 ١٠٠ - الصحاح للجوهري
 ١٠١ - الموازنة لأبي قاسم بن سعيد
 ١٠٢ - قمة العجلان له
 ١٠٣ - الفحص والبيان له
 ١٠٤ - شرح الشاطبية للجاجي
 ١٠٥ - شرح الرايات للتوخي
 ١٠٦ - الاعتقاد للاسنوي
 ١٠٧ - دلائل النبوة للبيهقي
 ١٠٨ - الاوائل للعبدى
 ١٠٩ - البرهان للمازندراني
 ١١٠ - الزواجر للعسكري
 ١١١ - الآيات المستزعة
 ١١٢ - المخفى في مناقب المهدي
 ١١٣ - معجزات النبوة لابن وهبان
 ١١٤ - روضة الواعظين لمحمد بن علي
 ١١٥ - فضائل الكوفة لعمر بن حمزة
 ١١٦ - الدلائل للصيرفي
 ١١٧ - التاريخ للطبري
 ١١٨ - المجروحين لمحمد بن حبان
 ١١٩ - سركات الشعر لمحمد بن عمران
 ١٢٠ - المجمل لأحمد بن فارس
 ١٢١ - أعلام النبوة للماوردي
 ١٢٢ - التنزيل لأبي القاسم ابن حبيب
 ١٢٣ - التفسير للكراسي
 ١٢٤ - الاقتصاد للطوسي

- ١٢٥ - الولاية للطبري
 ١٢٦ - غاية السؤل للدينوري الحنبلي
 ١٢٧ - الوصية لعيسى بن المستفاد
 ١٢٨ - خصائص الائمة للسيد المرتضى الموسوي
 ١٢٩ - الرعاية لاهل الدراية للفرغاني
 ١٣٠ - نهاية الطلب للحنبلي
 ١٣١ - المسند للشافعي
 ١٣٢ - اقتحام العوام للغزالي
 ١٣٣ - عيون السنين للهمداني
 ١٣٤ - نقوش الخواتيم للحافظ
 ١٣٧ - الاقضية للحسن بن يزيد
 ١٣٦ - أبواب التنزيل للقاضي
 ١٣٧ - الاسماء لسليمان بن مقاتل
 ١٣٨ - المفتقد للسكسكاني
 ١٣٩ - المظني لابن قدامة
 ١٤٠ - الاختلاف للطحاوي
 ١٤١ - الترغيب للاصفهاني
 ١٤٢ - اعتقاد الحنابلة للهروي
 ١٤٣ - منهل الجدل للغزالي
 ١٤٤ - العلل لابن بابويه
 ١٤٥ - المثالب للكليبي
 ١٤٦ - النساء للجاحظ
 ١٤٧ - الملاحم لاحمد بن جعفر
 ١٤٨ - الزينة لابي حاتم
 ١٤٩ - لطائف المعارف لعبدالله بن طاهر
 ١٥٠ - منهاج البراعة لابن الراوندي
 ١٥١ - المواعظ للكرامي
 ١٥٢ - البدع لابي القاسم الكوفي
 ١٥٣ - الجامع الصغير للسبوي
 ١٥٤ - المشكلات لابن قتيبة
 ١٥٥ - الزهرة للبستي
 ١٥٦ - الوسيط للواحدى
 ١٥٧ - المكاتب للحميري
 ١٥٨ - الدرجات لسعد بن عبدالله القمي
 ١٥٩ - بضائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصنار
 ١٦٠ - مناقب اهل البيت للطبري
 ١٦١ - المتون لابن مردويه
 ١٦٢ - ادب الكاتب للعبدي
 ١٦٣ - الانصاف للجاحظ
 ١٦٤ - المناينة للموفق المكي
 ١٦٥ - التفسير للشيرازي
 ١٦٦ - الفضائل للزعفراني

- ١٦٨ - التفسير للمعلّى
 ١٦٨ - المعرفة لابن مندة .
 ١٦٩ - معاني القرآن للقرآء
 ١٧٠ - مسند العشرة
 ١٧١ - اللؤلؤيات
 ١٧٢ - أنفاس الجواهر
 ١٧٣ - التوراة
 ١٧٤ - الإنجيل
 ١٧٥ - كتاب حيقوق
 ١٧٦ - كتاب شعيا
 ١٧٧ - كتاب حزقييل
 ١٧٨ - الحجة لأبي علي الفارسي
 ١٧٩ - مشكل القرآن للأنباري
 ١٨٠ - الدلائل لمبد الله بن جعفر
 ١٨١ - الإرشاد للجويني
 ١٨٢ - السقيقة للجوهري
 ١٨٣ - صفوة التاريخ للبحراني
 ١٨٤ - الإملاء لابن ميمون
 ١٨٥ - المجالس لابن مهدي
 ١٨٦ - الرجال لسبط الجوزي
 ١٨٧ - فرائد الأقراد للدارقطني
 ١٨٨ - المستدرک علی الصحيحين للحاكم
- ١٨٩ - الحيل لنضر بن شميل
 الأملی لشعبة
 ١٩٠ - الكامل للمفيد
 ١٩١ - الأركان للمفيد
 ١٩٢ - الوسيلة
 ١٩٣ - فتوح الشام
 ١٩٤ - الأمانة
 ١٩٥ - كيمياء السعادة
 ١٩٦ - شرف المصطفى
 ١٩٧ - تاريخ بغداد
 ١٩٨ - الشفاء والجلاء
 ١٩٩ - مشكاة الأنوار
 ٢٠٠ - الملاحم
 ٢٠١ - تجارب الأمم لابن مسكويه
 ٢٠٢ - الأغاني لأبي الفرج الإصهاني
 ٢٠٣ - الإحسان والمحن
 ٢٠٤ - حديقة الحدق
 ٢٠٥ - كتاب الأطراف
 ٢٠٦ - الأوراق للصولي
 ٢٠٧ - كشف الحيرة
 ٢٠٨ - الدر النظيم
 ٢٠٩ - النزهة لشرف المرتضى

- ٢١٠ - المستنير للطبري
 ٢١١ - غور الحكم
 ٢١٢ - الأماشي للزجاجي
 ٢١٣ - محاسن الأزهاري لحميد
 ٢١٤ - أخبار المهدي للمهدي
 ٢١٥ - التذيل على تاريخ الخطيب لابن النجار
 ٢١٦ - تاريخ أهل البيت لابن الخشاب الحنبلي
 ٢١٧ - تاريخ أهل البيت لنضر بن علي الجهمي
 ٢١٨ - غريب الحديث للدينوري
 ٢١٩ - مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي
- ٢٢٠ - الباقوت لأبي عمر الزاهد
 ٢٢١ - مواليد أهل البيت
 ٢٢٢ - الغيبة للطوسي
 ٢٢٣ - عيون الأخبار لابن قتيبة
 ٢٢٤ - مفاتيح الغيب للرازي
 ٢٢٥ - المسند لابن سليمان
 ٢٢٦ - كتاب الحسن للبصري
 ٢٢٧ - الإيضاح للحسين بن علي
 ٢٢٨ - شرح المصابيح للعاقولي
 ٢٢٩ - التذكرة لابن حمدون
 ٢٣٠ - جامع الأصول لابن الأثير

خاتمة

صنف الحسين بن جبر كتاباً سماه «نخب المناقب لآل أبي طالب» اختصره من كتاب الشيخ محمد بن شهر آشوب، قال: سمعت بعض الأصحاب يقول: وزنت من كتاب ابن شهر آشوب جزءاً فكان تسعة أربال. قال ابن جبر في خطبة نخب المناقب: فكثرت في كثرة ما جمع وأنه ربما يؤدى عظم حجمه إلى العجز عن نقله، بل ربما أدى إلى ترك النظر فيه والتصفح لجميعة لاسيما مع سقوط الاهتمام في طلب العلم، فأومىء إلى ذكر الرجال وأدخل الروايات بعضها في بعض فمن أراد الإسناد والرجال فعليه بكتاب ابن شهر آشوب المذكور فإنه قد وضعها في ذلك المسطور، والموجب لتركها خوف

السامة من جملتها ، ولأن الطاعن في الخبر يمكنه الطعن في رجاله ، إلا ما اتفق عليه الفريقان واختص به المخالف من العرفان ، أو تلقته الأمة بالقبول ، فإن الطاعن لا يمكنه مع الإصناف أن يحول عنه ولا يزول ، إلا أن يعاند الحق وينكر الصدق ولاغرو لمن ميلته الدنيا إلى زخارفها أن يجحما دلت عليه الأخبار ومعارفها ، ولذلك أنكر كثير من علماء الجمهور بعد عرفانهم كثير أمن الأمور ، فقد ورد في خبر الغدير وأسانيد الطوامير ، قال ابن شهر آشوب : قال جدّي سمعت الجويني يقول شاهدت مجلداً ببغداد في رواية هذا الخبر مكتوب عليه ، المجلدة الثامنة والعشرون وتلوها التاسعة والعشرون وغير ذلك من الطرق الموضوعة فيه والكتب المبينة عليه ، فلما لم يمكنهم الطعن في متنه مالوا لأجل دنياهم إلى تأويله ، وأرضوا ملوك الظلمة عن تحصيله ، فلذلك أسقط الله شأنهم وسقط عليهم ما شأنهم .

لولا التنافس في الدنيا لما قرئت	كتب الخلاف ولا المغني ولا العهد
موتى الخواطر يقنون الدجى سهرأ	يمارسون قياساً ليس يطرّد
يجلّون بزعم منهم عقداً	وبالذی حلّوه زادة العقد
نعوذ بالله من قوم إذا غضبوا	فاه الضلال وإن حاقتهم حقّدوا

فائدة

سأل معتزلي الشيخ المفيد عن المقلّدين من الشيعة ، إن كانوا كفاراً لم يدخلوا الجنة إلا علماءهم وهم قليلون جداً ، وإن لم يكونوا كفاراً ذهبت فائدة ما يبحثون فيه عن الإمامة ، فأجاب بأنّ منهم جماعة كالبوادي والعوام لم يكتفوا النظر الدقيق ولهم على عملهم أعواض يعاقبون على معاصيهم عقاباً منقطعاً أمّا من له قوة الاستدلال فمخلّد في النار لتقصيره ومنع قلّة سلماثنا فإن المعرفة قريبة يوصل إليها بأدنى فكر .

مقدمة

في ترتيب ابواب هذا الكتاب

وقد ثبتت خطبته على ما يتضمنه كل باب فمن اعتبر الفقرات الموضوعة فيها عثر منها عليها، واصطلحت على ذكر الاسناد وإن كان بعضها غير مسند، ثقة مني لا اعتضاده بدليل عقلي أو خبر سمعي فلا يعزب عنك ذلك تسيء به الظن .

الباب الاول

في اثبات الواجب وصفاته ويتبعه فصلان :

- ١ - في أنه تعالى يفعل لغرض هو مصلحة خلقه.
- ٢ - استناد أفعالهم إلى اختيارهم لا بالاجاءه .

الباب الثاني

في إبطال الجبر المنافي لعدله ورحمته ، وفيه فصول مناسبة تأتي إن شاء الله تعالى في نسقه .

الباب الثالث

في إثبات النبي ﷺ وصفاته وفيه فصول ستة .

- ١ - في إثباته .
- ٢ - في عصمته .
- ٣ - في شيء من معجزاته .
- ٤ - في ما نص الله تعالى عليه في سالف كتبه .

- ٥ - في الرد على الطعن في الإرسال وخصوصاً في نبوته.
- ٦ - في ختمه رسالة ربه .

الباب الرابع

في إثبات الوصي وصفاته وفيه فصول :

- ١ - في طريق إثباته .
- ٢ - في تكميل شيء منه .
- ٣ - في رد شبهة من أوجبه على الأمة .
- ٤ - في إبطال الاختيار .
- ٥ - في إبطال الاختيار .
- ٦ - في إبطال الاختيار .
- ٧ - في إبطال الاختيار .
- ٨ - في إبطال الاختيار .
- ٩ - في إبطال الاختيار .
- ١٠ - في إبطال الاختيار .

الباب الخامس

فيما صدر عنه من الكرامات الموجبة لاستحقاقه لها وفيه فصول :

- ١ - في كراماته .
- ٢ - في مساواته عند الله لجماعة من أنبيائه .
- ٣ - فيما نقل من معاجزه .

الباب السادس

في شرائط وفيه فصول :

- ١ - منها في إثبات عصمت من المعقول ويتلوهما أقطاب في إثباتها (١) من المنقول.
- ٢ - في رد الاعتراضات عليها .

الباب السابع

في شيء من فضائله وفيه فصول :

- ١ - في أشياء متفرقة .
- ٢ - في جواب من ردّ نسبة العلوم إليه .
- ٣ - في جواب من ردّ فضيلته باعتقاد الغلاة فيه
- ٤ - في جواب من ردّ فضيلته بالمصاهرة
- ٥ - في المبيت على الفراش لعدائه النبي
- ٦ - في تكسير الأصنام.
- ٧ - في آية النجوى .
- ٨ - في سورة هل أتى .
- ٩ - في آية إذهاب الرجس .
- ١٠ - في أن مودة أهل البيت أجر الرسالة.
- ١١ - في حديث الطائر المشوى
- ١٢ - في أن حبه حسنة .
- ١٣ - في قول النبي لولا أن تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت كذا .

- ١٤ - في ردّ الشمس له
 ١٥ - في المضى إلى سلمان الفارسي لتجهيزه
 ١٦ - في مخاطبة النبي في معراج به بلغته
 ١٧ - فيما نقل عز مالك في تفضيله على أولى العزم حتى رمي بالغلو فيه .
 ١٨ - في إحاطته بفنائل أولي الألباب .
 ١٩ - في حصوله على أكمل أنواع الفضائل الخمسة .
 ٢٠ - في سدّ الأبواب دون بابه إلى مسجد رسول الله .
 ٢١ - في سبق إسلامه .
 ٢٢ - في كونه هو البئر المعطلة والحسنة وأبو الأئمة .
 ٢٣ - في كتبه على جبهة الملك: أيد الله عمداً بعلي .
 ٢٤ - في إعطائه مفاتيح الدارين في القيامة .

الباب الثامن

في ما جاء فيه بتعيينه من كلام ربه وفيه آيات متكررة تتلوها عليك قريباً
 إن شاء الله تعالى .

الباب التاسع

في ما جاء في النص عليه من رسول الله ﷺ بصريح قوله ودلالة فعله منه
 خبر الغدير ، والمنزلة ، والدار ، والراية ، وبراءة ، والإقضاء به ، ومدينة العلم ،
 والاخوة ، وقوله : من ظلم علياً مقعدى هذا فكأنما جحد نبوتى ، ويتبع
 ذلك فصول :

- ١ - في الوصية .
- ٢ - في رد من أنكرها .

- ٣ - في نص النبي على الوصيين .
- ٤ - في كونه خليفة الله .
- ٥ - في عدم قبول العمل إلا بولايته .
- ٦ - في تسميته أمير المؤمنين .
- ٧ - في قول رسول الله ﷺ : أنت مني وأنا منك .
- ٨ - في خصف النعل .
- ٩ - في قوله تعالى : وتعبها أذن واعية .
- ١٠ - في كونه خير البرية .
- ١١ - في كونه الشاهد والنور والهدى والجنب والحجة ومثال الكعبة وعنده أم الكتاب .
- ١٢ - في ذكر الدرجات .
- ١٣ - في ذكر الشهادات .
- ١٤ - في كونه آية النبي ﷺ

الباب العاشر

فيما جاء من النصوص المتظافرة على أولاده وفيه أقطاب :

- ١ - في العدد المجرد عن مجموع الأسماء إلا نادراً .
 - ٢ - في العدد المصاحب للأسماء والترتيب .
 - ٣ - في نص كل واحد على من بعده .
 - ٤ - في ذكر شيء من معاجزهم .
- القطب الأول في العدد المجرد عن الأسماء وفيه فصول :
- ١ - في قول النبي : الأئمة اثنا عشر .
 - ٢ - في ضرب أمثالهم بالشهور والتقاء البروج وما يتبع ذلك .
 - ٣ - في نص النبي ﷺ على عددهم .

٤ - في نص النبي ﷺ على عددهم أيضاً.

٥ - في ذكرهم بمدينة في مغارة الأندلس.

القطب الثاني في العدد المصاحب للأسماء وفيه فصول :

١ - في اطلاع الله تعالى إلى الأرض واختباره إياهم وما يتبع ذلك .

٢ - في أمره ﷺ بالتمسك بالشمس ، ثم القمر ، ثم الفرقدين ، ثم

النجوم وما يتبع ذلك .

٣ - النص عليهم من النبي ﷺ في خبر نعتل وما يلحقه .

٤ - الكتاب المستخرج من تحت الكعبة .

٥ - حديث جبرائيل عن ربه بولايته وما يتبع ذلك مما يناسبه .

٦ - قول سلمان للنبي ﷺ لكل نبي وصي ونحو ذلك مما يقاربه .

القطب الثالث في نص كل واحد على من بعده ويلحقه فصل فيما ظهر عن

كل واحد منهم من العلوم .

القطب الرابع فيما يظهر عنهم من المعاجز .

الباب الحادي عشر

ما جاء في خاتمهم وتملكه شيء من علاماته ومعجزاته ودلائل خروجه

ويتبع ذلك فصل في تعيين الأئمة والرد على الفرق الخارجة عن الإمامية

الأثنى عشرية .

الباب الثاني عشر

الطعن فيمن تدّاه بظلمه وعدوانه وما أحدث كل واحد في زمانه من طغيانه

وفيه أمور تأتي إن شاء الله تعالى .

الباب الثالث عشر

المجادلة لنصرة دينه وفيه فصول وإبحاث ومناظرات .

الباب الرابع عشر

ردّ الشبهات الواردة من مخالفيه وفيه فصول :
منها في الآيات ومنها في الروايات ويلحقه كلام في وقعة الجمل ونحوها .

الباب الخامس عشر

في تخطئة كل واحد من الأئمة الأربعة في كثير من أحكامه وفيه فصول :

- ١ - فيما أجمعوا عليه .
- ٢ - فيما اختلفوا فيه .
- ٣ - فيما اضيف إليهم من المخازي .
- ٤ - في البخاري .
- ٥ - فيما أنكر مسلم والبخاري من الأحاديث .

الباب السادس عشر

في الطعن في رواية أحاديثهم منهم وفيه فصول .

الباب السابع عشر

في ردّ الاعتراضات على شيء من شرائع أتباعه عليه السلام وفيه أمور بها ختم الكتاب .

الباب الاول

في اثبات الواجب وصفاته

انما ابتدأنا بهذا الباب - وإن كان الغرض الا هم من هذا الكتاب هو الإمامة - لأنه المطلب الأعلى والقاعدة الأولى، فكان صرف الهمة إليه أو لا أولى، فيستدل على وجوده تعالى بحدوث غيره المستفاد من تغييره، وبأن الممكن لا يستقل بايجاد شيء وحده وإنما يفعل أعراضاً فيما أحدثه غيره، أما الجوهر فلا يقع بقدرته لانحصارها في تولده ومباشرته، فالتولد إما بالاعتماد، ويعلم ضرورة عدم تجدد الجوهرية والمباشرة يلزمها التداخل ان كانت في محل قدرته، وإن كانت في ما يجاوره فالبعيد يؤثره غيره، فلا بد للجواهر والأعراض المخصوصة من موجد غيره، فلزم القول بوجوده ووجوبه المستلزم لاستحالة عدمه.

ولا بد من قدرته للزوم قدم العالم أو حدوثه تعالى عند فرض إيجابه وعمومها لاستواء ذاته لتجرده و اشتراك ماعداه في علته احتياجه.

ولا بد من علمه لامتناع نقصه وإحكام خلقه، ومن إرادته وكراهته لاختلاف أفعاله أولاً مرهونيه، ومن سمعه وبصره لعموم علمه المستفاد من الترجيح بلا مرجح عند عدمه والقرآن المجيد دل على كلامه وإدراكه.

ولا بد من مخالفته لغيره لذاته، لما عرفت من وجوبه وحدوث غيره. فليس بجسم لوحده وتركيبه، ولا عرض لغنائيه وحلوله، ولا جوهر ولا متحيز ولا في جهة لا افتقارها وغنائيه، ولا متحد لامتناع انفعاله، ولا يرى لامتناع الاحاطة به ولزوم الجهة الممتنعة عليه. وفي حديثين من الجمع بين الصحيحين أنهم يرونه يوم القيامة بالعين، فنعوذ بالله من هذا المين!

ولا بد من وحدته لفساد العالم عند فرض كثرته، ولنصفه في كتابه على ذلك.

ولابدّ من عدم زيادة الثبوتيات خارجاً من صفاته لامتناع افتقاره إلى مغاير لذاته ، ولأنّها إن كانت قديمة بطل اختصاصه بوجوبه ، وإن كانت حادثة من خارج افتقر إلى غيره ، ومن ذاته في ذاته جاء الدور أو التسلسل . وحلول الحوادث به ولا في ذاته فالعقل قاض للوصف بامتناع تجرّده وحلوله في غير المتصف به .

ولابدّ من اعتقاد عدله وحكمته المستندة إلى غناؤه المستند إلى وجوبه ، فعلمه بقبح القبيح ولغناؤه عنه يصرفه عن فعله ، لأنّ فوقه حاكماً يأمره بتركه كما توهّمه من عدم كثير من رُشده . وقد تمدّح تعالى في كتابه باوصاف وأسماء تدل على عدله ونهاية رافقه وهي كثيره تظهر لمن تتبّعها وجعلها غاية مطالعته وقدم الله من لم يعتبر ما تدلّ عليه الآيات بل اكتفى بانزالها ، فقال تعالى : « أفلا يقدّرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (١) وليحسن أن يقال هنا شعراً :

يا أمة كفرت وفي أفواهها القرآن فيه صلاحها ورشادها
هلا تفكرت الرواة لما أتى (٢) مما يزيل عن القلوب فسادها

وهذا الباب مبنيّ على إثبات الحسن والقبح العقليّين وهو حقّ ، للعلم الضروري بحسن الإحسان والمدح عليه ، وقبح الكفران والذمّ عليه من غير نظر إلى شريعة كما حكم بهما البراهمة والملاحدة ولم يقولوا بشريعة ، وأيضاً لولا كونهما عقليّين لجاز التعاكس بأن يوجد في الطوائف من يعتقد حسن الكفران وقبح الإحسان ، ولما علمنا بطلان ذلك علمنا أنّهما عقليّان ، ولأنّهما لولم يثبتا إلاّ شرعاً لم يثبتا عقلاً ولا شرعاً ، لأنّا متى لم نحكم من عقولنا بقبح الكذب جاز وقوعه من الله تعالى بإخراج المعجز على يد المتنبّي ، فلم نميزه عن النبيّ ! ولم نجزم بصحة شريعة ولا بصدق رسول ، فإذا استفدنا قبح الكذب من قوله الموقوف على صدقه ، الموقوف على المعجز ، الموقوف على قبح إعطائه الكذاب ، الموقوف على استفادة قبح الكذب منه ، لزم الدور ، فلا شاعرة يلزمهم إبطال دينهم حيث أنكروا مقتضى عقولهم .

فصل

الله تعالى يفعل لغرض ومصلحة يعودان إلى خلقه لا إليه ، لامتناع احتياجه للزوم العبث لو خلا عن غرضه وهو قبيح عقلا فلا يقع منه كما مضى في تقريره والاشاعة نفت غرضه تعالى وهم عن الصراط لنا كبون ، حيث أعرضوا عن قوله تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » (١) وقد بين الله تعالى الغرض من بعث المرسلين بأنه لتقى حجة الناس عن رب العالمين ولو اضيف العبث إلى أحد من هؤلاء لتقصى عنه وتبرأ منه ، ولما حكم عقله بقبحه نجاه عن فعله ، فكيف عمي إذ نسب ربه إلى مثله شعرا :

أحسن أن يبني قصوراً مشيدة بأحسن أوضاع وأكمل هيئة
ويهدم عمداً لالمعنى وإنه ليقبح هذا في العقول السليمة

تذنيب : يريد الله تعالى الطاعات ويكره المعاصي لما علمت من حكمته ولأمره ونهيه المستلزمين لإرادته وكراهته ولولم يكره الرب المعاصي لما حكم على الكافر بانه عاص .

فصل

قضت الضرورة باستناد بعض الأفعال إلينا لوقوعه بدواعينا ، ولولا ذلك لقبح أمرنا ونهينا فانتفتت عنا طاعاتنا ومعاصينا إذا اتفنى عنا تأثيرها . وسأتي ذلك في بابيه مستوفى إن شاء الله ، والقضاء والقدر اللذان يستندان الخصم بهما إلى المحال وحمله التأويل الفاسد على الانصراف عن الهدى إلى الضلال فلهما محامل تطابق اللفظة العربية موجبة لتنزيه باري البرية يتعيّن الحمل عليها لقضاء الفعل بها والتجاء الضرورة إليها .

الباب الثاني

في إبطال الجبر المنافي لعدله ورحمته

هذا الباب قد طوّل علماءنا البحث فيه وأتوا من الاحتجاج عقلا وتقاليداً بما لا مزيد عليه ، ونحن نذكر شيئاً مما وضعوه فيه لما علمت من الاحتجاج في تثبيت الإمامة إليه فنقول :

الله تعالى أمر ونهى ولولا قدرة العبد على متعلقهما كان ذلك سفهاً ، ووعد على الفعل والترك بالثواب الجزيل ولولا قدرة العبد لما كان ذلك أولى بمن العذاب الوبيل ، ولخلت الفائدة عن صحائف الأعمال والأشهاد فيها إذا كانت الأفعال المنسوبة إلى العبد لا قدرة له عليها ، ولولا قدرة العبد على الطاعة والعصيان لجاز من العدل الحكيم معاقبة أهل الإيمان وإثابة ذوى الكفران ، ولو جاز ذلك خرج الحكيم العدل إلى الظلم عن حكمته وعدله وبطل ما تمدّح به من إثبات رحمته ، ولكن الطائع ناقص التدبير قليل التصوير حيث تعجّل بمشقة التكليف ، إذ جوز أن يعاقب وإن أطاع وهذا هو الاعتقاد السخيف . ولو لم يكن للعبد قدرة لكان وعده تعالى ووعيده راجعين إلى نفسه وكذا بعثه الأنبياء إنما هو إلى نفسه ، والمحاربة الواقعة من الكفار لنبيه ودويه صادرة عنه لاعتن مكذبيه ، ولكن تكذيب الكافر لرسائله إنما هو من ربه فكأنه أرسله ثم كذّب به فيعود الكذب على نفسه بأن يقول : أنت أرسلتني ثم كذّبتني فأنت الكاذب عليّ . ويدل على إضافة الفعل إلى العبد آيات كثيرة . وقد صف الشيخ يحيى بن سعيد رحمه الله كتاباً سماه « التفحص والبيان عن أسرار القرآن » وآخر سماه « قبة العجلان » وآخر سماه « الموازنة » قابل فيه آيات العدل بآيات الجبر فوجد آيات العدل تزيد عنها بسبعين آية

قال : « ومن المعلوم أن الأدلة إذا تعارضت تساقطت وكان الحكم للفاضل »

واقول : لولم يوجد في القرآن ما يدل على فعل العبد ولا آية لكان في صريح العقول عن ذلك كفاية ، ويجب تأويل مخالفتها لأن الله تعالى أنزل القرآن حجة لنبيه ، ولو اتقى فعل العبد أوحتمه الرب لكان محجوجاً به . بأن يقول الكافر : « كتابك شاهد لي بعدم قدرتي فاللوم لازم لك ومتنف عني » ونحن نورد طرفاً من الآيات التي تمسك الخصم بها ونشير إلى شيء من تأويلها .

منها : ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك (١) .
قالوا : المراد بالحسنة الخصب ، وبالسيدة الجذب ولهذا قال « أصابك » ولو أراد الفعل قال « أصبت » لأنك تصيب الحسنة ، أما الخصب والجذب فانه يصيبك لا تصيبه .

قلنا : سلمنا أن المراد الخصب والجذب ولكن لا يضرنا وقد قال مقاتل : ما أصابك من المكروه فمن نفسك لأنك ولّيت وجبت . وعلى قولنا : فما أصابك من سيئة فمك لأنك السبب فيها . وقد قال الله (٢) « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » ولو كان الكل منه تعالى لم يصح أن يقول « من نفسك » ولبطلت القسمة المذكورة . وقد ذكر أبو العالية وأبو القاسم وهما من أئمة المفسرين أن المراد بالحسنة الطاعة وقعت بتوفيق الله وترغيبه وبالسيدة المعصية وقعت بخذله للعبد على وجه العقوبة له .

قولهم : لو أراد الطاعة والمعصية لقال : « أصبت » .

قلنا : ما أصابك قد أصبت ، قال السخاوي في شرح الشاطبية في تفسير : « فتلقى آدم من ربه كلمات » (٣) ما تلقته فقد تلقاك ، ومن الأفعال ما يستوى فيه الإضافة فتقول : نالني كذا ونلت كذا ، قال شاعر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخطأ أصبت جميلاً أو أصابك جاهل

١ - النساء : ٧٨ .

٢ - الشورى : ٣٠ .

٣ - البقرة : ٣٧ .

ومنه « لا ينال عهدى الظالمين » . « وبلغني الكبير » (١) .

قالوا : قال في الآية الأخرى : « قل كُلُّ من عند الله » (٢) فقد فسّر تلك بهذه .

قلنا : معارضة بقوله : « ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » (٣) مع أن تأويل مخالف العقل أولى من العكس على أنه لا بدّ من العدول عن الظاهر لدفع التناقض عن الآيتين إذ في إحداهما « من الله » ، ومن نفسك « وفي الأخرى « الكل من الله » فكأنه قال : الكل من الله والبعض ليس من الله !
قالوا : إذا حملنا الآيتين على أن « الكل من عند الله » لم يتناقضا .

قلنا : لا يجوز الحمل اقتراحاً ولم يفسّر البعض بالكلّ لامجازاً ، ولا ضرورة تلجى إليه عن الحقيقة ويزول التناقض بما ذكر من تغاير الموضوع . قال ابن المرتضى ، من شيوخهم : لما نزل النبي ﷺ المدينة قال اليهود والمنافقون : مازلنا نعرف النقص في ثمارنا مذ يوم قدم هذا الرجل علينا ، فنزل : إن تصبهم حسنة - يعني رخصاً - يقولوا هذه من عند الله لنا وإن تصبهم سيئة - يعني غلاء - يقولوا هذه بشؤم غد فينا ، وإنما أتى الله بها عقيبها لثلاث يظنّ ضعيف العقل اتحاد معناهما ، وقد قال الله تعالى : « إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها » (٤) فقد سمى الرخاء والشدة حسنة وسيئة .

قالوا : الكلام من أوله إلى آخره خطاب للنبي ﷺ وجواز السيئة عليه ينافي العصمة فيه .

قلنا : قال ابن المرتضى : الخطاب له والمراد غيره ، وقال ابن العباس : نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة .

١ - البقرة : ١٢٤ . آل عمران : ٤٠ .

٢ - آل عمران : ٧٧ .

٣ - ٢٨ .

٤ - ١٢٠ .

ومن آيات العدل « ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، انّ علينا للهدى ، انّا هدينه السبيل ، ومكروا ومكر الله ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (١) ولفظ « على » يدل على الاستحقاق و بالجملة فلا يكاد أكثر القرآن المجيد يخلو من ذكر اختيار العبد ، فالمخالف تمسك بما نهى الله عنه فقال : « فأما الذين في قلوبهم مرض فيتبعون ما تشابه منه » (٢) ثم نقول لهم : ما تريدون أتم من الكفّار ؟ فإن قالوا الكفر كفاهم ذلك النكر . وإن قالوا : الايمان ، قلنا : أليما أفضل ما أردتم من الايمان أو ما أراد الله من الكفران ؟ فإن قالوا : ما أراد الله ، لزم كون الكفر خيراً من الايمان . وإن قالوا ما أردنا لزم كونهم أولى بالخير من ربنا . ثم نقول : أوجب على العباد اتباع مراد الله أو مرادكم ؟ فإن قالوا مراد الله ، لزمهم وجوب الكفر على العباد ، وإن قالوا مرادنا دون مراد الله كفاهم بذلك خزيًا وقبحاً .

وسنورد لك بعض ما تمسكوا به لتقف منه على بطلانه

منه قوله تعالى : « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلاّ إياه » (٣).

قلنا : أمر واجب لأنه ألزم ، وإلاّ لا تفتت قدرته حيث لم يقع ما ألزمه .

ومنّه « إلاّ أمرأته قدرناها من الغابرين » (٤) .

قلنا : كتبناها لأنزمتها .

ومنّه « وقدّر فيها أقواتها ، وقدّرنا فيها السير » (٥) .

قلنا : علمها وعلمها عليها من ثواب وعقاب .

١ - الزمر : ٧ . الاعراف : ٢٧ . البقرة : ٢٦٨ . الليل : ١٢ .

الدهر : ٣ . آل عمران : ٥٤ . البقرة : ١٥٠ .

٢ - التوبة : ١٢٦ .

٣ - اسرى : ٣٣ .

٤ - النمل : ٥٧ .

٥ - حم السجدة : ١٠ . سبأ : ١٨ .

ومنه • كتب في قلوبهم الايمان • (١)

فلما : علامة يعرفون بها .

ومنه • ومن يضل الله فما له من هاد • ونظائرهما . (٢)

فلما : الضلال يكون في الدنيا بمنع اللطاف جزاء على الكفران ويكون في الآخرة بالأخذ عن طريق الجنة والاهتداء يقابلهما ، وقد يضاف الضلال إليه لوقوعه عند تكليفه كما اضيف الرجس إلى السورة والتفورا إلى الرسول (٣) وقد يقال • أضل الله الإنسان • إذا وجهه ضالا ، يقال أجذبت المنزل وأقمرت الدار ، إذا وجدتهما كذلك . قال عمرو بن معدى كرب : • قاتلنا بني سليم فما أجبناهم ، وسألناهم فما أبحلناهم ، وهاجيناهم فما أفحمناهم • (٤) وقد نسب الله إضلال الدين إلى غيره : • فأضلهم السامري ، وأضل فرعون قومه ، ويريد الشيطان أن يضلهم • (٥) وأضاف إلى نفسه ضلال المستحق : • ويضل الله الظالمين ، وما يضل به إلا الفاسقين • (٦) ولو جاز منه الإضلال عن الدين لم يخص به الظالمين .

ومنه • ولا تقولن شيئا إنني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله • (٧) فنهى عن الشئ وهو يعم الطاعة والمعصية إلا مع التعليق بمشيئته ، ولو كان لا يريد المعصية لكان من قال • لا عصيتك غداً إن شاء الله • كاذباً حاثاً ، إذا لم يفعل ، لأن الله قد شاء ذلك فلم يؤثر الاستثناء في المشيئة ، ولما لم يكن حاثاً بالاجماع كان الله مريداً للمعصيان . فلما : قال المرتضى رحمه الله : الاستثناء يكون للإيقاف كالدخول في العقود وللتسهيل مثل • لا قضيتك غداً إن شاء الله • أى إن لطف ، وهذا ليس على حقيقة الاستثناء فلا حجة لهم فيه كما ذكروه .

١ - المجادلة : ٢٢ .

٢ - الرعد : ٣٥ .

٣ - في قوله : « فزادتهم » (السورة) رجساً إلى رجسهم ، وقوله : « فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا »

٤ - أي ما وجدناهم جبناء بخلاف مضحين .

٥ - طه : ٨٥ ، طه : ٧٩ ، النساء : ٥٩ .

٦ - إبراهيم : ٢٧ ، البقرة : ٢٦ .

٧ - الكهف : ٢٤ .

ومنه • فألهمها فجورها وتقواها • (١) .

قلنا : أي بينه

ومنه • وما تشاؤون إلا أن يشاء الله • (٢) .

قلنا : لم نشأ شيئاً إلا وقد شاء لأنه الآمر به ، إذ لو لامشيئة الله لتخلف بها مشيئتنا فلم نشأ شاء بعدم مشيئتنا

إن قيل مشيئتنا من فعلنا عندكم ؟

قلت من خلقه تعالى .

فإن قلت : كيف يكون من خلقه ؟

قلنا : المراد خلقنا أحياء تقدر على المشيئة وذلك بسبب مشيئتنا .

ومنه • ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض

كلهم • (٣) .

قلنا : على سبيل الإيجاز لأن بعضهم سأل الرسول أن يقهر المجاورين لهم على الإيمان ليتقوا ربهم ، فنزلت الآية وفي آخرها • أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين •

ومنه • وما كان للنفس أن تؤمن إلا بإذن الله • (٤) .

قلنا : المراد بعلمه .

ومنه • إن الذين كفروا زيننا لهم أعمالهم • (٥) .

قلنا : زين لهم أعمالهم الحسنة بالترغيب فيه فأبوا عنها فخلا بينهم وبين قبيحها ، أو منعهم الطافة فيها .

ومنه • ولو شاء الله ما أشركوا • (٦) .

١ - الشمس : ٨ .

٢ - النمر : ٣٠ .

٣ - ألم الجدة : ١٣ . يونس : ٩٩ .

٤ - يونس : ١٠٠ .

٥ - النمل : ٤ .

٦ - الأنعام : ١٠٧ .

قلنا : على سبيل الجبر كما مر .

ومنه : « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء » (١).

قلنا : الفتنة هي الاختبار والامتحان ومنه سمى الصانع « فتان » وقد جاءت الفتنة على معان هذا أليقها لتنزيه الرب عن العدوان .

ومنه « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » (٢).

قلنا : المشيئة بالجبر كما سلف ، والضمير في « لذلك » للرحمة للاختلاف .

قالوا : « ذلك » ضمير المذكر لا يصلح للرحمة المؤنثة .

قلنا : رد الله ضمير التذكير إلى التأنيث في قوله « هذا رحمة من ربي ، إن رحمة الله قريب من المحسنين » (٣) وقد اشتهر ذلك في أشعار البلغاء .

ومنه « ولا تجعل في قلوبنا غلا » (٤).

قلنا : الجمل بمعنى التخلية مثل قول أحدنا لغيره : « وجعلتني ذليلا » إذ خلا بينه وبين ما يذله . وبمعنى التسمية « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا » (٥) .

ومنه « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » (٦).

قلنا : وجدناه غافلا أو أغفلناه فلم نكتب فيه علامة الإيمان .

ومنه « إننا جعلنا في أعناقهم أغلالا . وجعلنا على قلوبهم أكنة » (٧).

١ - الاعراف : ١٥٤ .

٢ - هود : ١١٩ .

٣ - الاعراف : ٥٥ .

٤ - العنكبوت : ١٠ .

٥ - الزمر : ١٩ .

٦ - الكهف : ٢٨ .

٧ - يس : ٨ والانشاء : ٢٥ .

قلنا : لما أبوا الرشد والانتفاع شبهوا بذلك وصحة نسبته إليه تعالى من حيث امتناعهم عند تكليفه كما نسب الرجس والتفور إلى السورة والذير . قال شاعر:

كيف الرشاد وقد صرنا إلى نقر
لهم عن الرشد أغلال وأقياد

ومنه « إن الله يحول بين المرء وقلبه » (١)

قلنا : بالجنون أو الموت : والفائدة الحث على الطاعات قبل القوات وسأل هشام بن سالم عن علي عليه السلام عن الآية فقال عليه السلام : يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق .

ومنه « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » (٢).

قلنا : المرض هنا الشك ، أي زادهم الله شكاً بمنع الطاعة ومثله « ثم أنصرفوا صرف الله قلوبهم » (٣) وقيل معناها الدعاء عليهم . ومثله « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » (٤) .

ومنه « والله خلقكم وما تعملون » (٥).

قلنا : خلق أصنامهم التي يعملون فيها مثل « تلقف ما يأفكون » (٦) يعني العصي المأفوك فيها ، على أنه يجوز كونه خالق أفعالنا على وجه التقدير .

ومنه « خلق كل شيء » أي بقدر (٧)

قالوا : لولا أن المراد العموم ذهب المدحة ، لأن العباد عندكم يخلقون بعض شيء .

١ - الانفال : ٢٤ .

٢ - البقرة : ١٠٠ .

٣ - التوبة : ١٢٥ .

٤ - المصف : ٥٠ .

٥ - الصافات : ٩٦ .

٦ - الامراء : ١١٩ .

٧ - الانعام : ١٠١ .

قلنا : وإي مدحة في خلق الظلم والكفر والعناد، على أنه سبحانه مختص بخلق الأسباب دون العباد . وإيضاً إذا قلنا خلقهم وخلق عبادتهم الاضمار لم يبق لقوله تعالى « أجبنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (١) معنى ، إذ لا معنى للإِنْكار إلاّ عدم جعلها أصناماً تعبد . فإن قالوا : « جعلنا » ليس بإنكار بل استعمال . قلنا هو محال من الخير العلام .

ومنه « خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام » (٢) .

قلنا : فكان يلزم إيجاد أفعالهم في ستة أيام والمعلوم خلافه .

ومنه « ويبلوكم بالشر والخير فتنة . وبَلَّوْناهم بالحسنات والسيئات » . (٣)

قلنا : المراد الرِّخاء ومقابله كما سلف .

ومنه « إنَّ الإنسان خلق هلوعاً » (٤) .

قلنا : مطبوع على الضعف عن تحمل المشاق .

ومنه « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » (٥) .

قلنا : أمرهم بالطاعات ففسقوا مثل « أمرته فعصا ، ودعوته فأبى » أو يكون المعنى أننا إذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أننا أمرنا مترفيها . ولا يكون : « أمرنا » مترفيها من صلة القرية . إن قالوا فلم يبق لإِذا جواب قلنا : هو من الاكتفاء قال الهذلي :

حتى إذا سلَّوهم في قنابله
سلاً كما تطرده الجمالة الشردا

فلم يأت بجواب « إذا » لأن البيت آخر الشعر ، وقيل التقدير : إذا أمرناهم ففسقوا أردناهم هلاكهم ، والتقديم والتأخير في كلام العرب كثير هذا .

١ - الزخرف : ٤٥ .

٢ - الفرقان : ٥٩ .

٣ - الانبياء : ٣٥ .

٤ - المارج : ١٩ .

٥ - الاسراء : ١٦ .

وقد ورد جملة مقنعة من الأحاديث تنقي نسبة أفعالنا إليه تعالى كما اعتقده الأخايث .

روى عبد الله بن شداد أنه رضي الله عنه كان يقول : « اللهم رضا بقضائك وبردك في قدرك » والنبي ﷺ لا يرضى بالكفر والظلم .

وقال ﷺ : « سيكون في آخر هذه الأمة قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون هي من الله قضاءً وقدرًا ، فإذا ألقيتموهم فأعلموهم أنني برئ منهم » ونحوه عن جابر عن النبي ﷺ وزاد فيه : « الراد عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله » .

وقال له رجل : متى يرحم الله العباد ومتى يعذبهم ؟ فقال : « يرحمهم إذا عملوا المعاصي فقالوا هي منا ويعذبهم إذا قالوا هي من الله قضاءً وقدرًا » .

وقد قل ابن حنبل وجميع الحشوية ومعظم العامة أن عمر بن الخطاب أتى بسارق فقال له : ما حملك عليه ؟ فقال : قضاء الله وقدره . فصر به ثلاثين سوطاً ثم قطعه ، وقال له : « قطعتك بسرقتك وضربتك السياط بكذبك على الله » .

ولو لم يكن إلا الخبر المتلقى من الأمة بالقبول لكفى وهو ما رواه شداد بن أوس قال : سمعت النبي ﷺ يقول : من قال حين يصبح أو يمسي : « اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت يارقيب أعوذ بك من شر ما صنعت وأقرلك بالنعمة وعلى نفسي بالذنب فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

قالوا : الله قادر على المنع من المعصية ولم يفعل فهو مريد لها .

قلنا : منه يؤدي إلى الإلجاء المنافي للتكليف بالانزجار عنها .

قالوا : الظلم تصرف في مال الغير والله مالك الكل فلم يقبح منه تعذيب

بغير موجب .

قلنا : نمنع انحصار الظلم في ذلك فإن من قتل عبده لالحدث فعله ذمه كل

عاقل وظلمه .

قالوا : جازي للمالك أن يشقى أحد عبديه في المعاش ابتداءً ، ويربح الآخر ولا يكون بذلك ظالماً قلنا : لا قياس ، لأن كلامنا في قتله بغير سيئة والإفهام على الآخر بغير حسنة .

قالوا : لو أذن السلطان لرعيتيه بقتل واحد فقتله واحد منهم فله قتله ولا يكون ظالماً . قلنا : هذا مكابرة ، فإن المأمور بقتله إن كان لا سبب يوجب ظلمه [فظلم] وإلا ظلم قاتله .

قالوا : لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، قلنا : كيف يسأل عما يفعل ولا يفعل إلا على وفق الحكمة ، بخلاف عباده . ويؤيدهم ثلاثا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ^(١) ، ولو أننا أهلكتهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ^(٢) ، وأيضاً وهم يسألون عما يفعل أو عما يفعلون فليعتبرها السائلون .

قالوا : لو فعل السلطان فعلاً لم يعارض فيه وإن أنكرته الرعية فكيف يعارض الرب فتذكر الخلق عليه . قلنا : لم يعارض السلطان لما يعلم من ظلمه أما الرب فنعم لما وصفه لنفسه من عدله ، وذكر أنه يقول الإرسال إليهم لسألوه عن فعله .

قالوا : الأغلب في الكون وقوع المعاصي وهي من الشيطان ، والطاعات نادرة فالأقل من الرحمن ؟ بل الحق أن الكل من الملك الديان . قلنا : ذلك ليس على وجه غلبة الضعيف ، بل لأن الله تعالى لو ألجأهم إلى تركها لنافي التكليف وقد نطق بوسوسة الشيطان الكتاب المبين في قوله ولا غويتهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين . لا حشركن ذريتته إلا قليلاً ، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً ^(٣) .

قالوا : خلق الله إبليس وهو يعلم أنه يعصيه فقد أراد معاصيه قلنا : خلقه للعبادة العائد عليه نفعها فأباه ، وفي إيجادها تمييز الخبيث من الطيب باتباعه وامتناعه ولولاه لما فضل بعض البشر على الملائكة بمخالفته فظهرت الحكمة في خلقته .

(١) البقرة : ١٥٠ .

(٢) طه : ١٣٤ .

(٣) الحجر : ٣٩ و ٤٠ ، الاسراء : ٦٢ ، يس : ٦٩ .

قالوا : الطاعة بموافقة الأمر والمعصية بمخالفته لا بموافقة الإرادة ومخالفتها قال الله تعالى « أفعميت أمري ^(١) » ولم يقل إرادتي « لا يعصون الله ما أمرهم ^(٢) » ولم يقل فيما أراد منهم فلا لوم على معاقبة العاصي وإن وافقت المعصية إرادته . قلنا : الأمر والإرادة متلازمان والمخالف فيه مكابر ، وقد قال تعالى : « ولا يرضى لعباده الكفر ^(٣) » ، ولو كان مريداً له كان راضياً به لاتحادهما ضرورة ، فإذا تلازم الأمر والإرادة لم يبق فرق بين ذكرها في العصيان وذكره و سؤال التعيين ساقط عند المحصلين وقد قال الله تعالى : « ولا يريد بكم العسر ^(٤) » ، وأي عسر أكبر من القهر على المعصية ورفع التمكين منها ثم يعاقبه عليها ؟ ولو أمر الله بما لا يريد لكان عابثاً ، تعالى عن ذلك .

قالوا : أمر إبراهيم بذبح ولده ولم يرد له لعله أولاً بعدم وقوعه . قلنا : قد ذهب أكثر المحققين إلى وقوعه وأن الله تعالى كان يوصل الأعضاء بعد قطعها وذهب جماعة إلى أنه أمر بمقدّمات الذبح لا بالذبح فأضجعه و غلب على ظنّه أنه سيؤمر بالذبح .

قالوا : قد وقع من الله أنواع الآلام بغير المستحق كالأطفال والأولياء وغير ذلك من الموت ومصائب الدنيا ولم ينسب إليه ظلم في شيء منه فكيف ينسب إليه الظلم فيما يريد وهو يكتب لغيره ؟

قلنا : الآلام المذكورة علم فيها مصلحة واختياراً وضمن في مقابلتها عوضاً يختارونه عليها فخرجت بهذين عن كونها ظمناً وعيباً بخلاف الصادرة من قبل قياس المناقق لعدم الجامع وحصول الفارق .

(١) طه : ٩٣ .

(٢) التحريم : ٦ .

(٣) الزمر : ٧ .

(٤) البقرة : ١٨٥ .

﴿ الفصل الثاني ﴾

من أقوى ما يقال لهم : بعث الأنبياء لنا نبي بما أراده الله منها أولاً ؟ فإن قالوا بما أراد ؟ قلنا : أرادوا إيمان الكافر فيكون الله تعالى مريداً لا إيمان الكافر وهو خلاف قولكم ، وإن قالوا : بعثوا ليأتوا بما لا يريد ، قلنا : هذا كفر وإلا لكان مسيئمة الكذاب أتى بموافق إرادة الله تعالى وخالفها النبي الصادق . ويقال لهم إذا جؤزتم أن يفعل الله ما هو قبيح في الشاهد ولا يقبح منه لزمكم جواز أن يخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه ولا يقبح منه وقد التزمه العطوي وقال إنه ليس بأعظم من القبائح غيره .

و الأشارة قالوا إذا لم يقل الكذب لأنه صادق لذاته ، ولو كان الكلام فعلاً لما قبح منه ذلك قلنا : قد ألزمناكم أن لا يكون صادقاً فبينوا الآن أنه صادق لذاته على أن الكلام المسموع فعل عندكم ، فما يؤمنكم أن يكون كذباً ^(١) وأن الكلام النفساني أخبر بخلاف ما أخبر المسموع بأن يكون فيه : النارداد الأبرار والجنة دار الكفار . إلزام آخر يقال لهم إذا صح أن يفعل الظلم صح أن يأمر به وكلما تجيبون في المنع من الأمر به قائم في المنع من فعله .

قالوا : أمر بالصلاة وغيرها ولا يفعل . قلنا : هذا عكس إلزامنا لأننا قلنا إذا صح أن يفعل صح أن يأمر وأنتم قلتم إذا صح أن يأمر صح أن يفعل . إلزام آخر إذا صح أن يفعل القبائح ولا يقبح منه صح أن ينصب الأدلة على الباطل ولا يقبح منه إذ ليس بأعظم من الإضرار عن الدين وخلق تكذيب النبيين وتجويز ذلك يرفع الثقة بحقيقة مذهب المسلمين لجواز أن يخرج المعاجز على يد الكاذبين ويمنع منها النبيين الصادقين و ناهيك بذلك فساداً في الدين .

إلزام آخر ، إذا جاز أن يخلق التكذيب والكفر في الضلال جاز بالأولى أن يبعث الأنبياء يدعون إلى الضلال فيمتنع القطع بدعوى الأنبياء إلى الحق وذلك من أعظم المحال حيث لم يبق لأحد مجال عن سبيل الوبال .

لذئيب : هذه الإلزامات و نحوها يلزمهم أن لا يمكنهم الانفصال عنها ولا يستنكفون منها لأنهم لا يتصورون قبلاً فيها لو صدرت منه ، سبحانه وتعالى عنها .

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ في الزامات آخر ﴾

يقال لهم : تحبّون أن تحمدوا على الطاعات فلا بدّ من : بلى ، فيقال : دخلتم في توبيخ قوله « يحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا »^(١) ، ويقال لهم : إذا خلق الله الكافر في الكافر و أمره بالإيمان فقد أمره بتغيير ما خلق فكيف يعاقبه على أنه لم يغيّر ما خلق فيه .

إلزام آخر : نفى الله تعالى الظلم عن نفسه في مواضع من كتابه و عندكم كلُّ واقع من القبائح من فعله فلا معنى للنفي عن نفسه ، و بأيّ شيء يجيب الرسول إذا قال له الكافر : أيّ فائدة في إرسالك .

إلزام آخر : الإجماع على جواز طلب المعونة من الله و لا معنى لها حينئذٍ و إلاّ لا احتاج الله تعالى في فعله إليها .

إلزام آخر : أصحاب مسيئة صدّ قوه في النبوة و تصديقهم من فعله تعالى فهو صادق إذا لا فرق بين تصديقه إياه و إنطاق الأحجار و نحوها له و إذا جاز أن يخلق الكذب في خلقه جاز أن يكون قول محمد ﷺ « لا نبيّ بعدي » من جملته إذا لا ترجيح له على دعوى مسيئة و قد صدّقنا الله على حدّ واحد .

إلزام آخر : إذا شرب الصائم بيده أثم و إذا وجر في خلقه لم يأثم فما الفارق بينهما و ما معنى قول النبي ﷺ « رفع [القلم] عن أمتي [في] الخطأ ، و النسيان و ما استكروها عليه » ولا يتصور الإكراه إذا كان فاعل الكلّ الله تعالى .

إلزام آخر : أجمع على وجوب التوبة و كيف يتوب الإنسان مما لم يفعل و
الندم حينئذ كالندم على السواد و القصر و تشويه الخلقة .

إلزام آخر : أنكروا فعل السيئات في قوله تعالى « ما كننا نعمل من سوء »^(١) ،
فاذا كانوا صادقين كذب قوله تعالى « بلى » .

إلزام آخر : شهادة الجوارح على فعل العباد إن كانت صادقة فالمطلوب و إلا
فكيف يحنح تعالى بشهادة كاذبة .

﴿ الفصل الرابع ﴾

اتفق أهل القبلية على إثبات القضاء و القدر في فعل العبد بمعنى العلم والكتابة
له وعلى نفي القدر بمعنى الأمر به أما القدر فيه بمعنى أن الله خلقه فأثبت الجبريون
و نفاء العدليين و قد أجمع على أنه تعالى يقضي بالحق و نطق القرآن به و على
أن الكفر باطل ، فلو قضاء تناقضا [أ] وكان الباطل حقا وإذا كان الجبري يقول بأن
الله لم يقض الكفر بمعنى الأمر به لزم أن لا يقضيه بمعنى خلقه إذ كان خلقه أبلغ
في القبح من الأمر به ، وقد اتفق على نفي رضا الله بالكفر و جاء القرآن به وعلى
وجوب الرضا بالقضاء فيجب أن لا يرضى العبد بما لم يرض الله به ، و أجزل الله ثواب
أبي العباس الضبي حيث قال في ذلك شعرا :

لعنت المشبهة والمجبرة	لعين تنرى حدثها مره ^(٢)
فميمنة النار مئوى لها	نعم و لها القلب و الميسرة
ولله إخواننا القائلون	مقالة حق بها المغفرة
فهم و حده و هم عدلوه	بآيات فطرته النيرة

﴿ الفصل الخامس ﴾

اتَّفَقَ الناسُ على أنَّ القدر اسم ذمٍّ لتشبيهِهم بالمجوس فتدارته العدلية و الجبرية كلُّ فرقة تلقية على الأخرى ، فقلنا من يثبت القدر في فعل العبد بمعنى الخلق له أحقُّ بالقدري لأنَّ الاسم إنما يشتقُّ من الشيء لمثبت ذلك الشيء ، كما أنَّ الثنويَّ من أثبت ثانياً و المجسَّم من أثبت جسماً ، ولو اشتقَّ اسم الشيء لنافيه لكان الموحد ثنويَّ و المنزَّه مجسَّمي (١) .

إن قالوا : بل أنتم القدريَّة لأنكم تثبتون قدرة للعبد . قلنا : فأنتم تثبتون قدرة الربِّ على فعل العبد و أكثر كم يثبت قدرة العبد و يزعم أنها موجبة للفعل و الخبر ورد بفتح القاف و المثبت للقدرة قدري . بالضم . فليس هو المراد ، و أيضاً فإنَّ المجبر يكثُر ذكر القدر في كلِّ قضية و من أكثر من شيء عرف به . و أيضاً فإنَّ النبي ﷺ ذمهم فالجبرية أحقُّ بالذمِّ لنسبتهم أنواع القبائح إليه تعالى و نهى عن مجالستهم فالمفسدة في مجالس الجبرية حيث يسهلون المعاصي بقولهم : ما قدره الله كان وما لم يقدِّره فلا ، و يؤسسون من رحمة الله إذ يجوزون التعذيب من غير ذنب ، و يقولون : خلق الله للجنة قوماً لا تضرهم المعصية و للنار قوماً لا تنفعهم الحسنه و الطاعة ! و سماهم النبي ﷺ شهود الشياطين و خصماء الرحمن إذ جواب إبليس « ما منعك أن تسجد » : « ربِّ بما أغويتني » فإذا قال الله : « من شهودك بذلك ؟ » جاء بالجبرية .

وحكى الحاكم : أن جبرياً سمع قارئاً يقرأ : « ما منعك أن تسجد » قال : هو والله منعه ، و لو كنت حاضراً لقلت ذلك . و حكى أيضاً : أنه كان بالبصرة نصرانيٌّ كتب « إنني كفرت بمحمد بقضاء الله عليه و منعه الإيمان به » و أتى بالكتاب المجبر فكتبوا خطوطهم بذلك ليشهدوا به في القيامة . و شبههم النبي ﷺ بالمجوسيَّ و المجبر كذلك ، لأنَّ المجوس يقولون بألهين : القادر منهما على الخير لا يقدر

(١) كذا في الاصل والقياس لكان الموحد ثنويّاً و المنزه مجسِّماً .

على الشرّ وبالعكس ، و المجبّرة تقول : « الكافر لا يقدر على الإيمان ، والمؤمن بالعكس » و علّقت المجوس المدح و الذمّ بما لا يعقل ، و هو الطبع ، و المجبّرة علّفوهما بما لا يعقل وهو الكسب و المجوس ينكحون المحارم و يقولون وأرادها مناه و كذا الجبريّة .

و قد روي في الفائق أنّ النبي ﷺ قال : لعنت القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً ، قيل : و من القدرية ؟ قال : قوم يزعمون أنّ الله قدّر المعاصي عليهم و عدّ بهم عليها .

و روى أبو الحسن عن محمد بن عليّ المكيّ أنّ فارسياً قدم على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : « أخبرني بأعجب ما رأيت » قال : رأيت قوماً ينكحون محارمهم و يقولون هي بقضاء الله و قدره ، قال النبي ﷺ أما إنّه سيكون في هذه الأمة قوم يقولون بمثل عقالتهم ، فأولئك مجوس أمتي ، و قيل لشامة : تقدّر أن تؤخّر ما قدّم الله أو تقدّم ما أخر الله ، فقال : هذا على ضربين إن أردت أن أصير رأس الحمار ذنبه فلا ، وإن أردت أن أقدم معاوية على عليّ ﷺ وقد أخره الله تعالى فنعم .

و ذكر ابن مسكويه في كتابه تجارب الأمم : أنّ الله تعالى بعث محمداً و العرب حينئذ قدرية مجبّرة ، يحملون ذنوبهم على الله مصداق ذلك قوله تعالى و إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها ^(١) ، و قوله عنهم : « ولو شاء الله ما أشر كنا » ^(٢) .

و العجب أنّ المجبّر يعمل في أمر دنياه بالأحزم في طلب رزقه و الحرس على أمواله ، فإذا نهي عن ذلك بأنّ ما قدّر الله فلا بدّ من وصوله فلا تتعب ، أقصم ذلك و أنكره ، و لقد كان أمر دينه أولى بالاحتياط منه .

إن قالوا : بل أنتم المجوس ، لأنكم تنسبون الشرور إلى الشيطان و تنفونها عن الرحمن وهذا هو مذهب المجوس . قلنا : الشرور التي نسبها المجوس إلى الشيطان هي

(١) الاعراف : ٢٧ .

(٢) الانعام : ١٤٨ .

الأمراض والمصائب والصّور والمستقبحة ، وهذه نحن ننسبها إلى الرحمن لا إلى الشيطان وأما الشرور التي هي الإغواء والوسوسة فلم تختصّ بالمجوس بنسبتها إلى الشيطان ، بل يقول بها سائر الكتابيين ، [بل] وقد علم من الله ورسوله والسلف نسبة ذلك إلى الشيطان ، قال أبو بكر في مسئلة : « هذا ما رآه أبو بكر فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان » ومثله عن عمرو بن مسعود وغيرهما لما لا ينكره إلا جائر ، لأنه من المتشاهر ، وسيأتي تكميل ذلك في باب المجادلة فمن أراد قصده . شرأ :

امنع المجبر الذي ✽ بقضاء السوء قد رضي
وإذا قال لم فعلت ✽ قل له هكذا قضي

﴿ الباب الثالث ﴾

✽ (في اثبات النبي وصفاته) ✽

وفيه فصول :

﴿ الفصل الاول ﴾

نفث الأشاعة وجوب البعثة بناءً على إنكار الوجوب العقلي وأوجبها الأوايل من حيث العقل العملي ، ومشايخ المعتزلة لم تعمّم وجوبها وانتفقت المعتزلة في الجملة والامامية مطلقاً على وجوبها ، والحق امتناع الخلوة منها لاشتغالها على اللطف للإنسان ، وهو واجب على الله في كلّ آن فإنّ المواظبة على السمعيّات مقرّبة من العقليّات : « إنّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ^(١) » و مشتملة على اللطف في السمعيّات أيضاً فإنّ العلم بدوام الثواب والعقاب الداعي إلى ما يوجبها مستفاد من النبي كما هو مذهب المرجئة ، وأما المعتزلة القائلون بأنّ العلم بدوامها عقلي فتقول فيه إنّه لا يسقط لطيفة النبي ، لأنّ العلم بتفاصيلها سمعي ، وذلك من أكبر الدواعي والصوارف .

إن قيل : لا تكون السمعيّات إلفافاً في العقليّات إلا إذا علم المكلف كونها إلفافاً وداعية وذلك منصف . قلنا : لأنسلك وجوب علمه بكونها إلفافاً وداعية ، إذ يجوز أن يعلم الله أن مجرد التكليف بها موجب للانقياد إلى تلك ، على أن العقليّات قديماً بعد زمانها كفضاء الدّين ، وردّ الودائع ، والقيام بجزاء الصّنايع ، فتمعن الففلة عن الله فلا بدّ من مذكّر وهو السّمعى .

إن قلت : لو كانت السمعيّات إلفافاً لتقدّمت على العقليّات ، لوجوب تقدّم اللّطف ، ولو تقدّمت لزمت الدّور فإن السمعيّات إنّما تثبت بعد العلم بشبوت الخالق وما يتوقّف عليه الإرسال من صفاته . قلنا المتقدّم هو العلم بالعقليّات ، و السمعيّات لطف في العمل بها ، على أنّنا نمنع تقدّم العقليّات في الخارج على السمعيّات ، و إنّما تقدّمت في الذّهن عليها ، فإنّ العقل لانغماره في الشّهوات قد لا يقنّب له لتلك المعارف ولا يهتدي لوجوهها ، ومع الرّسول بها وإيجابها يتنبّه لها ويقرب من تحصيل طرقها فيكون النّبيّ لطفاً فيها ، وأيضاً فالقدرة على البعثة والدّاعي إليها حاصلان فنحب لاشتمالها على المصالح و الصّارف منصف لا تنفاه وجوه المفسّاد ، و أيضاً فاجتماع النوع ضروريّ وهو مجبول على التّغالب ، فيقع التّجاذب ، فيقع القتل فيقع العدم المناقض لمراد الخالق من الوجود فيجب ردّه إلى قانون مقبول هو الشرع والآتي به النّبيّ المميّز عنه بالمعجزة ، فوجب النّبيّ وله وجه يتلقّى به الوحي الإلهيّ وآخر يخاطب به النوع الإنسانيّ ، و ليس لرعيّته هذان الوجهان .

إن قلت : لم لا يكون لكل فردٍ ماللنبيّ ، فيستعني عنه قلت : الإرسال أعظم في تجليل المرسل ممّا ذكر ، إذ في عادة الملوك إرسال الرسل والحجّاب والاحتجاب عن الرعيّة ، ليعظم في أعينهم ، ولذا أوصى المعلّم الأوّل ، ارسلوا باليس ، الملك الإسكندر ، بأن لا يظهر على الرعيّة إلا نادراً ، فجرى الرّبّ الحكيم على ذلك في إرساله لازدياد تعظيمه .

إن قلت : هذا يوجب خفض منزلته عند رسوله . قلت : للرّسول نفس قدسيّة لا يتخيّل سقوطه عنده .

إن قلت : فلو جعل نفوسهم كذلك ، كانوا كذلك ، قلت : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ، وبهذا يسقط ما قيل إن اختصاصه بالرسالة ، إمّا لأمر فينسلل ، أو لأمر ، فترجيح بغير مرجح . قلنا : ذلك من العناية والمختار يرجح بالأمر جرح .

« الفصل الثاني »

عند رسول الله ﷺ لثبوت دعواه ومعجزاته بالتواتر المفيد للملم بلبلوغ خبره إلى حدّ تشهد العقول بصدقه و تحيل العادة الاجتماع لافترائه ، وإلا علم بمكانه و زمانه خصوصاً مع توفر دواعي الكفّار على نقله ، وخصوصاً القرآن العزيز ، فانه تحدّاهم بمعارضته في قوله : « فاتوا بسورة من مثله ^(١) » فلو قدروا عليه مع كونهم ذوي فصاحة وبلاغة ، لم يعدلوا عنه إلى محاربته ، وفيها بذل أنفسهم ، والهبوط عن رياساتهم ، إذ العاقل لا يعدل عن الأخفّ الأسهل وفيه الحجّة ، إلى الأشقّ الأثقل مع عدم الفائدة .

و قد نقل الامام الطبرسي في احتجاجه أن ابن أبي العوجا ، وأبو شاكر الديصاني ، وابن المقفع ، وعبد الملك البصري اجتمعوا عند البيت ، يهزؤون بالحاجّ ويطعنون بالقرآن ، وعينوا لكل واحد منهم ربعا من القرآن أن ينقضه ، ويجمعون في القابل وقد نقضوه كلّهم ، فلمّا اجتمعوا في القابل ، قال ابن أبي العوجا : أمّا أنا فمذ افترقنا ، فمفكر في قوله تعالى : « فلمّا استئسوا منه خلصوا نجياً ^(٢) » فلم أقدر أضّم إليها من فصاحتها مثلها فشغلتنني ممّا سواه ، وقال عبد الملك : و أمّا أنا فمفكر في قوله تعالى : « إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ^(٣) » . وقال أبو شاكر : و أمّا أنا فمفكر في قوله تعالى : « لو كان

(١) البقرة : ٢٣ .

(٢) يوسف : ٨٠ .

(٣) الحج : ٧٣ .

فيهما آلهة إلا الله ففسدنا^(١) » وقال ابن المقفع و كان أفصح أهل عصره : إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر ، وإنني مفتكر في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلمي ماءك ، واسماء أقلمي » الآية^(٢) لم أبلغ غاية المعرفة بها ، ولم أقدر على الإتيان بمثلها ، قال هشام : فبينما هم كذلك إذ مر بهم الصادق عليه السلام فقرأ : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا^(٣) » .

وقد حكى أبو عبيدة أن أعرابياً سمع « فاصدع بما تؤمر^(٤) » فسجد ، وسمع آخر « فلما استبأسوا منه خلصوا نجياً » فقال : أشهد أن لا مخلوق يقدر على مثل هذا وسمع الأصمعي جارية تستغفر ، فقال لها : « مم ولم يجز عليك قلم ، فقالت شعراً :
استغفر الله لذنبي كله قتلنا إنساناً بغير حله^(٥)
مثل غزال ناعم في دله فانتصف الليل ولم أمله^(٦)

فقال لها : ما أفصحك يا جارية ؟ فقالت : أفصاحه بعد قوله تعالى : « و أوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ، ولا تخافي ولا تحزني إنا نأراده إليك و جاعلوه من المرسلين^(٧) » فجمع تعالى في آية أمرين و نهين و خبرين و بشارتين .

ولمّا أراد الناغبة الاسلام ، حين سمع صوت قارى ، يقرء القرآن و علم بفصاحته قال أبو جهل له : يحرم عليك الأطينين .

و أخبر الله تعالى عن الوليد بن المغيرة بذلك ، في قوله : « ففكر و قدر ، إلى آخر الآية^(٨) » .

(١) الانبياء : ٢٢ .	(٢) هود : ٤٤ .
(٣) الاسراء : ٨٨ .	(٤) العنكبوت : ٩٤ .
(٥) كذا في النسختين و الظاهر : قبلت .	
(٦) ولم أصله ، خ .	(٧) القصص : ٧ .
(٨) المدثر : ١٨ .	

وقد تقل في وجه إعجازه وجوه أخر كالصرفة وغيرهما ، فمن وفق لها وقف عليها ،
و اعلم أن تواتر القرآن عيني ، وغيره معنوي ، مثل أخباره ﷺ بالمغيبات
وانشقاق القمر ، وتسبيح الحصا ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وغيرها من المعجزات
المشهوره ، فإن كل فرد منها وإن نقل بالآحاد إلا أنها اشتركت في معنى واحد
هو خرق العادة ، و سيأتي في ذلك فصل مفرد إنشاء الله تعالى .

وأيضاً فالأنبياء السالفون أخبروا به ، ففي التوراة فار قليطا ، وفي الانجيل
الملحنا ، وفي خرايج الراوندي : في الانجيل فار قليطا وايمشحا وهو محمد ﷺ .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل : أجمع أهل الكتاب على أن التوراة بشرت
بواحد و اختلافهم في تعيينه ، أوفي الزيادة عليه ، و قد ثبت إعجاز القرآن و فيه :
« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و
الانجيل ^(١) » وقال عيسى ﷺ : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ^(٢) » .

﴿ الفصل الثالث ﴾

✽ (في رد الاعتراضات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله) ✽

١ - لا نسلم حصول العدد المعتبر في التواتر ، إذ كل عدد يمكن توافيه على
الكنب . قلنا : العلم الحاصل بذلك ضروري فلا يقدح فيه ما شككنم به .

٢ - لا يحصل العلم بتواتر الخبر ، إلا بعد العلم بالخبر ، و أنتم بنيتم العلم
به على كونه متواتراً فيدور ، قلنا بالمعنى الذي عقلتم حصول المجموعية ، فاعقلوا
مثله في حصول العلم ، على أنه طعن في الضروري .

٣ - لا نسلم استواء الطرفين و الواسطة المعتبرة في الكثرة فلا تواتر ، قلنا :
كل طبقة مع كثرتها نقلت عن تقدمها مع كثرتها كثرة من تقدمها فحصل القطع
بصدقها ، على أن تكثر الطبقات لو حدث بعد عدمه لعلم زمان حدوثه ، كما في

المذاهب المنتحلة ، خصوصاً مع توقّر داعية الكفّار إلى نقله .

٤ - أصل التواتر الحسن وهو قد يغلط كما غلط في صلب المسيح ، قلنا : تغليط الحسن تشكيك في العلم الضروري فلا يسمع .

٥ - يجوز ظهور القرآن على رجل غير محمد ، فأخذه منه وادّعاه لنفسه . قلنا : فيه ما هو مختص به مثل د و إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه^(١) و يوم حنين^(٢) إذ تصعدون ولا تلوون^(٣) عفى الله عنك لم أذنت لهم^(٤) إذ أخرجه الذين كفروا^(٥) ، وإن الله صرف العرب عن معارضة ، فلو كان باطلاً أو كان مغصوباً ، لزم أن يفعل الله ضد ذلك ، لئلا يلزم المفسدة .

٦ - يجوز أن يكون آيات التهدي من عنده فإنه لم يحفظ القرآن في عهد النبي ﷺ إلا قليل ، و كانوا يعدون من حفظ البقرة والأنعام فقيهاً . قلنا : علم بالضرورة تواتر القرآن بجملته وتفصيله ، و كان التشديد في حفظه أتم ، حتى نازعوا في أسماء السور والتعشير ، و إنما اشتغل الأكثر عن حفظه بالتفكر في معانيه وأحكامه ، و لو زيد فيه أو نقص لعلمه كل عاقل و إن لم يحفظه ، لمخالفة فصاحته وأسلوبه .

٧ - أنكر ابن مسعود مع جلالته كون المعوذتين والفاتحة منه ، قلنا : لا يقدح مقالته في تواتره لوحده ، ولأنه لم ينكر نزولها ، بل أنكر كونهما متلوّتين .

٨ - حصول الاختلاف في القرآن والآيات المتعارضات ، مثل التنزيه والتشبيه والجبر والاختيار وإضافة النسيان إلى الله وسلبه عنه و سؤاله عن الذنب وسلبه عنه وغير ذلك ، و هذا كله يدل على عدم تواتره ، لافيظته ولا في معناه . قلنا : القرآن

(١) التحريم : ٣ .

(٢) التوبة : ٢٦ .

(٣) آل عمران : ١٥٣ .

(٤) التوبة : ٤٤ .

(٥) التوبة : ٤١ .

آيات منزلة لقوله ﷺ : « نزل القرآن على سبعة أحرف » والآيات التي ظاهرها التعارض ، متأولة بما لا يخرجها عن الألفة ، على أنه لو سلم الاختلاف ، لم يدل على كونه من عند غير الله ، لأنه لا نتيجة لاستثناء عين التالي ، كما بين في المنطق . إلا أن يقال استثناء عين التالي المساوي للمقدم يستلزم عين المقدم ، مثل : إن كان هذا إنساناً فهو ناطق ، قلنا : لا مساواة هنا لأن الاختلاف أعم من كونه من عند الله ، أو من عند غيره ، ولا دلالة لعام .

قالوا : فيه اختلاف أيضاً في قوله : « الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى »^(١) ، وليست العين في محل الذكر . قلنا : المراد أعين القلوب ولهذا يوصف بالعمى : « إنما لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »^(٢) ، فإن مماها هو الذي يؤثر في الدّين المانع من الاهتداء واليقين .

قالوا : كيف قال « أم عندهم الغيب فهم يكتبون »^(٣) ، وقد كانوا لا يكتبون بل هم أميون . قلنا : الكتب الحكم مثل : « وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس »^(٤) . قال الجعدي : وماذا يحكم الله إذ هو يكتب .

قالوا : فالتناقض في قوله في يونس : « فنبذناه بالمرء وهو مليم »^(٥) ، وفي قوله : « لولا أن تداركه رحمة من ربه لنبذ بالمرء »^(٦) ، قلنا : المثبت النبذ مع السقم والمنفي النبذ مع الذم فلا تناقض .

٩ - آيات التحدّي لم تصل إلى الكل ، لتباعد البلاد ، ولا يلزم من عجز بعض عجز كل . قلنا : لا شك في وصولها إلى كل من يدعي الفصاحة ، لأنه عربي وجزيرة العرب محصورة ، ولا عبرة بغيرها لعدم عريبتها .

(١) الكهف : ١٠١ .

(٢) الحج : ٤٦ .

(٣) الطور : ٤١ .

(٤) الساقة : ٤٨ .

(٥) الصافات : ١٤٥ .

(٦) القلم : ٤٩ .

١٠ - يجوز [كون] عدول العرب إلى الحرب عن المعارضة ، لكونهم رأوا أنه أحسم للمادة . قلنا : يعلم كل عاقل أن أحداً لا يختار قتل الرجال وركوب الأهوال ، على السهل من الكلام ، وفيه فضيلة على سائر الأنام ، وبهذا يجاب عما قيل : إنما تركوا معارضة لقلة اهتمامهم به ، ولهذا نسبوه إلى الجنون ، ونسبوا الكلام إلى السحر ، ونهوا عن استماعه لئلا يأخذ بقلوبهم .

١١ - فاجأهم بالخوف فاشتغلوا بالحرب عنها ، قلنا استمر ثلاثة عشر سنة ينفذهم بغير حرب و يأتيهم بالآيات و يطلب منهم المعارضات .

١٢ - يجوز كونهم اعتقدوا خطيبتهم وأشعارهم أفصح من بلاغته فقلت رغبتهم في معارضة . قلنا : كل من نظرفيه وفيها علم غلبته لها ، ولما سمع ابن الزبير قوله تعالى : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ^(١) » قال : لأخصمن عهداً فجاء إليه ، وقال : إن الملائكة والمسيح عبيدوا فقال ﷺ : أو ما علمت أن وما لم يكن لمن يعقل ^(٢) فالمراد الأصنام ونحوها فانقطع .

١٣ - القرآن ليس بحادث ، فلا يكون خارقاً للعادة ، فلا يكون معجزاً . قلنا : هذا يرد على الأشاعة ، وأما القائلون بحدوثه فلا ، على أن لهم أن يقولوا : يكفي ظهوره عليه دون غيره وإن كان قديماً .

١٤ - البلاغة في الناس متفاوتة ، فلعل عهداً ﷺ أبلغ من غيره ، فأتى به و لم ينهياً مثله لغيره ، قلنا : جرت العادة من الحكيم في خلقه بأن لا يمنحهم من البلاغة ما يتفاوتون فيه كثيراً ، فلمّا زادت بلاغة القرآن عليهم جدّاً وعجزوا عنه وعن ما يقاربه ، علم أنه ليس منه ﷺ ، فلهذا آمن فصحاؤهم مثل : قيس و كعب و مدحه الأعشى ، بقسيدة أولها :

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهداً
نبي يرى مالا ترون و ذكره أغار لعمرى في البلاد وأنجدا

(١) الانبياء : ٩٨ .

(٢) لمن لا يعقل ، خ .

فلم يزالوا به حتى عدلوه عنه ، وآمن به لبید وترك الشعر تعظيماً للقرآن وقيل : له ما فعلت بقصيدتك : « عفت الديار محلها ومقامها » فقال لهم : أبدلني الله بها البقرة وآل عمران .

١٥ - يجوز كون ترك المعارضة للجهل بطريقتها لا للعجز عنها . قلنا : بل طريقها كان معروفاً عندهم مسلو كآلهم ، وهم ذُهاة العرب وذكائها ، وقد عارض امره القيس عقله للعجز عنها . إن قيل : أخطأوا طريقها كما أخطأوا في عبادة الأصنام ، قلنا : طريق عبادتها الدلالة التي لم يجز^(١) الخطأ فيها ، وطريق المعارضة الضرورة فيمنع الخطأ فيها .

قيل : وفي القرآن أقاصيص ولم يكونوا من أهلها قلنا : وفيه غيرها فلم يأتوا بمثلها وقد كان عندهم الكتابيون و كانوا أهل قصص ، فلم لا تعلموها وقد طلبوا أخبار رستم وأسفنديار ، و حاولوا أن يعارضوا بها .
إن قيل : منهم الحياء والورع . قلنا : كيف ذلك وقد أظهروا عداوته وشتمه وقذفه وهجوه .

إن قيل : فاعلمهم لم ينفكروا فاعلموا أن المعارضة أنجع وأنفع ، قلنا : لا ، فإن ذلك مركز في بداهة العقول .

١٦ - يجوز ترك المعارضة مع الداعي إليها ، لأنه غير ملجأ ، قلنا : لا بد من وقوعها قطعاً لتوفر الداعي إلى فعلها ، لما فيها من تخفيف التكليف ، بل عدمه بالكلفة ، حتى قيل إنهم تيقنوه ، فلما استنقلوا التكليف جحدوه .

١٧ - يجوز وقوع المعارضة ولم تنقل ، قلنا فأنبي لم يمنع أحداً منها مع توفر الداعي إليها .

١٨ - القاري آت بالمثل فهو معارض . قلنا : لا ، فإن من أشد قصيدة لغيره لا يسمي معارضاً له ومن ثم جعل أبو الهذيل الحكاية نفس المحكي ، لثلاث يكون معارضاً ونبطله أن المحكي معدوم فلا يعاد .

(١) يجوز الخطأ ، خ .

١٩ - الإخبار بالغيب يقع من المنجم والمرئى ، قلنا : إنما يحكون ما يقع غالباً بالعادة ، أو بالأُمور الكلّية ، ولو كان مدّعي النبوة منهم وجب على الله إبطال مقالته منعاً للاستفساد .

٢٠ - باقي المعجزات أمور عظيمة ، لو وقعت لتواترت وإلا فلم لا تكون المعارضة وقعت وما تواترت ، قلنا : اكتفي بالقرآن عن تواتر غيره .

٢١ - المعجز يلزم منه السفسطة لأن فيه انقلاب البحر دماً معجزةً لنبي . قلنا : لا سفسطة لأن وقوعه نادر .

٢٢ - يجوز صدور المعجز من غير الله ، إمّا لمزاج خاص ، أو لاطّلاع صاحبه على بعض الخواص ، أو يحصل من الأفلak ، فإنّها عند بعضهم أحياء ناطقة ، أو من الكواكب ، أو من الجن ، أو من الملائكة . قلنا : عند الأشاعرة لا فاعل إلا الله وعند المعتزلة يجب عليه منع أولئك من التمكين لإبطال الإفساد ، فلا خلال به قبيح . وبهذا يندفع جواز خلق المعجز ، لا للتصديق ، بل هو لطف لمكلف آخر أو إجابة لدعوة إنسان آخر ، أو معجزة لنبي آخر ، أو ابتلاء لتحصيل الثواب ، كما في إنزال المتشابهات ، أو ابتداء عادة ، أو تكرير عادة متطاولة ، أو إدهاس . قلنا : نعلم قطعاً انتفاء جميع هذه التوهّمات لما يتعلّق بتخصيص محمد ﷺ به و ماله فيه من الحالات .

٢٣ - يجوز كون فاعل هذا المعجز شيطاناً لقدرة الجن على ما يعجز الإنسان . قلنا : يجب على الله منعه لما فيه من الفساد ، على أنّه لو كان من الشيطان لفعل لكلّ كذاب ، ولأنّ الشيطان لا يريد عبادة الرحمن ، لما يترتب على النبوة من طاعة الملك الديان ، وفي خلق المعجز إرادة ذلك فيمتنايان .

٢٤ - يلزم من نبوة محمد ﷺ البداء ، وهو على الله محال ، قلنا : للبداء معنيان : بداء ندامة وهذا على الله تعالى محال ، لأن فيه ظهور حال الشيء بعد خفاؤه ، و بداء خلق ، ويعتبر بحسب المصالح ، وهذا من الله جازي وواقع ، وقد أورد ابن بابويه

في الدرّ النضيد ، أخباراً بحجة عن الصادق عليه السلام ، بالبحث على اعتقاد البداء بهذا المعنى .

قالوا : القبيح لا يؤمر به ، والحسن لا ينسخ لقبح نسخه .
قلنا : قد نسخت الشرايع قبل موسى وفي شرع موسى أيضاً كما ذكرتم وادّعيه . قالوا : إن بين موسى دوام شرعه امتنع نسخه لامتناع كذبه ، وإن بين عدمه وجب نقله و لم ينقل ، وإن لم يبين أحدهما ، عمل به مرة لا أزيد وهو حال . قلنا : بين انقطاعه ، و لم ينقل لعدم تواتر كم بواقعة بُخْت نَصْر ، حيث أفناكم على أن في تواتر كم البشارة بعيسى و محمد ، فإن فيها : « إن قدرة الله قد أقبلت من طور سيناء ، وهو جبل موسى ، وأشرق من طور ساعير ، وهو مقام عيسى ، و أطلعت من جبل فاران وهو جبل مكّة » و قد جاء في التورية أن إبراهيم أسكن ولده إسماعيل بيرية فاران ، و سيأتي بقية الكلام في ذلك مرتباً إن شاء الله تعالى .

﴿ الفصل الرابع ﴾

﴿ في عصمة الالبياء ﴾

وهو لطف يفعله الله تعالى بهم ، لا يختارون معه فعل المعصية و ترك الطاعة مع قدرتهم ، و اتفق الإمامية على اتصافهم بها عن كل نقیصة من أوّل مرهم و الفضيلية من الخوارج جوّزوا ذنوبهم ، و اعتقدوا أن كل ذنب كفر فجوّزوا كفرهم و قال بعض الفضيلية بجواز أن يبعث نبي مع أنه سيكفر ، و منع بعضهم ذلك ، و لكن قال : بجواز بعث من كان كافراً قبل البعث ، و هو منقول عن ابن فورك ، و لكن قال إنه لم يقع ، و قال بعض الحشوية بوقوعه و ذهب أكثر أهل السنة إلى جواز الكبيرة عليهم قبل البعثة ، و جوّز من عدى الإمامية الصغيرة مطلقاً ، ثم اختلفوا ، فقال بعضهم سهواً و خطاءً لا عمداً و قال بعضهم مطلقاً .

و أمّا تحريف الأحكام ، و الخيانة فيها ، و إفتاء الرعية ، فالجمهور منهم

على عدم جواز ذلك مطلقاً عليهم ، و بعضهم أجازوه سهواً منهم ، و ربّما استندوا في ذلك إلى ظواهر آيات تدلّ على ذلك ، و هي أوهام كاذبة قد علم جوابها من التنزيهات وغيرها . والدليل على العصمة مطلقاً أن عدمها في وقت ما يناقض المقصود من بعثهم ، و هو امتثال أمرهم الذي لا يتم إلا بالوثوق بقولهم المسبّب عن العلم بعدم صدور الذنب عنهم ، و لوجود زوا معصيتهم ، جوّزوا تزديدهم و نقصهم في مأموراتهم و لو صدر الذنب عنهم لهبطوا عن منازل العوامّ ، لعلو قدرهم و لردّت شهادتهم لآية : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا^(١) » و ذلك يناقض قوله تعالى : « ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا^(٢) » ، و لأنّ معصيتهم تقتضي وجوب أذاهم ، و نبوتهم تقتضي تحرّيمه فلا يجتمعان ، فعلى ثبوت المعصية انتفت النبوة و بالعكس ، و لأنّه لا يجب اتّباعهم إلا بعد العلم بصدقهم ، و مع تجويز عصيانهم لا نعلم بصدقهم ، بل في ذلك التنفّر عنهم .

إن قيل : إن أكثر الناس لم يتنفّر عنهم مع اعتقادهم عدم عصمتهم ، قلنا : الذنب إذا حصل منهم لا يوجب ترك قولهم بالكليّة ، فإنّ العصمة لما كانت مقربة غير موجبة للاتّباع ، كان عدمها غير موجب للامتناع : فقبول المجوّزين لعدم عصمتهم لا يقدح في أنّ عصيانهم مفسدة ، و حينئذ ، فالعصمة واجبة .

إن قيل : فالصغار منهم لا توجب التنفّر عنهم لوقوعها مكفّرة ، قلنا هذا بناءً على التحابط ، و هو باطل ، و لأنّ الصغار لا يميّزها أكثر الناس من الكبائر فينفّروا بسببها مطلقاً ، ولا يعرف الأكثر تكفير الصغار فلا يزول التنفّر ، فلا يحصل النقص بالتنذير على كلّ تقدير ، فقبّح الله قوماً أضافوا إلى نبوتهم ما تنفّر منه عقولهم ، و يبرّون منه لو نسب إليهم ، فنسبوه إلى عدم الفيرة و الأنفة ، حيث روى مسلم و البخاري ، أن عائشة وضعت خدّها على خدّه و تقرّجت على السودان

(١) العجرات : ٦ .

(٢) العشر : ٧ .

وهم يلعبون في مسجده [بأمره] و سيأتي ذلك في باب الطمن في رواية أحاديثهم ، قال النبيلي^٥ :

مهلل المسكين لا عقل له	✽	روى بجهل خبراً لو ركله
وهو لعمرى خبر ما أبطله	✽	تباً لمن يرويه ما أجهله
قال أتى الأسود يلهو بها	✽	يوماً وقد ثارت له قسطله
و أقبل الطهر على كتفه	✽	زوجته عايشة المفضله
و قال للناس : تنحوا لكي	✽	تنظر ما الله لنا خو له
إنكان هذا سنة فيكموا	✽	فحققوا عن هذه المسئلة
واحتملوا أزواجكم مثله	✽	وفرّجوها إن أتت منهله
لعله كان لها عاشقاً	✽	يفتنم الفرصة في العيطة

و في مسند أحمد بن حنبل أنه خرج في سفر فسابق عائشة فسبقته تارة و سبقها أخرى ، و في الباب الثالث من كتاب النكاح من إحياء العلوم للقرظي^٦ ، روي أنه كان يسابقها في العدو ، فيحسن من مقام النبوة أن يعدو معها برجله كالأطفال و الجهّال ، و كيف ينقل هذا على وجه التصديق به ، و فيه تسخيف عقل نبيّه ، و سيأتي في الباب الخامس عشر ما أضافوه إلى نبيّهم في صحاح أخبارهم .

﴿ الفصل الخامس ﴾

✽ (في طرف من معاجزه صلى الله عليه و آله) ✽

١ - تبعه سراقه بن مالك إلى المدينة ليظفر به ، فلما قرب منه غاصت قوائم فرسه في أرض صلبة ، فعلم أن ذلك أمر سماوي فناداه : ادع إلى ربك و دعة الله علي^٧ أن أدفع عنك فدعاه فخلص جواده .

٢ - أخذ أبو جهل صخرة ليرمي بها رسول الله ﷺ فلصقت بكفه ، فسأله الدعاء له ، فدعا فطلقت فطرح الصخرة .

- ٣ - أخبر أهل مكة بقدوم غيرهم و يقدمه جل أورق ، فكان ، و هذا من الله إذ لو كان من غيره لم يدر لعلّه يتأخّر أو يتقدّم غيره .
- ٤ - مسح على شاة أمّ معبدٍ فدرّت و لم تكن درّت قبل ذلك بسنة .
- ٥ - دعا شجرةً يابسةً فجاءت فأومأ إليها فأوردت .
- ٦ - شكّا عسكره في تبوك فناه زادهم فأخذ فضلة من تمر ، و وضع يده فيها فأكلوا منها و ملؤا أوعينهم بها ، وشكوا إليه العطش ، فوضع يده في ركوة فشرب الجميع منها .
- ٧ - سأله قوم من عبد قيس غلامه في غنمهم ، فغمز بأصبعه في أصل آذانها فابيضت و بقي ذلك إلى اليوم ، معروف في نسلها .
- ٨ - أتاه رجل من جهينة تقطّع من الجذام ، فبصق في ماء كان في قدح فمسح به فبرأ .
- ٩ - جاء رجل من بني سليم و في كفه ضربٌ ، و قال لا أوّمن بك حتّى يؤمن هذا الضبّ ، فقال له النبي ﷺ : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله فأمن الرجل .
- ١٠ - قدم أعرابي على ناقة إلى النبي ﷺ فقال بعض إنّها سرقة فنطقت برسالته و قالت : ما ملكني سواء .
- ١١ - لما فتح النبي خيبر ، كان في سهمه حمار أسود فكلّم النبي و كلمه فقال خرج من نسل جدّي ستون حماراً لم يركبها إلّا نبيّ ، أنا آخرهم و أنت آخر الأنبياء ، فسمّاه اليعفور ، فلمّا قبض النبي ، أتى إلى بئر لابن أبي التيهان فتردّى فيها و كانت قبره .
- ١٢ - اغتمّ النبي من الكافرين ، فأمره جبرائيل أن يدعو شجرة فجاءته من بعيد ، فقال النبي : حسبي .
- ١٣ - أمر أعرابياً بالإسلام ، فقال : هل من شاهد ؟ فنطقت شجرة برسالته فأسلم الأعرابي .
- ١٤ - أخذ كفّاً من حصي ، فمسّح في يده ، فصبّه في يد عليّ فمسّح في يده .

- ١٥ - دعا لعمه العباس وأولاده بالسحر من النار. فقالت حيطان البيت آمين .
- ١٦ - لما ضم النبي ﷺ علياً وولديه وفاطمة تحت الكساء ، أتاهم جبرائيل بطبق ، فيه رمان و عنب ، فسبح العنب والرمان عند أكل كل واحد منهم .
- ١٧ - قطع أبو جهل يد عاذ بن عفرة ، فبصق عليها النبي ﷺ فألصقها فعادت .
- ١٨ - لما قصد فتح خيبر ، اعترضه نهر عميق ، فعبر الجيش على الماء و لم تنبل أرجلهم .
- ١٩ - دعا للفضل بن العباس أن يذهب الله جبينه و شحنه و نومه ، فذهبوا .
- ٢٠ - لما أسر عمه العباس طلب منه فداء ، فقال : لا مال لي ، قال : فالذي أودعته لزوجتك قبل أن تخرج تقسمه في أولادك ؟ فقال : ما علم به غيري و غيرها أعلم أنك رسول الله .
- ٢١ - أخبر ﷺ أن ملك السحاب سلم عليه ، فاستسقاء ، فأخبر أصحابه أنهم يسقون يوم كذا فكان كذلك .
- ٢٢ - بعث كسرى فيروز الديلمي ، يأتيه بالنبي ، فقال إن ربي أمرني أن آتيه بك ، فقال ﷺ : إن ربي أخبرني أن ربك قتل البارحة ، فكان كذلك .
- ٢٣ - قال عن زيد بن صوحان : يسبق منه عضو إلى الجنة ، فقطعت يده بنهاوند ، في سبيل الله .
- ٢٤ - وطى أعرابي ناقه له و أتى إلى النبي ليخبره بحملها ، فقال لعلي أخبره ، فمسح على جرائها ، فنطقت أنه واقعها في موضع كذا ، فأسلم الأعرابي .
- ٢٥ - نددت عين أبي قتادة في أحد ، فردّها النبي ﷺ فكانت لا تعرف من الأخرى لحسنها وضوئها .
- ٢٦ - سأله قوم من اليهود أن يجيىء إليه الجبل ، فتباعد عنه ، فجاءه مسرعاً .
- ٢٧ - أخبر الثقيف بأنه أراد أن يسئله عن فضل وضوئه و صلاته ، فقال : نعم جئت لذلك .

٢٨ - أخبر الأنصاري أنه أراد أن يسئله عن حجته وعمرته ، فقال : نعم جئت لذلك .

٢٩ - شكازيد بن حارثة ، قلّة ماء بئرهم في الصيف ، ففرك حصاة ، وقال ألقتها فيها ، ففعل فكثرت ماؤها .

٣٠ - شك المسلمون إليه في غزوة فناء الماء ، فأتي بفضل ماء ، فوضع أصابعه فيه ففار حتى ارتوى منه ثلاثون ألفاً من الناس ، واثنا عشر ألف رجل ، واثنا عشر ألف فرس ، فهذه نبذة يسيرة من دلائله ﷺ ، أخذناها من خرايج الراوندي وغيره وتركتنا أشياء منها خوف الإطالة بها ، وقد ذكر الزمخشري في كتابه أنه ﷺ : أوتي نحو ثلاثة آلاف آية .

إن قيل : لم لا يكون ما أخبر به من صناعة الزرق ، فإن الشعراني منهم كان حاضر الجواب معروفاً بكثرة الإصابة ، حتى قال المنجمون : إن مولده ونجمه اقتضى ذلك ، وهو باطل ، وإلا لسرى إلى كل عالم وصانع بأن يكون نجمه اقتضى علمه .

قلنا : الإخبار بالغائبات المستقبلة بخلاف الزرق ، فإنه للأمر الموجودة الغائبة .

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ يذكر فيه شيء من البشارة به في الكتب الماضية ﴾

ففي السفر الأول من التوراة : نزل الملك على إبراهيم وبشره بإسماعيل أنه يلد اثني عشر عظيماً ، إن قيل ليس في هذا ذكر النبوة فجاز كونه ملكاً ، قلنا : لا يبشر الله تعالى خليله بملوك الكفر في ولده .

وفيهما : أقبل الله من سينا وتجلّى من ساعير وظهر بفارازان . وفي كتاب حقيقوق : [أنه] سيّد يجي من اليمن ، ومقدس من جبل فاران ، يغطي السماء بهاؤه ، ويملا الأرض نوراً .

و في كتاب حزقيل : إني موبد بني قيدار بملائكة . وقيدار جد العرب و قد أيد الله نبيه بالملائكة في بدر وغيرها ، و قال دانيال : ستنزع في قسيك أغراقاً و ترتوي السهام بأمرك يا محمد .

و في كتاب شعيا : يظهر في الأمم عبدٌ لي لا يسمع صوته في الأسواق ، يفتح العميون العور ، و يسمع الآذان الصم ، هو نور الله الذي لا يطفى ، حتى تثبت في الأرض حجتي .

و في مزمو رآخر : إن الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً ، و الإكليل مثل الرياسة و الإمامة ، و محمود هو محمد .

و في الإنجيل قال المسيح للحواريين : أنا ذاهب و سيأتيكم الفارقليط ، روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه ، إنما يقول كما يقال له من ربه ، و في حكاية يوحنا عن المسيح : الفارقليط لا يجيئكم مالم أذهب ، يسوسكم بالحق و يخبركم بالغيوب . و في حكاية أخرى : إني سائل ربي أن يبعث لكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد . و في موضع آخر : يشهد لي كما شهدت له .

و في الإنجيل : قال عيسى : إن الآليا متوقع على أذيالي ، و روي أنه كان أحد متوقع ، فغيروه إلى اليا ، و كأن اليا هو علي ، قيل وإنما ذكره لأنه قدأم النبي ﷺ في كل حرب و اسم محمد بالسريانية مشفع و الشفع الحمد ، فإذا كان الشفع الحمد فمشفع محمد .

و في التوراة : أحمد عبدي المختار مولده مكة و هجرته طابة .

و مما أوحى الله إلى آدم : من ولدك إبراهيم ، أجري على يده عمارة بيتي تعمره الأمم ، حتى ينتهي إلى نبي من ولدك يقال له محمد خاتم النبيين ، أجمعه من سكانه و ولاته .

قال الراوندي في خرائجه : إن الله حفظ اسم محمد ﷺ لم يسم به أحد قبله صيانة ليعرف به ، كما فعل في إبراهيم عليه السلام و غيره ، و هذا لا يناقض ما قيل : إن رجالاً في الجاهلية سميت محمداً ، فمن سراقه بن خثعم قال : قدمنا الشام فأشرف

عليها راهب و قال : من أين ؟ قلنا من مضر ، قال : سيعث فيكم رجل اسمه محمد فرجنا فولد لكل منا غلام فسمّاهم محمداً .

و روي أن تبع بن حسان قتل من يهود يثرب جماعة ، فقال له شيخ منهم أتى عليه مائتان وخمسون سنة : إنك لاتقدر على خراب هذه القرية ، قال : ولم ؟ قال : لأنّه يخرج من هذه البنية - يعني البيت الحرام - نبي من ولد إسماعيل فكفّ عن القتل ، فمضى إلى مكّة وكسى البيت وأطعم الناس .

✽ (لذيّب) ✽

يفرق بين المعجزة والحيلة ، أن المعجزة غايتها الدعاء إلى الله سبحانه و تزداد ظهوراً مع الأزمان ، و الحيلة تقتصر إلى الآلات و يطلع على أنّه لا حقيقة لها مع الأزمان ، و المعجزة لا يمكن معارضتها ، بخلاف الحيلة ، و الحيلة لها معلّم و مرشد بخلاف المعجزة ، و المعجزة تظهر على من يعرف بالصلاح والساد ، و الحيلة على من يعرف بالمزاح والفساد ، و المعجزة دالة على صدق الصادق و الرب قادر عليها فتجب في حكمته ، فلو ادعى النبوة من ليس بصادق و جب أن يمنعه من المعجزة و من الحيلة المشبهة بها ، بل ربّما يظهر المعجزة على العكس ، كما في مسيئة . و قد ذكر ابن زكريّا الطيّب أموراً في مقابلة المعجزات ، كصبّ زرادشت الصفر المذاب على صدره .

قلنا : إنّما وضع أولاً على صدره طلاءً معروفاً بطلاء الجلق وهو دواء يمنع من إحراق النار .

قال : للأشياء طبائع و خواص كحجر المغناطيس و باغض الخل ، إذا أُلقي في إناء الخل لم ينزل إليه ، و الزمرّد يسيل عين الأفعى ، فلا يمكن الحكم على ما يدّعونّه معجزاً ، إلّا بعد الإحاطة بجميع جواهر العالم و عرفان قوى الخلق كلّهم ، و ذلك موقوف على جوب البلدان و طول الأزمان .

قلنا : في المعاجز ما لا يمكن فعله بحيلة ولا طبيعة ولا قوّة كاحياء الموتى و

الإخبار بالمغيبات وبما تكن الصدور ، ثم نقول : إذا فرضنا سارت الجبال وكددت النجوم ونشرت الأموات ، يلزم أن لا يعرف أن ذلك من الخالق تعالى ، إلا بعد ما ذكره وهو معلوم البطلان ، فظهر أنه يجب النظر في الأمر الخارق للعادة ، وإن لم [نكن] نعرفي البلاد ونعرف أحوال العباد ، وما عارض به لا يلتفت إليه ، وقد ذكر أبو إسحاق أن واحداً وضع الزمرّد الفائق فوق رأس قسبة وقرّب به من عين الأفعى فلم تسل .

﴿ الفصل السابع ﴾

﴿ في مقالات المنكرين للنبوات الطاعنين على المعجزات ﴾

قالوا : في القرآن : « ولأن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً »^(١) ، وقد قتل يحيى ونشر زكريّا وقتل الكافرون كثيراً من الأبرار وذلك خارج في الاشتهار إلى حدّ يمتنع فيه الإنكار .

قلنا : السبيل المنفي هو السبيل بالحجة لا بالقلبة ، ويحيى وغيره كانت لهم الحجة وذلك معنى « ليظهره على الذين كلّه »^(٢) .

قالوا : قوله « إن يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله »^(٣) وقد تزوّج فقراء فلم يزدادوا إلا فقراً . قلنا : الغنى من الفقر إلى النكاح أو خرج مخرج الأغلب .

قالوا : « والله يعصمك من الناس »^(٤) ، وقد كسرت رباعيته وشجّ رأسه . قلنا : المراد العصمة من القتل .

قالوا : « ادعوني أستجب لكم »^(٥) وقد مضت الدهور ولم يستجب . قلنا :

(١) النساء : ١٤٠ .

(٢) البراءة : ٣٤ ، و الفتح : ٢٨ ، والصف : ٩ .

(٣) النور : ٣٢ .

(٤) البائدة : ٧٠ .

(٥) المؤمن : ٦٠ .

تقديره أستجب إن رأيت مصلحة ، أو معناه أعبودني آجر كم أو فيه إطلاق العام و
أرادة الخاص .

قالوا : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ^(١) » فكيف يرجع في إثبات
نبوته إلى أهل الكتاب وهم عنده يكتمون الحق و يذهبون عمداً عن الصواب .
قلنا : أراد الله دلالتهم على صدقه باقرار عدوه و ذلك أن الجاهلية كانت تميل إلى
أهل الكتاب ، و تعدلها على أنفسها ، و في التورية و الإنجيل صفات محمد ﷺ من
أنصف منهم شهد له بها .

قالوا : تدعون لمحمد علم الغيب وقد أخبر بأشياء و ظهر الأمر بخلافها ، فقال :
إذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده ، وقد وجدنا قياصر بعد متعديّة . قلنا : لما مزّق
كتابه ، قال . مزّق الله مملكته ، فكان ذلك ، و كتب إلى قيصر آخر و لم يمزّقه
فدعى بثبات مملكته فكان ، فنحمل قوله : فلا قيصر بعده ، أي على صفة مزّق الكتاب .
قالوا : قال ﷺ : شهر اعيد لا ينقصان وقد وجدنا فيها النقصان . قلنا : قال ذلك
لسنة بعينها ، فكان كما قال ، أو لا ينقصان ^(٢) معاً وإن نقص أحدهما أولاً ينقص أجر
من صامهما .

قالوا : قال : لا ينقص مال من صدقة ، و وجدنا النقص مع الصدقة . قلنا :
المراد البركة أو لا ينقص ثوابه .

قالوا : اشتهر حسن يوسف ، فكيف قال في إخوته : « ففرهم وهم لهم منكرون ^(٣) »
و كيف ينكر من يتفرّد بهذا الجمال . قلنا : لا يبعد جهلهم به لتفكيره إلى الكهولة
والملوكة و يحتمل أن يكون ينكرون بمعنى يزيلون الإنكار ، مثل : « إن الساعة

(١) النحل ٤٣ . و الانبياء : ٧ .

(٢) و ذيله كما في أبي داود و ذوالحجة . راجع سننه ج ١ ص ٥٤٢ و

لفظ البخاري ج ١ ص ٣٢٧ : شهران لا ينقصان شهر اعيد رمضان و ذوالحجة .

(٣) يوسف : ٥٨ .

آتية أكاد أخفيها ^(١) ، أي أزيل خفاؤها .

قالوا : تواتر في النصارى قتل عيسى و صلبه وفي كتابكم : « وما قتلوه و ما صلبوه ^(٢) » قلنا : أخبار النصارى ترجع إلى أربعة ، فلا تواتر لهم ولا عصمة فيهم على أنه يجوز أن يخبروا عن الشبه كما قال تعالى : « ولكن شبه لهم » .

قالوا : قال : في نسائكم أربع نبيات وفي كتابكم : « وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم ^(٣) » قلنا النبي غير الرسول و أيضاً فالرسول يطلق على جبرائيل و على الغراب ، لقوله تعالى : « فبعث الله غرباً يبحث في الأرض ^(٤) » و قد قيل هنا إن الأربعة : سارة و أخت موسى و مريم و آسية ، بعثوا للولادة فاطمة عليها السلام .

قالوا : « قال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ^(٥) » و قد كان فرعون قبل هامان بزمان .

قلنا : لا ينكر أن يسمى إنسان آخر في زمان فرعون بهامان .

قالوا : في كتابكم « وما علمناه الشعر ^(٦) » و في كتابكم وزن الشعر ، فهو شعر ، فمن ذلك : « وجفان كالجواب و قدور راسيات ^(٧) » و منه « فيخزيهم ينصر كم عليهم ، و يشف صدور قوم مؤمنين ^(٨) » وزنه من الشعر :

أَبَا حُيَيْتٍ عَنَّا يَا مَدِينَا تَحْيِينَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا

قلنا : بل كان النبي يعاف قول الشعر ، ليخلص قلبه و لسانه للقرآن ، و يصون الوحي عن شبهة الشعر . قال أبو عبيدة : هو كلام وافق وزنه وزن الشعر ولا يلزم كونه شعراً لعدم القصد إليه و لأنه يقرنه بأمثاله و قليل من الكلام إلا و يوزن بوزن الشعر .

قالوا : قال يوم حنين : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب . وقال : غير

(١) طه : ١٥ . (٢) النساء : ١٥٦ .

(٣) الانبياء : ٧ . (٤) المائدة : ٣٤ .

(٥) المؤمن : ٣٦ . (٦) يس : ٦٩ .

(٧) السبا : ١٣ . (٨) البراءة : ١٥ .

الإله قط لا ندينا ولو عبدنا غيره شقينا ، و قال لما دميت أصبعه : هل أنت إلا أصبع دميت و في سبيل الله ما لقيت . قلنا : سلف ما يصلح جواباً عنه .

قالوا : ويجوز كون ما ظهر على يده سحراً . قلنا : السحريعارض و المعجزة لا تعارض ، و لو فتح باب السحر لجاز أن يقال في كل عالم بل في كل صانع : أنه ساحر . على أن السحر علم يتمكن به من إحداث ما لا يقدر عليه مثله ، و قد كان علماً ثم انقطع لما أحرق المسلمون كتب الأكاسرة المصنفة فيه من الفلاسفة .

❖ (كذّيب) ❖

قالت الفلاسفة : النبوة جعلت لتقرير الشريعة التي هي سياسة الدنيا و من ثم كل من لازم الشرعيات تهذب أخلاقه و حسنت أفعاله و تقدّس في نفسه و أقبل بفكره على زهده و رمسه ، و نظر بعين بصيرته فعرف الربّ و ما يفاض عنه بمعانيه ، فالشرعيات ألطاف في العقليات . و هذا خيال منهم لأن أهل كل دين يحدث ذلك في عبادهم و أكابرهم من الصابية و الرهبان و الأخبار و عبّاد الأوثان فانهم يجدون أنفسهم خائفة مستحية من أوثانهم أن يقدموا على ردائل الأفعال و قبائح الأقوال ، فالقائلون من الفلاسفة بالنبوات ، رجعوا بها إلى هذا الباب ، و قد عرفت ما فيه من الذهاب عن الصواب ، لأننا حينئذ لانعرف النبي المختار ، من الرهبان و الأخبار ، و نحكم بصحة الأديان المتناقضة ، و هذه مقالة داحضة .

﴿ الفصل الثامن ﴾

حمد رسول الله خاتم الأنبياء لقوله تعالى « ما كان عهد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله و خاتم النبيين ^(١) » . و لقوله ﷺ بعد ثبوت صدقه لعليّ عليه السلام : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » و بالجملة فذلك معلوم بالضرورة من دينه ﷺ .

و قالت الخرمية : بعده أنبياء لقوله تعالى : « يا بني آدم إنما يأتينيكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي فمن اتقى و أصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون »^(١) ، وهذا لفظ مستقبل . قلنا : قد أتى المستقبل بمعنى الماضي : « يريد الله أن يخفف عنكم »^(٢) . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا^(٣) يريدون أن يدلّوا كلام الله^(٤) ، على أن في الآية إضماراً أي يأتكم نبا رسل كانوا من قبلكم وكانوا يقصّون دلالاتي وقد أنزلت عليكم ، فمن عمل بها فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، و يؤيد ذلك ، الآية التي بعدها « والذين كذبوا بآياتنا و استكبروا عنها أولئك أصحاب النار » ولو سلم كونها للاستقبال حقيقة ، فقد خصّها النبي بقوله : لا نبيّ بعدي و تخصيص الكتاب بقوله جازي .

قالوا : فآية « و خاتم النبيّين » يدلّ على أن بعده أنبياء لأن الخاتم في المعناد هو في الوسط كختم الكتاب في وسطه . قلنا : خاتم بكسر التاء هو الآخر ، مثل : خاتمه مسك ، وهذا خاتم هذا الأمر ، وعلى قراءة عاصم بفتح التاء فمعناه الذي جمع الجميع مفرّغ من أمره ، فأجرى خاتم بالفتح مجرى المصدر .

قالوا : قوله تعالى : « أرسلنا رسلنا تترى »^(٥) ، أي لا تنقطع قلنا أرسلنا لفظ ماض فيجب حمل تترى على معنى الماضي و إلا خرب النظم و لو كان تترى معناه لا تنقطع لزم إنكار المعاد ، إذ فيه تنقطع الرسل إجماعاً ، و أيضاً فقد نقلت أعلام النبيّ و فيها لا نبيّ بعدي ، فإن صدّقوا بها بطل ما قالوه ، و إن طعنوا في نقلها لزمهم الطعن في كلّ من نقل معجزة لنبيّ ، و إن قالوا : لو كان الخبر صحيحاً لعرفناه . قلنا : لم تنظروا فيه إذ بهذا يتفصل عن اليهود والنصارى لما قالوا : لو كانت معاجز عمّد صحيحة لعرفناها .

(١) الامراء : ٣٤ .

(٢) النساء : ٢٧ .

(٣) الاحزاب : ٣٣ .

(٤) القح : ١٥ .

(٥) المؤمنون : ٤٤ .

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ في إثبات الوصي وصفاته ﴾

و فيه فصول :

﴿ الفصل الاول ﴾

﴿ في طريق اثباته ﴾

اختلف الناس في الإمامة ، فأوجبها عقلاً - مطلقاً - على الله الإمامية و الشيعة و أوجبها أكثر المعتزلة عقلاً علينا ، و أوجبها الزيدية و الأشعرية و الجاحظ و الكمي و أبو الحسن البصري علينا سمعاً ولم يوجبها بعض الخوارج أصلاً و بعضهم الأصم و أتباعه أوجبوها إذا لم يتناصف الناس و عكس ذلك هشام و أتباعه فأوجبها إذا تناصف الناس .

لنا على الوجوب مطلقاً على الله كون الامام لطفاً ، فيجب عليه لامتناع نقض الغرض إذا علم أن المكلف لا يقرب من ذلك إلا به .

بيان اللطفية أن فيه رد المطامع ، و القيام بحق الضائع ، و لهذا تسارعوا إلى طلب الرئيس في السقيفة قبل تجهيز النبي ، و اشتغل به علي لعلمه أنه خليفة النبي و تبادر الناس إلى نصبه في كل صقع . ولأنه حافظ الشرع فهو معصوم ولا يعرف المعصوم إلا الله وهو من الألفاظ في العقلية المتقدمة على السمعية ، فلو وجب سمعاً لزم الدور . ولأن الوجوب سمعاً إما على النبي ، فلا يخل به لعصمته أو على الأمة فلا علم لها بتعيينه أو مشترك بينهما و يلزم التناقض فانه إذا اختار وجب أتباعه وإذا لم تختار الأمة معه لم يجب أتباعه ولأن الأمة قد لا يقع اختيارها فيتعلق الواجب و هو قول النبي ﷺ و نصب الامام بالحاير .

قالوا : الإمامة تثير الفتن في كل زمان ، كما في عليّ و ولديه ، فكيف تجب من الله أو عليه ؟ قلنا : جاز كون الفساد بتركها أكثر منها إذلولها جاز أن يسنولي شوكة الكافرين ، على تبديل مذهب المسلمين ، فبتلك المنازعة خمدت نار الظلمة واجتمع المسلمون على كلمة .

إن قالوا : إذا كان تصرّفه في الأمة بردها - بالمحاربة - إلى طاعته ، يستلزم كفرها ، لزم كون الإمامة مفسدة ، فتخرج بذلك عن وجوبها .

قلنا : قال المرتضى إذا علم الله المصلحة فيها وجب أن يفرضا و يوجب طاعة الأمة لها و قد فعل ، فخالقه الأمة بترك نصرتها بل منعت وصدت عنها ، فاللوم عليها إذا لم تفعلها يوجب تمكين الإمام من مصلحتها وليس له بالمحاربة أن يلجئها لإدائه إلى إبطال تكليفها و يجوز أن يغلب في ظنّه عدم طاعتها بمحاربتها ، بل قد يزداد نفورها ، ولأنّ المفسدة المفروضة غير لازمة للإمامة و إلّا لم توجد إمامة ولا نبوة ، وأيضاً فالتمكين واجب عليه تعالى لإزاحة العلة و نصب الإمام جزء منه ، إذ الداعي بوجوده إلى فعل الطاعات أوفر ، و الصّارف إلى ترك المعصيات أنجز و جزء الواجب واجب فالإمامة واجبة .

قالوا : جاز اشتغالها على قبيح لا تعلمونه قلنا : القبائح محصورة لتكليفنا باجتنابها فنكلف ما لا نطبق أو لم نعقلها .

إن قالوا : يجوز أن يعرفنا الله أقسام الحسن ويقول القبيح ما عداها ويكلفنا بتركه و إن لم نعلم تفصيل مجمله . قلنا : يلزم المطلوب لأنّ حصر أحد الجهتين يستلزم حصر الأخرى ، ولما نصب الله الأنبياء و الخلفاء انتفى القبيح بغير خفاء و لأنّ الطوائف المحاربة للإمام كان فيهم رؤساء ، فلو كان الفساد في الرؤساء لم ينصبوا لأنفسهم رؤساء .

قالوا : مع الإمام يلتنجى المكلف إلى الطاعة والإلجا ، مفسدة لعدم الثواب فيه . قلنا : نمنع الإلجا ، على أنّه وارد في النبوة .

قالوا : شرطتم لطغيته بنمكيته فمع عدم تمكيته يسارع المكلف إلى معصيته

قلنا لم نشرط ذلك بل نصبه لطف وتمكينه آخر على أن المكلف يكون خائفاً مترقباً ظهوره دائماً .

قالوا يكفي ترقب وجوده بعد عدمه ، كما يكفي ترقب ظهوره بعد غيبته فلا قاطع الآن بوجوده . قلنا : قضت الضرورة بعدم استواء الخوف مع غيبته بالخوف مع عدمه وإن جزم بوجوده عند مصلحته .

إذا عرفت هذا ، فاعلم أنه قد اختلف الناس بعد النبي المختار ، فقالت طائفة شاذة - يقال لها المحمدية - أنه لم يموت .

وقالت الفرقة المحقة : الإمامة ثبتت بالنص ، لا الدعوى ولا الميراث ولا الاختيار ، وقالت الزيدية أو بالخروج والدعوى ، ويلزمهم الدور إذ لا يجوز الخروج قبل الإمامة ، فلو كانت إنما ثبتت به دار . إلا أن يقال : الخروج كاشف عن سبق الاستحقاق قلنا : فبطلت الشرطية لوجوب تقدم الشرط .

وقال الجمهور من أهل المذاهب الأربعة وبعض المعتزلة والزيدية والصالحية والبرية والسلمية^(١) وأصحاب الحديث أو بالاختيار ويلزمهم جواز أن تختار الأمة نبياً كما يجوز أن تختار إماماً ولم يقل به أحد ، وسيأتي البحث في تكميله إنشاء الله ولأن المنسوب منهم إن اختار نفسه معهم فقد زكاهم فدخل في نهي الله فلا نزكو أنفسكم^(٢) ، وإن لم يختار نفسه ولم يرض بها لم تجتمع الأمة عليه وكان غيره أولى لعدم الرضا به .

وقالت الراوندية أو بالميراث وقد ذكر صاحب نهج الإيمان أن هذه المقالة أحدثها الجاحظ ، سنة عشر ومائة من الهجرة ، ليتقرب بها إلى المأمون ، حيث جعلها للعباس بكونه عم النبي ﷺ وممل فيها كتاباً ووضع فيها حججاً على أن لو قلنا بالميراث ، فعلي أولى منه ، لكونه ابن عم النبي ﷺ لا بويه والعباس عمه لا بيه فذو السببين أولى بآيات أولى الأرحام المعتبر فيها بالأقرب فالأقرب وقد أجمعت

(١) السلمانية ، خ ل .

(٢) النجم : ٣٤ .

الفرقة المعتبر صحة إجماعها بدخول المعصوم فيها على اختصاص الإرث بابين العلم للأبوين ، دون العلم للأب ، وإيضاً قآية أولي الأرحام تنضم ذكر المهاجرين ولم يكن العباس من المهاجرين ، فليس له ميراث .

وأُسند ابن جبر في نخبه إلى زيد بن علي في قوله تعالى : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض »^(١) قال ذلك علي بن أبي طالب ، كان مهاجراً وذارحاً ، وعن جابر بن يزيد أثبت الله بهذه الآية ولاية علي بن أبي طالب فحاز ميراث النبي و سلاحه ومناعه وبقلته و كتابه وجميع ماترك بعده ولم يرث الشيخان من ذلك شيئاً .
وأسند ابن حنبل ، إلى زيد بن آدمي ، قوله : « أنت أخي و وارثي » و أسند إلى زيد بن أبي أوفى نحوه و أسند ابن المغازلي إلى أبي بريدة : لكل نبي وارث و إن وصي و وارثي علي بن أبي طالب و حديث : لا نورث ، خبر واحد مردود لمخالفته الكتاب ، في قوله : « و ورث سليمان داود »^(٢) و نحوه و السنة المتواترة من الأحاديث السالفة و غيرها .

و في حديث زيد بن آدمي أن ميراث علي من النبي الكتاب و السنة لا يضرنا بل فيه النصرة لنا لأنه إذا كان علي ورث الكتاب الذي هو أكبر معاجز النبي و ورث السنة التي فيها أحكام شريعة النبي ، فقد ورثه الله علوم النبي ﷺ فكان أحق بالافتداء بدليل : « هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون »^(٣) .

تذلل :

قال الجاحظ : لم تعرف الشيعة الاحتجاج بالقرابة إلا من قول الكميت :
يقولون أم يورث ولولا تراثه ✽ لقد تركت فيها نكيل وأرحب
إلى قوله :

فإن هي لم تصلح لقوم سواهم ✽ فإن ذوي القرى أحق وأوجب

(١) الأحزاب : ٧ .

(٢) النمل : ١٦ .

(٣) الزمر : ٩ .

قلنا : و يلك كيف ذلك ، و قد ردّ عليّ يوم السقيفة حجة الشيخين ، حين تقدم أبوبكر على الأنصار بالقرابة ، فقال عليّ : نحن أحقّ برسول الله لأنّا أقرب قریش كلها ، و قد نظم عليّ عليه السلام هذا المعنى ، فقال :

فإن كنت بالقربى حججت خصيمهم * فقيرك أولى بالنبيّ و أقرب
وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم * فكيف بهذا والمشيرون غيب

فواعجبا ، من أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة و القرابة ^(١)
وقد قال سلمان له ، لما رقى المنبر : إلى من تفرع إذا سئلت عما لا تعلم وفي القوم
أعلم منك و أقرب رسول الله ؟ .

وذكر ابن عبد ربّه في الجزء الأوّل من كتاب العقد ، أن أروى بنت الحارث
ابن عبد المطلب قالت لمعاوية : لقد كثرت النعمة ، و أسأت لابن عمك الصحبة و
تسميت بغير اسمك و أخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا
سابقة لك في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وآله فأنعم الله منكم الحدود و صعر
منكم الحدود فردّ الحقّ إلى أهله ، فأصبحتم تحتجّون على الناس بقرابتكم من
رسول الله و نحن أقرب إليه منكم و أولى بهذا الأمر فيكم ، فكنا فيكم بمنزلة بني
إسرائيل في آل فرعون و كان عليّ بمنزلة هارون من موسى ، ففايتنا الجنة و
غايتمكم النار .

فيقبح من الجاحظ نسبة الشيعة إلى جهل ما تعرفه نساؤهم .

و قال الملك الصالح في ذلك :

أخذتم عن القربى خلافة أحد * و صيرتموها بعده في الأجانب
و أين على التحقيق تيم بن مرّة * لو اخترتم الإنصاف من آل طالب
و روي أن الرضا عليه السلام بات ساهراً متفكراً في قول ابن أبي العوجاء :

أنسى يكون و ليس ذاك بكائن * للمشرّكين دعايم الإسلام
لبني البنات نصيبهم من جدّهم * و العمّ متروك بغير سهام

(١) نهج البلاغة الرقم ١٩٠ من الحكم و المواعظ .

ما للطليق وللثراث وإنما * سجد الطليق مخافة الصمصام
قد كان أخبرك القرآن بفضلہ * فمضى القضاء به من الحكام
إن ابن فاطمة المفقوء باسمه * حاز الوراثة عن بني الأمام
وقال مروبن حرث :

لو لم يكن لك في الإمامة مهلة * إلا سوابك التي لا تعدل
كنت المقدم قبلهم وأحقهم * إذ لا يفوتك منهم منمهل
فلك المكلام والوراثة حزتها * و مناقب لك بعة لا تجهل
أما ابن حرب فالإمارة همته * لا المنجيات ولا الكتاب المنزل
وقال المرزكي :

أيا لائمي في حب أولاد فاطم * فهل لرسول الله غيرهم عقب
هم أهل ميراث النبوة والهدى * وقاعدة الدين الحنيفي والقطب
أبوهم وصي المصطفى وابن محمته * ووارث علم الله والبطل النذب

﴿ الفصل الثاني ﴾

﴿ في تكميل شيء مما سبق في هذا الباب ﴾

قالوا : لطفية الإمام لا تتمين إلا عند امتناع البديل . قلنا : التجاء الخلق في الأزمان والأصقاع إليه ، دليل [على] عدم البديل .

قالوا : فقد قام غيره مقامه في حق الإمامة وهو العصمة عندكم . قلنا : قد علمنا عدم عصمة الأمة وأيضاً ، فبدله لا يتصور إلا عند عدمه وقد بيننا وجوبه في كل وقت وأيضاً لزم من عدم الإمام ، هدم الصوامع والبيع والصلوات ، كما قال تعالى : « ولو لا دفع الله للناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات » (١) . الآية ، فلو كان له بديل ، لم تلزم هذه المفاسد ، وأيضاً ففي أمره تعالى بطاعة أولي

الأمر دليل على عدم البديل ، لعطفه على طاعة الله ورسوله وليس إلهاماً بديل ، ولا إجماع المصدر الأول على امتناع خلوه الزمان من خليفة ، فدل على عدم البديل .

قالوا : قد يكون في نصبه مفسدة يعلمها الله دوننا فلا ينصبه ويجب نصبه علينا لأن وجه الوجوب كاف في حقنا . قلنا : لو علم الله فيها مفسدة لما أوجبها علينا و لنهانا عن نصب الإمام و طاعته مع أن القرب من الطاعة و البعد من المعصية المعلوم حصوله عند الإمام مما يطابق غرض الحكيم وعكسها يتقضه ، فلو كان ما يطابق غرضه مفسدة خرج عن الحكمة ، وأيضاً فالمفسدة بالإمام لا ترجع إلى الحكيم ، لوجوبه وغناؤه ، فترجع إلى عبيده و نحن قد بيننا أن فيه المصلحة العامة لعبيده ، فيلزم كون المصلحة عين المفسدة و هو محال .

قالوا : مع وجود الإمام ، يخاف العبد فيفعل ويترك ، للخوف للوجه ، و ذلك مفسدة قلنا : أما المطيع فلفظه تقريره إليها ، وأما العاصي ، فلفظه ترك المعصية و ليس القبيح ترك المعصية لالكونها معصية ، وإنما القبيح اعتقاده تركها ، لالكونها معصية ، ووجه اللطف حصول الاستعداد بالتكرير الموجب لفعل الطاعة وترك المعصية للوجه على أنه معارض بنصب النبي .

قالوا : الثواب على الطاعة عند فقد الإمام أشد من وجوده فهو مفسدة قلنا : وجوده ليس ملجئاً إليها ، فإن كثيراً لا يعلم الإمام حالهم ، و ما ذكرتم سارراً أيضاً في النبي و في كل لطف .

قالوا : جاز أن يكون في بعض الأزمان من يستنكف عن الإمام فهو مفسدة لبعض الأنام . قلنا : ذلك نادر [فيه] غير عام بل الأكثر على قبول نصب الإمام مع أنه معارض بالنبي .

قالوا : لطيفة الإمام ، ليست في أفعال الجوارح ، و الشرعيات منها الشرع كاف فيها ، على أنه لا يجب الشرع في كل زمان فلا يجب اللطف فيه ، و العقلية إن فعلت لكونها مصلحة دنيوية كما في ترك الظلم ، إذ فيه قيام النظام فحينئذ لطف الإمام في مصالح الدنيا و هو غير واجب اتفاقاً و إن فعلت لوجوبها المرادة لله فلا

اطلاع الإمام على قلوب عباد الله ، فعلم من ذلك أن لطيفته ليست في أفعال القلوب أيضاً ، فاتفقت لطيفته مطلقاً .

قلنا : بل لطيفته عامة و الشرع غير كاف في الشرعيات إذا أكثرها غير كائن في صدر الإسلام و بعد موت النبي ولا نسلم جواز الخلو من الشرايع و الأحكام و إلا ، لاختل النظام ، و في ترك الظلم مصلحة دنيوية و دينية ، فإنه من التكليف السمعية و العقلية و أمالطه في العقليات ، فإن الملازمة بوجوده على فعل الشرعيات يؤثر استعداداً تاماً في قصد وقوعها لوجوهها ، لاغيرها و إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ^(١) .

﴿ الفصل الثالث ﴾

نذكر فيه شبهة من أوجب نصب الامام على الأمة عقلاً لاعلى الله ولا سمعاً و هي خمسة :

١ - العقل لا يحكم في التحيين و التضييع بشي ، فلا يجب على الله شيء .
قلنا : قد بيننا حكمه فيهما كيف و صدق الأنبياء ﷺ مبني عليهما ، فلا تتم شريعة إلا بهما .

٢ - لطيفة الإمام مربوطة بتمكينه فإذا علم الله عدمه سقط وجوبه . قلنا : لا بل نصبه لطف ، و حال كف يده لا يؤمن المكلف كل لحظة من تمكينه . إن قيل : تصرفه إن كان شرطاً في لطيفته وجب على الله تمكينه ، و إن لم يكن شرطاً سقطت لطيفته قلنا تمكينه إنما هو بخلقه و قبوله و قد فعلاه ^(٢) ونصرة الرعية له ولم تفعله وليس تمكينه بخلق الأنصار له ليقهر الرعية على اتباعه ، لمنافة الإلجاء التكاليف ولو جاز أن يقهر الامام الرعية على طاعته جاز الإلجاء ، و القهر في جميع التكليف و هو محال .

- ٣ - القول بالعصمة متمنع وغير المعصوم ليس بلطف . قلنا : لا بد من عصمة الامام لئلا يلزم احتياجه إلى إمام كسائر الأنام وسنبين وجودها في الآيات الكرام ، على أننا نمنع نفي اللطف ممن ليس بمعصوم .
- ٤ - لو وجبت عصمة الامام ، لوجبت عصمة نوابه ، لاحتياج العباد إليهم لتباعد البلاد . قلنا : يكفي في كل زمان وجود معصوم .
- قالوا : و يستحيل هنا وجود شيئين يقوم كل منهما مقام الآخر ، دفعة .
- قلنا : نوابه تراجع (فيها) فيما يشبهه على أنه معارض بنوآب النبي ﷺ .
- ٥ - يمكن تصوّر خلوّ كل زمان من النكاليف الشرعية ، فيمكن خلوّ من الامام التابع لها في اللطفية . قلنا : إننا بيتنا وجوبه على تقدير التكليف على أنه لا يلزم من صحة تصوّر خلوّ الزمان وقوع ذلك الخلوّ ، بل الواقع عدمه على أن دفع الخوف وقيام النظام إنما يكون بالامام فهذه الشبهة ، ليس لها شبهة نبوت إذ هي أوهي من بيت العنكبوت .

﴿ الفصل الرابع ﴾

✽ (في إبطال الاختيار) ✽

قالوا : إذا عقد خمس عدول علماً ، أو واحد منهم ، ورضي باقيهم لرجل هو أهل الإمامة و لم يكن في الوقت إمام ولا عهد لإمام صار المعقود له إماماً ، لأن عمر عقد لأبي بكر في السقيفة ، ورضي أبو عبيدة ابن الجراح و سالم مولى خديفة و بشر بن سعيد و أسيد بن حضير و في الشورى عقد عبد الرحمن لعثمان ورضي علي و سعد و طلحة و الزبير و بهذا قال القاضي عبد الجبار و أكثر المجوزين للاختيار شرطوا الاجتماع و أجاز الجويني في إرشاده عقدها برجل واحد .

قلنا : لو جاز للأمة اختيار الامام ، جاز لها اختيار النبي ، لاتحادهما في اللطف و المصلحة للأنام . ولو جاز ذلك ، جاز لها اختيار الشرايع والأحكام لأنها فرع على الأنبياء . وإذا جاز اختيار الأصل جاز الفرع بالأولى ، ولأن الاختيار

محدث ، فهو بدعة لقوله عَلَيْهِ السَّلَام : « إياكم ومحدثات الأمور فإنها بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ^(١) ولأن الله تعالى قال : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » ^(٢) ، وقد أسند الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من التفسير الاثنى عشر - إلى أنس قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند هذه الآية : « إن الله تعالى اختارني وأهل بيتي على الخلق فجعلني الرسول وجعل علياً الوصي ، ما كان لهم الخيرة » أي ما جعل [ل] للعباد أن يختاروا . ومثله أسند ابن جبر في نخبه إلى أنس أيضاً ، وقال سبحانه : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ، أن يكون لهم الخيرة » ^(٣) .

إن قالوا ما قضى الله في الإمامة أمراً . قلنا : مررنا قلنا نحن وأنتم في ذلك نصوص القرآن وأحاديث النبي .

إن قالوا : في الآية إضمار ولا بعد أن أي أن لا يكون لهم الخيرة ، كما ضمرت في قوله : « يبين الله لكم أن تضلوا » ^(٤) . قلنا : الأصل عدم الإضمار على أن الضلال لما كان قبيحاً لا يصدر منه تعالى ، وجب إضمار لا ، أمّا منع العباد من الاختيار ، فليس قبيحاً فلا ضرورة إلى إضمار لا ، وقد قيل : يبين الله لكم وجه الضلالة لتجنبوها ، وحينئذ لا إضمار ، ولأنه إذا قضى الله سبحانه أمراً ، لم يحتج إلى الاختيار ، ولو احتج إليه ، لزم توقف أمر الله ورسوله عليه ولأن صحة الاختيار إن لم تتوقف على قضاء الله كانت بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وإن توقفت لزم الدور ، إذ لا يصح الاختيار إلا بقضاء الله ، ولا يكفي قضاء الله إلا بانضمام الاختيار إليه .

وذكر ابن جرير الطبري أن بني كلاب ، قالوا للنبي : نبايعك على أن

(١) مشكاة المصابيح ص ٢٧ . من حديث جابر .

(٢) القصص : ٦٨ .

(٣) الاحزاب : ٣٦ .

(٤) النساء : ١٢٥ .

يكون الأمر لنا بعدك فقال ﷺ الأمر لله إن شاء كان فيكم ، أوفي غيركم . وروى
 الماوردي في أعلام النبوة أن عامر بن الطفيل ، قال للنبي ﷺ مالي إن أسلمت ؟
 فقال ﷺ : ما للمسلمين ، قال : ألا تجعلني الوالي بعدك ؟ قال : ليس ذلك لك
 ولا لقومك .

فدلّ هذان الحديثان ^(١) و تانك الآيتان بتفسيرهم على المنع من الاختيار
 وقد قال سبحانه وتعالى : فتؤتي الملك من تشاء ، ويؤتي الحكمة من يشاء ، والله
 يزكي من يشاء ، أهم يقسمون رحمة ربك ، نرفع درجات من نشاء ^(٢) ، وفي الاختيار
 تقديم بين يدي الله ورسوله ، فهو دخول في نهى كتابه ^(٣) .

إن قالوا : الاختيار من قضاء الله سبحانه لنفي أفعال العباد ، قلنا : نمنع ذلك و
 قد بيناه في باب إبطال الإيجاب ، على أن نفي الاختيار في الآية مشروط بقضاء الله و
 رسوله ، ولو انتهى فعل العباد ، لزم العبث في الاشتراط .

إن قالوا : في الآية الجمع بين قضاء الله ورسوله ، وعندنا أن الرسول لم يقض
 لأنه لم يوص ، فإن لنا الاختيار ، لأنه لم يوجد مجموع الشرط . قلنا : ليس هنا
 قضاء لأن قضاء الله هو قضاء رسوله لعموم « وما ينطق عن الهوى » ^(٤) .

إن قالوا : نمنع الاتحاد ، لأن الله قضى بأشياء ، ولم يقض بها النبي و الآية
 دلّت على أن قضاء النبي قضاء الله دون العكس . قلنا : بل هما متحدان هنا لأن
 الإمامة إن قضى بهادون النبي لزمه أن يصل إلى الأمة لا على يد النبي ، وهو محال
 ولا ينسلم كونه غيره ، جاز كون الوالي في الآية بمعنى أو ، مثل : « مني و ثلاث و
 رباع » ^(٥) . وكيف يتم لكم أن للرسول قضاء ، وقد نقيمت أفعال العباد و قد قال

(١) هذا على أن الحديثين ، خ .

(٢) آل عمران : ٢٦ . البقرة : ٢٦٩ . النساء : ٤٨ . الزخرف : ٣٢ . الانعام : ٨٣ .

(٣) حيث يقول : يا أيها الذين آمنوا لا تقموا بين يدي الله ورسوله . الحجرات : ١ .

(٤) النجم : ٥ .

(٥) النساء : ٤ .

تعالى لنبيته : « ليس لك من الأمر شيء »^(١) ، فكيف يكون للرعية الجاهلة من الأمر شيء : « قل إن الأمر كله لله »^(٢) ، والإمامة من أعظم الأمور وأهمها . فإلى الله فعلها لعدم علم الخلق بمحلها ، ولو جازلهم نصب الإمام الذي هو سبب في الأحكام جازلهم وضع الأحكام الصادرة من الإمام لأن علة السبب علة المسبب ولو كان لهم وضع الأحكام لم يكن الأمر كله لله ، وقد اختار آدم أكل الشجرة فعصى وغوى ، واختار موسى قومه فجاء على الأفسد اختياره ، ونبيينا شاور الصحابة في الأسرى فاخثاروا الغداء وصوبه النبي فقال الله « ما كان لنبي أن يكون له أسرى »^(٣) ، فإذا كانت سادات الأنبياء مع علو قدرهم والمواد المتصلة من الله إليهم وقعت المفسدة في اختيارهم ، فما ظنك برعييتهم .

وأيضاً فإن إمام الأنام من نصبه الإمام ، فلو نصبته الرعية كانت إماماً للإمام ولوصح ذلك لزم خرق الإجماع المنعقد على اتحاد الإمام ، ولزم الدور لأنه يكون مأموراً منهم وأمرأ لهم .

إن قلت : لا دور ، لأن أمرهم له بأن يقوم فيهم وأمرهم لهم بما فرض الله عليهم . قلت : قد ذهب جماعة من الأصوليين ، إلى أن الأمر بالأمر أمر ، فيعلم أن من أمر الإمام بالقيام ، ومن جملة قيامه أمر الأمر بالمفروضات ، لزم منه كون الأمر بنصبه أمراً لنفسه ضمناً .

قالوا : يدل على جواز الاختيار ، قوله ﷺ : « إن وليتم أبا بكر ، وجدتموه قوياً في دين الله ضعيفاً في بدنه ، وإن وليتم عمر ، وجدتموه قوياً في دين الله قوياً في بدنه ، وإن وليتم علياً ، وجدتموه هادياً مهدياً » . قلنا : إذا سلمنا صحة الخبر ، فلا يدل على صحة الاختيار ، والقوة في الدين لا توجب مع أن غيرهما أقوى

(١) آل عمران : ١٢٨ .

(٢) آل عمران : ١٥٤ .

(٣) الانفال : ٦٧ .

فيه منهما على أن ذكره لهداية عليّ توجب اختصاصه ، لكماله في نفسه فهو مكمل لغيره ، وإنّما عرّض بذلك لعلهم بنفورهم عن عليّ ، لحقدهم وأهويتهم ، ولما غزى بسيفه قتل أقدارهم ، وإهباط منازلهم .

قال الشاعر :

إنّ الإمامة ربّ العرش ينصبها * مثل النبوة لم تنقص ولم تزد
والله يختار من يرضى و ليس لنا * نحن اختيار كما قد قال فاقصد
و قال البشنوي :

أنكرتموا حقّ الوصيّ جهالة * و نصبتموا للأمر غير معلّم
عوجّتم بالجهل غير معوجّ * و أقمتُم بالغيّ غير مقومّ
صيرتم بعد الثلاثة رابعاً * من كان خامس خمسة كالأنجم
و قال السوراي :

إن رمت تشرب من حريق الكوثر * فاخلص يقينك في ولاية حيدر
وابراً فما عند الولي^(١) إلّا البرا * من شيخ تيم ذي عصاة حبر
ودع الصهاكيّ الزنيم و نعللاً * أعني ابن عفان الغويّ المفتر
هم غير روا سبل الرشاد و بدّلوا * سنن الهداية بالشنيع المنكر
جحدوا عليّاً حقّه و تقدّموا * ظلماً عليه و لم يكن بمؤخّر
يا من يقدّم حبراً بضالاله * لم لا تقدّم يوم بدر و خير
في أيّ يوم قدّموا للملّة * فيقدّمون لذاك فوق المنبر
تالله لا أرضى أقايس منهم * ألفاً بشسع نعيّلة من قبر
من يعبد الأصنام ليس بجائر^(٢) * منه يقايس من له بمكسر
يا آل طه حبّكم لي جنّة * يوم المعاد من الجحيم المسمر

(١) و ابره فما عهده الولا الا البرا * من شيخ تيم و من عصاة حبر . خ .

(٢) بواجب خ ل .

و قال المعري^١ :

وهي الدنيا تراها أبداً ✽ زمراً واردة إثر زمر
يا أبا السبطين لا تحفل بها^(١) ✽ أعنيق سار فيها أم زفر

﴿ الفصل الخامس ﴾

المختار للإمامة إن وجبت عصمته فلا طريق للمختارين إليها ، لأنها من البواطن ، و حسن الظواهر لا يدل عليها ، لما علمنا من التفاق في مواطن . وإن لم تجب ، جاز اختلافهم في أفراد الناس ، بحسب اختلاف الأمارات الداعية إلى التعيين و ربما طال الزمان ليقع الاتفاق على الأصلح ، بل ربما لا يقع الاتفاق أبداً ، ولا يخفى ما في ذلك التعطيل من الفساد و إن مهل ببعض ووجب على الآخر اتباعه لزم الرجوع إلى التقليد ، عن الاجتهاد .

إن قالوا : لاجابة إلى اتفاق الكل^٢ ، بل يكفي الخمسة كما سلف . قلنا : جاز اختلاف الخمسة ، و لهذا أمر هرير بقتل أهل الشورى بعد ثلاثة إذا لم يتفقوا : على أنه لا حجة في الاقتصار على الخمسة دون ما فوقها و تحتها ، بل ما فوقها أولى لكون الظن^٣ بأصابته أقوى .

إن قالوا : لم لا يجوز أن يجعل الله الاختيار إلى الأمة لعلامة أنها لا تختار إلا الأصلح . قلنا : من أين علمنا أن الله تعالى علم ذلك . لا بد له من دليل ، فلا يجب علينا اتباعه حتى نعلم أن الله تعالى علم ذلك .

إن قالوا : جعل الاختيار كاف في دليل ذلك العلم . قلنا : و أين دليل أن الله جعل الاختيار ، بل الكتاب و السنة على نفي الاختيار كما تلوناه من غير إنكار ، و أيضاً من يختار الإمام إما أن يكون أفضل منه فكيف يصح^٤ [منه] أن يجعل المفضول إماماً على نفسه ويحكمه في أمره ، والإنسان ليس له أن يستخلف على نفسه كما أنه

(١) لا نجعل بها ، خ .

ليس له أن يحكم لنفسه . أو يكون مفضولاً ، فكيف يقبل حكمه بالإمامة على من هو أفضل منه و أيضاً فإذا جاز أن يكون الإمام مفضولاً عن غيره في العلم وغيره بدرجة جاز كونه مفضولاً بدرجتين لعدم الأولوية ، و ثلاث ، و هكذا إلى أن ينتهي إلى جواز أن يستغني عن رعيته في وقايح دينه و عبادته وقد لا يجد في ذلك الوقت مسدداً فيستمر تعطيل الحكومات و العبادات دهرأ مديداً .

و قد أضاف الله الاختيار إلى نفسه و جعله مقصوراً على الأفاضل في قوله تعالى : « و لقد اخترناهم على علم على العالمين »^(١) ، و ليس اختيار الرسول والإمام خارجاً من هذا المقام ، لأنه بأمر الملك العالم بسرائر الأنام .

و أيضاً فمختار الإمام^(٢) لا يملك أمر كل الأمة ، فكيف يملكه لغيره . و أيضاً جاز لكل فرقة من المسلمين أن يختاروا منهم إماماً لكونه يشرعهم ، و إن لم يجز اختلافهم ، فمن يتفقون عليه يلزم منه بطلان اعتقاد من خالفه ، و في ذلك كله [يلزم] تكثير الأمة الموجب للفساد ، الموجب لبطال الاختيار ، و كيف جاز للحكيم مع شدة رحمة إسناده أمر الإمامة إلى خليفته مع علمه بعدم اتفاقهم و تنازعهم . و قد أمر الله تعالى بالقتال ، حتى لا تكون فتنة ، و في تفويض الأمر إليهم إثارة الفتنه .

إن قيل إنما العبرة بمدينة الرسول ﷺ فمتى عقدوها لشخص وجب اتباعه على سائر الأنام . قلنا : أهل المدينة ليسوا كل الأمة ، ولا كل المؤمنين ، ولا كل العلماء . و قول النبي : « إن المدينة لمنقي خبيثها كما تنقي الكير خبث الحديد »^(٣) ، لا ينفعها ذلك لا أحداث عثمان ما أحدث فيها وقتله باجماع أكثرها و اشتها الفلول وأنواع الفسوق منها ، و إن أريد جميع أهلها بحيث يدخل المعصوم فيها ، كان الاعتماد على قوله لا عليهم ، و إذا لم ينحصر محل الاختيار في مصر من الأمصار مع تباعد أهل

(١) الدخان : ٣٢ .

(٢) بنى النبي يختار الإمام .

(٣) مشكاة المصابيح ص ٢٣٩ و الحديث متفق عليه .

الاختيار في الأطراف والأقطار ، أمكن بل وجب بحسب العادات ، نصب كل قوم إماماً غير الآخر لعدم العلم بفعل الآخر .
وما أصدق ما قيل :

تخالف الناس حتى لا وفاق لهم ✧ إلا على شجب والخلق في الشجب
فقليل تخلص نفس المرء سالمة ✧ وقال بعضهم تشركه في العطب

إن قيل: فالنص حصل منه الاختلاف الموجب للفساد . قلنا : الاختلاف بعدهم أشيع فالنص عليه أنفع ، لعموم الضلال بعدهم و احتدى قوم بقدومه ، ولا يلزم من مخالفة بعض بطلان نص ، فإن ترك العمل بالواجب لا يبطل الواجب .
قال أبو الحسين : لم لا يكون تفويض الاختيار إلى الأمة تغليظاً للمحنة و تعريضاً لزيادة المشوبة ، و قد كان عدم إنزال المتشابهات أقرب إلى ترك الهرج و الفساد في الاعتقادات ، فلم يفعل لأجل تشديد التكليفات . قلنا : ذلك معارض بنص الله على أنبيائه ، فإن مخالفة الكفار فيهم ، لا يمنع من إرسالهم .

﴿ الفصل السادس ﴾

الأمة بعد النبي إما أن تحتاج إلى الإمام ، فيجب في حكمة الله نصبه ، وقد فعل كما وجب فيها نصب النبي ، أولاً تحتاج فالاختيار عبث وتصرف بغير أمر مالك الأمر و أيضاً فالإمامة إن لم تكن من الدين ، فليس لأحد أن يدخل في الدين ما ليس منه ، وإن كانت منه ، فإن كان الله سكت عنها ، كان مخلاً بالواجب ، و هو قبيح و نقص ، وإن فعلها بطل الاختيار ، و قد فعلها يوم نصب النبي علياً علماً فأنزل سبحانه : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ^(١) » ، فإن بقي بعد ذلك شيء من الدين ، كان الله تعالى كاذباً ، تعالى الله عن ذلك ، و إن لم يبق لزم المطلوب .

و أيضاً ، فالمختار المحبوب قد يكون شريراً و المعزول المكروه قد يكون خيراً لعدم اطلاع الأمة على البواطن . قال الله تعالى : « و عسى أن تكرهوا شيئاً و هو خير لكم ، و عسى أن تحببوا شيئاً و هو شر لكم و الله يعلم و أنتم لا تعلمون » « إن يتبعون إلا الظن و إن الظن لا يغني من الحق شيئاً ^(١) » « على أن الأمة اجتمعت على قول أبي بكر على المنبر : « ولستم و لست بخيركم فإن استقمت فاتبعوني و إن اعوججت فقوموني » . و روى الطبرسي في احتجاجه قوله : « إن لي شيطاناً يعتريني فإذا ملت فسدت دوني » و من احتاج إلى الرعاية فهو إلى الإمام أحوج ، و انعقد الإجماع على أن الإمام لا يحتاج إلى إمام آخر ، و إلا لزم الدور أو التسلسل .

قالوا : إنما قال ذلك لأجل المشورة ، و قد قال الله تعالى لنبيه : « و شاوهم في الأمر ^(٢) » قلنا : مشورة النبي ، لم تكن لأجل احتياجه إلى رعيته ، لأنه كامل ، و بالوحي مؤيد و إنما المراد بها استمالة قلوبهم ، ولهذا قال تعالى : « فإذا عزمت فتوكل على الله » و لم يقل فإذا أشاروا فافعل ، و لأن في المشورة إظهار تفاؤله المنافقين لأجل التحرز منهم كما قال تعالى : « و لنعرفنهم في لحن القول ^(٣) » . و قد قال تعالى « يحلفون بالله إنهم لمنكم و ما هم منكم ^(٤) » و نحوها كثير . و أيضاً فقوله : لست بخيركم . إن كان صدقاً ، فالخير أولى منه ، و إن كان كذباً لم تصلح الإمامة للكذب لعدم الوثوق به .

إن قالوا : قال ذلك تخشعاً و كراهةً لمدح نفسه . قلنا : النبي أولى منه بذلك ، و لم يقل : أرسلت إليكم و لست بخيركم ، بل قال أنا سيد ولد آدم . إن قيل : فعلي عليه السلام في نهج البلاغة تمنع بعد قتل عثمان من الإمامة لما أتوا إليه فيها ، و ذلك مثل قول أبي بكر : أقبلوني . قلنا : تمنعه لعلمه بعدم

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(١) البقرة : ٢١٦ . و النجم : ٢٨ .

(٤) براءة : ٥٧ .

(٣) القتال : ٣٠ .

استقامتهم للوعة^(١) التي في صدور أكثرهم ، و قد علمت ما حدث من الرعية و قتالهم ، بخلاف أبي بكر ، فإنه لعدم قتله فيهم ، أقبلوا عليه بقلوبهم ، وطمعوا منه في الرخص لميل طبائعهم ، و علمهم أن علياً عليه السلام يحملهم على الجادة الوعة ، و لأن المسؤول عن أمر إذا تمتنع منه [كان] مجرياً لسائله على تكرير سؤاله ، و ما أحق ما قيل من الأشعار في بطلان الاختيار :

إذا كان لا يعرف الفاضلين	✧	إلا شبيههم في الفضيله
فمن أين للأمة الاختيار	✧	لولا عقولهم المستحيله
فإن كان إجماعهم حجة	✧	فلم ناقض الشيخ فيها دليله
و عاد إلى النص يوصي به	✧	و من قبل خالف فيه رسوله
و قام الخليفة من بعده	✧	يسن الضلال و يهدي سبيله
و يزعم بيعته فلتة	✧	و يصدق لا صدق الله قيله
و يجعلها بعد في سنة	✧	معلقة بشروط طويلة
و ما كان أعرفه بالإمام	✧	ولكن تضليله عنه حيله

تذنيب :

إن قالوا : قد يعلم الفاضل من ليس بفاضل ، فإن المرجوح يعلم فضل أبي حنيفة في الفقه ، و سيبويه في النحو ، على نفسه . قلنا : أمّا على نفسه فنعم و أمّا أنه يعلم أفضليته على غيره ، فلا .

﴿ الفصل السابع ﴾

نصب القاضي لا يصح بالاختيار اتفاقاً فأولى أن لا تصح الإمامة العظمى به التزاماً ، ولو جازت الإمامة بالبيعة ، جازت القضاء بالأولى ، و لأن الإمام ، خليفة الله و خليفة رسوله ، فكيف لم يثبت إلا ببيعة الخلق له و يترك النص له و أيضاً لا يجوز الاختيار قبل النظر في الكتاب الذي هو تبياناً لكل شيء^(٢) ، فينزونه منه .

(١) للوغرخ ، و اللوغة حرفة العز و الهوى و العز العقد و الضمن .

(٢) النحل : ٩ .

ولما وجدنا الأمة ، اختلفت على قولين مختلفين مشهورين : فقالت فرقة : الإمام علي بنص النبي وقالت الأخرى : الإمام أبو بكر باختيار الأمة . واجتمعت الفرقان على عدم جواز إهمال الخليفة من الخليقة . قلنا : فهل لله خيرة اصطفاها على خلقه ، قالنا نعم ، لقوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ^(١) » . قلنا : فمن خيرته فأجمعنا على المتقين ، الآية : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم ^(٢) » . قلنا : فهل له من المتقين خيرة فأجمعنا على المجاهدين الآية : « وفضل الله المجاهدين ^(٣) » قلنا : فهل من المجاهدين خيرة ؟ فأجمعنا على السابقين الآية : « لا يستوي منكم من أفق من قبل الفتح ^(٤) » قلنا : فهل له خيرة من السابقين فأجمعنا على أكثرهم نكاية في أعداء دين الله ، الآية : « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ^(٥) » قلنا : فمن كان أكثر جهاداً ، أبو بكر ، أم علي ، فأجمعنا على علي . قلنا : فقد علمنا من الكتاب والاجماع أن علياً أفضل ، فهو أحق ، تفضيل أبي بكر بعد ذلك من المحال ، لأنه من أحكام الخيال ، لأن العقل والتخييل يتفقان على مقدمات الدليل ، فلمّا تظهر النتيجة ينكص الخيال عنها ويستقر العقل عليها .

وهنا اتفق الفريقان على المقدمات فلمّا وصلا إلى تفضيل علي ، رجع المبطلون إلى خيالهم الموحب لضلّالهم واستمرّ المحقّقون على قضاء عقولهم المخلص من وبالهم .

وأيضاً قلنا للفريقين : من المتّقون ؟ فأجمعنا على أنهم الخاشعون قلنا : فمن الخاشعون ؟ فأجمعنا على أنهم العالمون الآية « إنّما يخشى الله من عباده العلماء ^(٦) » قلنا فمن العالمون ؟ فأجمعنا على من كان أحكم بالعدل الآية « يحكم به ذوا عدل ^(٧) » قلنا فمن أحكم بالعدل ، فأجمعنا على أنه الأهدى إلى الحقّ الآية « أفمن يهدي

(٢) الحجرات : ١٣ .

(١) القصص : ٦٨ .

(٤) الحديد : ١٠ .

(٣) النساء : ٩٤ .

(٦) فاطر : ٢٨ .

(٥) الزلزال : ٧ .

(٧) المائدة : ٩٨ .

إلى الحقّ أحقّ أن يتبع^(١) ، قلنا : فمليّ هو أحقّ أن يتبع لأنّه أهدى إلى الحقّ لقول النبيّ : « أقضاكم عليّ » و لرجوع المشايخ عند الخطأ ، و الإشكل إلى أحكام عليّ فهو أعلم فهو أخشى فهو أبقى ، فإذا دلّ الكتاب الذي جعله الله تبيّناً لكلّ شيء ، عليه ، حرّم العدول عنه إلى غيره و تحتمّ المصير إليه .

و أيضاً فالذين كانت الصحابة تأخذ عنهم أبواب شرايعهم خمسة : عليّ و ابن عباس و عمر و ابن مسعود و زيد بن ثابت . قلنا : فإذا اجتمعوا فمن يؤمّمهم ، فأجمعوا على أقرئهم لقول النبيّ ﷺ : « يؤمّمكم أقرأكم » قلنا : فمن هو ؟ فأجمعوا على أن الأربعة كانوا أقرأ للكتاب من عمر . قلنا : فهم أولى بالنقد من عمر .

قلنا : فأبي الأربعة أولى ، فأجمعوا على القرشيّ ، لقوله ﷺ « الأنمة من قريش » . قلنا : فمليّ من قريش و ابن عباس و ليس الآخران من قريش .

قلنا : فمن أولاهما ، فأجمعوا على الأكبر سنّاً والأقدم هجرة للحديث في ذلك . قلنا : فمن هو ؟ فأجمعوا على عليّ . قلنا : فسقط الأربعة ، و في هذا كفاية لانفراد عليّ بالولاية إذ لا يعدل عن الكتاب و السنة وإجماع الأئمة إلّا من عاند الله و رسوله أو كان قاصر الهمّة .

فنبه : الثلاثة ظالمون ، لأنهم كانوا كافرين ، فلا يصح اختيارهم لإمامة المسلمين بدليل « لا ينال عهدي الظالمين »^(٢) قالوا : الإسلام اللاحق محي أحكام الكفر السابق . قلنا : التنفير الواجب سلبه عن الإمام حاصل فيهم بعد الإسلام ، و لهذا قال عليّ عليه السلام في نهج بلاغته مع طهارته وعصمته : لو كان الاختيار إلى الناس لاختار كل واحد منهم نفسه ولو كان الاختيار لإبراهيم عليه السلام لجعلها في الظالمين ، حتى منعه الله ذلك فقال : « لا ينال عهدي الظالمين » و كل من عبدوثناً أو جبتاً أو طاغوتاً أو يموث أو يعوق أو نسرأ أو شمساً أو قمرأ أو حجرأ أو شجرأ أو قدا نهزم في جهاد من سبيل الله ، أو كذب أو همز أو لمز أو ظلم فلا إمامة له ، قال الله تعالى : « ولقد آتينا موسى

(١) يونس : ٣٥ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

الكتاب ، فلا تكن في مرية من لقائه ، و جعلناه هدىً لبني إسرائيل ، و جعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا ^(١) ، فאלله جعلهم أئمةً ؟ أم هم جعلوا أنفسهم ؟ أم الناس جعلوهم ؟ .

فذنبي : إن قيل : لا يلزم من منع اختيار نفسه منع اختياره لغيره ، كما في وليّ المرأة فإنّ له اختيار غيره لها دون اختيار نفسه لها . قلنا : المرأة لنقصها احتاجت إلى الولي في الكفو لها لضعفها ، بخلاف أهل الحلّ والعقد الكمالهم ، و لأنّ وليّ المرأة الاختياري له أن يزوّجها من نفسه ، إذا لم يكن محرماً لها .

تكميل : أسند الشيخ أبو جعفر القمي ، إلى الرضا عليه السلام ، هل يعرفون قدر الإمامة ؟ الإمامة أجلّ قدراً و أعظم شأنًا و أعلى مكاناً و أوسع جانباً و أبعد غوراً من أن يبلغها الناس بقولهم ، أو ينالوها بأرائهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم ، إنّ الإمامة خمسٌ الله بها إبراهيم بعد النبوة و الخلة ، و جعلت له مرتبةً ثالثة و فضيلة شرّفة بها و شاد بها ذكره ، فقال : « إنني جاعلك للناس إماماً » ^(٢) . فقال الخليل سروراً بها : « ومن ذرّيتي ؟ » قال : « لا ينال عهدي الظالمين » فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة ، و صارت في الصفوة .

ثمّ أكرمه الله بأن جعلها في ذرّيته و أهل الصفوة و الطهارة فقال : « ووهبنا له إسحق و يعقوب نافلةً و كلاً جعلنا صالحين و جعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و كانوا لنا عابدين » ^(٣) ، فدلّ صريحاً كلام هذين الإمامين على عدم صلاح الإمامة لأهل الكفر و المين .

(١) الم السجدة : ٢٣ و ٢٤ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

(٣) الانبياء : ٧٣ .

﴿ الفصل الثامن ﴾

لَمَّا قُلْنَا : لَوْ جَازَ لِلْأُمَّةِ اخْتِيَارَ الْإِمَامِ جَازَ لَهَا اخْتِيَارَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا :
الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ تَتَلَقَّى مِنْهُ مَصَالِحُ الشَّرْعِ ، فَلَا بُدَّ فِي ثُبُوتِ نُبُوَّتِهِ مِنْ طَرِيقٍ
يُؤْمِنُ مِنَ الْخَطَا ، وَالتَّبْدِيلُ فِيهِ وَالْإِمَامُ كَالْقَضَاءِ وَالْأَمْرَاءِ فِي الْأَقْطَارِ ، فَجَازَ ثَبَاتُهُ
بِالْإِخْتِيَارِ . قُلْنَا : وَالْإِمَامُ يُرَادُ مَعَ ذَلِكَ لِمَيَانَةِ الشَّرْعِ عَنِ التَّبْدِيلِ لِعَصَمَتِهِ وَيَجِبُ
الْإِنْقِيَادُ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ طَرِيقٍ يُوَثِّقُ بِهِ لِنَثْبِتِ إِمَامَتِهِ .

إِنْ قِيلَ : لَمْ لَا يَكُونُ ظَنُّ الصَّلَاحِ كَافِيًا كَمَا فِي قَبُولِ الشَّهَادَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ
الْفُرُوعِ الشَّرْعِيَّاتِ ؟ قُلْنَا : قَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْ اتِّبَاعِ الظَّنِّ فِي مَوَاضِعِ الْعِلْمِ ، وَمسْئَلَةُ
الْإِمَامَةِ عِلْمِيَّةٌ وَيَعْمُ بِهَا بِلُوى الرِّعْيَةِ وَالْعَامِّ إِذَا خَصَّ بِدَلِيلٍ لَا يَخْرُجُ عَنْ دَلَالَتِهِ
فِي أَصْلِهِ وَهَذَا أَبْحَاثُ :

﴿ (البَحْثُ الْأَوَّلُ) ﴾

لَوْ جَازَ نَصَبُ الْإِمَامِ بِالْإِخْتِيَارِ ، جَازَ عَزْلُهُ بِالْإِخْتِيَارِ ، وَالتَّالِي بَاطِلٌ غَالِقٌ مُدٌّ
مِثْلُهُ .

إِنْ قِيلَ : لَمْ لَا يَجُوزُ التَّوَلِيَّةُ دُونَ الْعَزْلِ ، كَوَلِيَّ الْمَرْءِ يَمْلِكُ تَزْوِيجَهَا وَلَا
يَمْلِكُ فُسْخَ نِكَاحِهَا ؟ قُلْنَا : خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى إِزَالََةَ النِّكَاحِ بِالزَّوْجِ ، وَتَخْصِيصُ الْأُمَّةِ
بِالْإِخْتِيَارِ يَسْتَلْزِمُ تَخْصِيصَهَا بِالْعَزْلِ .

إِنْ قَالُوا : جَازَ أَنْ يَجْعَلَ الْعَزْلُ لِنَفْسِهِ دُونَهَا .

قُلْنَا : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَنْصِبْ مَنْ يَجُوزُ مِنْهُ سَبَبُ وَقُوعِ الْعَزْلِ ، فَلَا تَقَعُ مِنْ
اللَّهِ لَهْنٌ وَلَا هُ .

﴿ (البَحْثُ الثَّالِي) ﴾

لَمَّا قُلْنَا : لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَمَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ لِنَفْسِهِ
قَالُوا : إِذَا اجْتَهَدَ الْإِنْسَانُ فِي الْحَادِثَةِ وَعَمِلَ بِهَا لَمْ يَكُنْ حَاكِمًا لِنَفْسِهِ ، بَلْ لِلَّهِ وَ
لِرَسُولِهِ بِشَرَطِ اجْتِهَادِهِ فَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي اخْتِيَارِهِ إِمَامًا لِنَفْسِهِ . قُلْنَا : حَكَمَ اللَّهُ فِي

الحادثة قد أمر الله المكلف بإجانبته بواسطة نظره في أدلته ، ولم يجعل حكم الحادثة منوطاً باختياره ، وأنتم جعلتم نصب و العزل منوطاً باختياره فافترقا .

❖ (البحث الثالث) ❖

لو وجب على الرعية نصب الإمام ، فإن جاز إخلاله به لزم الفساد ، وإن لم يجز ، فإمّا لأمر صدها عن الإخلال به فيلزم التسلسل في وجه حصول ذلك الأمر . أولاً لأمر ، فترجيح بغير مرجح . أمّا على رأينا ، فإذا أخلت به لم يخل الواجب تعالى به ، لأنه لطف واجب ، والله تعالى لا يخل بالواجب فاندفع التسلسل .

❖ (البحث الرابع) ❖

البلاد المتباعدة ، إن لزم الرعية نصب الإمام لبعضها ترجيح بلا مرجح وطلب كل بلد كون الإمام منهم فيقع الهرج ، وإن لزم أهل كل بلد نصب إمام وقعت المنازعة بسبب تكثير الأئمة حيث يطلب كل واحد الرياسة العامة .

❖ (البحث الخامس) ❖

الخطاب في قوله تعالى « السارق و السارقة ، فاقطعوا » الزانية و الزاني فاجلدوا^(١) ، أو غيرهما ، لا يتعلق بالأئمة بالإجماع على أن الحدود ليست لغير الإمام أو ناييه كما نقله الخوارزمي فينعلق بالأئمة فنصبهم من الله لتوجه الخطاب إليهم فلو كان من الرعية لتوقف الخطاب عليهم .

إن قيل : الأمر بالحد مطلق وهو يقتضي وجوب مقدّماته التي منها نصب الإمام ، فيجب على الرعية لتوقف الواجب عليه قلنا : الآيات دلّت بذاتها على الحد ، فلا يحمل على نصب الإمام الموصل إلى قيام الحد ، لأنه إضمار ، والأصل نفهه أيضاً فإنه لا يصح أن يجب قيام الحد على الإمام و يجب مقدّمته وهي نصب الإمام على الرعية إذ لا يكون الشيء واجباً على شخص ومقدّمته على آخر واستدل البصري بعدا قطعوا و « اجدوا » على وجوب نصب الإمام ، على الرعية لتناول الأمر للمباشرة و التسبيب و المباشرة لكل فرد من الرعية غير ممكنة ، ولو أمكنت

فليس لها الاستيفاء بالإجماع ، فتعيّن التسبيب وهو نصب الإمام و تكون النسبة إلى الرعيّة صادقة كما يصدق في قولنا قطع الإمام السارق والحدّاد هو المباشر . قلنا : يفهم عرفاً أنّ الإمام قاطع إذا أمر ولا يفهم أنّ الرعيّة قطعت إذا نصبت إماماً فأمر بالقطع وأيضاً فإنّ تسمية السبب قاطعاً مجاز و كلّما بعد بعد الحمل عليه لأنّ السبب البعيد لا يكاد أن يكون إلّا من الأسباب الاتّفاقية ولا شك أنّ سببيّة الرعيّة أبعد من سببيّة الإمام ، لتوسط الإمام بين الرعيّة والحدّاد عندهم .

❖ البحث السادس ❖

بدأ الله بالخليفة قبل الخليقة بقوله : « إنّي جاعل في الأرض خليفة ^(١) » والحكيم يبدأ بالأهم ، فالخليفة أهمّ من الخليقة ، فلا بدّ من كونه أكمل وأشرف في قوّته العلميّة و العمليّة ، وليس كذلك إلّا المعصوم ، فيجب . وهذا يبطل الاختيار لأنّه إنّما سمّي خليفة لأنّه يحكم ، فهو خليفة الله وهو قول ابن عباس و ابن مسعود و السديّ ، وشاهده : « يا داود إنّنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق » ^(٢) .

❖ الفصل التاسع ❖

و فيه أبحاث :

١ - قالوا : لو كان المحال يدخل في الاختيار لما صحّت إمامة الثلاثة بالاختيار فلمّا صحّت في هذه الأحوال خرج الاختيار إلى حدّ الجائز من حدّ المحال . قلنا : و متى سلّمنا أنّ الإمامة التي من الله هي التي حصلت للثلاثة و نحن لم نحل بالاختيار وجود الرياسة مطلقاً ، فإنّ رياسة الظلمة ربّما وقعت به ، إنّما أحلّنا به

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) ص : ٢٦ .

وجود الرياسة الدينية .

قالوا : فاختارت الأمة علياً و الحسن و صح^١ . قلنا : إمامتهما حاصلة من الله و رسوله و إنما احتاجا إلى الاختيار لتلزم الحجّة به من يراه من الشاكّين على أنّنا نقول دعوى مسلمة و طليحة و الحلاج و معاوية و يزيد و بني مروان و غيرهم وقعت فخرجت عن حدّ المحال ، فصحت و لم يذهب إليه رشيد .

إن قالوا : فمن سلّم كونهم أنبياء في الحقيقة و أئمة على الطريقة . قلنا : و من سلّم أنّ الثلاثة كانوا أئمة في الحقيقة .

٢ - قال الأصم^٢ و هو أحد رؤساء الناصبية : لا شك أنّ في زمان الثلاثة قد كان من يعتقد إمامتهم على حال ، و إن كان هناك من يعتقد إمامة علي^٣ و بعد الثلاثة وقع الاختلاف في إمامته فقبل : هو إمام في ذلك الوقت و قيل : لا إمام في ذلك الوقت فالإجماع الحاصل في أيام الثلاثة دليل إمامتهم ، لأنّه إن كان واقعاً عليهم ، فهو قولنا و إن كان على علي^٤ فهو محال . لأنّه هو الذي اختلف فيه في الماضي و في دقته ، و محال كون المختلف فيه هو المتفق عليه .

قلنا له : ذلك مغالطة ، لأنّ المؤمنين قائلون بإمامته في الأحوال كلّها ، فلا يتحقّق الإجماع المدّعى على عدمها و هل يصحّ من عاقل علم الاختلاف بالضرورة دعوى الإجماع ، و ما كنت أظنّ أنّ هذا يذهب على الأصم^٥ (١) مع رياسته في قومه حتّى أبان الله تعالى عن جهله و ضلاله .

على أنّنا نقول له : اجتمعت الأمة في حياة النبي^٦ على الصلاة و الزكاة و غيرهما من العبادات ، ثمّ اختلف فيها ، فعلى ما أصّل من كون المتفق عليه غير المختلف فيه يلزم أنّ تكون عبادات اليوم غير التي كانت في عهد النبي^٧ . لأنّ المتفق عليه غير المختلف فيه على ما قال .

٣ - إنّنا نقلب الاستدلال على الأصم^٨ ، فنقول : أجمعت الأمة في هذا الزمان على أنّه قد كان إماماً موجوداً لاحالة في أيام الثلاثة و الجماعة المتفقة مختلفة الآن

(١) ذهب عليه كذا : أى نسب و خفى عليه .

فالشَّيعة تأبى إمامة الثلاثة وتقول بإمامة عليّ^{عليه السلام} دونها ، فلم لا يكون الإمام في عصر الثلاثة غيرهم و أنه لا إمامة دينية لهم ، إذ لا يصحّ عنده أن يكون المتفق عليه هو المختلف فيه وفي ذلك أن الإجماع إنّما حصل على إمامة غيرهم ، وفيه بطلان إمامتهم لوجوب اتحاد الإمام المعلوم ذلك من دين النبي^{صلى الله عليه وآله} .

فإن قيل : هذا يلزمكم في إمامة عليّ^{عليه السلام} لاختلاف الأمة فيه كما اختلفت في الثلاثة . قلنا : لا ، فإن إمامة عليّ^{عليه السلام} تثبت بغير ذلك و إنّما أردنا إسقاط كلامك على ما أصلت و اعتمدت فلا يلزمنا ما ألزمتك على أنه يلزمك إبطال إمامة عليّ^{عليه السلام} أيضاً كما لزمك إبطال إمامة الثلاثة ، بدلالة الاختلاف في أعيانهم بعد الاجتماع في الجملة على وجوب إمام ، فيجب التزامك أن الإجماع إنّما حصل في إمامة من لم يقع الاختلاف في إمامته ، فيخرج من هذا الكلام ، أن المتفق على إمامته غير معروف بعينه .

٤ - نقول للأصمّ لو اجتمعت أنت ومجبري بيت لثالث لكما ، فإن الأمة تجتمع على أن في البيت ضالّ . فيقال لو خرجت أنت و ترك المجبر وقع اختلاف الأمة فنقول المجبرة ليس في البيت أحد من أهل الضلال ، وتقول المدّعة بل الضلال باق ، فلا إجماع كان موجوداً قبل خروجك ، معدوماً بعده ، فيلزمك أن تكون من أهل الضلال لأن الإجماع أو لا كان إنّما على ضلالك أو ضلال المجبر ، ولو كان إنّما هو على ضلال المجبر ، لكن المجمع عليه هو المختلف فيه ، و ذلك عندك محال ، و إن كان الإجماع إنّما هو على ضلالك فهو ما ألزمتك به ، وإن كان ذلك لا يوجب عليك الضلال ، فما ذكرته من إمامة القوم واضح الاضمحلال .

إن قال : إنني أقدر على خروج المجبر قبلي ، فيقع الاختلاف فيّ و يحصل الضلال بالإجماع على خصمي . قلنا : أفلا تعلم في هذا أن دليلك السابق في الأمة فاسد لا يجوز الاعتماد عليه ، لأنه يشهد بصحة شيء تارة وبفساده أخرى . فإنّه لو لم يدلّ على ضلاله لو خرج قبل المجبر لم يدلّ على ضلال المجبر لو خرج قبله .
تذليله : روي أن الأوّل كتب إلى مسيلمة الكذاب يوبّخه على فعله ، فأجابته :

اجتمع الناس عليّ ، كما اجتمعوا عليك ، و اختاروني كما اختاروك ، فأجبت كما أسيت ، فاخلع نفسك بالعراق أخلع نفسي بالحجاز .
 تكميل : دخل رجل شامي^(١) على الصادق عليه السلام ، حاجباً ، فقال عليه السلام له شام بن الحكم : كلمه ، فقال : يا شامي ربك أنظر لخلقه أم خلقه أنظر لآ نفسهم ؟ قال : بل هو أنظر لهم قال فما نظره لهم ؟ قال : أقام لهم الحجة و أراح عنهم العلة قال : فما العجة ؟ قال : الرسول صلى الله عليه وآله . قال : فبعده ؟ قال : كتابه و سنته قال : فأزالا عنا الاختلاف اليوم ؟ قال : لا . قال الشامي : و إلا فمن ؟ قال هذا الجالس - يعني الصادق عليه السلام - الذي يخبرنا بأخبار السماء و رآته عن أبيه و جدّه . قال : فكيف أعلم ذلك ؟ قال : سله . فابتدأ الإمام عليه السلام و أخبره بيوم خروجه من الشام و ما حدث له في طريقه فصدقه فأقرّ بوصيته .

﴿ الفصل العاشر ﴾

قالوا : لو نصّ عليّ ، لما اختلف فيه ، كما لم يختلف في النصّ عليّ القبله . قلنا : ولو لا نصّه لما اختلف فيه كما لا يختلف في عدم النصّ عليّ سلمان . قالوا : من لم ينصّ النبي عليه ضربان : ضرب اختلف فيه كعليّ ، و ضرب أجمع فيه كسلمان . قلنا : بل من نصّ عليه ضربان : ضرب أجمع فيه كالقبله ، و ضرب اختلف فيه كعليّ .
 قالوا : لا يصحّ النصّ عليه إلا بالإجماع و اتفاق أهل المذاهب . قلنا : فلا تصحّ النبوة إلا باتفاق أهل المذاهب .
 قالوا : ثبتت بالمعجزات ، فتأوّلها^(١) الناس بالسحر . قلنا : و الإمامة ثبتت بالنصّ ، فتأوّلوها^(٢) بالقراءة .

(١) فتأوّلوها ، خ .

(٢) فتأوّلوها ، خ .

قالوا : لو نص عليه بالأمر لقام به . قلنا : ولو نص موسى على هارون لقام به .
قالوا : لو نص عليه مع علمه بالعجز عنه سفه . قلنا : [ولو] نص الله على أنبيائه
مع علمه بعجزهم سفه .

قالوا : لو نص الأمر فيه لقاتل عليه . قلنا : ولو نص الله على سجد إبليس
لآدم لقاتله عليه .

قالوا : ترك النص لعلمه بعصيان الأمة ثلاثاً ترتد . قلنا : فالله أشفق منه ، و
قد أرسل أنبياء مع علمه قطعاً بعصيان الخلق لها .

قالوا : ارتدت الأمة بمخالفة الإمام ، فذو كان منصوصاً عليه ، وجب أن
يجاهدوها و إلا ارتدت معها . قلنا : سكت هارون عن جهاد المرتدين فيلزم ارتداده .
قالوا : أقر علي لأبي بكر بالخلافة . قلنا : أقر يوسف لأخوته بالعبودية .
قالوا : في النص محاباة وهي مستحيلة على الرسول لتضمنها الغش لغيره . قلنا :
حبابا يعقوب لبوسف و حبابا الله لأنبيائه .

قالوا : إطاعة علي لأبي بكر دليل على عدم النص ، إذ لا يطيع الظالم إلا
ظالم . قلنا : أطاع دانيال ، بخت نصر . و يوسف ، العزيز ، وموسى ، فرعون . ولا
يطيع الكافر إلا كافر .

قال : زوج عمر ابنته ولا يزوج الظالم إلا ظالم . قلنا : عرض لوط بناته على
المفسدين . و زوج النبي ابنته من العاص ، ولا يزوج الكافر إلا كافر .
قالوا : أخذ عطاء أبي بكر ولا يأخذ عطاء الظالم إلا ظالم . قلنا : أخذ دانيال
عطاء ، بخت نصر ولا يأخذ عطاء الكافر إلا كافر .

قالوا : لم يبايع علي ثم يبايع فأحدهما خطأ . قلنا : لم يدعي النبوة نبيتنا
ﷺ ثم ادعى ولم يقاتل ثم قاتل ، فأحدهما خطأ .

قالوا : لو جاز كتمان النص على بعض الأمة جاز على كلها ، ولما لم يجز
على كلها ، لم يجز على بعضها . قلنا : لو جازت بغضة علي على بعض الأمة ، جازت
على كلها ولما لم تجز على كلها ، لم تجز على بعضها ، فلم تبغضه الخوارج والنواصب ؟

قالوا : إمامته لم تثبت إلا بالمقرّين بها وهم خصم قلنا فالنبوة لم تثبت إلا بالمقرّين بها وهم خصم .

قالوا : فالصحابة نصّار الدين ، فكيف يكفون النصّ مع كمالهم وشهادة النبيّ فيهم قلنا : فقد فروا من الزحف و باؤا بغضب من الرحمن ، كما نطق به القرآن ، و انهزم عثمان بأحد ثلاثة أيّام .

قالوا : امتنع جماعة مع عليّ عن البيعة فلا معنى لعجزهم عن أهل^(١) البيعة . قلنا : سجدت الملائكة و امتنع إبليس ولا معنى لعجزهم عن إلزامه بالسجود .

قالوا : ترك عليّ السكير و الوعظ و انتهز حقّه دليل عدم حقّه قلنا : ترك آدم الوعظ و نحوه دليل عدم حقّه في سجود إبليس .

قالوا : عندكم أن النبيّ عرفه أنّه يبقى بعد الثلاثة ، فلا معنى للتعقّب مع الأمن في ترك القتال . قلنا : و قد أعلم الله نبيّه أنّه يبقى و يبلغ رسالته ، فلا معنى له مع الأمن لترك القتال .

قالوا : أيجوز أن نجتمع على إنكار فرض حتّى يلزمنا الكفر ؟ قلنا : أيجوز أن نجتمع على اختراع فرض حتّى يلزمنا الكفر .

قالوا : أيجوز أن نجتمع على إنكار فرض مع تباعد أوطاننا ؟ قلنا : أيجوز أن نجتمع على اختراع فرض مع تباعد أوطاننا ؟

قالوا : من أين ألزمتونا صحّة ما تقرّدتّم به دوننا ؟ قلنا : و من أين ألزمتّم اليهود بصحّة ما تقرّدتّم به دونهم ؟

قالوا : أيلزمنا أن ندين بما لا نعرف ولا نقله إلينا أسلافنا لدعواكم أنكم عرفتموه . قلنا : أيلزمنا ترك التدين بما عرفناه ، و نقله إلينا أسلافنا لأنكم لم تعرفوه .

قالوا : إن أثبتتم إمامة عليّ بقولكم فلا حاجة فيه علينا لكم ، ولا سبيل إلى إثباتها بقولنا و قولكم . قلنا : إن أثبتتم نبوة محمد بقولكم فلا حاجة على اليهود لكم ولا سبيل إلى إثباتها بقولهم و قولكم .

قالوا : إن عرفتم إمامة عليّ بنقل بعضكم ، فعرفونا كم العدد المفيد للعلم و إن عرفتم بنقل جميعكم فلا تثبت إمامته حتى نلقى جميعكم . قلنا : إن عرفتم نبوة محمد ﷺ ببعضكم فعرفونا كم العدد المفيد للعلم ؟ و إن عرفتم بنقل جميعكم ، لم تثبت نبوته حتى نلقى الجميع .

قالوا : رجعتم في معرفة نصّه إلى مثبتيه ولو رجعتم إلى منكره ، لعرفتم عدمه . قلنا : رجعتم في معرفة النبي ﷺ إلى مثبتيه ، ولو رجعتم إلى منكره لعرفتم عدمه .

قالوا : حكم عليّ أبا موسى في دين الله و قد خفي عليه حقيقة أمره . قلنا : حكم النبي ﷺ سعداً في بني قريظة ، فقد خفي عليه حقيقة أمره .

قالوا : حكم النبي ﷺ سعداً و رضي به و بحكمه و حكم عليّ أبا موسى الأشعري و لم يرض بحكمه . قلنا : و حكم النبي ﷺ المشايخ في دعوى الأعرابي بشتم الناقة و لم يرض بحكمهم .

قالوا : إذا كان الإمام عندكم يعلم كل علم رسول الله ، إن جاز له أن يدعو : « اللهم زدني علماً » فقد طلب الأفضلية و الزيادة على الرسول ، و إن لم يجز له حرّمتم عليه الدعاء بزيادة العلم . قلنا : إذا جاز أن يعلم الأمة كل علم الرسول إن جاز للأمة الدعاء جوّزتم طلبها الأفضلية على الرسول ، و إن لم يجز حرّمتم عليها الدعاء بزيادة العلم .

قالوا : إذا جاز أن يكلنا الله إلى أنفسنا في معرفة العدول جاز في معرفة الإمام . قلنا : فيجوز على هذا ، أن يكلنا إلى معرفة الحدود و الرسول ﷺ .

قالوا : و لم لا يكون الله جعل للخاصة أن تولّي على العامة إماماً ؟ قلنا : ولم لا يكون الله جعل للخاصة أن تولّي على العامة نبيّاً ؟

قالوا : ما أنكرتم أن يسمى المنصوب من الناس خليفة الرسول ، فإن الله تعالى جلّ قوماً من بعد قوم نوح خلفاء و لم يستخلفهم قوم نوح . قلنا : ذلك معناه الوجود بعدهم ، ولو كان هذا هو المراد بخليفة النبي ﷺ ، كانت اليهود و النصارى و

غيرهم خلفاء النبي^٣.

قالوا : لم لا يجوز أن يوَلَّى المفضل على الناس لكراهة الفاضل من بعض الناس ؟ قلنا : ولم لا يجوز عزل المنصوب لكراهة من بعض الناس . على أنه معارض بالنبي^٣.

و هذا القدر بل بعضه كاف في هذا الباب ، و عليك باستخراج ما يرد لك من الجواب . فإنَّ النقض آت على جميعه من قريب و بعيد ، يسلمه من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد .



﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ فيهما صدر عنه من التكرامات الموجبة لاستحقاقه الامامة ﴾

و فيه فصول :

﴿ الفصل الاول ﴾

[من] ادعى الإمامة و ظهر المعجز على يده ، فهو نص من الله على إمامته وهي أمور كثيرة نذكر منها في هذا المختصر نبذة يسيرة ، منها ما أسنده ابن جبر ، في كتاب نخب المناقب ، لآل أبي طالب ، إلى جابر . إلى الخدي ، إلى ابن عباس أن خالداً لما رجع في عسكره من قتال أهل الردة رأى علياً في أرض له و قد ازدحم الكلام في حلقه كهمهمة الأسد فقال له : و بك أو كنت فاعلاً يعني لما أمره أبو بكر بقتله بعد الصلاة فقال : أجل فنكسه عن فرسه و قتل حديد رحي الحارث كالأديم بيده و ألقاها في عنقه و أصحابه كأنهم نظروا إلى ملك الموت و بقي أياماً في عنقه و الناس في المدينة يضحكون عليه مما في عنقه فلما حضر جاء به أبو بكر إلى علي يستشفع في فكّه عنه فقال عليه السلام : لما رأى تكاثف الجنود أراد أن يضع مني فوضعت منه فنهض الجماعة و أقسموا عليه فجعل يقتل منه شبراً شبراً و يرمي به و في رواية أن خالداً أحدث في ثيابه و صاح صيحة منكراً مما نزل به . قال بعضهم :

يا خالداً اذكر صنيعه حيدر ✧ لما بعثت إليه كي تدعوه

و أردت إظهار الشجاعة عند من ✧ أبدى الشجاعة جدّه و أبوه

فرجعت بالطوق الحديد مطوّقاً ✧ هذا و أنت على الرجال تقيه

فلان جحدت فسل لأصحاب النبي ✧ قطب الرحي في خلق من قتلوه

و روى جماعة عن خالد بن الوليد قال : رأيت علياً يصلح حلقات درعه بيده

فقلت : هذا كان لداود ا فقال عليه السلام : بنا ألان الله الحديد لداود فكيف لنا و سنأتي

حكايته في المسجد إن شاء الله .

وروى أيضاً في نخبه أن حصن ذات السلاسل علقوا على حيطانه غراير قطن أوتبن حتى لا يعمل فيه حجر المنجنيق فرمى علي نفسه بالمنجنيق و الترس تحت قدميه و نزل على الحيايط و ضرب على السلاسل ضربة واحدة فقطعها و سقطت الغراير ، و من هذا و نحوه قالت الغلاء فيه : إنه الخالق المعبود وإنه هو أرسل محمداً ﷺ بالنبوة و ادعوا أن له خطبة سمّاها خطبة الكشف قال فيها : و أناشقت أنهارها ، و أينتعت أثمارها ، و أظلمت ليلها ، و أضأت ناراها ، و أنا نبات النبيين و أرسلت المرسلين .

و هذا مكذوب عليه لما فاتته ما اشتهر عنه من الخشوع لله تعالى و عظم الثناء لديه ولو سلم فهو قابل للتأويل بالانكار أي إن كان كما تقولون من إلهي فأنما فعلت كذا و كذا لكنني ما فعلت فاست باله ، ويمكن حمله على السببية لما اشتهر في الحديث : لولاهم لما خلق الله خلقه فكأنه ﷺ فاعل ذلك بالسبب و قد جاء عنهم ﷺ : قولوا في فضلنا ما شئتم بعد أن تثبتونا عبداً مربيين .

و أسند في نخبه أيضاً إلى جابر : صلينا خلف علي الصبح فالتفت و قال : أعظم الله أجوركم في أخيكم سلمان فتكلم الناس في ذلك فمضى إليه و قال : يا قنبر عدّ عشرأ فإذ نحن علي باب سلمان فكشف عنه فتبسم سلمان له فقال ﷺ : إذ القيت رسول الله فقل مامراً علي أخيك من قومك ثم جهزه .

و أسند إلى الجارود أن أسداً أقبل من البر إلى الكناسة فقام بين يدي علي ﷺ فوضع يده بين عينيه و قال : ارجع باذن الله لا تدخل دار هجرتي و بلغ ذلك السباع عني .

و روى ابن وهبان و الفتال في كتابيهما عن جويرية بن صخر أنه خرج مع علي نحو بابل فرأى الأسد باركاً في الطريق فمكث ليرجع فقال ﷺ : إنما هو كلب الله ثم تلا : و ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، الآية فأقبل الأسد إليه مسلماً عليه .

وروى محمد بن وهبان في معجزات النبوة عن البراء بن عازب أنه مر في السماء على رأس أمير المؤمنين خيط من الوز فصرصر وصاح فقال عليه السلام : قد سلم علينا فتغامز المنافقون بينهم فقال : يا قنبر قل لهم : أجبين أمير المؤمنين وأنزلن . قال : فنزلن إلى صحن المسجد فخطبها بلغة لانعرفها فلوأت أعناقها إليه وصرصرت فقال : لهن انطقن فأنطقن بالسلام عليه .

وفي كتاب ابن شهر آشوب قال الباقر قال علي عليه السلام لجويرية بن مسهر : يعرض لك الأسد في طريقك فسلم عليه و قل له إنني أعطيتك الأمان منه فلقبه فأبلغه ما قال علي عليه السلام فولى وهمهم خمساً فامسا رجع جويرية قال له أمير المؤمنين إنه رد السلام و عقد بيده خمساً .

وروى الجديلي عن الرضا عليه السلام قال : قال الحسين عليه السلام : كنت مع أبي فهرول إليه ذئب و جعل يلطع قدميه بلسانه و يتمسح به فقال له : انطق بأذن الله فأنطق بالسلام إليه بأمره المؤمنين . قال ابن زريق :

إمام له غامر الفرات و قد طغى * و خاطبه ذئب بأرض فلات
و أنشأ في ذلك حبص بيص و النانسي و البياضي و غيرهم فلم ينكر عليهم .
و روى حملة الآثار عن صعصعة بن صوحان في روضة الواعظين و عن محمد بن علي الصيرفي في الدلالات أن ثعباناً رقى إلى المنبر إلى علي في الكوفة فقصده الناس فنهام عنه فالتقم عليه السلام أذنه محر كاً شفتيه و الثعبان كالمصفي إليه ثم ذهب فكان الأرض ابتلعت فتحير الناس فيه فسألوه فقال : هو حاكم الجن التبس عليه مسئلة فأفهمته إياها . و قد أنشأ في ذلك العوني و دعبل و ابن حجاج و ابن عضد الدولة و غيرهم فلم ينكر عليهم .

و في فضائل الكوفة لعمر بن حمزة قال : قام رجل من حضرة علي للوضوء فعرض له أفعى ليلتقمه فهرب منه إلى علي عليه السلام فأخبره فأخذ سيفه و أدخله في ثقب الأفعى و قال : إن كنت معجزة مثل عصى موسى فأخرجه فخرج فسار ساعة ثم

قال للعرابي : لما قمت من بين يدي أدرك ظننت أنني رابع أربعة قال نعم ثم جرد ذلك لطم على رأسه وأسلم .

وفي الامتحان عن محمد وجابر قال : كنت مع علي في برية فضحك وقال : أحسنت [يا] أيها الطير قال : قلت : أترى طيراً قال لا أنتحب أن تراه وتسمع كلامه ؟ قلت : نعم فدعا خفياً فهو الطير على يده فمسح ظهره وقال : انطق فسلم عليه بامرة المؤمنين فرد عليه السلام وقال من أين مطعمك ومشربك في هذه البرية التي لا نبات فيها ولا ماء ؟ قال : إذا جعت ذكرت ولايتكم فأشبع وإذا عطشت تبرأت من أعدائكم فأروى .

وفي العلل عن القزويني عن الأعمش أن علياً عليه السلام وقف على الفرات ونادى ياهناش ياهناش فأطلع الجرّي رأسه فقال : من أنت ؟ قال من بني إسرائيل عرضت علي ولايتك فلم أقبلها فمسخت جرّياً .

وفي حديث سعد الخفاف أنه ناداه يا جرّي قلبناه فقال : من أنا قال : إمام المؤمنين قال : فمن أنت ؟ قال بمن جدد ولايتك فمسخ جرّياً .

وفي المعجزات والروضة ودلائل ابن عقدة والحارث والسبيعي قال : رأينا شيخاً باكياً قائلاً أشرفت على المائة وما رأيت العدل إلا ساعة فسئل عن ذلك فقال : توجهت إلى الكوفة فتقدت مالي عند القبّة المسبّحة فدخلت على علي فأخبرني بذلك وخرج معي ثم صلى ودعى وقرأ : « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ثم قال ما هذا العيب ؟ والله ما على هذا بايعتموني وعاهدتموني ؟ فرأيت مالي يخرج من القبّة فأسلمت وأقررت له بالولاية ولما قدمت الآن وجدته مقتولاً . قال الورداق :

علي دعا جنّاً بكوفان ليلة ✽ وقد سرقوا مال اليهودي عدهم
على نقض عهد أو تردوا متاعه ✽ فردوا عليه ماله لم يقسم
وفي حديث عمار أرسل النبي علياً إلى عثمان يقاتل الجلودي فكان بينهما
حرب عظيم فقال لعلامة المعروف بالكندي إن أنيت بصاحب العمامة السوداء والبغلة

الشهباء أسيراً أو غفيراً فابنتي التي لم أنعم لأولاد الملوك بها أزوَّجكها فركب الكندي فيلاً أبيض وحمل بالعسكر وفيه ثلاثين فيلاً على المسلمين فنزل عليّ عن البغلة فكشف رأسه فأشرقت الفلاة منه ودنا من الفيلة وكلّمها بما لا نفهمه فانقلب منها تسعة وعشرون تقاتل المشركين حتى أدخلتهم باب ممان ثم رجعت قائلة يا عليّ كنّا نعرف نهداً ونؤمن به وبربّه كلنّا إلّا الفيل الأبيض فزعم الامام عليه السلام فيه فوقف فضربه فرمى برأسه وأخذ الكندي من ظهره فأخبر جبرائيل النبي بذلك فصعد السور وقال: هبه لي فخلّى سبيل الكندي فقال ما حملك على إطلاقي فقال: انظر، فكشف الله عن بصره فرأى النبي على سور المدينة في صحابته وبينهما أربعين يوماً فأسلم وقتل [عليّ] الجلندي وجماعة من عسكره فأسلم الباقون وسلم الحصن للكندي وزوّجه ابنت الجلندي وفي كلمة ابن حنّاد حديث الملك:

ولقد غدى يوماً إلى الهادي إذا ✱ بالباب معترضاً شجاع أقرع
فسعى إلى مولاي يلحس ثوبه ✱ كالمتجبر به يلوذ ويضرع
حتى إذا بصر النبي بصوته ✱ ورأى الشجاع له يذل ويخضع
والطهر يأوي^(١) للشجاع بكلمته ✱ ويذوده بالرفق عنه ويدفع
ناداه رفقاً يا عليّ فأنه ✱ ملك له من ذي المعارج موضع
أخطأ فأهبط من علوه مقامه ✱ فأنتى بجاهك خاشعاً يتشفّع
فادع الاله له ليغفر ذنبه ✱ فاشفع فانك شافع ومشفّع
فدعا عليّ والنبي وأخلصا ✱ ففدا الشجاع يسيح وهو مجمع
الله من عبيد ليس لربنا ✱ عبدان أوجه منهما أو أطوع

وفي الأغاني قال المدائني: قال الحميري: من جاء، بفضيلة لعلني لم أقل فيها شعراً فله فرس فجعلوا يحدّثونه وينشدّهم فيه فروى رجل أن عليّاً نزع خفّه فانساب فيه حيّة أفعى فلمّا عاد ليلبسه انقضّ عقاب غرابي فجلق به ثم رماء فخرج الأفعى منه فأعطاه الحميري ما وعد وأنشأ عند ذلك شعراً:

ألا يا قوم للمعجب العجائب ✽ لخبّ أبي الحسين وللحجاب
 عدوّ من عداة الجنّ عبد ✽ بعيد في المرادة من صواب
 كريبه اللون أسود ذو بصيص ✽ حديد الثاب أزرق ذو لمعاب
 أنا خفّأ له فانساب فيه ✽ لينهش رجله منه بناب
 ففضّ من السماء له عقاب ✽ من العقيان أو شبه العقاب
 فطار به و حلّق ثمّ أهوى ✽ به للأرض من دون السحاب
 فصكّ بخفّه فانساب منه ✽ و لى هارباً خوف الحصاب
 ودّو فعن أبي حسن عليّ ✽ تقيع سماعه بعد انتياب
 إن قيل : بذل السيّد الحميري رحمه الله فرسه لمن يأتي بفضيلة لعليّ ليس فيها
 شعر له يدلّ على حصرها وهو خلاف دعواكم من بعدها عن الإحصاء لكثرتها قلنا :
 لا يلزم من اعتقاده حصرها مطابقتها لها و ناهيك بما خرج عن شعره من العقاب و
 الحيّة و ما أنشأ فيها .
 نكتة : فإذا انحصرت في عليّ مزاياء^(١) النبوة و ليس له نبوة فهي دالة على
 الامامة إذ يمتنع من الله أن يضع العلامة و يخصّ بالكرامة من ليس له زعامة .
 إن قيل : ما ذكرتم من الأحاديث و نحوها أخبار آحاد أو انفردتم بتقلها
 فلا حجة لكم فيها . قلنا : لا ، بل كلّ طائفة من المسلمين روت شيئاً منها فاشتركت
 آحادها في التواتر المعنويّ اللازم عن مجموعها فأعجوبة ردّ الشمس أصحاب
 الشافعيّ روتها و روت غيرها و روى غيرهم غيرها و من تتبّع كتب القوم وجد ذلك
 فيها فكيف يمكن معانديهم إنكارها و في كتب أئمتهم إظهارها و بهذا يندفع ما لمعه
 يتوهّم من كونها صدرت عن داع واحد ، على أن للكفّار اللثام أن يعارضوا بمثله
 في معاجز النبيّ عليه السلام .

﴿ الفصل الثاني ﴾

﴿ في مساواة أمير المؤمنين لجماعة من النبيين ﴾

١ - قال الله تعالى « و علم آدم الأسماء كلها » . و « إنني جاعل في الأرض خليفة ^(١) » و قال النبي « أنا مدينة العلم وعلي بابها » . و من نصب علياً على الخلافة بعدي فهو كافر » كما رواه ابن المغازلي الشافعي وغيره .

٢ - إدريس أطعم بعد وفاته من الجنة و درس الكتب و هو أول من وضع الخط و علي عليه السلام أطعم منها في حياته و قد سلف و عنده أم الكتاب و هو أول من وضع علم النحو .

٣ - نوح نجى من ركب في سفينته و قد مثل بها النبي أهل بيته فنجوا من تمسك بعلي و ذريته .
شعر

أيها المؤمن الذي طاب فرعاً * و زكاه أصله و تمسك

طب بدين النبي نفعاً و إن خفــــــــــــــــت من النار في غداة تمسك

فانسجر من لظاً لظا بعلي * و بنيه و بالبتول تمسك

٤ - إبراهيم « و هديناه إلى صراط مستقيم ^(٢) » و علي الصراط المستقيم

« و رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت ^(٣) » و في علي « إنما يريد الله ليذهب عنكم

الرجس أهل البيت ^(٤) » و إبراهيم الذي وقى ^(٥) و في علي « يوفون بالندى ^(٦) »

إبراهيم كسر الأصنام و أكبرها « اقلون » و كسرهما علي و أكبرهما هبل .

٥ - إسماعيل استسلم لذبح والد و فبق ، و استسلم علي للكفار في المبيت و

ليس فيهم شفيق .

(١) البقرة : ٣١ و ٣٠ .

(٣) هود : ٧٣ .

(٥) النجم : ٣٧ .

(٢) الانعام : ٨٧ . وفيه : و هديناهم .

(٤) الاحزاب : ٣٣ .

(٦) الدهر : ٧ .

٦ - يعقوب سأل الذئب هل أكل ولده يوسف فقال : لحوم الأنبياء علينا حرام ، وتكلم الذئب و الثعبان والأسد لعلي .

٧ - يوسف « رب قد آتيتني من الملك ^(١) » و نزل في علي « وأهله » و إذا رأيت ثم رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً ^(٢) » و لما بان لاختوته فضله حسدوه و أظهروا نصحه و في الباطن عادوه ، و قریش سلموا على علي بأمره المؤمنين و في الباطن مقتوه و قيل ليوسف « أيها الصديق ^(٣) » و علي الصديق الأكبر و في يوسف « و لما بلغ أشده آتيناه حكماً و علماً ^(٤) » و علي « أنتمي الأخوة و الخلافة و العلم صغيراً ، و في يوسف « ألا ترون أنني أوف الكيل ^(٥) » و في علي « و يطعمون الطعام على حبه » . « و يوفون بالنذر ^(٦) » .

٨ - موسى أحيى الله بدعائه قوماً في قوله تعالى : « ثم بعثناكم من بعد موتكم ^(٧) » و أحيى لعلي « أهل الكهف » ، و روي أنه أحيى سام بن نوح و أحيى له هجمة الجلندي ملك الحبشة صاحب الفيل الذي قصد به البيت و لها مشهد معروف ببابل . و عدو موسى رماه الله بالبرص و أنس حيث كنتم الشهادة رماه الله بالبرص و نزل جبرائيل بعصى موسى ، و نزل بندي الفقار لعلي . و علا موسى الطور و علا علي النبي و ألقى الله على موسى محبة منه و أوجب محبة علي على الخلق حتى أن محبته حسنة لا يضر معها سيئة و أكرم موسى بالشبرين و علي بالحسين و جر موسى الحجر عن بشر مدين و كان لا يجره إلا أربعون و دحى علي الصخرة عن عين « مرأجوما » عند الدير و قد عجز عنها مائة .

٩ - هارون أول من آمن بموسى و قال له : « اخلقني في قومي ^(٨) » و علي أول من آمن بالنبي و قال له : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى » .

(٢) الدهر : ٢٠ .

(١) يوسف : ١٠١ .

(٤) يوسف : ٢٢ .

(٣) يوسف : ٤٦ .

(٦) الدهر : ٨ و ٦ .

(٥) يوسف : ٥٩ .

(٨) الاعراف : ١٤١ .

(٧) البقرة : ٥٦ .

١٠ - يوشع ردّت له الشمس و ردّت لعلّي مراراً و سيأتي قريباً و قد أسند ابن جبر في نخبه و عليّ بن مجاهد في تاريخه إلى النبيّ قوله لعلّي عند وفاته د أنت منّي بمنزلة يوشع من موسى .

١١ - أيّوب د إنّنا وجدناه صابراً ^(١) ، و في عليّ د و الصابرين في البأساء و الضراء ، و حين البأس ^(٢) .

١٢ - جرجيس صبر في المحن و عذّب بأنواع العذاب و عليّ صبر في الفتن و عذّب بأنواع الحروب .

١٣ - يونس د النقمه الحوت و هو مليم ^(٣) ، و عبداً الله في موضع لم يعبد به بشر و عليّ سلّم عليه الحيتان و جعله الله إمام الانس و الجانّ و ولد في الكعبة دون كلّ إنسان .

١٤ - زكريّا كان لبني إسرائيل واعظاً و لمريم كافلاً و عليّ كان للأمة مفتياً و لفاطمة كافلاً .

١٥ - يحيى د و آتيناها الحكم صبيّاً ، و عليّ أوتي الحكم والوزارة صبيّاً .
١٦ - داود د إنّنا جعلناك خليفة في الأرض ^(٤) ، و قتل داود جالوت ^(٥) ، و كانت له سلسلة الحكومه و آتاه الحكمة و فصل الخطاب و عليّ رابع الخلفاء، آدم و داود و هارون . و قتل عمرأ و مرجبأ و قال النبيّ د أقضاكم عليّ ، و قال الله فيه د ومن عنده علم الكتاب ^(٦) .

١٧ - سليمان طَلَب الملك فأعطى خاتم الملك و عليّ تصدّق بالخاتم فنزلت فيه آية الولاية و قال : ياصفراء و يا بضاء عُرّثي غيري . حملت الريح بساطه و ردّت الشمس له و حملت عليّاً على بساط النبيّ و ردّت الشمس له .

١٨ - صالح سمّاه الله صالحاً و أخرج له ناقة و سمّى عليّاً صالحاً المؤمنين و

• (٢) البقرة : ١٧٦

• (٤) م : ٢٦

• (٦) الرعد : ٤٣

• (١) م : ٤٤

• (٣) الصافات : ١٤٢

• (٥) البقرة : ٢٥١

أخرج له ثمانين ناقة .

١٩ - عيسى نزلت المائدة عليه و نزلت على علي بنقل أهل المذاهب الأربعة فيه وقال في عيسى « ويعلمه الله الكتاب ^(١) » ، وفي علي « ومن عنده علم الكتاب » ، وفي عيسى : « وأحي الموتى بإذن الله ^(٢) » ، وعلي « أحيى سام وأهل الكهف والجمجمة بإذن الله واختلف في عيسى فاليعقوبية : هو الله والنسطورية : هو ابن الله والاسرائيلية : هو ثالث ثلاثة لله واليهود هو كذاب على الله والمحققون هو عبدالله واختلف في علي فالمسلمون : هو عبدالله . والغلاة : هو الله والخوارج : كافر بالله والمخالفون أنه رابع افتراء على الله والمؤمنون المحققون أنه المقدم من الله ولأجل ذلك قال النبي ﷺ إنه أشبه الخلق بعيسى .

٢٠ - محمد خاتم النبيين وسيدهم وعلي خاتم الأوصياء وسيدهم . ركب النبي البراق وركب علي كنف النبي . علامة الرسالة في كنف النبي علامة الشجاعة في ساعدي علي .

تدليل

١- الاسكندر سد الله به علي يأجوج ومأجوج وكان يعرف لغات الخلق وعلي سد الله به كيد الشياطين عن الشيعة وكان يعرف لغات الملائكة والجن والبهائم وجميع الخلق .

٢ - لقمان آتاه الله الحكمة وجعل النبي علياً باب دار الحكمة فاستفاضت منه الحكمة

تدليل آخر

أسند ابن جبر إلى ابن عباس قول النبي ﷺ « من أراد أن ينظر إلى آدم في حلمه وإلى نوح في فهمه وإلى موسى في مناجاته وإلى عيسى في سمته وإلى محمد في تمامه فليتنظر إلى هذا الرجل » فتطاوت الأعناق وإذا هم بعلي عليه السلام . وأسند ابن بطنة في الابانة إلى ابن عباس وروى نحوه أنس أيضاً وقد ذكرناه

في موضع آخر في كتابنا استيناساً وتيمناً .

وفي كتاب العقد عن المغربي أن فلاناً أراد قتل هرمزان فاستسقا فجاءه بقدر من ماء فارتعدت يده به فقيل له في ذلك فقال : خفت أن تقتلني قبل شربه . فقال : لك الأمان حتى تشربه فرمى به فكسره فقال : ما كنت لأشربه أبداً وقد آمنني حتى أشربه فقال : قاتلك الله أخذت أماناً منا ولم نشعر .
وفي رواياتنا : شكى ذلك إلى علي عليه السلام فدعا فصار القدح صحيحاً مملوئاً ماءً .
فأسلم الهرمزان من المعجز .

الفصل الثالث

نذكر فيه طرفاً مما نقل من معاجزه ، مضافاً إلى ما سلف من دلائله ، وهذا باب واسع قد بلغ من الاشتهار ، إلى حدٍّ يمنع مقابلته بالإنكار . لا ينهيأ لمحبيه سببه ، ولا لمبغضه ستره ، من طلب شيئاً [من ذلك] طالبه من مظانّه وفيه كذب اختصّت به . مثل الدلائل لعبدالله بن جعفر الحميري والخرايج لسعيد بن هبة الله الراوندي والواحدة لأبن جمهور العمي والدرجات لسعد بن عبدالله وبصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ، وغير ذلك .

إن قيل : فقد ظهر عن حسين بن منصور الحلاج وغيره من المشايخ أمور خارقة للعادة فلا دلالة في ذلك على الإمامة . قلنا : إن صحّ ذلك فهو من الحيل المشهورة لهم وقد وقفت على كشف أسرارهم والتمويه على أتباعهم والله سبحانه أجلّ من أن يخرق العادة للكذّابين وقد علم أن الحلاج دعا أصحابه إلى أنه المغني^(١) وفي هذا تجسيم الرب تعالى ، والأنبياء والأئمة دعوا إلى التوحيد والعدل وغيرهما فيبينهما فرقان .

إن قيل : فيما تدعونه لعليّ ردّ الشمس ، ولو كان لعلمه غيركم . قلنا دعوى المسلمون للنبيّ شقّ القمر ولو كان لعلمه غيرهم .

إن قيل : لو ظهر المعجز لهم لم يبق فرق بين الأنبياء وبينهم ، فلا يفرق^(٢)

النبي من الإمام . قلنا : الفرق الدعوى فإن الإمام لا يدعى النبوة و قد ظهرت كرامات مريم من غير نبوة ومجيء آصف بعرش بلقيس من غير نبوة و دارت رحا فاطمة و هي نائمة من غير نبوة و قالت لبعلمها إنني أسمع أخباراً و أقايس فأعلمتها عليه فجمع كتاباً منها يتضمن ما يكون من الحوادث وسمّاه مصحف فاطمة من غير نبوة و هذا الطرف نقلته من الخرايج و الجرايح مختصراً لألفاظه و آتياً من ذلك بما يكفي في إثبات تواتره و هو أمور :

الأول : قال له أصحابه : إن موسى و عيسى كانا يريان المعجزات فلو أرينا شيئاً لنطمئن إليه فأراهم ﷺ جنات من جانب و سعيراً من جانب و قال أكثرهم : سحر و ثبت اثنان فأراهم حصي مسجد الكوفة ياقوتاً فكفر أحدهما و بقي الآخر قبيلاً و هو ميثم التمار و قيل عمرو بن الحقيق .

الثاني : اختصم خارجي و امرأة إليه فعلى صوته فقال له ﷺ : أخساً ، فإذا رأسه رأس كلب فقبل له ما يمنعه عن معاوية إذا ؟ فقال : بل عبادة مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم يأمره يعملون . و نحو ذلك روى الأصمغ بن نباته في رجل آخر و نحوه أيضاً فعل بخارجي فدمعت عيناه فرق له فدعا الله تعالى فعاد إلى الإنسانية و تراجعت ثيابه من الهوى و قد كانت طارت عنه .

الثالث : أحيا رجلاً من بني مخزوم صديقاً له فقام و هو يقول : وينه وينه نبياً ، يعني لبيك لبيك سيدنا فقال له ﷺ : ألسنت عربياً قال : بلى ، ولكنني مت على ولاية فلان و فلان فانقلب لسانني إلى لسان أهل النار .

الرابع : قال لرجل قد حمل جريراً : قد حمل هذا إسرائيلياً ، فقال الرجل متى صار الجريري إسرائيلياً فقال ﷺ : إن الرجل يموت في اليوم الخامس فمات فيه ودفن فيه فرفض قبره ﷺ برجله فقام قائلاً : الراد على علي كالراد على الله و رسوله . فقال : عد في قبرك فعاد فانطبق عليه .

الخامس : تكلم في أذن مغن خفيّاً فحفظ لوقته القرآن و كذلك فعل برجل يقال له زاذان .

السادس: تظلم إليه رجل فكتب بظلامته فهاج الناس وقالوا طعن على الشيخين : فوقف رجل فنبه أئمة منهم ومن الثالث فقال عليه السلام : بقرت العلم في غير إبانته لتبقرن بطنك كما بقرته فشق بطنه وحشي حجارة وصلب .

السابع : أئمة يهودي أبابكر ثم عمر و سألهما عن أموال أبيه و قدمات و لم يعلمه بها فأوجع ضرباً فأتى علياً عليه السلام فسلم عليه بأمر المؤمنين فقبل : لم لم تسلم عليهما مثله ؟ فقال : والله ما سميت به حتى وجدته في كتب آبائي في الزوراة ثم سأله عن كنوز أبيه فقال : خذ ألواحاً و صربها إلى وادي برهوت بحضرموت فإذا وصلت [وكان عند القروب] وجدت عند القبور غرابين فاهتف باسم أبيك وقل : أنا رسول وصي محمد فاسئلهما كتب ما يخبرك ، ففعل فوجد كما قال ، فأخبره بموضع المال فرجع فنبشه وأقر منه عيراً و أتى به علياً و أسلم و أقر له بالوصية و الإمرة و الأخوة .

الثامن : خرج يوماً فرأى على الباب أكمة و مقعداً و مكفوفاً و أبرص . فقالوا : جئناك لما بنا فرجع عليه السلام وفتح حقاً و أخرج رقياً أبيض فيه كتاب أبيض فقرأه عليهم فقاموا من غير علة .

التاسع : قدم رجل الكوفة فأفشا فيها أن معاوية قد مات وأنه كان يمتن دفنه فكذب به علي عليه السلام و قال : لن يموت حتى يهلك هذه الأمة و يملك و يفعل و يفعل . فقال قوم : لم قاتلته و أنت تعلم ذلك ؟ فقال عليه السلام للمحنة .

العاشر : قال بذيغار و هو جالس للبيعة : يأتاكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون ، قال ابن عباس فعدهوهم فنقصوا رجلاً فاسترجعت و قلت ما حمل على ما قال ؟ فتكلموا بأويس القرني .

الحادي عشر : لما بلغه صنع بسر ابن أرطاة باليمن دعى عليه بسلب عقله فخلوط فيه و اتخذ له سيفاً من خشب يلعب به حتى مات .

الثاني عشر : دعى علي الغيزار و كان يرفع أخباره إلى معاوية و سأله عن ذلك فأنكر فقال : إن كنت كاذباً فأعني الله بصرك فما دارت الجمعة حتى عني .

الثالث عشر : لما أنكر أنس الشهادة له بغدير خم دعى عليه بالبرص فأبرص

و قال ابن عمر : أشهد بالله لقد رأيتهما بيضاء بين عينيه .

الرابع عشر : أسلم راهب شيخ وحدث أنه رأى طيراً تقيماً ربع إنسان ثم ذهب وجاء ، فتقيماً ربعاً آخر و هكذا إلى الآخر فلماً أكمله جاء ، فأخذ ربعاً وهكذا فلماً خلص أتا ربع و هكذا فلماً كمل سألته من أنت ؟ فقال ابن ملجم . قلت : فما حملت ؟ قال : قتلت عليماً فوكل بي هذا الطير يقتلني ، ثم جاء الطير فأخذ ربعه فسألت من علي ؟ فقبل لي : ابن عم رسول الله ﷺ .

الخامس عشر : دعى لشجرة كمثرى يابسة فاخضرت وحملت لوقتها وأكلوا منها و على رقانة فاخضرت وحملت وأكل محبوه منها وأرادها مبغضوه فلم ينالوها .
السادس عشر : لما رجع من صفين كلم القرات فاضطربت و سمع الناس صوتها بالشهادتين و الإقرار له بالخلافة وفي رواية عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام أنه ضربها بقضيب فانتعجت و سلمت عليه حيثانها و أقرت له بأنه الحجة .

السابع عشر : شكوا إليه في صفين نفاق زاهم واللف لدوابهم فقال عليه السلام : غدا يأتيكم فصعد عليه السلام في الغد على تل فدعا فأقبلت الجمال قطاراً قطاراً فيها جميع ما يحتاجون إليه حتى الخيط و المخيط و انصرفوا ولم يدر أحد أهم من الجن أم من الأنس ؟ .

الثامن عشر : قال ابن عباس : لما فتح النبي ﷺ مكة قال لعلي : كلم الشمس فسلم عليها فردت عليه بالأخوة والوصية وأبلغته من الله التحية وبشرته عنه له و لمحبيه بأعلى منزلة من الله .

التاسع عشر : رأى الحسن البصري ينوضي فقال له : أسبغ وضوءك يا كفتي فقال : كان بالأمس رجال يسبغون الوضوء فقال عليه السلام : إنك لحزين عليهم من ذلك ؟ قال : نعم . قال : فأطال الله حزنك . قال أيوب السجستاني ما رأيت الحسن إلا حزيناً فقلنا له في ذلك فقال : حملت في دعوة الرجل الصالح . وكفتي بالنبطية شيطان سمته أمه بذلك في صغره فلم يعرفه أحد به حتى دعا به علي عليه السلام .

العشرون : كانت أم فروة تعيب على أبي بكر فقتلها مهر و دفنت ، فدعا لها

- عليه السلام فعاثت وولدت لزوجها غلامين وماتت بعد علي عليه السلام بسنة أشهر .
- الحادي والعشرون : حم النبي صلى الله عليه وآله فوضع علي عليه السلام يمينه على صدره وقال :
 اخرجني إني عبد الله ورسوله فخرجت في الحال فبشره النبي صلى الله عليه وآله بطاعة الأوجاع له .
- الثاني والعشرون : دخل علي الصادق عليه السلام رجل من الصين فقال له : تعرفونا بالصين ؟ قال : نعم . قال عليه السلام بم ؟ قال : عندنا وردة نجد مكتوباً على وردها أول النهار لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفي آخره لا إله إلا الله علي خليفة رسول الله .
- الثالث والعشرون : قال الباقر عليه السلام : للإمام عشر دلائل : يولد محتوناً وناطقاً بالشهادتين ، ومكتوب على عضده الأيمن : « و تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، ولا ينامطى ، ولا يقناب ، ولا يحتلم ، ولا ظل له ، ورائحة نجوء كالمسك وتستريح الأرض ، ويختم الحجر ، ويستجاب دعوته .
- الرابع والعشرون : قال له رجل : لا أرى لكم من الدنيا شيئاً فقبض عليه السلام كفاً من حصي مسجد الكوفة فاذا هو جواهر ثم رمى به فعاد حصاً .
- الخامس والعشرون : قال الأصمغ بن نباته : كان إذا وقف بحضرة علي عليه السلام شخص ، يقول : استعد لنفسك فانك تمرض يوم كذا فيكون كما قال .
- السادس والعشرون : بعثت عايشة إليه رجلاً شديد العداوة بكتاب وأوصته أن لا يأكل عنده شيئاً فلما قدم دعى إلى الأكل فأبى فقال عليه السلام قالت لك لا تأكل فان فيه السحر قال : نعم . فرجع إلى محبته وأصيب بصفتين فقالت : ما نبعث إليه أحداً إلا أفسده علينا .
- السابع والعشرون : قام إليه رجل وقال : إني أحيبك قال : صدقت ، فذست الخوارج إليه رجلاً فقال : إني أحيبك فقال عليه السلام كذبت ، ولا تحببني قط و كأنني بك وقد قتلت على ضلالك ، ووطئت دواب العراق وجهك ، فلم يعرفك قومك ، فقتل بالنهروان كما قال عليه السلام .
- الثامن والعشرون : مر عليه السلام بجبل في طريقه إلى صفين فخرج من الجبل هامة بيضاء ولحية ووجه كذلك فسلمت عليه بأمر المؤمنين فقال : وعليك السلام

يا شمعون ، فسأله عنه ممتار ومالك و أبو أيوب الأنصاري و قيس بن سعد ومروبن الحمق و عبادة بن الصامت فقال : هو وصي عيسى عليه السلام .

التاسع والعشرون : اصطاد مروبن حريث ضباً فباعه في البرية بالخلافة فخطب عليه السلام و ذكر ذلك و قال : إنّه سيبعث و إمامه ضبٌ قال ابن نباتة فرأينا مرأاً يذنتض جنباً و نفاقاً .

ثلاثين : إن قيل : لم لا تكون هذه لسبب^(١) اختمن بذلك من تقريب جسم أو مقارنة شيء أو حدوث أمر ، قلنا : لو كان ذلك بسبب لاشتهر كما اشتهر حجر المقناطيس بجذب الحديد ولو كان كذلك لم تنق بشيء أصلاً إذ يجوز حينئذ أن تكون حياة الميت إنما هي بقرب جسم منه أو نحوه و الضرورة ترد ذلك .

قدم إليه حكيم يوناني و قال له : بوجهك صفار و عندي دواؤه و أمّا رقة ساقيك فلاحيلة لي فيها و الرأي عندي أن ترفق بهما فقال عليه السلام هل تعرف شيئاً يزيد في صفاري فدفع إليه حبساً و قال : حبة منه تقتل رجلاً فشرّب منه عليه السلام مثقالين فارتعد الرجل و قال سيقتلونني به فاحمر وجه الامام عليه السلام بذلك و حل أسطوانة بسقفها و غرقتن كانتا عليها فأسلم اليوناني و أقر بوصيته و قال :

إذا ما الكرامات اعنلى قدر ربها * و حل بها أعلى ذرى شرفاته
فان علياً ذا المناقب والنهى * كراماته العليا أقل صفاته

(١) لم لا يجوز أن تكون هذه لاجل سبب . خ .

﴿ الباب السادس ﴾

✽ (في شرايطه) ✽

وفيه مقدمة وفصول منها [خمس] في إثبات عصمته من المعقول ويتلوها أقطاب في إثباتها من المتقول و باقيها في رد الاعتراضات عليها .

مقدمة

لا شك في كون الامامة لطفاً للعلم الضروري بفساد الأنام بفقد الإمام و التجاء الناس إليه في سائر الأيتام فسقط قول بعض الخوارج بسقوطه أصلاً و قول بعضهم والأصم و أتباعه إذا تناصف الناس وقول هشام وأتباعه إذا لم يتناصف الناس . قلنا: لا يحصل التناصف إلى الأبد بدون الإمام لأحد ، و قد ازدوج في وجوبها العقل والسمع واصطحب الرأي والشرع و هذا شيء اعتمله ^(١) الخبراء و نظمه الشعراء قال حكيم العرب الأفوه الأودي :

لا تصلح الناس فوضى لاسراة لهم ✽ ولا سراة إذا جهلهم سادوا
إذا تولت سراة الناس آخرهم ✽ نعى على ذاك أمر الناس فازدادوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ماصلحت ✽ فإن تولت فبالأشرار تنقاد

و قد أسلفنا في باب إثبات الوصي حجج المخالفين وأجبنا عنها بأوضح البراهين والعصمة شرط فيها لما يأتي ، واللفظ واجب على الله من حيث الحكمة ، ومنعه الأشاعرة [لأنهم] قالوا : إن الامامة لطف دنيوي وهو غير واجب على الله تعالى . قلنا : إذا رفعت العصمة عن الأمة علم بالبدية ميلها إلى ترك مشاق التكاليف ، و إلى الراحة والتخفيف ، ومع الإمام يذهب ذلك الإحجام .

وقد جاء القرآن بوجود الإمام في كل زمان « يوم ندعوا كل أناس بإمامهم » . « إنني جاعلك للناس إماماً » . « إنا جعلناك ^(٢) [في الأرض خليفة » . « وإن

(١) اعتمده . خ .

(٢) ما بين العلامتين ساقط من النسختين أضفناه بالقريئة .

من أمة إلا خلافيها نذير . . . و يوم نبعث من كل أمة شهيداً . . . فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد^(١) ، و رتب الله تعالى في كتابه طاعة أولي الأمر على طاعة الرسول ﷺ المرتبة على طاعته تعالى ، و قد قال النبي ﷺ « من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » فكيف يختص لطف الإمام بالأهورالدياوية لولا الأهوية المردية ، فظهر وجوب الإمامة و العصمة ، و هذا مذهب الامامية و الاسماعيلية .

قالت الأشاعرة : فعلى هذا تثبت إمامة المشايخ لحصول اللطف بهم في زمانهم باستظهار الإسلام في أيامهم فإن علياً نقص الإسلام في خلافته ، و الحسن كان اللطف في ترك إمامته و اشتهر الفساد في طلب الحسين و خروجه و الباقر من مهنزون مخنفون إلى من تمتدونه مهدياً لم ينتفع به دنيا و لا ديناً ؟ فعلى تقريركم : العصمة للمشايخ دونهم . قلنا : لانسلم عدم نقص الإسلام في زمانهم لأنكم نقلتم ارتداد سبع فرق في زمان أبي بكرهم : قوم عتبة ، و غطفان ، و بنو سليم ، و بنو يربوع ، و بعض تميم و بني كندة و بنو بكر بن وائل ، و في زمان عمر ارتدت غسان قوم جبلة كما نقله شارح الطوابع عن الزمخشري و غيره . و في زمان عثمان حصل من الفساد ما لا يخفى على إنسان و أيضاً فالارتداد يدل على عصيان الأمة لا على أن الإمام عديم العصمة و إلا لزم أن يكون النبي عديم العصمة لارتداد كثير من المسلمين في عهد سيد المرسلين .

إن قالوا : هذا يتقلب عليكم لأن الارتداد إذا لم يدل على عدم العصمة لم يدل على عدم عصمة الثلاثة . قلنا : إننا ذكرنا ذلك إلزاماً لكم حيث قلتم حصل النظام في زمان الثلاثة ، على أنه يمتنع من كل أحد دعوى عصمة الثلاثة .

و قولهم كان اللطف في ترك إمامة الحسن و عدم خروج الحسين ، قلنا : إننا كان من عصيان الأمة وهلاً قالوا : كان اللطف في ترك السقيفة و ترك الشورى لإمامة عثمان الذي أظهر الأحداث و آوى الأخبات . و أيضاً فلو لزم من عصيان الأمة عند قيام الأمة عدم الإمامة لزم مثله في النبوة فإن العصيان كان عند بعثهم . بل يلزم

(١) أسرى : ٧١ . البقرة : ١٢٤ . ص : ٢٦ . فاطر ٢٤ . النحل ٧٤ . النساء : ٤٠ .

امتناع التكليف إذا كان سبباً لعصيان الخلق ، و انهزام الأئمة واختفاؤهم لا يدل على عدم إمامتهم لتواتر النصوص من الطريقتين فيهم .

على أن ذلك معارض باختفاء الأنبياء من قبلهم ، و قتلهم و هزيمة جدّهم . و خوف المهدي من الظالمين ، يمنعه من الاشتهار كما ألجأ الخوف جدّه إلى الاستتار ، و قد كان ظاهراً لأوليائه ، فلمّا اشتد الأمر استتر عنهم كأعدائه ، و ليس الستر سبباً لنفي ولادته و لطفيته ، كما في عيسى المجمع على حياته ، و قد قيل : إنّه المهدي و الصحيح أنّه وزيره و من خاصته .

و قد ظهر على تقديرنا أنّه لا عصمة للمشايخ ، كيف ذلك ؟ و قد علم منهم الأمام عبادة الأصنام ، و أمّنا بحمد الله لم ينقل أحد من مبغضهم عنهم نوعاً من العصيان على مرور الأزمان ، بل نقلوا فضائلهم و تعبداتهم و أنشأ الخاصّ و العام المدايح و المحامد فيهم قال ابن حنبل شعراً :

قوماً نجوماً في السماء زواهر ✧ في برج ثاني عشر ظلّ قرانها
و منازل القمر المنير عليهم ✧ سعد السعد و عزهم دبرانها
شرفت بوطئهم البلاد و إن علوا ✧ قلل المناير شرّفت عيدانها
سل عنهم الليل البهيم و إنهم ✧ في كلّ ظلمة حندس رهبانها

﴿ الفصل الاول ﴾

✧ (في وجوب عصمة الامام في قضية العقول و يتلوها) ✧

✧ (اقطاب من دلائل المنقول) ✧

الموجب للعصمة جواز الخطأ على الأمة فلو جاز خطأ الامام فان لم يحتاج إلى إمام فترجّح بالمرجح و إن احتاج فإمّا إلى نفسه أو إلى من يعود إليه وهو الدور أو لا يعود و هو التسلسل و قد انعقد الاجماع على أن الامام لا يحتاج إلى إمام فبالأولى أن لا يحتاج في أمور الامامة إلى الرعية فبطلت إمامة من قال : « إذا تعوّجت فقو مؤني » إذ من يحتاج إلى الرعية فهو إلى الامام أحوج ، و لانه حافظ

الشرع ، فلو لا العصمة لجاز الغلط و التبديل المؤذيان إلى التضليل ، و الكتاب لا يحيط بالأحكام ، إذ لا تميز فيه لكثير منها كعدد الركعات ، و مقادير الزكوات . و لأن الكتاب في نفسه لا بد له من حافظ موثوق به ، و بهذا يندفع ما قد تهوّل به من قول أمير المؤمنين في نهج البلاغة : لم يخل الله خلقه من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة لازمة أو حجة قائمة ، فإن ظاهر الترديد الذي فيه منع الخلو يقضي الاكتفاء بالكتاب قلنا : في الكتاب ، الآيات المتشابهات ، و المجملات ، و أوامر خفيات خبط المفسرون فيها ، فاتّباع بعضهم لا ترجيح فيه و الكل غير ممكن لتضادّ القول و توافيه ، فلا بد من معصوم يتعين الرجوع إليه ، و التحويل في ذلك عليه ، و منع الخلو ليس فيه منع الجمع ، بل قد يجب الجمع ، فإن الإنسان لا يخلو من الكون و اللون مع لزوم الجمع فيهما فكذا هنا .

اعترض القاضي بأن القرآن غني عن التأويل إذ بيّنه النبي ، فلاحاجة إلى الامام ، أجاب المرتضى بأن ذلك مكابرة فإن اختلاف اعلما فيه لاختفاء فيه ، ولو قدر أن النبي ﷺ بيّنه فلا بد من الامام لينقل بيانه ، إذ الأمة غير مأمونة على ذلك .

اعترض القاضي بأن الامام لما لم يمكن مشافهته للكل علم أنه لا بد من ناقل إمام متواتر أو غيره و كلاهما لازم بعد موت النبي . أجاب المرتضى بأن الامام حيّ مراعى لبيانه عن التبديل ، و كذا الإمام الآخر بعده ، بخلاف ما بعد الرسول و هو ظاهر معقول ، ولا السّنة . بخروج كثير من الأحكام عن الروايات ولا القياس لبناء الشرع على جمع الممكنات ، وقد أبطله الرازي من أربعين وجهاً ، و الاستحسان و الرأي أيضاً لم يحفظاه إذ فيهما أنواع الضلالات ، و لامجموع الأمة لجواز الخطأ على آحادها فجاز على جميعها ، لأنه يصدق بالضرورة الحسنيّة سلب العصمة من بعض الرعية ، فيكذب نقيضه وهو إثبات العصمة لكل الرعية ، إذ نقيض السالبة الجزئية الموجبة الكلّية .

قالوا : ينقض هذا قول النبي ﷺ و لا تجتمع أمتي على ضلال ، قلنا : هذا

الخبر إن نقله بعض الأمة فلا حجة في نقله وإن نقله كلهم لزم إثبات الشيء بنفسه إذ لا يعلم حينئذ صحة إجماعهم إلا من إجماعهم ، ولو سلم صدوره عن النبي فالوجه فيه أن الإمام المعصوم من جملة الأمة ، فلهذا لا تجتمع على ضلال ، لأنه إن دخل في أقوالهم فالحق في قوله ، فلهذا قال النبي ﷺ علي يدور مع الحق والحق معه ، وإن خرج فلا إجماع .

والعين في تجتمع إن حيزت فلفظ لا نهاية ، فيجوز الاجتماع ، إذ ليس كل منهي عنه في حيز الامتناع ، وإن ضمت العين ، لم يتعين اللفظ لكونها نافية إذ يجوز ورود الخبر ومعناه النهي ، مثل « ومن دخله كان آمناً »^(١) ، أي آمنوه ومثل قول النبي ﷺ « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فأنه خبر يراد به النهي ، إذ قد يلدغ المؤمن من جحر مراراً .

قالوا : لا نافية دخلت على نكرة وهي لفظ ضلال ، فتعم . قلنا : لا ، فإن النكرة لا بد أن تلي حرف النفي مثل : لا رجل في الدار ، وهذا توسطت لفظة « تجتمع » و لفظة « الأمة » فيتعين كون لا للنهي لا للنفي .

إن قالوا : تقديره لا ضلال على أمتي ، قلنا لا حاجة إلى تغيير اللفظ مع إمكان الحمل على النفي ، ومع ذلك فإذا كانت لاناافية داخلية على نكرة وهي للعموم لزم أن يقال بصدق سلب الضلال عن كل الأمة ، فيكذب تقيضه وهو ثبوت الضلال على بعض الأمة ، لكن كذب هذا التقيض باطل اتفاقاً ، فصدق ذلك باطل التزاماً ومع ذلك كله فأكثر الأحكام أم تجتمع عليها الأمة فيجب المعصوم ليحفظها ويتلافى ما يحدث فيها وسيأتي في ذلك دلالات في باب رد الشبهات .

ولأنه إن جازت المعصية عليه ، فإذا وقعت منه فلا بد لحدوها من يستوفيه لعدم سقوط النهي عن المنكر ، والمستوفي له ليس إلا الإمام بإجماع الأمة ، فيحتاج إلى آخر وذلك إما معصوم فالمطلوب ، أو غيره فيتسلسل . وفي هذا نظر إذ هو مبني

على وقوع المعصية ، و الكلام في جوازها و ليس كلُّ جازٍ واقع فجاز أن لا يقع فلا يلزم المحذور المذكور إلا أن يقال : إن من خالط الناس و اطلع على بواطنهم وجدهم لا ينفكون عن فعل قبيح ، و لهذا إن الأئمة المنصوبين من قبل الرعية وقعت منهم الخطيئات ، و سذكر ذلك في باب مفرد من أراداه راجعه .

و لأن فرض وقوع المعصية منه ، يوجب كونه ظالماً ، فلا إمامة له من أحكم الحاكمين ، لقوله تعالى « لا ينال عهدي الظالمين ^(١) » ، و غير المعصوم بالفعل يصدر منه ذنب بالضرورة ، و كل من يصدر منه ذنب ظالم ، فكذلك غير معصوم بالفعل ظالم ، و كل ظالم ليس بإمام للآية .

و في هذا نظر إذ إمكان وقوع المعصية لا يستلزم الظلم ، فلا يستلزم عدم الإمامة و إنما المستلزم له وقوعها لا إمكانه ، و قد تقرّر في المنطق اشتراط فعلية الصغرى في الشكل الأول على الأقوى لأنها لو كانت ممكنة لم يندرج الأصغر في الأوسط المحكوم عليه بالأكبر ، لأن حصول الأوسط للأصغر بالإمكان ، لا يوجب حصول الأكبر للأصغر ، لجواز أن لا يخرج الإمكان إلى الفعل ، إذ ليس كل منكر واقع إلا أن نقول : إننا استقرينا أحوال الناس في هذه المادة ، فوجدنا الإمكان لا ينفك عن الوقوع فجزمنا بصيرورتها فعلية ، أو نقول : الثلاثة عصوا إجماعاً حال كفرهم فظالمون ، فلا ينالهم عهد الإمامة .

إن قيل : الإسلام يجبه فينالهم العهد . قلنا : ولد إبراهيم كان مسلماً ومنعه الله بكفره السابق ، و قد ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام مع عصمته في نهج بلاغته أن من عبد غير الله أو كذب أو همز أو فر من زحف أو ظلم فلا إمامة له ، و هذا الكلام يشمل السابق و اللاحق ثم تلا قوله تعالى « و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ^(٢) » و قد أسند الشيخ أبو جعفر القمي إلى الرضا عليه السلام أن آية « لا ينال

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) الم السجدة : ٢٤ .

عهدي الظالمين ، أبطلت إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وجعلها الله في أهل الصفوة والطهارة ، فقال : دووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة و كلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، ^(١) الآية وقد استوفينا كلام هذين السيدين في باب إبطال الاختيار فليراجع منه .

ففيه ^(٢) : إن قالوا : معصوم اسم مفعول ، فيكون مجبوراً على ترك العصيان في كل آن ، ولا فخر في ذلك على إنسان ، قلنا : العصمة المملوكة من الله إنما هي من الغلط والنسيان وأما العصمة التي لا يقع منها عصيان فهي لطف يفعل الله ، لا يوجب الإجبار ، بل يجامع الاختيار ، والإنسان يعلم أنه يترك ذنباً بحسب اختياره فالمعصوم يترك الجميع كذلك ، إنما للطف من نفسه بزيادة عقله وعلمه ومداومته على التفكير في أموره معاده ، وملازمته على الطاعات بخلاف غيره ، وإما من الله تفضلاً لا يوجب مشاركة غيره فيه ، لكونه زائداً على القدر الواجب عليه ، فلم هذا لا يقال : لو رزق الله تعالى أحداً ذلك لساواه في العصمة ، ويكون اختصاص المعصوم بهذا لعلمه تعالى بقبول المحل له دون غيره ، وفي هذا نظر لأنه يوجب أن لا يجعل الله للكافر لطفاً لعلمه بعدم قبوله إلا أن يقال : الكلام في اللطف المتفضل به ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، أو نقول لا يلزم من وضعه في المحل القابل عدم وضعه في غير القابل ليجتنب به على محله ، فلا يلزم العبث في فعله .

إن قيل : فالمعصوم إن لم تنازعه نفسه إلى المعصية فلا مشقة في تركها ، فأحدنا أعظم أجراً منه ، وإن نازعته لم يؤمن أن يكون طاهراً باطناً . قلنا : بل الشهوة الطبيعية موجودة فيه ، والمراد من الطهارة الباطنة عدم إرادة المعصية لعدم شهوتها وبينهما فرقان ، على أنه لو دلت صيغة « معصوم » على المفعول ، لم يكن الله تعالى موجوداً لأنها صيغة مفعول ، وهو على الله تعالى محال ، وقد جاء مفعول بمعنى فاعل

(١) الانبياء : ٧٣ .

(٢) تذييب ، خ .

في قوله «حجاباً مستوراً» و «رجلاً مسحوراً»^(١) على ما قيل .

قالوا : إذا كان احتياج الناس إلى المعصوم لا جل خطاهم يلزم أن يكون فيهم من ليس بامام ولا مأموم كالامام اللاحق مع أبيه السابق فإنه حينئذ ليس بامام ولا مأموم ، لأنه معصوم . قلنا : نحن لم نقل : إن الامام لا يحتاج إلى إمام آخر يعلمه وينتهي إلى النبي الكفيل ، إلى جبرائيل ، إلى الرب الجليل ، وإنما قلنا : لا يحتاج إلى إمام آخر يزجره عن قبيح أو يأمره بواجب ، لولاها لا قدم و أحجم ، إذ ذلك محال على الإمام ، وكذلك كان حال علي مع النبي ﷺ وكذا حال كل إمام .

إن قيل : فلم لا يجوز انقطاع التسلسل بالقرآن العظيم أو النبي ﷺ ولا حاجة إلى الإمام؟ قلنا : لو كان هذان مساعدين لبعض الأمة كنا مساعدين لكلهما لجواز الخطأ عليهما^(٢) فلا إمام وقد علمت وجوب نصبه عقلاً ونقله كالنبي ﷺ . إن قيل : لم لا يجوز أن يكون مجموع الأمة لطفاً له وهو لطف لآحادها ولا دور لاختلاف جهته . قلنا : لو كان مجموعها لطفاً له لكان لكل فرد لطفاً ، وحينئذ لا حاجة إلى الإمام وفيه نظر إذ المجموع يخالف الأفراد ، ولهذا وقع الفرق بين متواتر الأخبار وآحادها ، أو نقول : مجموع الأمة ليس بمعصوم ، فلا يكون لطفاً لنصب معصوم ، والأصوب أن الأمة لا يمكن اجتماعها على نصبه ، وبعضها غير كاف فيه ولو أمكن ، فمن مشقة و طول زمان ، فيخلو ذلك من المعصوم وقد بينا وجوب نصبه على العموم .

إن قيل : يكفي خمسة منهم كما في بيعة الأول . قلنا : يجوز اختلاف الخمسة ولهذا أمر عمر بقتل أهل الشورى ، على أنه يجوز اتفاق كل خمسة على شخص فيقع التعدد المستلزم للفساد ، وأنه خرق الاجماع بلا نزاع .

(١) أخرى : ٤٥ و ٤٧ .

(٢) كذا . لكنها لجواز الخطأ عليها . ظ .

﴿ الفصل الثاني ﴾

لو جاز منه معصية لانحط عن درجة أقل العاقبة ، فلا يصلح للإمامة ، بيانه أن الصغيرة من الكبير كبيرة ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون^(١) .
 إن قيل : فإذا جازت عصمة وإحذفلم لاتجوز عصمة الكل فإنه إذا كان الفرض من خلقهم إثابتهم ، كان الموجب لذلك خلق العصمة فيهم [ماذا بعصمة واحد] .
 قلنا : إنما خص الله واحداً بالعصمة لأجل استحقاقه لها بكسبه أسبابها ، و باقي الرعية ليس ذلك فيهم ، فلم تكن العصمة لهم . إن قيل : إن خلق الله الأنفس متساوية استحالة اختصاص أحدها بما يوجب العصمة ، لأنه ترجيح بلا مرجح و إن خلقها مختلفة كما في خبر الطين عاد اللوم عليه ، حيث عرّض البعض للمعيان بخلقها من الأصل الخبيث . قلنا : خلقها متساوية ولا يلزم تساوي أفعالها لجواز ترجيح المختار بلا مرجح ، ولولزم من تساوي أفعالها لزم اتحادهما فكانت جميع النفوس تفعل فعلاً واحداً في جميع الأوقات ، إذا كانت الأفعال مستندة إلى طبيعتها لا إلى اختيارها بل النفس الواحدة تفعل الطاعة و المعصية مع الجزم بعدم الاختلاف فيها ، و خبر الطين أحاد لا يعتمد عليه في المسائل العلمية ، ولو كان الخلق من الخبيث يمنع الطاعة لم يؤمن كافر أبداً ، و من الطيب يمنع المعصية ، لم يفسق مؤمن أبداً وهنا أبحاث :

١ - إذا وجب نصب الامام على الله فكل من علم أنه لا يصلح ولا يراعي ما لأجله احتاجت الرعية إليه يقبح نصبه ، فيجب المعصوم المعلوم لله دون غيره إن قيل : لم لا يكون خوفه من العزل يمنعه من المعصية ؟ قلنا : علم بالعادات عجز الرعية عن عزل أحاد الولاء فضلاً ممن تمت ولايته الخاص والأوقات ، و لهذا لم يمنع عثمان خوف العزل عن الأحداث والبدع ، ولم يمنع يزيد الملعون من أنواع الفجور

كضرب الطبول ، و شرب الخمر ، و قتل أولاد البتول ، و نهب مدينة الرسول ، و لأن الرعية تشارك غير المعصوم في المعصية فلا ينهأ فلا تعزله ، و لهذا لما سب عليّ على المنابر لم تعزل الرعية الأمر به ، مع علم كل واحد منهم بقبحه جتّى رفعه مهربن عبد العزيز .

٢ - الإمام المعصوم ممناه إمّا نفوذ حكمه على كل من عدا ، أو عدم نفوذ حكم كل من عدا عليه ، أو هما معاً ، و الكل منقوض بنائبه البعيد ، فأنه لا ينفذ حكم أحدٍ عليه لبعده عن الإمام عنه ، ولا يحكم هو على كل من عدا لخروج الإمام والقطر الآخر منه ، مع أنه لا عصمة له . قلنا : يمنعه خوف عزل الإمام له في مستقبل الأوقات ، على أننا نمنع الحصر إذ الامامة لها الحكم العام فلها العصمة دون النايب وغيره من الأنام .

إن قيل : فخوف العزل من الإمام يتصور في النايب القريب دون البعيد ، لعدم الاطلاع عليه . قلنا : إذا لم يمكن الإمام تدارك خطاه وظلمه ، لا يلزم منه إبطال عصمته إذ لا يلزم عصمة الإمام عرفانه كلما يحدث في الأنام ، ولا اقتداره على إزالة كلما يخالف من الأحكام ، على أنه معارض بالنبي ﷺ .

٣ - لو لم يكن الإمام معصوماً ، فإن كان عامياً لم يجب على المجتهد ولا على عامي آخر طاعته لقبح الأمر من الله بطاعة العامي حيث قال تعالى : « أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم »^(١) ، وإن كان مجتهداً لم يجب على مجتهد آخر اتباعه و يتخير العامي في اتباع المنصوب وغيره ، فلا فائدة في نصبه .

إن قيل : ذلك منقوض بالقاضي المنصوب فأنه لا يجوز للمجتهد ولا للعامي العدول عن حكمه ، قلنا : كلامنا ليس في فصل دعاوي . على أن القاضي إن نصب نفسه فلا ترجيح له على غيره ، و إن نصبه غير المعصوم ، فلا ترجيح لخاصه على غيره و إن نصبه المعصوم ثبت المطلوب .

﴿ الفصل الثالث ﴾

وفيه وجوه :

١ - لو جاز الخطأ على الإمام لزم إفعامه ، لأن الرعية لا تتبعه إلا في ما علمت صوابه ، و هو الحافظ للشرع ، فلا يعلم صوابه إلا منه فيدور .

٢ - كل من حكم بإمامته علم منه تقريب الطاعة ضرورة . ولا شيء من غير المعصوم يعلم منه ذلك ضرورة : فلا شيء ممن يعلم إمامته بغير معصوم ضرورة . فلزم : « كل من علمت إمامته معصوم » إذ السالبة المعدولة تستلزم الموجبة المحصلة مع تحقيق الموضوع .

٣ - غير المعصوم لا يمكن العلم بإمامته ، لجواز معصيته ، و كل من لا يمكن العلم بإمامته لا يقع التكليف باتباعه لعدم إطاقته .

٤ - غير المعصوم إن كفى [في] تقريب نفسه من طاعة ربه ، لم يحتاج إلى إمام مطلقاً ، فاستغنت عنه ^(١) الرعية مع ذلك الفرض إذا . وإن لم يكف في تقريب نفسه كيف يصلح لتقريب غيره .

٥ - الامام يجب أن يخشى منه بالضرورة للأمر بطاعة أولي الأمر ، و لقوله تعالى : « فليخضد الذين يخالفون عن أمره » ^(٢) ولا شيء من غير المعصوم يجب أن يخشى منه لأنه ظالم ، و كل ظالم لا يخشى لقوله تعالى : « إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم » ^(٣) ، فالنتاج : لا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة .

إن قيل : قولكم « لا شيء من غير المعصوم يجب أن يخشى » ليست ضرورية واختلاطها مع غير الضرورية في الشكل الثاني لا ينتج ضرورة قلنا : بل هي الضرورية وبيانها ظاهر على أنه قد ظهر في المنطق إنتاج الضرورية فيه مع غير [ها] ضرورة .

إن قيل : قولكم غير المعصوم ظالم إلى آخره ممكنة ، إذ لا يجب الظلم بل يجوز

(١) يعني عن الامام .

(٢) البقرة : ١٥٠ .

(٣) النور : ٦٣ .

والممكنة لا تنتج في الشكل الأول . قلنا : قد ظهر في المنطق إنتاجها ، قال الشيخ بهال الدين في كتاب الألفين : قد برهنا في المنطق على خطأ المتأخرين فيها .

٦ - امتثال أمر الإمام واجب من باب التقوى ، وليس امتثال غير المعصوم من باب التقوى ، لجواز أمره بالخطأ ممدأ أو خطأ ويصدق عليه اسم ظالم بمعصية واحدة و نقيض الظالم ليس بظالم ، والليس بظالم هو المنقي^(١) ، فهي سالبة كلبية إذ لو كانت جزئية لم يكن قولنا ظالم جزئية ، وقد عرفت أنها جزئية ، ومتى كانت سالبة كلبية صدقت على من لم يعص أبداً ، وهو المعصوم ، فوجب وجوده لقوله : « إن الله يحب^٢ المتقين^(٢) » ، فلم حصول مقتضي و الصارف منقي^٣ ، فيجب الفعل والله المنة .

٧ - انتفاء الامام المعصوم يلزمه كون الحجّة للرعية على الله ، و هو محال لقوله تعالى « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل^(٢) » ، و الامام مساوٍ للرسول في تنفيذ الأحكام ، والتقريب من طاعة الملك العلام ، ففقيه مساوٍ لفقيه ، و لازم أحد المتساويين لازم للآخر ، فانتفاء الامام المعصوم في عصرنا محال ، فوجب وجوده في كل عصر لكنب السالبة الجزئية .

بل نقول : إذا امتنع الخلو من النبي الذي هو لطف خاص^٤ ، امتنع بالأولى الخلو من الامام الذي هو لطف عام^٥ ، و الذي يوضح هذا المراد قوله تعالى « إنما أنت منذر و لكل قوم هاد^(٤) » .

٨ - غير المعصوم لا يستحق النصرة لظلمه : « ما للظالمين من أنصار^(٥) » أي من استحقاق أنصار ، و الامام يستحق النصرة للأمر بطاعة أولي الأمر .

٩ - جاء في القرآن : النفوس ثلاث : الأمانة : و هي الشريرة « إن النفس

(٢) براءة : ٥ و ٨ .

(٤) الرعد : ٨ .

(١) هو التقى . خ .

(٣) النساء : ١٦٤ .

(٥) البقرة : ٢٧٠ .

لأثارة بالسوء ^(١) . و اللّوامة : وهي التي تخلط د عملاً صالحاً وآخر سيئاً ^(٢) ، ولا أقسم بالنفس اللوامة ^(٣) ، والمطمئنة : وهي الخيرة محضاً ، « يا أيُّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ^(٤) » ، و نفس الإمام من هذا القسم خاصة لمنعه النفسين الأخيرتين عن مقتضياتهما ، إذ لو كانت من إحادهما لم تحملها على خلاف شهواتها ، إذ مثل الشيء لا يكون علّة لزواله فتبطل فائدته في بعض الأزمان مع فرض الاحتياج إليه في كلّ أوان .

١٠ - الامام يهديه الله لأن أمره بطاعته دليل هدايته ، و غير المعصوم لا يهديه الله لظلمه ، والله لا يهدي القوم الظالمين ^(٥) ، فالامام ليس غير معصوم .

إن قيل : عندكم أن الله يريد الهداية العامة للكلّ ، فتكذب كباركم قلنا : إنما نفينا الهداية التي هي اللطف الزايد عن القدر الواجب . فلا نسلم أنها عامة . إن قيل : شرط إنتاج الثاني دوام إحدى مقدّمتيه أو كون الكبرى من القضايا الست المنعكسة سلباً ، وهما هنا مطلقتان ، فانتفى الشرط ، قلنا : بل الصغرى ضرورية فحصل الشرط . وأيضاً غير المعصوم ظالم ، و الظالم له بئس المثلوى لقوله تعالى : « و بئس منوى الظالمين ^(٦) » ، فغير المعصوم له بئس المثلوى ، ولا شيء من الإمام له بئس المثلوى فلا شيء من غير المعصوم بإمام و الاعتراض و الجواب كما سلف .

١١ - القوة العقلية ليست غالبية للقوة الشهوية دائماً ، ولا في كلّ الناس و إلّا لم يحتاج إلى إمام دائماً ، لتحقق السبب الصارف ، بل القوة الشهوية غالبية إمّا بالقوة أو بالفعل و الثاني إمّا دائم أو في الجملة ، فصدقت مانعة خلوص في غير المعصوم ، و هي تستلزم وجوب عصمة الإمام إذ نقيض الممكنة إنما هو الضرورية .

١٢ - الإمام لطف كما سلف في ترك المخالفات ، و انتظام أمر المخلوقات

(١) يوسف : ٥٣ .

(٢) برائة : ١٠٣ .

(٣) القيامة : ٢ .

(٤) الفجر : ٢٧ .

(٥) البقرة : ٥ .

(٦) آل عمران : ١٥١ .

وحفظ الأوامر الشرعية ، وإيضاح المجملات ، والكشف عن المشابهات ، فهو ملجأ الرعية في ذلك دون ذوي العقول الناقصات .

اعترض قاضي القضاة بأنَّ المسكِّفين إنَّ علموا بالضرورة كون الإمام حجة وجب الاشتراك فيها ، ولا شك أنَّ بعضهم لا يعلمه ، فانَّ يؤثر هذا البعض فيه ، لزم تجويز أن يعلموا سائر أمور الدين بالضرورة ، ولا يقدح البعض فيه ، فيستغني عن الإمام . وإنَّ علموه بالاستدلال فلا شك أنَّ بعضهم لا يقوم بما كلف من الاستدلال عليه ، فيحتاج إلى إمام آخر يكون لطفاً لهم في فعل الاستدلال ، والكلام فيه كالأول ويتسلسل وحينئذ لا بدَّ أن يقال : يمكنهم معرفة الحجة بغير حجة ، فجاز مثل ذلك في سائر ما كلفوه .

أجاب المرتضى بأنَّنا لم نثبت الحاجة إلى الإمام ليعلمنا ما نجهله فقط ، بل الحاجة إليه مع ذلك في تعليم الواجب ومجانبة القبيح ، فإنَّ العلم به وإن كان ضرورياً ، إلَّا أنَّ فعله متوقع متى عند فقد الإمام ، والعلم بجهته لا يمنع من وقوعه فإنَّ أكثر القبائح والمظالم تقع من العالم بها ، وكون الإمام لطفاً في ارتفاع الظلم لا يلزم منه أن يكون لطفاً في كلِّ تكليف حتَّى في معرفة نفسه .

و أجاب أيضاً بأنَّ معرفة الله و ثوابه و عقابه لطف في التكاليفيات ، و ليست لطفاً في نفسها للزوم الدور ، فإذا جاز الاستغناء عنها في نفسها وهي من جملة التكاليف جاز الاستغناء عنها في غيرها و هو محال .

إن قيل : المعرفة بالله و ثوابه و إن لم تكن لطفاً في نفسها ، فالظنُّ بوجوبها يقوم مقامها ، فلم يفتكَّ المسكِّف من لطف تكليفه بها . قلنا : و ما يمنع من كون اللطف في معرفة الإمام ظنُّ وجوبها ، ولا يجب أن يكون هذا الظنُّ طريقاً إلى سائر التكاليف ، فلا يستغني عن الإمام .

١٣ - جواز خطأ الأمة علّة الحاجة إلى الإمام ، ولو لا كونه علّتها لم يكن عدمه علّة لعدمها ، فكان يجوز مع عدمه ثبوتها إذ لا علّة فيفتكُّ أحدهما عن الآخر . و يلزم منه ثبوت حاجة الأنبياء مع عدم جواز الخطأ عليهم ، فعلة حاجة الأمة و

هو جواز الخطأ إن كانت في الإمام لزم التسلسل ، لا طرأ المعلول مع العلة .
 إن قيل : حاصلكم أن من ثبتت عصمته لا يحتاج إلى إمام فلم لا يكون الله
 علم أنه متى نصب للمعصوم إماماً امتنع من المخالفات أو يكون إلى الامتناع أقرب
 ومتى خلا فلا .

أجاب المرتضى بما حاصله أنه يلزم من ذلك رفع العصمة عن الإمام المفروض
 أولاً و ذلك لا يضرنا لأن اللطف الذي هو الإمام المفروض ثانياً ليوجب عصمة
 الامام هو اللطف المفروض أولاً لعصمة الأمة لأن إمام الامام إمام الأمة .

على أن في الاعتراض تسليم حاجة الرعية إلى الإمام لأن المعصوم إذا احتاج
 إلى الامام فقيره أولى بالحاجة إلى الامام ، وفي الأولى نظر لأن المعارض فرض
 عدم عصمة الامام وأنه يتمتع من المخالفات لإمام آخر فقوله : إذا احتاج المعصوم
 فقيره أولى نوع مصادرة والأسد أن يقال : إذا احتاج الامام المختار للأمة . وإن لم
 يكن معصوماً فالهابط عن منزلته أولى .

تدليـب : قلنا : لو لم يكن جواز الخطأ علة الحاجة لانفكا . قال الرازي :
 لا يلزم من عدم الانفكاك الاحتياج كإضافتي الأبوة والبنوة والمهامة والأخوة إذ لو
 احتاجت إحداهما إلى الأخرى لتقدمت عليها و هو محال ، لأنهما يوجدان معاً
 ولأنه إن احتاجت إحداهما إلى الأخرى دون الأخرى ترجح بلا مرجح وإن دار
 الاحتياج بينهما لزم الدور . قلنا : لا يلزم عن وجودهما معاً عدم احتياج إحداهما [معاً]
 كما في العلة الموجبة ومعلولها فانها تقارنه زماناً وحينئذ فاحتياجه إليها دون العكس
 لا يكون ترجيحاً بلا مرجح .

و في هذا نظر فإن له أن يقول : لا يلزم من وجود متلازمين بينهما علية أن
 لا يوجدان إلا و بينهما علية و قد ذكرنا في الإضافات عدم العلية فليكن من هذا
 القسم الامامة و احتياج الرعية وقد أجابه النصير بجواب ضعفه جمال الدين في ألفيه
 من أراده وقف عليه و اختار أن الإضافات اعتباريات لانحقيق لها خارجاً و إلا لزم
 التسلسل ولا ترد المعارضة بها .

وله أن يقول الاحتياج والامامة من الإضافيات فترد المعارضة بها .

لذلك آخر : لما قلنا : الإمام لا يحتاج إلى إمام . قالوا : فعلي* احتياج إلى النبي ﷺ وكذا الحسنان إلى أبيهما ﷺ . أجاب المرتضى بأننا إنما منعنا حاجة المعصوم إلى الإمام الذي يكون لطفاله في ترك الحرام ولا يلزم منه غناؤه عن إمام يعلمه الأحكام ، ويرشده لمصالح الأنام .

١٤ - الإمام متبوع فيما يفعل ويأمر ، و غير المعصوم غير متبوع فيهما ، لأنه لا يؤمن من الارتداد وغيره . الأمر به ، ولا يجوز تكليف الرعية اتباع من يجوز معه هلاكها . ويستقر ذلك بالميزان فنقول : كل إمام يجب اتباعه دائماً ولا شيء من غير المعصوم يجب اتباعه في الجملة - فلا شيء من الإمام بغير معصوم دائماً ، وينعكس إلى : لا شيء من غير المعصوم بامام .

اعترض القاضي بأن الواجب اتباعه فيما علم من الشرع حسنه لا مطلقاً . قلنا : لو لم يجب إلا فيما علم منه حسنه لزم الدور ، ولزم كونه إماماً في بعض الدّين لا كله وهو محال ، قال : لم لا يجوز اتباعه فيما لا يعلم قبجه كالعبد الذي يطيع مولاه فيما لا يعلم قبجه ؟ قلنا : المفسدة لزمّت من عدم أمن المكلف وهو حاصل فيما لا يعلم قبجه ، و العبد المأمور إن لم يتمكن من العلم بالقبح فلا قبح عليه ، وإن تمكن لزمه القبح قبل العلم بوجه الفعل ، و الفرض في الرعية تمكّنها من العلم بوجه الفعل المأمور به من الإمام .

قال : يكفي حسن الظاهر كما في إمام الصلاة فانه يتّبع مع تجويز كون صلاته قبيحة في نفس الأمر . قلنا : الصلاة لم يوجد فيها معنى الافتداء الحقيقي* ، ولو سلم فهي من التكاليف المنوطة بالظن* بخلاف الإمامة .

قال : فالنواب متبوعون فيما لا يعلم القبح فيه مع عدم عصمتهم فكذلك الإمام قلنا : النائب عليه معصوم لا يساعده ويخاف عاقبته ، وخطاؤه ينجبر بنظر الإمام بخلاف من لا ولاية عليه ، ولأن ولاية النايب خاصة لا يلزم مهوم فسادها بخلاف الإمامة العامة .

﴿ الفصل الرابع ﴾

وفيه وجوه :

١ - الإمام لا يصح كونه مفضولاً لقبح تقديمه على الفاضل ، ولا مساوياً لامتناع الترجيح بلا مرجح فهو أفضل ، فهو معصوم ، إذ لو عصى في حال فان عصى فيه كل واحد من الأمة اجتمعت على الخطاء وإن بقي واحد منها فهو أفضل من الإمام في تلك الحالة فله الاستحقاق ، ويخرج الأول ، فلا تستقر الإمامة لواحد وهو باطل .

٢ - وقوع الخطأ مع عدم الإمام ممكن ، فلو أمكن مع وجوده لزوم العبث في نصبه ، فإن ترجيح وقوعه مع الإمام أو وجب لزمته المفسدة في نصبه ، وإن ترجح عدمه مع الإمام فإن انتهى الرجحان إلى الوجوب فالمطلوب وإن لم ينته فلتفرض وقوعه في وقت وعدمه في آخر فترجح أحدهما بأحدهما إما لا لمرجح وهو محال أوله فإن أمكن معه الطرف الآخر عاد الكلام وإلا لزم الوجوب .

إن قيل : فهذا لازم في باقي الأمة مع عدم انتصافها بالعصمة ، فإن الخطأ من كل فرد إن وجب وقوعه لزمته المفسدة في خلقه ، وإن ترجح عدمه ولم ينته إلى الوجوب لزم ما ذكرتم ، وإن انتهى إلى الوجوب لزمته العصمة وهو المطلوب . قلنا : الوجوب هنا بحسب المحمول وهو لا يتنافى الامكان والإمام وإن كان الوجوب أيضاً في حقه بحسب المحمول إلا أن له من الأنطاف الزائدة على الوجوب ما يمنع الوقوع .

٣ - الإمام يجب طاعته بالضرورة مادام إماماً وإلا لزم العبث في نصبه ، حيث يجبر الله الخلق في اتباعه ، وغير المعصوم لا يجب طاعته بالامكان حين هو إمام لجواز عصيانه ، فلا تجتمع الإمامة وجواز المعصية ، لتناقض الحيثية الممكنة والمشروطة العامة .

٤ - يجب طاعة الامام وإن لم يكن معصوماً لأنه بغير وجوب طاعته ينتقض الفرض من نصبه فيصدق : كلُّ ما لم يكن الامام معصوماً وجبت طاعته ، و ينعكس إلى : كلُّ ما لم تجب طاعة الامام كان الامام معصوماً . و تنعكس هذه إلى قولنا : قد يكون إذا كان الامام معصوماً لم تجب طاعته وهذا محال إذ وجوب طاعة غير المعصوم توجب طاعة المعصوم بطريق أولى فيصدق دائماً [إمّا] أن يكون الامام معصوماً أو لا تجب طاعته مانعة جمع ، و يلزمه : كلُّ ما كان الامام معصوماً وجبت طاعته و هو نقيض قديكون إذا كان الامام معصوماً لم تجب طاعته .

٥ - إجماع الأمة حق و الامام سيدها فلا ينعقد بدونه إجماع لوجوب اتباعه عليها ، فقله و فعله بمنزلة قولها ، فان كانت معصومة فهو أولى بالعصمة منها ، و لأنه إمّا واجب الخطأ فحاله أسوء من حالها أو جائزه فلا رجحان له عليها ، أو ممتنعه و هو العصمة المدعى حصولها .

٦ - كلُّ ما لم تكن العصمة ثابتة في الامام ، أمكن انتفاء وجه وجوب الامام و كلُّ ما أمكن نفي وجه وجوبه أمكن نفي وجوبه لكن نفي وجوبه محال . فنفي وجه وجوبه محال فنفي العصمة عنه محال .

٧ - الإمام يقرَّب من الطاعة و يبعد من المعصية ، و غير المعصوم يمكن فيه عكس ذلك ، فلا يصدر من الحكيم ، ولا من إجماع الأمة لأنه ضلال .

٨ - غير المعصوم في اتباعه ظنُّ الضرر ، لقلبة الشهوة عليه ، فيجوز أن يدعو إلى مقتضاها ، و في ترك اتباعه ظنُّ الضرر لأنه نصب للارشاد ، فيلزم جمع النقيضين أو الخلو عنهما .

٩ - كلُّ ما كان نصب الامام واجباً ، كان عدمه أشدَّ محذوراً من وجوده بالضرورة ، لأنَّ فيه إخلال اللطف ، و ينعكس إلى : كلُّ ما كان عدمه أشدَّ محذوراً كان وجوده واجباً ، و كلُّ ما لم يكن معصوماً كان وجوده أشدَّ محذوراً من عدمه بالامكان لجواز أمره بالعصيان ، و كلُّ ما كان وجوده أشدَّ محذوراً كان عدمه واجباً لأنه يكون لطفاً .

١٠ - لاشي، من الإمام نصبه عبث بالضرورة ، لامتناع العبث عليه تعالى ، و على الاجماع ، و غير المعصوم نصبه عبث بالامكان إذ يمكن تقريبه من المعصية ، فلا يحصل الغرض منه ، فيكون عبثاً ، فالنتائج : لاشي من الإمام بغير معصوم بالضرورة لأن اختلاط الضرورية والممكنة في الشكل الثاني نتيجته ضرورية لثبوت الضرورة للصغرى بالضرورة ، و سلبها عن الأخرى بالضرورة ، و يلزم النتيجة : كل إمام معصوم . لاستلزام السالبة المعدولة المحمول للموجبة المحصلة المحمول مع وجود الموضوع ، و الوجود هنا حاصل للموضوع .

١١ - لاشي، من الامام آمر بمعصية بالضرورة ، و كل غير معصوم آمر بها بالإمكان ، فلاشي، من الإمام بغير معصوم بالضرورة .
١٢ - يمنع جعل سبب أحد الضدين سبباً للآخر ، و ناسب غير المعصوم جعله سبباً للأمر بالطاعة و المعصية .

إن قيل : المعصية ممكنة ولا يلزم من إمكانها وقوعها . قلنا : إمكان اللازم لازم لإمكان الملزوم ، و في هذا نظر إذ لا يلزم من تلازم الامكانين الوقوع ، لامكان وقوع القبايح من الاله بالنظر إلى القدرة ، ويلزمه إمكان خروجه عن الحكمة ، ولم يقعا . والأشد أن إمكان وقوع المعصية من الامام يلزمه عدم الوثوق ، فيلزمه عدم الانقياد ، فيلزم عدم الفائدة فيه .

١٣ - الامامة زيادة تكليف للإمام ، ففي كونه غير معصوم زيادة حاجة على الرعية إلى الإمام .

١٤ - تحصيل الإصابة في أوامر الله و نواهيه مطلوب ضروري ، فلو جعل غير المعصوم طريقاً إليه ، لاستنتجت الضروريات من الممكنات في البرهان و هو محال لما ثبت في الميزان ، و بيان أن الإصابة في ما ذكرناه مطلوب ضروري أن الاستقراء و التمثيل ليسا دليلين فيه ، ولا الخطابة لاختصاصها بالعوام ، ولا الجدل لأنه لا طريق بعده ، ولا المغالطة وهو ظاهر ، فتعين أن يكون برهاناً و هو الامام فيكون معصوماً .

﴿ الفصل الخامس ﴾

و فيه وجوه :

١ - الإمام إن لم يكن لطفاً لم يجب نصبه ، و هو محال . و إن كان لطفاً لنا خاصةً أوله خاصةً و هو أيضاً محال و إلا لكان تكليفنا بطاعته و تكليفه بالقيام بإمامتنا تكليفاً للغير للطف الغير ، فتعين كونه لنا وله ، فنحن نتمكن من طاعته و هو يتمكن من حملنا على التكليف بحيث لا إخلال و هو يوجب عصمته .

٢ - قد ظهر في علم الكلام أنه يقبح جعل لطف شخص من أفعال الآخر و هو يضره لأنه ظلم و الإمام غير المعصوم نكليفه بالإمامة لطف لنا و هي تضره لأن قيامه بها يمنع من إمام آخر يكون لطفاً له ، فإن كان له إمام آخر تسلسل ، و إن لم يكن خلا بعض المكلفين عن اللطف ، و لزم الترجيح بلا مرجح .

٣ - إماماً كل واحد من الناس معصوم ، أولاً شيء منهم بمعصوم ، وهما باطلان بالضرورة لقوله تعالى : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الفاوين ^(١) » فتعينت عصمة البعض ، فهو إماماً غير الإمام و هو محال لقوله تعالى : « أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع ^(٢) » الآية و لأن الاحتياج إلى عصمة الإمام أكثر لتأثيرها فيه و في غيره بخلاف عصمة غيره ، فبقي أن يكون المعصوم هو الإمام وحده ، أو هو مع غيره و فيهما المطلوب من عصمته .

٤ - عدالة المكلف و قيامه بالواجبات معلول لعدالة الإمام كذلك ، فتجب عدالته في كل وقت وهي العصمة ، إن قيل : لم لا يجوز أن يكون عدالة الإمام علة معدة فلا يجب حصولها ، قلنا : العلة المعدة إماماً معدة لوجود معلولها كأجزاء الحركة وهذه لا بد من وجودها ، أو معدة لعدمه ، فعدالة الإمام يمنع كونها معدة

(١) الحجر : ٤٢ .

(٢) يونس : ٣٥ .

لعدم عدالة الرعيّة ، لمنافاة عدمها اللطف .

٥ - قول الامام و فعله دليل ، و كل دليل يمنع معه نقيض المدلول ، و إلا لم يكن دليلاً ، فقول الامام و فعله يمنع نقيضه و ذلك هو العصمة .

٦ - وجه الحاجة إلى الامام جواز خطاء الرعيّة ، فلو جاز خطاؤه جاز إلزامه للمكلف بالخطا ، فيكون قد أگدوجه الحاجة ، فلا يمكن نصبه لدفع الحاجة ، بل و نقول في نصبه مفسدة ، لأن غير الامام لا يمكنه الإلزام بالخطا ، و الامام غير المعصوم يمكنه الإلزام بالخطا ، فيقع و يكثر ، فقد حارب معاوية عليّاً و أمر بسبّه فسب دهرأ و أمر بإخفاء فضائله بالأقطار ، و نهى الناقلين عن إيراد ما فيها من الأخبار و تظاهر ابنه يزيد الملعون المشبور ، بشرب الخمر ، و أفعال الفجور ، و خراب البيت المعمور ، و نهب مدينة الرسول ، و قتل الحسين ابن البتول ، و أولاده و إشهار كريمه و كريماته في بلاد و أجناده .

تذنيب : خطأ المكلف على غيره أشد في المفسدة من خطاءه على نفسه ، و الامام غير المعصوم خطاؤه على غيره و نفسه ، فتركه بغير إمام أشد محذوراً من ترك الرعيّة ، و لا يليق من الحكيم تعالى النظر المرحوح و إهمال الراجح .

٧ - قد بينّا وجوب نصب الامام و وجوب اتباعه ، و الواجب لا بد من اختصاصه بصفة تزيد على حسنه ، لامتناع الترجيح بلا مرجح ، و تلك الصفة هي كون أفعاله و أقواله صواباً دائماً ، و ذلك مسبب عن العصمة .

٨ - علي أفضل من الملائكة ، لدخوله في آية الاصطفاء ، و الملائكة معصومون لقوله تعالى : « لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون »^(١) .

إن قيل : هذه لا تغيب العموم . قلنا : يصح إخراج أي فرد كان وهو مسبار العموم ، و لقوله تعالى « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » . و يستحقون الليل و النهار لا يفترون^(٢) ، و لأنهم لو كانوا عصاة لما حسن منهم

(١) التحريم : ٦ .

(٢) الانبياء : ٢٧ ، ٢٠ .

الطعن على البشر بالمعصية ، و متى كان علي* أفضل من المعصوم فهو معصوم ، و لأنه مساو للنبي* بآية المباهلة ، و النبي* أفضل من آدم و هو ظاهر ، و آدم أفضل من الملائكة بسجودهم له ، و لا يحسن أمر العالي بالسجود للسافل ، و لأن النبي* قال : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » و الامام أولى بذلك ، لأنه أفضل العلماء و الأنبياء أفضل من الملائكة ، و الملائكة معصومون و المساوي للأفضل أفضل ، و إذا ثبتت عصمتهم فمطلق الامام معصوم ، لعدم القائل بالفرق .

٩ - نصب الحدود واجب لدفع المعاصي إجماعاً ، و لا يقيهما إلا الامام اتفاقاً فهو معصوم التزاماً ، لأن غيره يجوز تركها منه ، فيكون ذلك تناقضاً ، و لهدارفع صر الحد عن المغيرة بن شعبة بحكم الهوا ، و كان كلماً لقيه يقول : قد خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء .

١٠ - الرئاسة العامة لغير المعصوم دفعها واجب ، لوجود الخوف فيها لتجويز خطاها ، و لا شيء من الامام دفع رئاسته واجب ، فلا شيء من غير المعصوم بإمام .

١١ - غير المعصوم مانع من أطفاف الامام بالامكان ، و لا شيء من الامام بمانع من أطفاف الامام بالضرورة ، لأنه نصب لها فلا يكون مانعاً منها ، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة ، لما بينا في المنطق أن نتيجة هذا الضرب ضرورية و لئن سلمنا سلب ضرورتها فهي دائمة ، و في دوامها يتم المراد و يسقط الايراد .

١٢ - كل إمام مصلح بالضرورة ، و لا شيء من غير المعصوم بمصلح بالامكان فلا شيء من الإمام بغير معصوم .

١٣ - غير المعصوم غاو بالامكان ، و لا شيء من المعصوم بفاو بالضرورة ، لأنه لدفع النفي* فلا يتصف بالنفي* فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة .

١٤ - عدم المعصوم يلزمه المحال ، و هو صدور الذنب المسبب عن إضلال الله عند الخصم ، و من يضل الله فماله من هاد^(١) ، و هذا سالبة كلية صادقة ، فلو

هداه الله في وقت لصدق تقيضها وهو الموحبة الجزئية وهو محال ، لامتناع صدق النقيضين حينئذ لا يهتدى بالنبى ولا بالامام ، فلا فائدة في البعثة .

١٥ - لا شيء من الامام يباح الاعتداء عليه ، بالضرورة . و كل غير معصوم بالفعل يباح الاعتداء عليه في الجملة ، لأنه ظالم في الجملة ، فيدخل في قوله ، فلا عدوان إلا على الظالمين ^(١) ، ينتج : دائماً لا شيء من الامام بغير معصوم بالفعل .

١٦ - كل غير معصوم يركسه الله بما كسب بالامكان ، ولا شيء من الامام يركسه الله بما كسب بالضرورة ، فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة ، أو بالدوام .

١٧ - كل من ليس بمعصوم يمكن كونه ظالماً ، ولا شيء من الامام بظالم بالضرورة ، فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة .

﴿ الفصل السادس ﴾

وفيه أمور :

١ - غير المعصوم يمكن أن يتبرأ منه من تبعه ، لقوله تعالى : «إذ تبرأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا ^(٢)» الآية ولا شيء من الامام المنسوب من الله يتبرأ منه بالضرورة ، فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة على قول ، و بالدوام على قول والمطلق حاصل في القولين .

٢ - غير المعصوم يمكن أن يكون من أهل النار ، فيمكن أن يدعو إلى النار ولا شيء من الامام بالضرورة من أهل النار [ولا يدعو إلى النار] ، فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة أو بالدوام .

٣ - غير المعصوم مفسد لنفسه و لمُتَّبِعِهِ بالامكان ، ولا شيء من الامام كذلك بالضرورة ، فغير المعصوم ليس بامام .

٤ - غير المعصوم كاذب بالامكان فيدخل في قوله تعالى « فنجعل لعنة الله على الكاذبين »^(١) ، ولا شيء من الامام بكاذب بالضرورة ، فلا شيء من غير المعصوم بامام .
 ٥ - لا شيء من غير المعصوم قوله وفعله بمجرده حجة بالامكان ، لعدم كونه معلوماً ، فلا يجب اتباعه ، و كل إمام قوله وفعله بمجرده حجة بالضرورة فيجب اتباعه ، فلا شيء من غير المعصوم بامام بالضرورة أو بالدوام .
 ٦ - مخالف غير المعصوم له على الله حجة لو آخذه لأنه معذور لعدم عصمته وجواز خطائه ، ولا شيء من مخالف الامام كذلك ، فلا شيء من غير المعصوم بامام .
 ٧ - الامام المعصوم متق و كل متق الله معه ، لقوله تعالى : « والله مع المتقين »^(٢) ، فالمعصوم الله معه بالضرورة ، ولا شيء من غير المعصوم الله معه بالامكان فلا شيء من الامام بغير معصوم .

إن قيل : قد أخبر الله تعالى أنه مع كل أحد بقوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة »^(٣) ، الآية . قلنا : هذه المعية بمعنى العلم لهم ، والاحاطة بهم ، والمعية مع المتقين بمعنى المعونة ، وزيادة الألفاظ والهداية ، وترجيح العناية ، والحث على المناعبة ، وإلا لم يكن في القيد بالتقوى فائدة ، وقد ذهب جماعة من الأصوليين إلى أن التخصيص بالوصف ، يقضي التخصيص بالحكم ، فلو كانت المعية الأولى هي الثانية تناقضا .

إن قيل : لا تناقض لدخول المتقين في كل أحد والجزء لا يناقض الكل . قلنا : كلامنا على اقتضاء التخصيص بالحكم ، وظاهر فيه التناقض ، وأيضاً على التداخل يلزم التأكيد فيه ، والتأسيس مقدّم عليه .

انتهت هذه الفصول الموجبة للعصمة من المعقول ، و يتلوها أقطاب في شيء من المنقول ، بالنور المنزل على الرسول ، وهو الكتاب المجيد ، والركن الشديد الوتيد

(١) آل عمران : ٦١ .

(٢) البقرة : ١٩٤ و براءة ٣٧ و ١٢٤ و لفظ الآية « و اعلموا ان الله مع

(٣) المجادلة : ٧ .

المتقين .

الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ مُهِيمٍ .

القطب الاول

وفيه الآيات المتضمنة للرحمة مثل : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أُوَلِّيكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحمةٌ . إِنَّ رَحمةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . كَذَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحمةُ ^(١)» و نحو ذلك كثير مما فيه نسبة الرحمة إلى الله سبحانه كثير ، يستغنى بالإشارة إلى مجمله ، عن التويل بمفصله ، إذ لو سبرنا باقي أفرادها خرجنا عن قيد الوجيز بإيرادها يجدها في الكتاب العزيز من أرادها . ووجه الاستدلال بها أن الرحمة إنما يكون ثبوتها بفعل مأمورات التكليف وترك منهياتها ، وإنما يكون ذلك بالألطف المقرّبة إليها ، المصروفة للقوى الشهوية والغضبية عنها ، ولأهم في ذلك من المعصوم في كل زمان ، إذ منه تستفاد علوم أحكام السنة والكتاب لكل إنسان ، فترك نصبه يعود بالتعطيل على الأحكام ، العائد على نفي الرحمة عن الحكيم العالم ، فلا يكون لآيات الرحمة معنى معقولاً ، وهو تناقض لا يصدر إلاّ بآتمن كان غيباً جهولاً .

القطب الثاني

في الآيات المتضمنة للتقوى : «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى . هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَنْتَقِبِلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ . وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ^(٢)» و نحو ذلك مما يقرب إليه ويعوّل في هذا المعنى عليه .

وجه الاستدلال بهذه الآيات أن التقوى المحنوث عليها ، المرغّب فيها إنما تحصل بامتنال الأوامر وإعمال الزواجر فإن لم يكن للمكلف طريق يؤدي إلى العلم بذلك على الإطلاق ، لزم التكليف بما لا يطاق ، فإن كان الطريق إلى الظن مؤدياً ، فإن الظن لا يفني من الحق شيئاً ، وغير المعصوم لا يجب التمويل

(١) البقرة : ١٥٧ . الامراء : ٥٥ . يوسف : ٩٨ . الانعام : ٥٤ .

(٢) البقرة : ١٩٧ . البقرة : ١٩٧ . البقرة : ١٩٧ . القتال : ١٧ . الطور : ١٧ .

عليه ، لامكان نسبة المعصية إليه ، فلا يحصل الوثوق بالوصول إلى التقوى ، بل قد يجذب إلى ضدها فتعم به البلوى ، فيجب وجود المعصوم ليفيد العلوم بأحكام الحي القيوم .

إن قيل : آيات التقوى مهمة وهي غير عامة ، فنصدق بمفرد ، فلا يفيد مطلوبكم . قلنا : بل الوقاية فرط الصيانة ، يقال : وقاه فأتقى ، فلا يتم إلا باجتناب الكبائر والصغائر ، قال الله تعالى : « وَأَنذَرْتُكُمْ فَاتَّقُوا » (١) والمراد بها فعل كل الطاعات ، وترك جميع المعصيات . وقال النبي ﷺ « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به البأس » .

الفصل الثالث

في الآيات التي فيها طلب الهداية ، مثل : « اهدنا الصراط المستقيم » (٢) ، و التي فيها نسبة الهداية إلى الرب الكريم مثل « فهديناهم » و الله يهدي من يشاء . سيهديهم و يصلح بالهم . و هديناه النجدين . و من يهد الله فماله من مضل . ولكن الله يهدي من يشاء . هذا هدى . [هدى] للمتقين « (٣) ونحو ذلك يستغنى بتقليله عن كثيره ، و يشار بنزيره إلى غزيره .

و وجه الاستدلال أن الهداية جميعها غير معلومة بالعقول ، فإن غالبها إنما يستفاد من المنقول ، فإن فوض النقل و البيان إلى جازي الخطاء ، ولا شك في اختلاف المفسرين و الرواة ، فإن سمع المكلف من الجميع ، وقع في الأمر الشنيع ، ولا ترجيح لبعض لارتفاع العصمة عن كل ، فالمرشد على اليقين إلى معرفة الهداية هو المعصوم عن الغواية ، فإن لم يجب وجوده كلفنا بالاسيول إليه ، و طلبنا الصواب ممن لا يعول عليه ، و لهذا لما تغلب على هذه المنزلة من جهل الفتوى ، خبط في دين الله خبط عشوى .

(١) المؤمنون : ٥٢ .

(٢) الفاتحة : ٥ .

(٣) فصلت : ١٧ . النور : ٤٦ . القتال : ٥ . البلد : ١٠ . الزمر : ٣٧ . القصص :

٥٦ . البقرة : ١٠ . البقرة : ١ .

القطب الرابع

في الآيات المتضمنة للخوف ونحوه : « مثل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ما على المحسنين من سبيل . إنما يخشى الله من عباده العلماء . فلا تخشوهم و اخشون . ما لكم لا ترجون لله وقاراً . يعذب من يشاء . ما أوهام جهنم ^(١) » و غير ذلك من الآيات المشتملة على الوعيد بالمخالفة .

وجه الاستدلال أن خروج المكلف عن خوف الوعيد ، و السقوط في العذاب الشديد ، إنما يكون باختياره ما يوجب ذلك ، و هو غير عالم بما يوجهه أو يسلبه من تلقاء نفسه ، ولا ممن يحكم في عقله بجواز معصيته ، فلا ملجأ له في زوال الهم الفادح ، إلا بهداية من لا يفعل ولا يأمر إلا بصالح ، و ذلك هو الامام المعصوم ، الذي لا يصدق عليه اسم الظلوم .

القطب الخامس

الآيات الناطقة بما يوجب الهلاك ، مثل : « ولا تعبدوا إن الله لا يحب المعتدين . ولا تخونوا أماناتكم . ولا تفسدوا . فلا تولوهم الأدبار . ولا تكونوا كالذين آذوا موسى . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ^(٢) » إلى غير ذلك مما لا يخفى حقيقته ولا يعفى طريقه ، فنقول :

الكتاب و السنة مجملان في هذه وغيرها ، فلا بد من طريق إلى معرفة المراد يقيناً منها ، و مهندس الأمة غايتهم الظن و التبعض ، ولا يصلون إلا في قليل إلى العلم القطعي المانع من النقيض ، فلا بد من معصوم يجزم العبد بصوابه ، فلا يخشى

(١) البقرة : ٦٢ . براءة : ٩٢ . فاطر : ٢٨ . البقرة : ١٥٠ . نوح : ١٣ . البقرة : ٢٨٤ . آل عمران : ١٩٧ .

(٢) البقرة : ١٩٠ . « لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم » : الانفال : ٢٧ . البقرة : ١١ . الانفال : ١٥ . الاحزاب : ٦٩ . الانعام : ١٥١ . البقرة : ١٨٨ . الانعام : ١٥٢ . البقرة : ١٩٥ .

بالتأباعه من غضب الله و عقابه ، و النبي غير دائم الوجود ، فلا بد من نايب يقوم بمقامه ، و يودي إلى أمتة تفاصيل أحكامه ، لئلا يدرس طريق نجاتهم فتكون الحجّة لهم على إبادتهم ، حيث لم يستمر لهم منه نصب السبيل ، و ينتقض قوله « لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل »^(١).

إن قلت : هذا يفهم كون الامام رسولاً . قلت : لا ، بل هو تكميل لدينه ، و نايب في رعيته بعد حينه ، ولا خفاء أن الله لا يخل أمة من الخلفاء ، و إن من أمة إلا خلا فيها نذير^(٢) .

القطب السادس

الآيات المنضمنة للاستمرار على الحق اليقين : « ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . لئن أشركت ليجبطن^١ عملك . يا أيها الذين آمنوا . آمنوا بما نزل على محمد . اصبروا و صابروا . وافعلوا الخير . والله يحب الصابرين . الذين يوفون بعدد الله ولا ينقضون الميثاق . لئن شكرتم لأزيدنكم و لئن كفرتم إن عذابي لشديد . إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا »^(٣) .

فالدوام على ذلك و شبهه فيما لم تقض الضرورة به ، و لم تهتد العقول إلى كسبه ، إنما يحصل من النبي ﷺ ، ومع فقدّه فمن الامام ، و غير المعصوم يشارك في الحاجة إلى الاستغاثة بمن جعل الرب الحكيم عنده ، و منه الافادة ، و قد نص الله في كتابه المبين على اصطفاة قوم معينين في قوله : « إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين »^(٤) . و إنما يحسن ذلك من الحكيم مع عصمتهم من أوّل خلقهم إلى آخر عمرهم ، فان كان المراد الأنبياء و الأئمة فالملطوب

(١) النساء : ١٦٤ .

(٢) فاطر : ٢٤ .

(٣) آل عمران : ٨ . الزمر : ٦٥ . النساء : ١٣٥ . القتال : ٢ . آل عمران : ٢٠٠ .

الحج : ٧٧ . آل عمران : ١٤٦ . الرعد : ٢٢ . إبراهيم : ٧ . الحجرات : ١٥ .

(٤) آل عمران : ٣٣ .

فيدخل فيه علي^١ و فاطمة و باقي الأئمة ، لأن^٢ الجمع المضاف للمعوم ، وإن أريد الأنبياء حصل المطلوب أيضاً ، لأن^٣ كل^٤ من قال بعصمتهم قال بعصمة الأئمة ، و من منع عصمة الأئمة لم يقل بعصمتهم ، فالفرق إحداث قول ثالث .

اللقب السابع

الآيات التي فيها البحث على عمل الصالحات مثل : « افعلوا الخير » ^(١) ومن يفعل خيراً يجزبه . « ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ^(٢) ، والآيات التي فيها الزجر عن المعصيات « من يعمل سوءً يجزبه . من كسب سيئةً و أحاطت به خطيئته . كلُّ امرئ بما كسب رهين . فمن افترى على الله الكذب . اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر و عصيتم ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا » ^(٣) فهذه الآيات و نحوها لا يوصل إلى حقائقها إلا بالمعصوم ، إذا الكتاب والسنة مشتملان على المجملات و المتشابهات ، و تقويض استخراج ذلك إلى الاجتهاد المختلف باختلاف الأمارات ، فيه تعطيل الأمور ، و التكيليف بغير المقدور ، والخوف من عدم إصابة اليقين ، للقادة و التابعين .

وقد ذكر أن رجلاً دخل على فخر الدين الرازي في موضعه فوجده يبكي فقال له : مم بكأوك ؟ فقال : مسئلة حكمت بهامذ ثلاثين سنة ، و وضعتها في مصنفاتي و سارت بها الركبان ، و الآن ظهر لي أنها خطأ فما يؤمنني أن يكون جميع ما صنفته و ألفته كذلك ، فهذا خوف هذا الامام مع سعة علمه ، و إقرار العارفين له بزيادة فهمه .

إن قيل : فما ذكرتم بطلان الاجتهاد ، و الاجماع يردوه . قلنا : اكتفي في المسائل العملية به تخفيفاً عند فقد المعصوم ، و قد قال الله تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم » ^(٤) لأن المسائل العملية

(١) الحج : ٧٧ . (٢) الزلزال : ٧ .

(٣) النساء : ١٢٢ . البقرة : ٨١ . الطور : ٢١ . آل عمران : ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥ .

(٤) النساء : ٨٢ .

التي لا تستقل العقول بادراكها ، تحتاج إلى المعصوم فيها ، لينبئ عليها بمقدمات يضعها لا يمتددي غيره إليها .

إن قيل : النهي عن الافتراق لا يستلزم وجوب الاجتماع إذ النهي عن الشيء لا يستلزم الأمر بضده . قلنا : عند الأشاعرة أن متعلق النهي فعل الضد فسقط السؤال ، و عند أبي هاشم متعلقه عدم الفعل ، و المقصود هنا من عدم التفريق اجتماع المسلمين لتحصيل فوائد الاجتماع ، و أبو هاشم لا يمنع ذلك .

إن قيل : النهي عن التفريق لا يعم جميع أحكام العباد ، بل مخصوص بما المقصود منه الاجتماع ، كالأصول والجهاد . قلنا : «لاتفرقوا» نكرة متفية فتعم ولأن المراد عدم إدخال الماهية في الوجود ، فلو دخلت في وقت عدم الامتنال .

القطب الثامن

الآيات الدالة على شفقة الله تعالى بخلقه ، و ذلك في آيات الرحمة و العفو و المغفرة و التوبة و النعمة ، و في أمر رسوله بنحو ذلك من التلطيف و التغافل عنهم و الارفاق بهم ، في قوله : « فاصفح الصفح الجميل . فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم ^(١) » و بدون نصب الإمام المعصوم من الله ورسوله لا يوجد ذلك ، إذ لا يتم إلا به ، فكيف يحسن من النبي ﷺ مع شدة شفقته الأخلال به .

إن قيل : هذا من باب الخطابة و المسئلة علمية فلا تستفاد من الخطابة . قلنا : لا بل ذلك من باب مفهوم الموافقة ، فإن الأمر باللين و الاستغفار والتواضع هابط في اللطفية عن المعصوم ، فيجب بالأولى ، و الخطاب الإلهي برهاني لأن إثبات الرحمة التامة و إرادة المنافع العامة ، علة في نصب الإمام المعصوم الذي تفقد تلك الفائدة بفقده ، و هذا برهان لمي ولأنه تعالى أثبت أحد معلولي الرحمة وهو الأمر باللين و الشفقة ، فيثبت المعلول الآخر و هو نصب المعصوم الذي تفقد تلك

(١) العبر : ٨٥ . آل عمران : ١٥٩ .

الفائدة بفقده ، وهذا برهان إنسي .

إن قيل : فاعل الحسن لحسنه لا يلزمه فعل كل حسن ، والله فعل ذلك وأمر به ، فلا يلزمه فعل كل حسن ، فلا يلزمه نصب الامام . قلنا : بلى ، فإنه إذا فعل الحسن الذي هو غير واجب لحسنه لزم منه أن يفعل الواجب لحكمته ، وقد بيننا وجوب نصب الامام والعناية به ، وإلا لزم نقض غرضه من نفع خلقه ، إذ الامام أتم في تحصيل ذلك من اللين وغيره من الأمور به .

القبط التاسع

الآيات التي فيها إخفاء الحق و كتمانته مثل : « لم تصدّون عن سبيل الله [من آمن] تبغونها عوجاً . لم تقولون على الله ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . لم تلبسوا الحق بالباطل ^(١) » ونحوها ممّا ينجذب إلى معناها تقتضي التجرّز عن اتباع من يجوز فيه ذلك ، وكلّ من ليس بمعصوم يجوز فيه ذلك ، ولأنّ آية « لم تلبسوا الحق بالباطل » ناصة على الباطل الممازج للحق ، فيدخل الباطل الأصرف بطريق أولى ، وإذا كان النهي تعلّق بالمرتكب للباطل في بعض الأحوال ، فالمراد به الزجر عن الموجبة الجزئية المطلقة العامة فيكون نقيضها هو الدائمة الكلية مراداً وهذه صفة العصمة وهي تحصل في الأمة إذا أطاعت الامام في كل شيء ، وذلك ممكن ، وهي مكلفة به ، فالامام أولى منها بها وإلا لشاركها في وجه حاجتها إليه ، ولأنّ الله تعالى لما أمر باتباع الامام لمجرد قوله في كل شيء ، علم أنّ سبيل الامام هو العصمة ، وإذا كان المكلف أيضاً مأموراً بالعصمة كيف يكلف باتباع من ليس فيه عصمة .

القبط العاشر

الآيات المنتزعة للاستعاذة من الشيطان مثل : « فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم من شرّ الوسواس الخناس ^(٢) » ونحو ذلك « ولا تتبعوا خطوات الشيطان ^(٣) » فالأموور

(١) آل عمران : ٩٩ . الصف : ٣ . آل عمران : ٧١ .

(٢) النحل : ٩٧ . الناس : ٤ . (٣) البقرة : ١٦٨ .

بالاستعانة منه لا يكون هو المأمور باتباعه مطلقاً والامام مأمور باتباعه مطلقاً فالأمور بالاستعانة منه لا يكون هو الامام ، و جاز الخطاء مأمور بالاستعانة منه فجائز الخطاء لا يكون إماماً ولا يقع من الحكيم الأمر بالاستعانة به ، ممن يخيل الخطأ في الأحكام الشرعية منه ثم يأمر باتباعه ، لأن المأمور بالاستعانة به منه شر ، و المأمور باتباعه خير من كل وجه ، فلو جاز خطأ الامام ولو وقتاً ، لكان الخير من كل وجه شر من بعض الوجوه ، و هو تناقض ، ومحال أيضاً من الحكيم الأمر بالاستعانة به من شيء ، و هو قادر على إنقاذه منه ، ثم يأمره باتباعه و يحرم الاقدام على خلافه ، و لأن الامام هاد دائماً فلو جاز خطأه لكان الله قد أمر باتباع من أمر بالعمود منه في وقت .

و لأن غير المعصوم قد يتبع خطوات الشيطان ولا شيء من متبعها يجب اتباعه مادام متبعاً لها ، فلا شيء من غير المعصوم يوجب الاتباع و كل إمام واجب الاتباع فلا شيء من غير المعصوم بامام و ينعكس إلى لا شيء من الامام بغير معصوم .

القطب العاشر عشر

قوله تعالى : « أفغير دين الله يبغون ^(١) » فكل من ابتغى غير دين الله في أي شيء كان ، فهو مذموم مستحق للعقاب ، ولا شيء من الامام كذلك لأنه إنما وجب ليعرف المكلف تفاصيل دين الله ، ولا يخالفه في شيء ، وإنما ذلك المعصوم فلا شيء ممن يتبع غير دين الله بامام ، و تنعكس إلى لا شيء من الامام يبتغي غير دين الله . و نحو ذلك قوله « تبغونها عوجاً ^(٢) » و التقرير كما سلف ، و نحو ذلك قوله « و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ^(٣) » فنقول : غير المعصوم يتبع الشهوات ، و كل من يتبع الشهوات يميل عظيماً و كل من يميل عظيماً لا يقتدى به ، و الامام يقتدى به ، فغير المعصوم ليس بامام .

(٢) آل عمران : ٩٩ .

(١) آل عمران : ٨٣ .

(٣) النساء : ٢٦ .

و أيضاً فالإمام نصب لدفع المكلف عن الشهوات والحيل عن الحق ، ولا يمكن ذلك بدون اطمئنانه ، و الاطمئنان مطلوب لقوله تعالى : « وما جعله الله إلا ذكرى لكم ولننظمن قلوبكم ^(١) » ، ولا يطمئن إلا إذا كان الدافع له موصوفاً بذلك ، فإن من أمر بمعروف ولم يفعله لم يثق بالمكلف به ، ولا يوصف بالميل عن الشهوات و إلى الحق دائماً إلا المعصوم ، و لهذا لما تولى غيره أمر الخليقة ، انبجع الشهوات ، و مال إلى اللذات ، و كثر ذلك في الرعية ، و شاع الفساد في البرية ، و لما مالت علماء السوء إلى ذلك قررت الأتباع ما يرفع اللوم عنهم ، من كون الله كتب ذلك عليهم ، و خلقه فيهم ، و لا حيلة لهم في دفعه ، و لا قدرة لهم على منعه ، بل جميع المناهي واقعة بطريق الإكراه ، كل ذلك حتى لا يعودون عليهم بالنكار .

تذنيب : كل آيات الوعد و الوعيد ، و الأمر والنهي ، و الحث على التمسك بالدين و المن بالارشاد إلى طريق المؤمنين ، و ما فيه ذكر الظالمين و الفاسقين و المعتدين و المبدلين ، و غير ذلك من جنسه و غير جنسه كثير مخزون في الكتاب المبين ، من أتقن ما أصلناه منه ، قدر على استخراج ما سكتنا عنه ، و تبين له الاحتياج إلى المعصوم في كل فرد من أفراد ، و أنه بدون لا يصل إلى كنه مراده ، و من طلب ذلك بوجوه تفصيله فكتاب الأئمة تكفل بتحصيله ، و فيما وضعنا في هذا الكتاب من الفصول و الأقطاب غنية لأولي الألباب عن الأطناب ، في القصد إلى سبيل الصواب .

﴿ الفصل السابع ﴾

قالوا : إن قلتم : إن علياً كان إماماً في عصر النبي خرقتم الإجماع ، و إن قلتم : لا ، جاز كون باطنه في تلك الحال على غير العصمة ، لعدم الإمامة و حينئذ لا يضر العصيان من غيره تقدم إمامته . قلنا : علمي و إن لم يكن إماماً في حياة النبي فإنه كان معصوماً لأجل إمامته بعده ، لثلايق التفسير عنه ، كالنبي قبل بعثته

(١) آل عمران : ١٢٦ . الانفال : ١٠ و فيه « بشرى » مكان « ذكرى » .

و نفرق بينه و بين من شوهدت معاصيه و كفره قبل تحكيمه ، و خطائه و مخالفته بعد توليته ، حتى قال الأول إن لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتوني مغضباً فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم و أبشاركم ، و تمتنى الثاني عند موته أن لم يكن شيئاً و أن يكون نسباً منسياً ، و أحداث الثالث لا تحصى كثرة ، و سورد طرفاً منها في المطاعن جبره ، بخلاف من فرض فيه ذلك ولم يعلم منه البتة ، و لما نصبه الله و رسوله استدللنا بالمعلول على العلة .

إن قالوا : لم يكن أحد بعد النبي معصوماً إلا عصمة الايمان . قلنا : هذه لا يعلم بالباطن حصولها ، و حسن الظاهر لا يدل عليها لوقوع النفاق في كثير من الأمة في حياة نبيها و حينئذ لا وثوق ولا أمان بحصول الثلاثة باطناً على الايمان لجواز إظهاره و إبطان الكفران ، و لم قطعتم بالاطلاق على كذب من وصفهم بالنفاق .

إن قالوا : فمدائح النبي فيهم ترفع هذا التجويز لرواية سعيد بن عمرو بن نقيب ، أن النبي ﷺ عد العشرة المشهورة من أهل الجنة . قلنا : إن سلم ذلك عن الفساد ، فهو من أخبار الآحاد ، و الراوي له أحد العشرة ، فيرد الحكم بقوله لشهادته لنفسه .

إن قالوا : لم ينكره أحد من الأمة فصار إجماعاً . قلنا : فالأمة قد اجتمعت على استحلال دم أحد العشرة ، و هو عثمان و كيف تستحل دم من تعتقد أنه من أهل الجنان ، و إن لم تجتمع عليه ، فقد استحلّه جماعة كثيرة منها فكيف يدعى في صلاحه إجماعاً ، و الشيخان قد أكذبا ما روى سعيد فيهما ، بجزعهما عند موتهما حتى قال الأول لابنته عائشة : هلك أبوك ، هذا رسول الله معرض عني فقال عمر : لا تخبروا بذلك فانكم أهل بيت يعرف فيكم عند الموت الهذيان ، و قال عمر عند احتضاره : ليت أمي لم تلدني ، و سيأتي في المطاعن باسناذه إلى صحاحهم .

و عثمان لم يحتج بخبر سعيد وقت حصره ، و قد ذكر غيره من فضائله ليدفع بها من قتلته و ضره ، ولو كان صحيحاً عنده كان ذكره أو كده من غيره ، و هذا علي و طلحة و الزبير من العشرة قد استحل كل منهم دم الآخر ولم يسلموا السعيد

في روايته ، و تخلف سعد بن أبي وقاص عن عليّ و بيعته في زمان إمامته و مع ذلك كله لو صحّ الحديث عن النبيّ كان معلّقاً بما قبلتهم ، فجاز [في ر] كونهم على ضلالهم إلى قرب حضور آجالهم آثروا توبتهم ، فكان إلى الجنّة عاقبتهم كما أدعوا في طلحة و الزبير توبتهما بعد حربهما لأمامهما .

﴿ الفصل الثامن ﴾

قالوا : ورد الخبر بندم عليّ على تحريق الغالين لما بلغه كلام ابن عباس في ذلك ، فان دفعتم الندم فأرونا في الكتاب و السنّة التحريق على جنابة في الدنيا وقد جاء في الخبر أنّه شهد على نفسه بالخطأ في التحكيم ، وقال حين رأى اختلاف الناس عليه :

لقد عثرت عثرة لا أنجبر ❦ سوف أكيس بعدها وأستمر

و أجمع الأمر الشئيت المنتشر

وهذا كله ينافي العصمة ، قلنا : أدلة العصمة لا تنكسر بهذه الشبهات و الأخبار الشاذات المرسلات ، و خبر الواحد مع ذكر روايته و النصّ على عدالتهم لا يوجب عظماً ، فما بال المرسل ؟ و كيف يكون قول ابن عباس سبب ندم عليّ عليه السلام و هو تلميذه و عنه أخذ الأحكام قال : ماملت عيني منه قطّ هيبة له ، ولم نسمع له الخلاف لعليّ عليه السلام إلا في مال البصرة ثمّ ندم ولم يزل يبكي حتّى ممي .

و لم يرجع عليّ إلى أحد في شيء من الأحكام ، بل كانت رؤساء الصحابة ترجع ممّا حكمت إلى قوله عليه السلام و قد جاء النقل من الفريقين واستفاض بين الخصمين قول النبيّ ﷺ له : « أنا مدينة العلم و عليّ بابها . الحق يدور مع عليّ حيث دار أقضاكم عليّ » . و ضرب بيده على صدره حين بعثه إلى اليمن و قال : « اللهم أهد قلبه و ثبت لسانه قال عليّ فما شككت في قضاء بين اثنين » .

و قولهم : أرونا في الكتاب و السنّة التحريق بالنار . فإنّ الله تعالى يقول

« ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »^(١) ، و قد آتانا أن علياً مدينة العلم وأمر جميع الأمة بأخذ علم الدين عن أمير المؤمنين ، فعلمنا بذلك أنه لم يحرق بالنار إلا بعد من الرسول إليه ، على أن الله قد جعل إحدى خصال عقوبة المحاربين النار في الدنيا .

وما ذكره من ندمه على التحكيم ، فالبطالان ظاهر فيه ، والشعر المنسوب إليه مكذوب عليه ، كيف ذلك وإنا قتل من الخوارج أربعة آلاف حيث حكموا بضلاله في التحكيم ، أفصح أن يشهد على نفسه بخطائه فيما قتل الناس لأجله . ثم إن ذكر العثرة لا يدل على الخطأ والندم ، لجواز تسمية ما عقب العثرة عثرة مجازاً ، يجب المصير إليه لما تلوناه من قول النبي ﷺ فيه ، وقد أضاف الرب الخبير زيادة الرجز إلى السورة والنفور إلى النذير . وأبلغ من ذلك أن الله تعالى سمى الحسنه سيئة والعدل جوراً في قوله : « و جزاء سيئة سيئة . ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه »^(٢) .

إن قالوا : إنما سماها بذلك لوقوعها في صفة السيئة والعدوان ، كما تقرر في علم المعاني والبيان ، قلنا : والتحكيم وقع في صفة العثرة من الضالين حيث عدلوا إليه عن الحق اليقين ، الذي قال الله تعالى فيه : « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين »^(٣) . على أننا نعارض بقول النبي ﷺ : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ، وهذا يدل بظاهره على ندمه على سوق الهدي ، ولم يخرج ذلك من عصمته ، بل هو مصروف عن ظاهره ، فكذا ما نحن فيه .

قالوا : تلك صفات جائزة على النبي ، وأنتم أثبتم للإمام العصمة مطلقاً . قلنا : لم تثبتها له إلا على حد ثبوتها للنبي وإلا لكان أفضل من النبي ولا يقول ذلك سوى الضال الغبي ، على أننا لا نجوز الصفات على النبي وإنا ما قصدنا معارضتكم لنزيكم أنكم [١] دخلتم في أشنع مما ألزمتكم خصمكم . وهذان الفصلان لخصتهما من كلام الشيخ المفيد رحمه الله .

وقد ذكر المرتضى في شافيه أن علياً إنما ذكر ذلك الشعر تحسراً على كتاب كتبه إلى ابن أبي بكر ليعمل به ، فاعترضه معاوية فأخذه فأشقق أن يعمل به ، فيوهم على الضعفة أنه من عمله فيشتد شبهتهم من قبله ، قال : وهذا التفسير قد روي عن علي عليه السلام من طارق معروفة من كتب أهل السير .

إن قيل : فلم حارب الفرق الثلاث ^(١) دون الأولين . قلنا : لوجود الناصر دون الأولين ، أو لجواز ظنه أنه لولم يحارب ارتد أكثر المستضعفين ، ولو حارب الأولين ارتد قوم من ضعفاء اليقين .

إن قيل : فعندكم قد ارتد دافعوا النص على أمير المؤمنين ، فلا فائدة في ترك محاربة الأولين . قلنا : خاف أن يتعاطم الكفر بوجود المحاربة فيؤدي إلى جحد الله و توحيده و الرسول و ما جاء به .

إن قيل : فعندكم أن الإقرار بالله و رسوله ، لا ينفع عند جحد النص على خليفته ، فلزيادة بالمحاربة مما حصل بعدها . قلنا : أقل مراتب الريادة أنهم إذا حاربوا الامام ، و أظهروا جحد الامامة ، و طعنوا فيها طعناً مسموعاً ، حصلت زيادة .

﴿ الفصل التاسع ﴾

رووا أن علياً قال : كنت إذا حدثني أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحلفته بالله فان حلف صدقته وإلا فلا . و إن أبابكر حدثني و صدق أبو بكر ، قال النظام : إن كان ثقة فلا معنى للإحلاف ، و إن كان غيره لم تزل تهمة بالإحلاف ، فان من جاوز الكذب على النبي صلى الله عليه وآله يجوز الحلف عليه ، قلنا : لم ينقل أحد أن علياً نقل عن النبي صلى الله عليه وآله حرفاً بواسطة ، و هذا الخبر ضعيف لأنه مسند إلى أسماء بن الحكم ، و هو مجهول عند أهل الرواية و روي من طريق آخر إلى سعد بن سعيد قال الزبير و يحيى بن معين و الشيباني إنه ضعيف خبيث متروك الحديث . ولا موضع لانكار

(١) يعني الناكثين و القاسطين و المارقين .

النظام الإخلاف فأنه في الثقة يزيد في يقينه ، وفي غيره ربما أحجم للخوف من يمينه ، فإن كثيراً من المتهمين يرجعون عن الجحود لأجل اليمين ، ولو كان لا مدخل لليمين ، لظعن بها الكافرون على شريعة المسلمين ، بأن يقولوا : إن كان ثقة فلا معنى لها ، وإن كان غيره فاقداه على اليمين أولى من غيرها .

وما قاله من تصديق أبي بكر فلعلمه بصدوره عن النبي ﷺ لا بمجرّد إخبار النبي . على أنه لا يلزم من صدق أبي بكر في حديث صدقه في كل حديث حتى يلزم صدقه في قوله : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » .

قالوا : قتل عليّ أصحاب الجمل ولم يغنم فإن حلّ أحدهما حلّ الآخر وإلا حرماً معاً . قلنا : قال ﷺ : فأيتكم يأخذ عائشة في سهمه ؟ فقال له الراسي : أليس لنا قتل غيرها دونها ، قال : بلى ، قال : فلنا سبي غيرها دونها فقال ﷺ : مننت عليهم كما منّ النبي ﷺ على أهل مكّة . و قال لعباد ما اعترضه بذلك : إنّ دار الهجرة حرّمت ما فيها وإنّا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير ، فما كان في دورهم فهو ميراث لذريّتهم . وقد ارتدّ في أيتام أبي بكر علّانة فلم يتعرّض لماله و آخر في أيتام عمر فلم يتعرّض لماله ، هذا .

وقد شهد له النبي ﷺ أن الحق يدور مع عليّ حيث دار . وإن لم يعلم وجه الصواب ، وجب علينا الكفّ والتفويض إلى من علمت عصمته ، وأو من بدعاه النبيّ خطاؤه ، وكما يرجع في آيات الجبر والتشبيه ، إلى إثبات العدل والتنزيه . قالوا : قطع سارقاً من أشاجعه . قلنا : هو أعلم باللغة العربية ، من غيره ، ولقد قال له قائل : أفلا قطعت من الرسغ ؟ قال : فعلى أيّ شيء يتوكّأ وبأيّ شيء يستنجي ؟ على أنّ ذلك بنصّ الكتاب في قوله « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم » (١) .

قالوا : جلّد الوليد أربعين ، قلنا جلده بسعفة لها رأسان ، فكانت ثمانين أخذاً

من قوله تعالى : « وخذ بيدك ضغثاً ^(١) » .

قالوا : جهر بشمة رجال في القنوت . قلنا : تظافرت الروايات أن النبي كان يلعن في قنوت الصبح قوماً من أعدائه بأسمائهم أربعين صباحاً فكان يقول : « اللهم العن رعلأ و ذكوان ، و العن الحدثن من أسد و غطفان ، و العن أبا سفيان والعن سهيلاً ذا الأسنان » .

قالوا : أجاز شهادة الصبيان . قلنا : قد أجازها جماعة من الصحابة و التابعين فقد روى مالك بن أنس أن ابن الزبير كان يقضي بشهادتهم فيما بينهم من الجراح و قال مالك أيضاً : المجتمع عليه عند أهل المدينة جواز شهادة الصبيان فيما بينهم من الجراح قبل تفرقهم ولا يجوز على غيرهم ، وقال عروة : تقبل شهادة بعضهم على بعض ، و يؤخذ بأول قولهم ، ورواه ابن أبي الزيات عن أبيه أنه من السنة ، ورواه عن عمر بن عبد العزيز و كان أيضاً يجيزها مروان و ابن شهاب و ربيعة و شريح في ذلك .

قالوا : فيها مخالفة و أشهدوا ذوي عدل ^(٢) . قلنا : لا يدل التخصيص بالوصف على التخصيص بالحكم ، وقد قبل النبي شهادة خزيمة وحده ، و شهادة واحد مع اليمين ، و أمر الله بشهادة الكفار على الوصية .

قالوا : سأل عبدة السلماني عن علياً عليه السلام عن بيع أمهات الأولاد ، فقال : كان رأيي و رأي عمر بهيمن و أما الآن أرى أن لا يبعن . قلنا : قال الشيخ المفيد : قد أطبق الفقهاء و نقاد الآثار على بطلانه ، ولو سلم جاز كون كلام علي في زمان عمر للثبوت و خوف الفتنة ، وقد أمضى النبي أحكام الكفار عام الحديبية للمصلحة ، و ليس لهم حمل اختلاف أبي بكر و عمر على ذلك ، لأنهم أهل الشوكة .

قالوا : نقل الجاحظ عن إبراهيم أن علياً اختلف قوله في الجد كأي بكر قلنا : هذا تخرس و بهت . إذ لم يختلف من أهل الآثار في ذلك اثنان .

(١) ص : ٤٤ .

(٢) الطلاق : ٢ .

قالوا : قال الشعبي : رجع عليٌّ عن قوله في الحرام ثلاثاً ، أي قال رجل لامرأته أنت حرام . قلنا : الشعبي ناصب كاذب فاسق أمّا فسقه فسنذكره في باب الطعن في رجالكم ، و أما كذبه فأنه قال : لم يشهد الجمل من الصحابة إلا أربعة وقد أجمعت أهل الأخبار على أن مع عليّ فيه ثمانية [ألف] من الأنصار ، و تسع مائة من أهل بيعة الرضوان ، وسبعون من أهل بدد ، و كان يحلف بالله أن عليّاً دخل قبره ولم يحفظ القرآن . فقد ظهر في ذلك نصبه ، وشاع بانكار الإجماع كذبه .

قالوا : قال لقضاته بعد مصير الحكم إليه : اقضوا كما كنتم تقضون ، فإن كان القضاء الماضي حقاً فلا عتب على الماضين الأمرين به ، و إن كان باطلاً بطلت عصمة الأمرين به . إذ لا تقيّة حينئذ . قلنا : إنّما قال ذلك - و إن كان الحكم له - لأنّ الأئمة قد كانت اعتادت تلك ، و اطمأنّت نفوسها إلى حقيقتها ، ولهذا أراد أهل الشورى بيعته على سيرة الشيخين ، فلمّا أبى إلا على كتاب الله انصرفوا عنه وعن كتاب الله إلى سيرتهما ، فقال ذلك للقضاء لاستصلاح الرعيّة وقد علّل ذلك في قوله « حتّى يكون الناس جماعة » فلمّا قتل الطوائف الثلاث و خمدت الفتنة ، غيّر بعض ما كان . قالوا : فلم لم يغيّر الكلّ ؟ قلنا : ربما لم يخف من إظهار الخلاف في البعض كما يخاف في الكلّ و ربما كانت الشبهة على الاتباع في المتروك أشدّ منها في الآخر . قالوا : أكره الزبير و طلحة على البيعة . قلنا : لا ، بل إنّما بايع الناس بعد أن ألحوا عليه ، و قد قال في خطبة له : فنداك الناس عليّ كنداك إلا بل على حياضها و حتّى وطى الحسنان و شقّت أعطافي . و في موضع آخر : ينشأون إليّ كعرف الضبع ، و العامة تروي أنه قال لهما : امددا أيديكما أبايعكما فأنني أكون لكما وزيراً خير من أن أكون لكما أميراً فأول من بايعه طلحة ، و قال الأسديّ : أول يد صغقت على يد أمير المؤمنين يد شلاء يوشك أن لا يتمّ هذا الأمر ، فكيف الإكرام مع هذه المسارعة .

قالوا : قتل عثمان : قلنا : قد علم من سمع الأخبار أنّه لم يقتل عثمان ، بل أنقذ ابنه الحسن ليسقيه الماء و هو ظمآن ، و إنّما تولّى قتله طلحة و الزبير في جماعة

من المهاجرين والأنصار ، وقد قال لهما : والله ما قتلتم عثمان ولا مالهات في قتله ولم يمكن أحد منهم الرد عليه .

قالوا : كان يحدث بالمعارض ويدلس حين قال : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فهو كما حدثتكم وإذا سمعتموني أحدث فيما بيني وبينكم فأنما أنا رجل محارب والحرب خدعة ، ولعل قوله أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وقوله في ذي الشدبة ما كذبت ولا كذبت كان برايه للخدعة ، ولعل الشيء الذي كان يراه حقاً استنجاز إسناده إلى الله ورسوله لأنهما أمرا بكل حق .

قلنا : لا تدليس فيه وقد أفصح عن المراد منه ، و فرق بين الحديثين بأن ما حدث عن الرسول فهو كما حدث وإذا حدث عن نفسه فله وجه تأويل وقد يضطر الامام إلى معارض الكلام ويجري ذلك مجرى متشابه القرآن ، وإخباره بقتال الطوايف كان وهو متوجه إلى قتال طلحة والزبير فإن قوماً أشاروا بالكف عنهما فأضاف إلى النبي الإخبار بقتالهما ، وقال : أما والله لقد علم أصحاب محمد وهذه عايشة فاسألوها أن أصحاب الجمل ، والمخزج اليد ، ملعونون على لسان النبي الأمي وقال : لا أجد إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل على محمد ، فكيف يكون عن رأيه وقد استشهد عايشة بلعنه أصحابها مع كونها من أكبر أعدائه .

هب : أنه علم حال الناكثين فكيف أخبر عن حال القاسطين والمارقين ؟ ولم يظهر منهم في حال الإخبار ما يخالف الدين .

إن قالوا : كان إخباره ترجيماً وظناً فأصاب . قلنا : هذا يسقط أخبار الأنبياء بالغيوب ، لجواز كونه عن ترجيم فأصابوا ، وفي هذا خروج عن الاسلام . قد نفي : أكثر ما أوردته في هذا الفصل من الاعتراض والكلام ما حكاه المفيد في محاسنه عن الجاحظ عن النظام ، والجواب له رحمة الله عليه ورضوانه لديه وقد قال الجاحظ في آخر فصل حكاه عن النظام في الفتيا : و كان إبراهيم من حفاظ الحديث مع ذهن حديد ولسان ذرب ، يتخلص به إلى الغامض ، ويحل به المنعقد وهو مع ذلك يخطئ خطأ الفمريّة ، ويخطئ خطب السكران ، ويجمع بين السقطة والعقلة والحزم والاضاعة ، قال الجاحظ عقيب هذا الفصل : وقول إبراهيم لم يعمل به مسام .

﴿الباب السابع﴾

﴿ في شيء مما ورد في فضائله عليه السلام المنبّهة على تعديله ﴾

واعلم أن ما نذكر منها قطرة من بحار متلاطمة أمواجها ، و شذرة من قطار متلازمة أصولها و إنتاجها ، نشت حيث ارتضعت عن حكمة ربّ الجلالة ، و فشت حين تكلمت بهداية المخصوص بالرّسالة ، فحصر كلّ باغ الاحصاء على حصرها ، و قصر كلّ باع الاستقصاء من قصرها ، فمن رام ذلك فقد رام هسّ الشمس ، و ردّ مافيات بالأمس ، و بالجملة فهذا باب واسع لا يتأدى لموافق حصره ، ولا ينهياً لمناقض ستره ، و قد روى مسلم و البخاريّ حديث خروج النبيّ في مرضه إلى عزل أبي بكر عن صلاته أنّه خرج بين رجلين أحدهما الفضل و رجل آخر و كان عليّاً فلم تذكره عايشة باسمه طلباً لأعفاء رسمه .

و قال معاوية لابن عباس : كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب عليّ فكفّ لسانك ، قال أفنهنّنا عن قراءة القرآن ؟ قال : لا ، قال : فمن تأويله ، قال : نعم ، قال : أفنقرأه ولا نسأل ؟ قال : سل عن غير أهل بيتك ، قال : فأنه منزل علينا أفنسأل غيرنا أنهنّا أن نعبد الله فاذن تهلك الأمة قال : اقرأوا ولا تأوّلوا ما أنزل الله فيكم فقال : يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ^(١) ثمّ نادى : برئت الذمّة ممن روى حديثاً في مناقب عليّ .

و قال ابن شداد اللّيثيّ : ووددت أن أحدث بفضائل عليّ يوماً وأنّ عتقي ضربت فكانوا يقولون : قال رجل من قريش و يقول ابن أبي ليلى : حدثني رجل من أصحاب النبيّ ﷺ و يقول الحسن : قال أبو زينب . و سئل ابن جبير عن حامل اللّواء فقال : إنك لرخيّ البال .

قال ابن شهر آشوب : صاحب المصالحات : قيل : الزم السنة تدخل الجنة قال :

وما السنة ؟ قال : حبّ أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ولعن أبي تراب ، قال هو الذي كان يقاتل مع رسول الله ﷺ ؟ قال صار اليوم خارجياً ، ونهى معاوية عن تسميته فسمّى موسى بن رباح ابنه عليّاً فذبح في حجره .

وكتب معاوية إلى عماله لا تجيزوا شهادة شيعي . وقال بعض الشيعة لمالك : كم جزية دقي . قال : دينار ، قال : فهنا ديناران على أن أذكر الحق فأبى . قال المعتمر بن سليمان : سمعت أبي يقول : كان في أيام بني أمية ما أحد يذكر عليّاً بخير إلّا قطع لسانه ، وفي كتاب المبرّد كانوا يرجون أبا الأسود الدؤلي بالليل فشكاهم إلى رؤسائهم ، فقالت العامة : الله يرميه ، فقال : لورماني لما أخطأني . واجتمعوا لقتل رجل قال عليّ خير من معاوية وقتل .

تذليل : ذكر الراوندي في خرائجه في خبر طويل عن الأعمش أنّه صلى إلى جانب رجل فلمّا سجد سقطت عمامته فاذا رأسه رأس خنزير فسأله عنه فقال كنت مؤذّناً وكلّما أصبحت لعنت عليّاً ألف مرّة فلمعنته يوم جمعة أربعة آلاف ونمت فرأيت القيامة والنبيّ وعليّاً ولديه يسقون الناس فقال لي النبيّ ﷺ عليك لعنة الله أتلعن عليّاً ؟ ثمّ بصق في وجهي وقال : قم غير الله ما بك من نعمة فانتبهت كما ترى .

وقد بذل معاوية لسمرة بن جندب أربع مائة ألف درهم على أن يجعل قوله تعالى : « وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها »^(١) في عليّ ، ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله^(٢) . في ابن ملجم ففعل ذلك ، ذكره السيّد ابن طاووس في الردّ على الجاحظ ، وقال الشعبي : كنت أسمع خطباء بني أمية يسبّون عليّاً فكأنّما يشال بضبعه إلى السماء ، ويمدحون أسلافهم فكأنّما يكشفون على جيفة .

وقال بعض البلغاء : أصبح المختلفون مجتمعين على مدحه فيقول العدو

(١) البقرة : ٢٠٥ .

(٢) البقرة : ٢٠٧ .

اضطراباً ما يقوله الولي اختياراً .

و أسند ابن مردويه في كتاب المتون إلى عائشة كان أبو بكر يديم النظر إلى عليّ فقبل له في ذلك فقال سمعت النبي ﷺ يقول : النظر إلى عليّ عبادة ، و روى نحوه ابن مسعود و محمد بن حصين و جابر و أنس و أبو هريرة عن معاذ عن النبي ﷺ و روت نحوه معاذة ، عن عائشة عن النبي ﷺ .

فقد سخر الله خلقه لنقل فضائله و ما فيه الحجّة عليهم من دلالة ، فصنف ابن جرير كتاب الغدير ، و ابن شاهين كتاب المناقب ، و ابن [أبي] شيبة كتاب أخباره و فضائله ، و الجاحظ كتاب العلوية في فضائل بني هاشم على بني أمية ، و الاصفهاني كتاب منقبة المطهرين و ما أنزل من القرآن في أمير المؤمنين ، و أبو - المحاسن الروياني كتاب الجعفریات و الموفق المكي كتاب الأربعين في فضائل أمير المؤمنين ، و ابن مردويه كتاب ردّ الشمس في فضائل أمير المؤمنين ، و الشيرازي نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين ، و المؤذن كتاب الأربعين في فضائل فاطمة ، و ابن حنبل مسند أهل البيت و النطنزي [في] الخصائص العلوية على سائر البرية و ابن المغازلي كتاب المناقب ، و البستي كتاب المراتب ، و البصري كتاب الدرجات ، و الخطيب كتاب الحقائق .

و في حديث الدوانيقيّ كم تروي في عليّ حديثاً فقال : عشرة آلاف ، قال رجل لابن عباس ما أكثر مناقب عليّ إنني لأحسبها ثلاثة آلاف ، فقال أولاتقول : هي إلى ثلاثين ألف أقرب .

قال المرتضى : سمعت هرا بن شاهين وهو شيخ مقدّم في الرواية يقول : جمعت من فضائل عليّ ألف جزء ، و قال ابن حنبل ما جاء لأحد من الصحابة ما جاء لعليّ و روى المطرزي عن الخوارزمي مسنداً إلى ابن عباس قول النبي ﷺ : و لو أن الفياض أقلام ، و البحار مداد ، و الجن حساب ، و الانس كتاب ما أحصوا فضائل عليّ ابن أبي طالب ، .

[أبا حسن لو أن ذا الخلق تاجروا * بحبك يا مولاي ما كان أخسروا]

ولو كانت السبع السماوات كاغداً ✽ وكانت بعون الله تطوى وتنشر
 وكانت جميع الانس والجن كتب ✽ وكان مدار القوم سبعة أبحر
 ولو كانت الأشجار جمعاً بأسرها ✽ تقصص أقلام وتبرى وتحضر
 لكنت أباديهم وأقنى مدادهم ✽ وما حصلوا معشار من فضل حيدر [
 وأسند ابن شهر آشوب إلى الزمى إلى اللث إلى مجاهد إلى ابن عباس
 وروى الخوارزمي عن الصادق عليه السلام قول النبي ﷺ « جعل الله لأخي علي بن
 أبي طالب فضائل لا تحصى ، فمن ذكر له فضيلة مقرأ بها غفر الله له [ما اكتسب]
 ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين ، ومن كتبها لم تزل الملائكة تستغفر له مادام
 لكتابتها رسم ، ومن استمع إليها غفر له ما اكتسب بالسماع ، ومن نظر إلى كتاب في
 فضائله غفر الله له ما اكتسب بالنظر » وقد عرفت نقل الفريقين ، وشهادة الخصمين .
 قال ابن عبد البر : فضائله لا يحيط بها كتاب ، ونحوه قال النشوي والخطيب
 الخوارزمي ، فهذه الشهادة خرق العادة حيث صدرت من المايل إلى الكتمان واستمرت
 على مرور الأزمان .

نشرت حيلة قریش فزادته ✽ إلى صحة القيامة قليلاً
 وروى فضله المعاند حتى ✽ زاده ما روى علواً ونبلاً
 وقال الآخر :
 شهد الأنام بفضلته حتى العدا ✽ والفضل ما شهدت به الأعداء
 فتلاأت أنواره لندي النهى ✽ وتزحزحت عن غيها الظلما
 يروي مناقبهم لنا أعداؤهم ✽ لا فضل إلا ما رواء حسود
 وإذا رواها مبغضوهم لم يكن ✽ للعالمين على الولاة عيود
 وسأذكر فضلاً مفصلاً فيه انتساب فرق العلماء إليه ، وإحاطته ما يعتمد
 الحكماء وغيرهم من الفضلاء عليه .

نطق بوحى الله فيك خصائص ✽ خير الأنام نذيرها وسفيرها
 ما عصبة إلا وأنت وليها ✽ وكذلك مولاه وأنت أميرها

قال خطيب دمشق و ابن أبي الحديد في عليّ و هما قائلان بإمامة أبي بكر :
 ما أقول في رجل أقرّ له بالفضل من خصمه ، ولم يمكنهم جحد مناقبه ، مع استيلاء
 بني أمية على الأرض ، و اجتهدهم في إطفاء نوره ، و لعنه على منابرهم ، و وضع
 معايبه ، وقتلوا مادحيه و حبسوه عن رواية حديث يعليه ، فما زاده ذلك إلا سمواً
 فكان كالمسك كلما ستر انتشر عرقه ، و كلما كتم تضوّع نشره ، تعزى إليه كل
 فضيلة ، و تتجاذبه كل طائفة ، كل من نزع من الفضائل بعده ، فله اقنمى ، و على
 مثاله احتذى ، و من كلامه اقنيس العلم الالهيّ ، و إليه انتهى .

فالمعتزلة الذين هم أهل هذا الفن تلامذته لانتسابهم إلى واصل تلميذ أبي
 هاشم بن محمد بن الحنفية ، و هو تلميذ أبيه ، و الأشعرية ينتمون إلى أبي الحسن
 و هو تلميذ أبي عليّ الجبائيّ المعتزليّ ، فرجع علمهم إلى عليّ عليه السلام ، و الامامية
 و الزيدية انتسابهم واضح إليه .

و علم الفقه فكل فقيه عيلة عليه ، و قد قرأ مالك على ربيعة ، و ربيعة على
 عكرمة ، و عكرمة على ابن عباس ، و هو تلميذ عليّ . و ابن حنبل قرأ على الشافعيّ
 و الشافعيّ على محمد بن الحسن من أتباع أبي حنيفة ، و أبو حنيفة على الصادق ، و
 انتهى الأمر إلى عليّ عليه السلام .

و علماء الصحابة ابن عباس و قد علمت أنّه تلميذه ، و عمر بن الخطاب و قد
 عرف رجوعه إليه فيما أشكل عليه ، حتّى قال : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن
 و قد روى الخاسر و العام قول النبي ﷺ له لما بعثه قاضياً إلى اليمن : اللهم اهد
 قلبه و ثبت لسانه فقال : ما شككت بعدها في قضاء ، و قال ارتجالاً على المنبر : صار
 ثمنها تسعاً و سيأتي قريباً .

و التفسير فهو مأخوذ عنه و عن ابن عباس و قد قيل له : أين علمك من علم عليّ
 قال : كقطرة في البحر المحيط .

و علماء الطريقة ينسبونوا إليه و الخرقه التي هي شعارهم إلى اليوم مقصورة

عليه صرح بذلك الجنيد والشبلي والكرخي والبسطامي وقد قيل إنهم ينتمون إليه في سلسلتين النورية هم ينسبون إلى أبي الحسن النوري أخذه عن كميل بن زياد خادم علي عليه السلام والجنيدية ينسبون إلى جنيد البغدادي أخذه عن الحسن البصري تلميذ علي عليه السلام وهؤلاء ونحوهم المتبعون لعفته وزهده ، تفرعت ينابيع الحكمة فيهم عن غزير علمه ، قال عز الدين المقدسي في تفسير كلامه : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » : الروح لطيفة ربانية لاهوتية في جثة ناسوتية دالة من عشرة أوجه على وحدانية ربانته :

- ١ - لما حركت الهيكل وديبرته ، علمنا أنه لا بد للعالم من محررك ومدير .
- ٢ - دلّت وحدتها على وحدته .
- ٣ - دلّ تجرّيها للجسد على قدرته .
- ٤ - دلّ اطلاعها على ما في الجسد على علمه .
- ٥ - دلّ استوائها إلى أعضائه على استوائه إلى خلقه .
- ٦ - دلّ تقدّمها عليه وبقاؤها بعده على أزله .
- ٧ - دلّ عدم العلم بكيفيةيتها على عدم الاحاطة به .
- ٨ - دلّ عدم العلم بمحلّها من الجسد على عدم أينيتها .
- ٩ - دلّ عدم مستها على امتناع مسه .
- ١٠ - دلّ عدم إبصارها على استحالة رؤيته .

و قال أيضاً : صور الله آدم صورة مدنية أتقن فيها من المباني ما يدلّ على قدره الباني ، و حرّك فيها مثالث و مثاني يشير بأن ليس له ثاني ، و نصب وسطها قصر المملكة وهو القلب إذ هو بيت الربّ و جعل مدارها عليه ، و مرجعها إليه ، و وضع فيه سرير العزّ و السلطان ، و أجلس عليه ملكاً يقال له الإيمان ، و بثّ في خدمته الجوارح كالعلمان ، فقال اللسان أنا الترجمان ، و العينان نحن الحارسان و الأذان نحن الجاسوسان ، و البدان نحن العاملان ، و القدمان نحن الساعيان و قال الملكان نحن الشاهدان . و قال صاحب الديوان كما تدين تدان .

ثم قال الوزير الذي هو العقل : أيها الملك لا بد لك من خاصة يؤثر ونك ولو كان بهم خصاصة ، فنتحتاج إلى تاج هو الولاية ، وإلى معراج هو العناية ، وإلى دليل هو الهداية ، وإلى مركوب هو الصدق ، وإلى حلية هي السكينة ، وإلى صاحب هو العلم ، وإلى بواب هو الورع ، وإلى سيف هو الحق ، وإلى كاتب هو المراقبة ، وإلى سجن هو الخوف ، وإلى ميزان هو الرجاء ، وإلى سراج هو الحكم ، وإلى نديم هو الفكر ، وإلى خزانة هي اليقين ، وإلى كنز هو القناعة ، وإلى صاحب يريد هو الفراسة .

ثم قال أيها الملك : انظر إلى رعيّتك بعين الرحمة ، واقسم بكل ما تقيم به رسمه ، فقال الملك : بل انظر أنت في الرعيّة ، وأزل عنهم الشكّيّة فقالت البدان عليّ جمع الآلة ، والأسنان أنا أطحن وأعزل النخالة ، والريق أنا أعجن وأتولّى إلى المعدة إنزاله ، والمعدة أنا أطبخ وما أزيد على ذلك عمالة ، والكبد أنا آخذ الصافي وأترك الحثالة ، والقدرة أنا أفرّقه بالعدالة إلى كلّ عضو ما يطبق احتماله .

ثم نادى منادي الفيض : يا معشر الرعيّة ! قد أقسم الملك بالآليّة ، أن من عدل عن الطريق السويّة ، وكفر نعمة العطيّة ، وأنفقها في الخطيّة ، فقد أفسد النيّة ، ونقض البنيّة ، وأولئك هم شرّ البريّة .

واعلم أنك لا تصل إلى منازل القربان ، حتّى تقطع ستّ عقبات :

١ - فطم الجوارح عن المخالفات الشرعيّة ، فتشرف على ينابيع الحكمة العقلية .

٢ - فطم النفس عن المألوفات العاديّة ، فتشرف على سرائر العلوم الربّانية .

٣ - فطم القلب عن الرعونات البشرية ، فتشرف على أعلام المناجات الملكوّيّة .

٤ - فطم النفس عن الكدورات الطبيعيّة ، فتشرف على أنوار المنازلات القرينية .

٥ - فطم الروح عن البخارات الحسية ، فتشرف على أقمار المشاهدات الحبيبيّة .

٦ - فطم العقل عن الخيالات الوهميّة ، فتنبط على رياض الحضرة القدسيّة .

فهناك تغيب ممّا تشاهد من اللطائف الانسيّة ، عن الكثائف الحسية .

هذا وقد سعى إلى الخليفة بأن الصوفية زنادقة رفضوا الشريعة ، فأمر بقتلهم فبدر أبو الحسن النوري إلى السيف فقال : لم بددت ؟ قال : أحببت أن أؤثر أصحابي بحياتي هذه اللحظة فتمجّب وكتب إلى الخليفة فردّهم إلى القضاء فسألوا النوري عن أصول الفرائض فأجاب فبعثوا إلى الخليفة : إن كانوا زنادقة فما على ظهر الأرض موحد .

وقال شقيق لبراهيم بن أدهم : كيف تعملون ؟ قال : إن أعطينا شكرنا ، و إن منعنا صبرنا ، قال : فأنتم ؟ قال : إذا أعطينا آثرنا ، و إن منعنا شكرنا ، ولقي السقطي رجلاً جليلاً فسلم عليه سلاماً ناقصاً فقبل له في ذلك ، فقال : روي عن النبي ﷺ : إذا التقى المسلمان قسم بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لأبشهما فأردت أن يكون معه النصيب الأكبر ، فهذا ونحوه قطرة مما استنزع من علم عليّ عليه السلام وزهده وإثاره ، وليس التصوف المنسوب إليه ما يفعله المغنيون والرقاصون بلإيالي العبادات ، في بيوت الصلوات فما أحسن ما وصف من رقصهم لأظهار نقصهم :

أيا جيل التصوف شرّ جيل * لقد جئتم بشيء مسنحيل
أفي القرآن قال لكم إلهي * كلو امثل البهائم وارقصوا لي
ولقد رأيت كتاباً مصنفاً في معائبهم ، وكشف السر عن حيلهم ، التي يوهمون بها على أتباعهم ، أنهم بالقرب من ربهم .

قالوا : ضرب بنات النجار بالدف بحضرته عليه السلام لما قدم المدينة وغتت :

طلع البدر علينا	* من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	* مادعى الله داع
أنت يا مرسل حقاً	* جئت بالأمر المطاع
جئنا نسعى رويداً	* مرحباً يا خير ساع
يا نبياً من ضياء	* أشرقت كل البقاع

فطرب النبي ﷺ ووهب لهنّ حمامته ، ورقصت الحبشة في مسجده فظلل على عائشة لتفترج على ذلك ، وأنشد شخص بحضرته :

لسمعت حيّة الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راقى
إلا الحبيب الذي كلمت به فإنه منيتي و ترياقى
فتمايل عليه السلام وسقط رداؤه من أعلاه فتقاطعه تبرّكاً .

قلنا : هذا كله من زخايرفكم الفاسدة ، وسخريّاتكم الواردة ، وقد عاب الدفّ
ابن حنبل و أبو حنيفة .

قالوا : روى بريدة أن جارية قالت له عليه السلام بعد رجوعه من غزاة كنت نذرت
إن رجعت سالماً أضرب بين يديك بالدفّ و أنفنتى ، فقال : إن كنتي نذرتي فأضربي
و إلا فلا ، فضربت فدخل أبو بكر ثم علي ثم عثمان وهي تضرب فدخل عمر فوضعت
الدفّ تحت استنها وقعت ، فقال النبي عليه السلام : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، أخرج
ذلك الترمذي في صحيحه .

قلنا : لا يخفى ما فيه من القول بالباطل ، إذ لو نذرت الزنى أو غيره لأباحه
لها وحاشاه أن يرضى بذلك و في قوله « و إلا فلا » نهي صريح وهول للتحريم و كيف
يصير النذر الحرام مباحاً و في قوله « إن الشيطان يخاف منك يا عمر » تصريح بأنّه
فعل الشيطان ، و تفضيل لعمر على النبي و من حضره ، و قد روى العبدى في آداب
الكتاب أنّه عليه السلام قال : « من استمع إلى قينة صبّ في أذنيه الآ نك يوم القيامة »
و أخرج البخاري قول عمر : أمر ماز الشيطان عند رسول الله ؟

و في تظليله على عائشة المنقرج نقص لا يرضى به الأدنى ، فضلاً عن لا ينطق
عن الهوى ، و قد وافقوا على تحريم نظر المرأة إلى الرجال في قوله عليه السلام . أمماوين
أنتما ، كيف و يعارض حديثهم قوله تعالى : « و ما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً
و تصديعاً ^(١) » و قوله « ما عند الله خير من اللّهو و من التجارة ^(٢) » ، و الطرب المذكور
جاز كونه لا قراهن بنبوته لا للدفّ بحضرته ، على أن الطرب مشترك بين الحزن
و السرور قال شاعر :

(١) الانفال : ٣٥ .

(٢) الجمعة : ١١ .

و قالوا قد بكيت فقلت كلاً * وهل يبكي من الطرب الجليل
فيحمل طربه على كراهته .

إن قيل : فبهة العمامة تدل على رضا . قلنا : لا ، إذ جازأن يكون ليسر عن
الانصراف عنه ، كما أن الله تعالى يحب قضاء حاجة الكافر كراهية منه لسماع صوته
كما جاء في الحديث النبوي .

﴿ الفصل الثاني ﴾

و لنرجع إلى النمط الأول من ذكر فضائل علي عليه السلام .

فعلم النحو أملاً على أبي الأسود جوامعه وهذا يلحق بالمعجزات لأن القوة
البشرية لا تعي بحصر الكلام في الثلاثة ، و الأعراب في الأربعة ، و أمّا أحواله في
الحروب فبها تضرب الأمثال ، بأفواه الأولياء والأعداء من الرجال ، فأنه لما دعى
بصفتين معاوية ليبارزه ليسرريح الناس ، فيقتل أحدهما و تقصر الفتنة بينهما ، قال
ابن العاص : قد أنصفتك ، قال : غششتني أتأمرني بمبارزته و أنت تعلم أنه الشجاع
المطرق .

و انتبه يوماً فرأى ابن الزبير تحت رجله فقال : لو شئت أن أفتك بك لفعلت
قال : لقد شجعت بعدنا ؟ قال : و ما تنكر من شجاعتي ، وقد وقفت بإزاء علي بن
أبي طالب في الصف ؟ قال : لا جرم أنه قتلك و أباك يسرى يديه ، و بقيت اليمنى
فارغة يطلب من يقتله بها .

و افتخرت أخت عمرو بقتله أخاها فقالت :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله * بكيته أبدأ ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له * و كان يدعى أبوه بيضة البلد

و طلب المشركون ببند الأكفاء ، فخرج و أرداهم و كان النصر بقتلهم ، قال

بعض الفضلاء فيهم :

أردى بيدز قروم المشركين وقد ✽ عتوا بضرب يقدُّ الهام كالشعل
 ما بارزوا فارتضوا قرناً سواه لكي ✽ يروا به العذر عند اللوم و العذل
 كأثم ما رام قتله الفخار به ✽ فما التقوا غيره و العمر في مهل
 ما كان يبرز في حرب إلى بطل ✽ إلا و يبطل منه حيلة البطل
 و أيُّ مشهد حرب لم يروه به ✽ قطباً يدير رحا حرب بلا وجل
 وفي الحديث : كانت ضرباته وترأ . قال ابن قتيبة في المعارف : ما صار أحد
 إلا و صرعه ، أقول : إن أهل الذمة مع تكذيبهم بالنبوة يحبونه ، و الفلاسفة مع
 معاداتهم للملكة يعظمونه ، و الفرنج و الروم تصوُّر صورته في بيعها و ملوك الترك و
 الديلم على أسياقها تضعها ، و كانت على سيف عضد الدولة و ابنه ، و على سيف
 أرسلان و ابنه ، كأنهم بها يتغالون ، و المنصر بها يطليون .
 و بالجملة فكُلُّ شجاع ينهني إليه ويعول في انتصاره عليه ، و قال الجاحظ :
 ليس في قتل الأقران فضيلة للرئاسة ، إذ ليس المقاتل في منزلة الرئيس و إلا لكان
 النبي مرؤساً لعدم قتاله . قلنا : في هذا تصغير لأمر الجهاد ، و ردُّ على القرآن في
 قوله و فضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ^(١) ، و لم يكن لأبي بكر
 رئاسة و النبي حاضر مختص به أغني عنه و عن غيره فيها على أننا لا نسلم أن النبي
 ﷺ لم يقاتل ، و قد قاتل بأحد و غيرها و قد قال عليٌّ عليه السلام : كنا إذا أجم البأس ^(٢)
 اتقينا برسول الله .

قال : الشجاع قد يترك النزال لمعان أشرف منه . قلنا : فهر به في خير [عنه]
 كان لمعان أشرف منه ! هي انكسار قلوب المؤمنين ! و نزول الغم بسيد المرسلين !
 حين ألبس بهزيمة جلابيب المذلة لرايته ، و اقتفى عمر أثره في وصمته ، على أن
 ما ذكر يسري في العبادات ، فيقال : إن تاركها أفضل من فاعلها لمعان آخر أشرف
 منها ، و قد كان الرئاسة لأمر المؤمنين بصفتين و غيرها ، و قد قاتل بنفسه فيها .

(١) النساء : ٩٤ .

(٢) و في النهج : كنا إذا احمر البأس .

و أما الجود فظاهر عليه وقد شهد له أعداؤه ، فقد دخل مَحَقَن الضَّبِّي على معاوية وقال : جئتكَ من عند أبخل الناس ، فقال : ويحك لو ملك علي بيتاً من تبر و بيتاً من تبين لأنفذ تبره قبل تبره .

قال الشعبي : ما قال لسايل قط : لا ، وناهيك بما أتى في هل أتى حين إثاره بالطعام ثلاثاً مع صياحه تلك الأيام ، و نزل فيه « الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ^(١) » لما تصدَّق بأربعة دراهم والمخالف يزعم أن أبا بكر أنفق أمواله على النبي الذي هو أفضل من المسكين واليتيم والأسير ، ولم ينزل فيه شيء يسير ، و ذلك إما لعدم الاتفاق في نفسه ، أو لعدم الاخلاص فيه .

و أما الحلم فقد صفح يوم الجمل عن مروان و كان أعدى الناس عداوة له في كل أوان ، و عن ابن الزبير مع شتمه لعلي جهاراً ، و كرم عائشة بتجهيزها إلى المدينة في عشرين امرأة عليهم لبس الرجال فقالت في الطريق : هتك سري برجاله فلما وصلت إلى المدينة ألقين العمائم و قلن : نحن نسوة ، وعفى عن أهل البصرة و الأحقاد لم تبدد ، و موجبات المأواخذ لم تشرَّد ، و صفح عن معاوية و أصحابه حين ملك الماء بعد أن منعه منه .

و أما الفصاحة فمنه تعلم الناس الكتابة و الخطابة ، ولا يخفى ماله من مفرد الكلام و مرَّبه ، حتَّى اعتنى العلماء بشروحه ، و النظر في كشف أسرارهِ ، كنهج البلاغة و غيره ، و قد أطب الجاحظ في كتاب البيان ، في مدح علي في هذا الشأن . و أما حسن الأخلاق ، فهو المضروب به المثل على الإطلاق ، قال ابن العاص : « إن بهدابة » أخذه من قول عمر لما عزم على استخلافه : « الله أبوك لولا دعاية فيك » قال صمصمة : كان فينا كأحدنا في لين جانب ، و شدَّة تواضع ، و سهولة قياد ، و قال معاوية : رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاهة .

و أما زهده فهو أحد الأبدال العظام ، فلم يشبع قط من طعام ، يلبس الغليظ القصير ، و يأكل جريش السمير ، و كان من كرامته أن الجوع لم ينقص من قوَّته

ولم ينقض أيدى : و ناهيك بنهج البلاغة في ذلك و غيره .

فمنه : والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً ، وأجر في الأغلال مصفداً أحب إلي من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، أو غاصباً لشيء من الحطام ، و كيف أظلم و أجل النفس يسرع إلى البلا قفولها ، و يطول في الثرى حلولها .

و منه : والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ، ما فعلت ، و إن دنيا كم عندي أهون من ورقة في فم جراداة تقضمها ، ما لعلني و نعيم يفنى ، و لذّة لا تبقى ؟

و منه : و الله إن دنيا كم عندي أهون من عراق خنزير في يد مجذوم .
دل هذا و غيره على غاية زهده . مع أن الدنيا بأسرها في يده لما أتقن من أصول الكيمياء لما يأتي مما نقلته عنه الفضلاء .

أما غيره فزهده في الدنيا تابع لزهدها فيه فهو منقاد قهراً إليه بخلاف من أعرض عنها بحسب اختياره ، كما تمدح به في بعض أشعاره :
دنياً تخادعني كأنني لست أعرف حالها * مدّت إليّ يمينها فرددتها و شمالها
ورأيتها محتاجة فوهبت جملتها لها

قال الجاحظ : أبو بكر أزهده من مات عن بعير و عبد مع كثرة الفتوح و الغنائم ، و لم يتزوج من ذلك امرأة ولا اتخذ منه سريّة و عليّ مات عن مزارع و نخيل و أزواج و سراير . قلنا : أمّا زهد عليّ في مطعمه و ملبسه فظاهر أنّه لم يلحقه أحد إليه ، ولا قارب ما اشتمل عليه ، ولم يخلف سوى سبع مائة درهم يشتري بها خادماً ، و ما كان له في حياته فلا خفاء أنّه صرفه في صدقاته ، و ما ذكره من كثرة نسائه ففيه تعريض بالزني عليه السلام حيث مات عن تسع ، و قد قال سفيان بن عيينة : تكثير النساء ليس من الدنيا فإنّه لم يكن أحد من الصحابة أزهده من عليّ و كان له سبعة عشر سريّة ، و أربع نسوة .

وَأَمَّا الْعِبَادَةُ فَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ صَلَاةً وَصِيَاماً ، وَمِنْهُمْ تَعَلَّمُوا الْأَوْرَادَ لَيْلًا حَتَّى بِصَفَتَيْنِ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ وَضَعَ لَهُ بَيْنَ الصَّفَتَيْنِ نَظْعَ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَالسَّهَامُ تَقَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَمَرٌّ عَلَى صِمَاخِيهِ ، فَلَا يَرْتَاعُ لَهَا ، وَلَا يَنْتَقِلُ عَنْهَا ، وَ مِنْ تَأْمُلِ مَنَاجَاتِهِ لِرَبِّهِ ، وَ خُشُوعِهِ لِهَيْبَتِهِ ، فَهَمَّ أَنَّهَا خَرَجَتْ عَنْ قَلْبِ مَخْلُصٍ ، وَ لِسَانِ مُحَقِّقٍ .

وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ يُحْفَظُهُ وَ قَالُوا مَا تَأْخُرُ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا لَجْمَعِهِ ، وَ الْقُرَاءُ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، فَإِنْ أَبَا مَرُّو وَ عَاصِمٌ وَغَيْرُهُمَا أَخَذُوا الْقِرَاءَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ وَ هُوَ تَلْمِيزُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

وَأَمَّا قُوَّةُ الرَّأْيِ فَكَانَ أَسَدُ النَّاسِ رَأْيًا وَلَقَدْ أَشَارَ عَلَى عِثْمَانَ بِصَلَاحِهِ لَوْ قَبِلَ ذَلِكَ مَا قُتِلَ ، وَ إِنَّمَا قَالَ أَعْدَاؤُهُ : لَا رَأْيَ لَهُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُقَيِّدًا بِالشَّرِيعَةِ دُونَ غَيْرِهَا وَقَدْ قَالَ : « لَوْلَا الدِّينُ لَكُنْتُ أَهْدَى الْعَرَبِ » .

وَأَمَّا السِّيَاسَةُ فَكَانَ خَشَنًا فِي ذَاتِ اللَّهِ لَمْ يَر_اقِبْ ابْنَ عَمِّهِ فِي عَمَلٍ وَلَا فِي وَجْهِهِ بِكَلَامِهِ عَقِيلًا أَخَاهُ ، وَ حَرَّقَ بِالنَّارِ قَوْمًا وَ صَلَبَ آخَرِينَ ، وَ قَطَعَ قَوْمًا وَ نَقَضَ دُورَ آخَرِينَ ، وَ مِنْ أَكْثَرِ سِيَاسَتِهِ حَرْبُ النَّاكِثِينَ وَ الْقَاسَطِينَ وَ الْمَارَقِينَ .

وَأَمَّا سَبْقُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَقْلُ بِخُلَافِهِ إِلَّا النَّادِرُ مِنَ الْأَنْامِ ، وَ مِنْ وَقَفَ عَلَى كُتُبِ الْأَحَادِيثِ وَ السِّيَرِ ، عَلِمَ سَبْقَهُ إِلَى سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَ سَنَأَتِي بِطَرَفٍ مِنْهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ .

قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : ذَهَبَ إِلَى سَبْقِهِ الْوَاقِدِيُّ وَ الطَّيْرِيُّ وَ رَجَحَهُ وَ نَصَرَهُ صَاحِبُ كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ ، وَلَمْ يَخَالَفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا الْأَقْلُونَ ، وَ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى خَطِيبِ دِمَشْقٍ وَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ مِنْ كَلَامِيهِمَا لِمَعْنَاهُ مَا عَقَلْنَا لِمَعْنَاهُ .

﴿ الفصل الثالث ﴾

وقد عرفت به جواب أزدل النصّاب من الناس ، أن التفسير منسوب إلى مقاتل و ابن عباس ، و إلى مجاهد و الزهري ، و الحديث منسوب إلى أبي هريرة ، إلى ابن عمر ، إلى نافع ، و الفقه منسوب إلى الأئمة الأربعة و أتباعهم كالغزالي الشافعي فإنه صنّف في العلوم ألف كتاب و ابن الجوزي الحنبلي نحوه و النحو منسوب إلى سيبويه ، إلى الأخفش ، إلى الكوفيين ، إلى البصريين ، و العروض منسوب إلى الخليل ، و الأصولان و الطب و غيرها لها أهل تنسب إليهم ، و من قوله : إن ذلك في أفواه الرافضة ، لم يوجد في كتاب ، لما رأوا ذكر أئمة السنة على المنابر ، أرادوا مقابلتها بما لا يخفى بطلانه على ذوي البصائر .

قلنا : قد عرف ما ذكر في أمير المؤمنين ، من أئمة المخالفين و كتب المؤلفين و قد ذكرت سلاطين سوء على المنابر ، و سب علي عليها أشهر للبادي و الحاضر فأني دليل في هذه الكلمة ، على إمامة الظلمة ، و المنسوب إليهم تلك العلوم . إنما يفخرون بأنهم أتباع [أتباع] علي عليه السلام .

على أن الجوزي الذي مدحه الناصب قال في كتابه : « الرد على المنعصب العنيد » : مقاتل كذاب باجماع المحدّثين لا يدي ما يقول ، و قال : و كيع كذاب و قال السعدي : كان جسوراً و قال البخاري : كان مقاتل لاشي . البتة و قال الساجي : كذاب متروك . و قال الرازي : متروك الحديث ، و قال النسائي : الكاذبون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة ، و الواقدي ببغداد ، و مقاتل بخراسان ، و ابن سعيد بالشام ، و سيأتي تكميل ذلك في الباب السادس عشر .

و قال الجاحظ أيضاً نحو القول الأول ينسب : حفظ القرآن إلى زيد و ابن زيد و غيرهما ولم يذكر علي فيهم و أصحاب الحروف أبي و ابن مسعود و غيرهما

ولم يذكر علي^{عليه السلام} فيهم ، وأصحاب التأويل ابن عباس والحسن وغيرهما ولم يذكر علي^{عليه السلام} فيهم .

قلنا : قال الأهوازي^(١) إن قراءة عاصم تنتهي إلى السلمي^(٢) وهو قرأ على علي^{عليه السلام} ، قال : وقراءة حمزة والكسائي^(٣) ينتهيان إلى علي^{عليه السلام} وأما التفسير والتأويل فأُسند الشيخ المَعظم ابن عبد البر^(٤) إلى أبي الطفيل قوله ^{عليه السلام} على المنبر : « سلوني عن كتاب الله فما من آية إلا وأنا أعلم بها » ومن المحال أن يقول ذلك على رؤس الأَشهاد بغير علم ، وقد فسّر لابن عباس حروف الجمل فقال : علمي بالقرآن في علم علي^{عليه السلام} كالقراءة في المَعنجر ، وفي تفسير الثعلبي^(٥) عن ابن عطاء قال : رأيت ابن سلام فقلت هذا الذي عنده علم الكتاب ، قال : إنما ذلك علي^{عليه السلام} بن أبي طالب ونحوه روى أبو نعيم عن ابن الحنفية بطريقين .

قال والرواية منسوبة إلى ابن ممر ، إلى جابر ، إلى أبي هريرة ، إلى عائشة . قلنا : أُسند صاحب الاستيعاب إلى ابن عباس « كنا إذا أتانا التبت عن علي^{عليه السلام} لم نعدل به » وكيف يفضل أبو هريرة المطعون فيه عند ممر وغيره عليه ، وترك ذكره معه لعلوه ، فإن التام الكمل لا يذكر مع الناقص الحامل .

والشمس لا يهبطها عايب ✽ سيمان دارٍ أو غفول جهول
والنقص إذ ذاك على عايب ✽ قد قيّدته بالصغار الكبول
قالوا : ادّعيتم أن عليّاً يعلم ما في السماوات والأرض وأنه أعلم جبرائيل حين سأله عن نفسه وهو في الأرض وهذا يبطله قوله سبحانه : « ولا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله^(١) » وقوله « لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين^(٢) » قلنا : جاز أن يكون علمه ببعض المغيّبات بإعلام النبي^{عليه السلام} له لقوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول^(٣) » ولو صح الاستدلال بالآية على عدم

(١) النمل : ٦٥ .

(٢) أسرى : ٩٥ .

(٣) الجن : ٢٦ .

نزول جبرئيل إلى الأرض ، لزم أن لا يكون نزل على النبيّ وهو خلاف إجماع الوليّ والغويّ .

قالوا : عليّ لم يبلغ غرضاً بتحكيّم عبد الرحمن في الشورى ، وتحكيّم معاوية للأشعريّ ، و خروج عليّ في حرب الجمل و الخوارج ، فلو [كان] يعلم غيباً لم يفعل من ذلك شيئاً . قلنا : فالنبيّ أخبر بالغيّب إجماعاً مع أنّه لم يبلغ غرضاً إذ غرضه كون الناس ملّة واحدة ، ولم يأخذ سوى جزيرة العرب ، فإن دلّ ذلك على عدم الامامة دلّ هذا على عدم النبوة ، بل وعلى عدم الالهيّة ، فإنّ الله تعالى غرضه إذهاب الكفر . و لم يحصل بالكليّة ، و الخلفاء الثلاثة لم يبلغوا كلّ غرض . وقد أخرجوا لعمرحديث سارية وهو من علم الغيب ، والاعتذار عن التحكيّم قد عرف في موضعه من طرقيهم .

فذيّب لذلك ، أخذنا معانيه من شرح نهج البلاغة لميثم البحرانيّ : النفس الانسانيّة إذا فرغت من علاقتها من الحواسّ الظاهرة ، رجعت بطبيعتها إلى جناب ربّها ، فيحصل لها من الصور هناك ما هو أليق بها من أحوالها ، ثمّ ترسم في المخيلة وتنحطّ إلى الحسّ المشترك ، فتصير كالمشاهدة ، هذا حالها في منامها و أمّا حال يقظتها فمتى كانت قويّة لم يكن اشتغالها بتدبير بدنّها عائقاً لها عن ملاحظة مبادئها ، و الاتصال بحضرة ربّها ، فيفيض من جنابه صوراً عليها ، ثمّ ترسم في مخيلتها حتّى تصير كأنّه مشاهد لها .

إن قيل : إخبار عليّ بالمغيبات إنّما هو بعلم علمه النبيّ ولو علمه غيره لكن مثله و حينئذ لا مزيّة له ، و لهذا لمّا وصف الأتراك ، قال له بعض أصحابه : لقد أعطيت علم الغيب . فضحك و قال : إنّما هو تعلم من ذي علم ، و إنّما الغيب علم الساعة و ما عدّه الله بعدها ، و نحوه هو علم الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله ، وما سواه فعلم علمه الله نبيّه فعلمنيّه ، و دعالي بأن أعيه .

قلنا أمّا القسم الأوّل فمسلم اختصاصه بالله و أمّا المدعى علمه ، فإنّ النفس القدسيّة لها استعداد لانتقاش الأمور الغيبية فتتأهّل لا فاضة جود الله ، و الاختصاص

بعناية الله إماماً بواسطة الرسول و نحوه ، أو بغيرها كأعداد نفسه للقوانين الكلّية ، و لو كان النبيّ إنّما أعطاه صوراً جزئية لم يحتج إلى دعائه بفهمه ، فإن فهمها سهل لمن له أدنى فهم ، و يؤيده : علّمني رسول الله ﷺ ألف باب افتتح لي من كلّ باب ألف باب ، و قول النبيّ : أعطيت جوامع الكلم و أعطيت عليّ جوامع العلم ، و في عطفٍ أعطيت عليّ أعطيت دلالة على أنّ المعطي لهما هو الله و هو المطلوب .

فذهب آخر : قوله تعالى « قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »^(١) ، و المراد بالمؤمنين بعضهم و الامام أعلى من غيره ، فالمراد هو ، و متى كان نظره مساوياً لنظر النبيّ تعيّن كونه معصوماً كالنبيّ و صحّ اطلاعه على أشياء بواسطة النبيّ .
إن قيل : لم لا يكون المراد بالمؤمنين مؤمنين غير هذه الأمة ؟ قلنا : يبطله « لتكونوا شهداء على الناس »^(٢) .

إن قيل : لم لا يراد بالمؤمنين الملائكة ؟ قلنا : لا يتناولهم اسم المؤمنين عرفاً و لهذا لم يسارع الفهم عند الاطلاق إليهم .

إن قيل : المراد برؤية العمل العلم بجزائه وذاك في المستقبل ، وهو لا يختص بالامام و يعضد ذلك سين الاستقبال . قلنا : لو أريد الاستقبال لم يكن الربّ عالماً به في الحال و هو محال على أن السين جاءت لغير الاستقبال « فاستجبنا له » و فاستجاب له ربّه .

﴿ الفصل الرابع ﴾

قالوا : قلتم : اعتقد الفلاة في عليّ أنّه الاله ، و ما ذلك إلّا لمعنى موجب لترجيحه يفنتي الفهم بتلويحه عن تصريحه ، و أيّ حجة في الاعتقاد الباطل للكفرة و قد اتخذت غطفان القويّ إلهاً و هي شجرة ، و ثقيف مناة و هي صخرة ، و غير ذلك

(١) براءة : ١٠٦ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

ولا معنى فيها يوجب ترجيحها ، وادّعت النبوة لمسيلمة ولسجاح وهي امرأة فأي معنى دأى فيهما أتباعهما .

قلنا : إننا لم نقل بأفضلية عليٍّ لكونه معبوداً بل : لما ظهر من أفعاله بما يبهر العقول ، ضلُّ فيه لعدم تحقيق النظر الجهول ، كما ظهر لعيسى من إحياء الأموات ، وإبراء ذوي العاهات ، فرأوا العجز عن ذلك في القوة البشرية ، وفصفوه لذلك بالالهيّة . ولم يعلموا أن الكرامات الدالّة على الخلوص من الذنوب ، من أكبرها الإجابة من علام الغيوب ، وقد جاء عن النبي ﷺ إن الله عباداً أطاعوا الله فأطاعهم يقولون للشيء بأمره كن فيكون ، وقد أورد المخالف قول النبي ﷺ لعليٍّ « ولولا أن تقول طائفة فيك ما قالت في عيسى النصارى ، لقلت فيك .. » الحديث ، ولما بهر عقول النساء حسن يوسف العظيم « قلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » (١) .

قال ابن أبي الحديد ، في مدحه للمسيّد المجيد :

تقبّلت أفعال الربوبية التي * عذرت بهامن شك أنك مربوب
وقد قيل في عيسى نظيرك مثله * فخرس لمن عادى علاك وتنبيب

وقصده المبالغة في المقال ، لا قبول عذر الضالِّ ، ولا نسلم عدم المعنى في تلك الأصنام ، فإن أكثر المفسرين قالوا : وضعت على صور قوم كرام من الأنام تبرُّكاً بشرفهم فلمّا طالّت الأوقات عبدها أولادهم جهلاً منهم ، وقيل : إنّما وجّهوا إلى الأصنام العبادات لأنّها صور الكواكب المؤثّرات فأرادوا تعظيمها لارتباط منافع العالم السفليّ بها ، واستنادها إليها ، فلمّا تناسلت القرون نسي ذلك في التابعين وصاروا متقلّدين ، وأيضاً لا يلزم من عدم وجود المعنى فيها عدم وجوده في غيرها والمجتمعون على مسيلمة وسجاح طلبوا الدنيا بهما لا لفضل رأوا فيهما ، كما جرت عوائد أتباع الظلمة لإحراز الأموال وعلو الكلمة .

﴿ الفصل الخامس ﴾

قالوا : قلتم : عليُّ أفضل بالمصاهرة . قلنا : زوّج النبيُّ عتبة بن أبي لهب و أبي العاص بن الربيع ، وهما كافران و زوّج عثمان ابنتين ، و تزوّج من الشيوخ بالابنتين ، فالأئمة الأربعة أصهاره . أجبنا بأن فاطمة أفضل من باقي بناته وزوجاته و أورد الثعلبيُّ في تفسير قول ابن عمر : لعليّ ثلاثة لو كانت لي واحدة منهم كانت أحب إليّ من حمر النعم : تزويج فاطمة ، و إعطاء الراية ، و آية النجوى . ولم يقل ذلك في بناته وقد أخرج صاحب جامع الأصول عن النسائيّ أن الشيوخ خطبها فاعتذر بصغرها و خطبها عليّ فزوّجها بها ، و أخرجه أيضاً عن رزين ، و ما قال من تزويج النبيّ بالكفار يرد عليهم في تزويجه عثمان الذي سمّوه ذا النورين ، بسبب تزويجه الابنتين .

وليس لهم أن يقولوا : عند خطبة عليّ كانت قد كبرت ، فلمذا ردّها و أجابه لأنّا نقول : فالتعقيب في قول كتبكم « فخطبها » تمنع ذلك

و أمّا فضل فاطمة على غيرها من بناته و غيرها ، فمشهور بأقوال النبيّ ﷺ فيها : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع وعدّها منهنّ و أخرج البخاريّ قوله في حقّها « سيّدة نساء العالمين ، يريبنّي ما رابها » و أخرج صاحب الوسيطة عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله مالك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها سلاً ؟ فقال ﷺ : لما أسري بي دخلت الجنة فنادلني جبرائيل تفاحة فأكلتها فصارت نطفة ، و فاطمة منها و كما اشتقت إلى ربح الجنة قبلتها وإن خديجة هجرتها نساء قريش عند ولادتها لأجل تزويجي بها فنولّى أمرها حواء و آسية و كلثم أخت موسى و مريم فلمّا وضعت فاطمة وقعت ساجدة نحو القبلة رافعة أصبعها ، ناطقة بالشهادتين .

وقد روى مسلم في الجزء الرابع من صحيحه بعد طرق : فاطمة بضعة مني يريبنّي مارا بها و يؤذني ما أذاها ، و بعض المعصوم معصوم .

وقد قالت في خطبتها المشهورة : أصبحت والله عاتمة لدنياكم ، قالية لرجالكم لفظنم بعد أن عجمتم ، و سبرتم بعد أن خبرتم ، ويجهم أننى زحزحوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة ، ومانقموا من أبي الحسن تالله إلا نكال سيفه ، و نكير وقعه ، و شدة وطئه ، و تشهيره في ذات الله ، إلى أي لجاء أسندوا ، و بأي عروة تمسكوا لبئس المولى ولبئس العشير استبدلوا الذنابي بالقوادم ، والأعجاز بالكواهل رغماً لمعاطس قوم ، يحسبون أنهم مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ، و لكن لا يشعرون .

و ناهيك من قولها بعد عرفان عصمتها من تقديم بعلمها ، وقد أورد الثعلبي تزويجها في قوله « وهو الذي خلق من الماء بشراً وجعله نسياً وصهراً ^(١) » . ومن الوسيلة أيضاً إنما سميت فاطمة لأنها قطعت محبوسها عن النار ، ومنها عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله ينادى يوم القيامة أيها الجمع نكسوا رؤسكم ، و غصوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة على الصراط ، ومنها أن النبي صلى الله عليه وآله قال لها إن الله يغضب لغضبك ، و يرضى لرضاك ، و منها قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي إن خبرائيل يخبرني أن الله زوجك بفاطمة و أشهد أربعين ألف ألف ملك ، و أوحى إلى شجرة طوبى أن تنثر الدد و البياقوت ، فنثرت فلقطه الحور فهو عندهن يتهادينه إلى يوم القيامة ، فمعاني هذه الأقوال نقلت من الوسيلة .

و في تفسير الزمخشري في قوله تعالى : « قالت هو من عند الله ^(٢) » إن فاطمة في زمن قحط أعدت للنبي رغيفين و بضعة لحم فكشفت الطبق فوجدته مملوءاً خبزاً ولحمًا ، قال لها : أننى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيّدته نساء بني إسرائيل ثم جمع بعلمها و ولدتها و أهل بيته و أكلوا حتى شبعوا و الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها ، فهذه تشهد بأفضليتها ، وأنتم تقيسونها بغيرها ، وقد وردت مدائح الشعراء بذلك فيها ، و

(١) الفرقان : ٥٤ .

(٢) آل عمران : ٣٧ .

لم يرد قليل منها في غيرها ، قال السوسي :

و زوّج بالطهر البتولة فاطمة * و ردّ سواء كاسف البال منحصر
و خاطبها جبريل لما أتى بها * و من شهد الأملاك يلقط ما نشر
تناثر ياقوت و درّ و جوهر * و مسك و كافور من الخلد قد نثر
و قولاً لهم يا خاطبها بحسرة * تزوّجت الشمس المنيرة بالقمر
و يطلع من شمس الضحى ومن الدجى * كواكب قد لاحت لنا أحد عشر
و قال العوّني :

زوّجك الله يا إمامي * فاطمة البرّة الزكيّة
و ردّ من يامها جميعاً * بأوجه كره خزيّة
أليس قد نافقوا وإلا * لم ردّها القوم جاهليّة
و قال سلامة :

أنا مولى من حباه ربّه * بالرضا فاطمة زين العرب
لست مولا الخاطب الوغد الذي * ردّ بالخبيّة لما أن خطب

و قال ابن عباس و ابن مسعود و جابر والبراء و أنس و أمّ سلمة و السديّ
و ابن سيرين و الباقر عليه السلام في قوله تعالى : « هو الذي خلق من الماء بشراً فجعله
نسباً و صهراً » قال : هو عمّ و عليّ و فاطمة و الحسنان « و كان ربّك قديراً ^(١) »
القائم في آخر الزمان .

الصادق عليه السلام : أوحى الله تعالى إلى رسوله : قل لفاطمة لا تعصين عليّ فانه
إن غضب غضبت لغضبه .

المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام : لولا أن الله خلق أمير المؤمنين لم يكن
لفاطمة كفؤ على وجه الأرض ، و نحوه رواه الأندلسي عن النبي صلى الله عليه وآله و على
هذا قال صاحب بن عبّاد .

كفؤ البنول ولا كفؤ سواء لها * و الأمر يكشفه أمر يوازيه

و قال آخر :

يا كفؤ بذت محمد لولاك ما ✽ زفت إلى بشرمدى الأحقاب

يا أصل عدة أحد لولاك لم ✽ يك أحد المبعوث ذا أعقاب

و أسند المروزي في فضائل فاطمة و البلاذري في التاريخ : خطبها أبو بكر ثم

مهر فقال النبي ﷺ لكل منهما : أنتظر بها القضاء .

﴿ الفصل السادس ﴾

✽ (في مبيت على عليه السلام على فراش النبي حين خرج الى الفار) ✽

✽ (و في رواية الى الشعب) ✽

قال المفيد : يجوز صدق الروايتين بالنوم مرتين و هذه الفضيلة لم يأت أحد بمثلها ولم ينهياً لشخص إحراز فضلها ، لأن النبي ﷺ خرج سراً عند اجتماع القبائل على قتله فأعلم علياً و استكنمه ، و أمره بالنوم على فراشه ، فنام و بذل نفسه دون نبيه ، فأنزل الله تعالى فيه بين مكة و المدينة على رسوله : و ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ^(١) .

قال المخالف : هي رواية مظنونة فلا يعول عليها ، قلنا : قد نقلها من الخاص و العام جماعة يوجب تواترها ، فمن العامة ، الثقي ، و الفلكي ، و الطوسي ، و الشيباني ، و الحسن البصري ، و أبوزيد الأنصاري ، و السدي ، و معبد ، و العكبري ، و السمعاني ، و الغزالي في الإحيا ، و في كيميا السعادة ، و ابن عتبة في ملحمة و أبو السعادات في فضائل العشرة ، و ابن حنبل في مسنده ، و ابن المغازلي في مناقبه و الخطيب الخوارزمي ، و القاضي ، و الجوزي ، و الفراء ، و الزنجشيري ، و الثعلبي ، و من الخاصة ابن شاذان ، و الطوسي ، و ابن بابويه ، و الكليني ، و

ابن أبي هالة ، و الصفواني ، و ابن عقدة ، و العبدلي ، و ابن فياض ، و أبو رافع و البرقي .

و رويهم و الثعلبي في تفسيره الحديث القدسي " أن الله أوحى إلى جبرائيل و ميكائيل : قد آخيت بينكما و جعلت عمر أحدكما أطول من صاحبه ، فأيتكما يوثر أخاه ؟ فكل منهما كره الموت ، فقال : هلا كننما مثل علي وليتي آخيت بينه و بين محمد نبيتي فأثره بالحياة على نفسه ، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فهبطا فكان جبرائيل عند رأسه و ميكائيل عند رجله و بلغ بهما له جبرائيل و قال : من مثلك ؟ يباهي الله به ملائكته .

و في كتاب الخوارزمي نزل جبرائيل صبيحة الغار فرحاً فقال : أراك فرحاً ؟ قال : و كيف لا أفرح وقد قرأت عني بما أكرم الله به أخاك و وصيتك و إمام أمتك علي . ابن أبي طالب ، باهى الله بعبادته البارحة ملائكته و حملة عرشه ، فقال : انظر و إلى حجتي في أرضي بعد نبيتي و قد بذل نفسه و غفر في التراب خدّه تواضعاً لعظمتي أشهدكم أنه إمام خلقي و مولى بريتي ، و ما امتحن الله خاصة ملائكته بذلك إلا و قد علم من حالهم عدم صبرهم على هذه المهالك ، فكلفهم و قد علم كراهتهم لتلك المسالك ، و أراد يعلم بني آدم أن الملائكة لم تقدم على فعله ، فيقرّون أنه ليس فيهم كمثله .

و هذا المبيت لو وزن بأعمال الخلائق لرجحها ، لأنه سبب نجات نبيها و أداء رسالته إليها ، و إنفاذ الأمر الإلهي فيها و ثبوته ، و هو ابن عشرين سنة ، مع كثرة الأعداء ، مراغماً لهم ، ينادي على الكعبة ثلاثاً بصوت عال ، و قوة جنان ، و قلب راسخ ، و ثبات لسان ، مع قلة الأعوان ، و كثرة الخذلان : هل من صاحب أمانة أو وصية أو عدة عند رسول الله ؟ فأدّى الحقوق ، و جهز العيال جهازاً ، و فيهم عائشة فله المنّة على أبيها و عليها بحفظها ، و في وصيته بذلك سلفاً دليل استحقاقه ، و وصيته خالفاً قال ابن جبر في نخبه : الشجاع الثابت بين أربعمائة سيف مظهر العدائهم حين سألوه عنه فقال : و هو في حفظ الله أو رقيباً كنت عليه ، و هذا مما يعجز عنه

ذو القدر ، لولا التأييد من خالق البشر .

قال الجاحظ : إنما لم يهرب خوفاً من العار ، قلنا : يردُّ هذا قوله تعالى : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله »^(١) ، و صبره ﷺ أعظم من صبر إسماعيل لوجود الشفقة من أبيه ، و تجويز العقوب من باريه ، و تجويز كون ذلك امتحاناً ، إذ لم يمهّد ذلك من أحد ، و تجويز نسخه قبل فعله ، و تجويز كون باطن الكلام بخلاف ظاهره ، و تجويز كون تفسير المنام بضدّ حقيقته ، و تجويز الاتيان بفدائه ، ولا شيء من هذه التجويزات حاصل لعليّ حال البيان .

إن قيل : بل محنة إسماعيل أعظم لعلم عليّ أن قریشاً إنما طلبت النبيّ دونه بخلاف إسماعيل ، إذ كان يعلم أن ذلك بالوحي الالهيّ . قلنا : فتجويزه غرضهم ممّا يوجب شدة الحرج والغضب عليه ، و ذلك معروف بالعادات أن من فوّت عليهم حيلتهم ، حتّى فات غريمتهم ، لا يلحقهم شفقة عليه ، ولا ميل ما إليه ، فظهر أن ما سلف من النوم ، أقوى في الشجاعة من براز القوم ، إذ مبارزة الأبطال الكبار ، فيها رجاء السلامة بالمكرو والقرار ، ولهذا لما غلب ظنّ الملكين بالتلف ، لم يؤثر أحدهما الآخر بالخلف .

قال الجاحظ : في الروایتين النبيّ بشّره أنّهم لا يصلون إليه ، فلا فضيلة له فيه . قلنا : تلك الزيادة لم تنعرف ، إلا من عدوّ منحرف ، نعم في رواية ابن المغازلي : لا يخلص إليك منهم مكروه إنشاء الله ، و هذا لا جزم فيه لتعلّقه بالمشيئة ، و ابن حنبل أعرف من ابن المغازلي ، وقد نقل في مسنده أنّهم رموه بالحجارة ، و اثن سلّمت الزيادة فتميّها فضيلة الوثوق بقول النبيّ ﷺ .

وقد رووا قوله ﷺ أن الشيخين يلبان الخلافة ، ومنهم من يقول إنّه نصّ عليه بالخلافة ، فإن صدّق بقول النبيّ فما قعوده عن لقاء الأبطال ، و إن شكّ في النصّ فأين مقام عليّ من هذا الحال .

وقد أورد المفيد في العيون والمحاسن قول عليّ لأبيه : إنني مقتول ، فقال :
 اصبرن يا بني فاصبر أحجى * كل حي مصيره لشعوب
 قد بذلناك و البلاء شديد * لقداء النجيب وابن النجيب
 فأجابه عليه السلام :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد * فوالله ما قلت الذي قلت جازعا
 ولكنني أحببت أن ترنصرتي * وتعلم أنني لم أزل لك طائعا
 وسعبي لوجه الله في نصر أحمد * نبي الهدى المحمود طفلاً ويا فعا

و هذا يتأتى على رواية الخروج إلى الشعب لما ورد أن أبا طالب كان قد مات
 عند الخروج إلى المدينة كما ذكره صاحب جامع الأصول وسيأتي إن شاء الله .
 قالوا : إنما أباته لعلمه أن الاسلام لا ينهدم بقتله ، واستصحب أبا بكر لعلمه
 بخلافته . قلنا : قد رويتم أنه قال عليه السلام : الخلافة بعدي ثلاثون سنة على أعمار الأربعة
 فكيف يحرم عليه خاصة دون غيره ، بل قد روي أنه صحبه خوفاً من أن ينم عليه
 قال ابن طوطي :

ولما سرى الهادي النبي مهاجراً * وقد مكر الأعداء والله أُمكر
 وصاحب في المسرى عتيقاً مخافة * لئلا بمسراه لهم كان يخبر

و روى أبو بصير عن الصادق عليه السلام أنه تبعه يريد أن يعلمه به قريشاً فأوحى
 الله إليه ذلك ، فقال له : ويلك ما زلت من ذي الميلة مؤذياً لي ، فقال : إنما أردت
 أشيعك ، وأعلم علمك ، ولا حاجة لي في أن أكون معك ، بل أحب أن أكون
 مخملاً ، كذب عنك ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : إن الله أمرني أن آخذك ثم قبض عليه
 وكان من أشد الناس قبضة فأخذه كارهاً وسبأني لذلك في باب رد الشبهات عند ذكر
 آية الغار مزيد كلام ، فليراجعه من يريد هذا المرام .

وقد افتخر علي في المبيت وأنشأ في هذا المقام :

وقيت بنفسي خير من وطني الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحر
 أردت به نصر الاله تبتلاً * وأضرته حتى أو سد في القبر

و مدحه الفضلاء والشعراء كالحميري والطوطي ودعبل الخزاعي والناشي
ومن أحسن ما قيل فيه للسيد المرتضى :

وقى الرسول على الفراش بنفسه * لما أراد حمامه أفواهه
ثانيه في كل الأمور و حصنه * في الذائبات و ركنه و دعمه
لله دره بلائد و دفاعه * و اليوم يغشى الدارين قنانه
فكم أجمل إلى العوالي غيلة * و كأنما هو بينها ضرامه^(١)
طلبوا مداه فقاتهم سبعا إلى * أمد يشق على الرجال مرامه
و ذكر الواقدي و غيره أنه لما أراد الخروج بعينال النبي ﷺ قال له
العباس : ما أراك تمضي إلا في خفارة خزاعة ، فقال :

إن المنية شربة مورودة * لا تجز عن شد للرحيل
إن ابن آمنة النبي عهد * رجل صدوق قال عن جبريل
أرخ الدعاء ولا تخف من عائق * فالله يردهم إلى التنكيل
إنني برئي واثق و بأحد * و سبيله متلاحقا بسبيلي
و قال السيد الحميري في مبيته عليه السلام :

و من قبل ما قد بات فوق فراشه * وأدنى و ساد المصطفى و توسدا
و أخرج منه وجهه بلحافه * ليدفع عنه كبد من كان أكيدا
فلما بدا صبح يلوح تكشفت * له قطع من حالك الليل أسودا
و دارت به أحراسهم يطلبونه * و بالأمس ما سب النبي و أوعدا
أنواطهم والطيب الطهر قدمضى * إلى الغار يخشى فيه أن يتوردا
فهموا به أن يقتلوه و قد سطوا * بأيديهم ضربا مقاما و مقعدا
دعبل :

و هو المقيم على فراش عهد * حتى وقاه مكائدا و مكيدا

(١) فكانما أجمل العوالي غيلة . خ .

وهو المقدم عند حومات الوغى * ما ليس ينكر طارفاً وتليداً
الناشي :

وقى النبي بنفس كان يبذلها * دون النبي قرير العين محتسبا
حتى إذا ما أتاه القوم عاجلهم * بقلب ليث يعاف الرعب ما وجبا
فساء لوه عن الهادي فشاجرهم * فخور فوه فلعماً خافهم وثبا
وقال آخر :

مبيت علي في الفراش فضيلة * كبدر له كل الكواكب تخضع
فرهن علي بالفلك معادل * وهذا سبيل واضح النهج مبيع

﴿ الفصل السابع ﴾

حله النبي لتكسير الأصنام ، عن البيت الحرام ، وهو من الفضائل العظام
حيث تشرّف قدماء بمنكب خير الأنام ، وقد رواه الفريقان مثل ابن حنبل والموصلي
والخطيب والخوارزمي والزعفراني والنطنزي والشيرازي وعمار بن أحمد و
أبي صر والقاضي وابن منده والبيهقي وابن مردويه والعملي والجرجاني و
شاذان والحسكاني .

قالوا : لا فضيلة لعلي في حل النبي إذ لو وجد آلة يرمي بها غيره لم يحمله .
قلنا : لم يشك أحد في أن ذلك فضيلة لعلي فقد ذكره شيخ المعتزلة ابن أبي
الحديد في قوله :

رقيت بأسمى غارب أهدقت به * ملائكة تنلو الكتاب المطهرا
فياربة لو شئت أن تلمس السها * بها لم يكن ما رمته متعذرا
ويا قمعاً أي قدس وطلتما * وأي مقام قمتما فيه أنورا

وهذا أخذ من قول النبي ﷺ فيما رواه ابن المغازلي أن علياً قال للنبي :
أنا أحلك فقال النبي لو أن ربيعة ومضر جهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حي

ماقدروا ، و لكن أنا أحملك ، فاقتلعه من الأرض بيده و رفعه حتى بان بياض بطنه
و قال : ماترى ؟ قال : أرى أن الله قد شرّ فني بك حتى لو أردت أن ألمس السماء
للمستها ، فلما رمى بها صرخ النبي من تحت علي فترك رجله ، فسقط على الأرض
فضحك قال : ممّ تضحك ؟ قال : سقطت من أعلى الكعبة فما أصابني شيء ، قال :
كيف يصيبك وإنما حملك عمر ، و أنزلك جبرائيل .

فهذا الحديث مجمع عليه ، يتبين فضيلة علي منه ، و المخالف يبطل ترجيحه
بذلك ، و يرجّح أبا بكر باخباره بموضع قبر النبي بخبر رواه ، و باخباره بأنّه
يجوز عليه الموت مع اشتهاؤه قوله تعالى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ و إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . و كلُّ
نفس ذائقة الموت ^(١) » و أيضاً إذا ادّعى أن النبي لم يقصد الفضيلة لعلي بحمل
علي لزمكم أنه عليه السلام لم يقصد الفضيلة لأبي بكر بصحبة أبي بكر ، و قد روي أن
الثلاثة هبطوا عن مقام النبي في المنبر و علي صعد إليه فتكلّم الناس فيه فقال : سمعت
النبي يقول : « من قام مقامي ولم يعمل بعلمي أكبه الله في النار و أنا والله العامل
بعمله و الحاكم بحكمه » .

قلت : فمن أقام الاسلام بحسامه ، و وضع رجله من النبي على ختامه ، كيف
ينكر عليه الصعود إلى مقامه ، قال الناشئ :

و كسر أصناماً لدى فتح مكة * فأورث حقداً كل من عبد الوثن
فأبدت له علياً قریش عداوة * فأصبح بعد المصطفى الطهر في محن
يعادونه أن أخفت ^(٢) الكفر سيفه * وأضحى به الدين الحنيفي قد علن

قال المخالف : روت أهل السنة أن النبي ليلة الهزيمة كان يحمل أبا بكر في
الرمح لأن قدم النبي لا يؤثر فيه و أبو بكر يحمل النبي في الصخر لأن قدم
النبي تؤثر فيه . قلنا : الحديث المجمع عليه ، فيه : « لو أن ربعة و مضر جهدوا
على أن يحملوا مني بضعة و أنا حي ما قدروا » ينفي ويكذب ما قدروا ولو فرضت

(١) الزمر : ٣٠ . آل عمران : ١٨٥ .

(٢) أحمد . خ ل .

صحّة هذا المحال ، لم يتفضّل بحمله للنبيّ عليّ حال ، إذ يقال له : لو وجد النبيّ حماراً يركبه لمّا حمله كما قلتم : لو وجد النبيّ آلة بدلاً من عليّ لما حمله .

قالوا : لم يطق حمل النبيّ أحدٌ كما في الحديث . قلنا : قد قلتم : إنّ أبا بكر حمله ، فكيف تعشرون هذا العنود ؟ وقد حملته العضباء واليعفور قال الناشئ :

إمام علا من خاتم الرسل كاهلاً * وقد كان عبلاً يحمل الطهر كاهله
ولكن رسول الله أعلاه عامداً * على كنفه كي يباهي فضائله .
أيمجز عنه من دحى باب خبير * و يحمله أفراسه و رواحله

قالوا : حمل النبيّ الصبيان : أسامة والحسين وأمامة ، ولا فضل بذلك فضلاً عن اقتضاه الامامة . قلنا : بلى ، فإنّ كلّ واحد اشتهر به افتخاره ، ولم يسع مسلم إنكاره ، كيف وفيه حظٌ لمنصب النبوة والرسالة ، وحظٌ لمنقب الفتوة والجلالة والفرق أيضاً بين حملهم وحمل عليّ ظاهر ، لكلّ عاقل خبير ، إذ كان في حمله عليه السلام وسيلة إلى إعزاز الاسلام ، بكسر الأصنام ، وإرغام الطغام ، قال المرتضى :

ولنا من البيت المحرّم كلّما * طافت به في موضع أقدامه
وبجدتنا و بصفوه دحيت من البيـ * ات الحرام وزعزت أصفاه
فهما علينا أطلعا شمس الضحى * حتى استنار حلاله و حرامه
وقال آخر :

قالوا مدحت عليّ الطهر قلت لهم : * كلّ امتداح جميع الأرض معناه
ما ذا أقول لمن حطت له قدم * في موضع وضع الرحمن يميناه

﴿ الفصل الثامن ﴾

عمل بآية النجوى وبخل غيره ، قال الثعلبيّ في تفسيره : قال ابن عمر لعليّ ثلاث لو كانت لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إليّ من حمر النعم : تزويج فاطمة ، و إعطاء الراية ، و آية النجوى .

و روى ابن المغازلي أنه عليه السلام قال : في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، و ذكر آية النجوى ، و قال بعدها : فبي خفف الله عن هذه الأمة

وأورده في التفسير الشعلي ، وشريك ، والليث ، والكلبي ، وأبو صالح والضحاك ومقاتل ، و الزجاج ، ومجاهد ، وقناة ، وابن عباس ، و الترمذي ، و الأشنهي عن الأشجعي ، و الثوري ، وسالم ابن أبي حفصة ، وابن علقمة الأنباري ، والموصلي و زاد أبو القاسم الكوفي : لو لم أعمل بها لنزل العذاب عند امتناع الكل منها ، و حكى القاضي في تفسيره و قال : في هذا تعظيم الرسول ، و انتفاع الفقراء ، والنهي عن الاقراط في السؤال ، و التمييز بين المخلص و المنافق ، و محبة الآخرة ومحبة الدنيا و ذكر قريباً منه رزين العبدري .

وفي الكشف للزمخشري : ومن طريق الحافظ أبي نعيم : بخلوا أن يصدقوا و تصدق ولم يفعل ذلك أحد غيره ، فهنا عتب الله تعالى على كل الأمة لقوله تعالى : « فاذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم ^(١) » و ذلك أن الله لم يقيّد الصدقة بقليل ولا كثير فلا اعتذار للفقراء بعدم المقدرة ، و كان ذلك لتمييز علي عليه السلام و تظهر فضيلته فيهم إذ كان الله عالماً قبل اختبارهم بفعله و امتناعهم ، فأراد بذلك إظهار شرفه بامتنال أمره ، و استحقاق إمرته .

قالوا : كان علي سبب نسخها و منع الأمة عن نيل ثوابها ، إذ عملت بها . قلنا : [إذ] المراد تثبيت فضيلته ، و إن لزم منها نقص غيره ، و قد كان عند النذير زيادة التغير ، و زيادة الرجز عند إنزال السورة ، فلا تنفعهم كلمتهم العورة .

قالوا : تفتخرون بصدقة النجوى مع قلّتها فكيف يكون افتخارنا با نفاق أبي بكر مائة ألف كل ماله و هو نصف ماله ؟ قلنا : صدقة النجوى كثرتها القبول كما قال عليه السلام : « لا يقل عمل مع التقوى و كيف يقل ما يتقبل » و لو لا إعلام

النبي^ﷺ بقبولها لم يصرح ابن عمر بتمنيها ، و ما يدعونه من إلتحاق أبي بكر فدعوى قام الدليل على خلافها بما ذكره البخاري وغيره أنه كان خياطاً و أن بنته أسماء كانت تنقل النوى على رأسها من أرض الزبير و هي عنها ثلاث فراسخ و كان أبوه عضوطاً^(١) لابن جذعان ينادي على مائدته كل يوم بمد ، لو كان ذا مال لسان أباه عن أجرة النداء إلى طعام غيره .

إن قلت : فأيسر بعد ذلك ، قلت : الأصل عدمه ولا دليل عليه ، و دعوى الإلتحاق لا تجري فيه لبنائها عليه ، و قبل الهجرة كان النبي^ﷺ غنياً بمال خديجة ، و قد أخرج صاحب الوسيلة أنه عليه السلام كان يجازي على الهدية بأكثر منها ، قال : كان كل ذلك تنزيهاً له عن الممن ، و تشريفاً له بالعز و الغناء بما آتاه الله ، و لو كان الإلتحاق صحيحاً ، و على تقدير صحته لو كان مخلصاً ، نزل القرآن فيه كما نزل في علي^{عليه السلام} هل أتى و آية الخاتم و نحوها ، مع كونه هو الأقل و المنفق عليه و هو النبي^ﷺ هو الأجل .

تذليل : اتحد النبي^ﷺ وعلي^{عليه السلام} في دار في الجنة يدل على شدة المناسبة في الفضيلة ، و استحقاق الثواب دون غيره بيانه أن النبي^ﷺ سئل عن شجرة طوبى فقال : أصلها في داري في الجنة وسئل ثانياً فقال في دار علي^{عليه السلام} فقيل له في ذلك ، فقال : داري و دار علي^{عليه السلام} واحدة . روي ذلك عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿ الفصل التاسع ﴾

مرض الحسنان فعادهما جدّهما و وجوه العرب ، فنذر علي^{عليه السلام} و فاطمة صيام ثلاثة أيام إن برئ ، فكان ذلك . فاقترض علي^{عليه السلام} ثلاثة أسوع من شعير من يهودي و روي أنه أخذها ليفزل لها بها صوفاً ، فطحن فاطمة عليها السلام صاعاً و اخبزته فأتاهم مسكين فسألهم فأعطوه ، و في اليوم الثاني يتيم فأعطوه ، و في الثالث أسير فأعطوه .

(١) المضروط و المضارط : الغادم على طعام بطنه .

ولم يذوقوا الثلاثة إلا الماء، فأتى علي بالحسين و بهما ضعف إلى النبي ﷺ فبكى
فنزلت سورة « هل أتى على الانسان حين من الدهر ، ^(١) .

قال الجاحدون : السورة مكّية فكيف تتعلق بما كان في المدينة ؟ قلنا : ذكر
الرازي في الأربعين ، وابن المرتضى ، والزحشري ، والقاضي في تقاسيرهم و
الفرأ ، في معاملة ، والغنوي في شرح طوالعه ، والواحدي ، وعلي بن إبراهيم ، و
أبو حمزة الثمالي ، وأسند أحمد الزاهد ، والحسكاني أنها مدنية ، وكذا عن
عكرمة ، وابن المسيب ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، ونحو ذلك قال
خطيب دمشق الشافعي ، وأورد القضية بجزئياتها الثعلبي ، وفي آخرها : بكى
النبي ﷺ قال : و اغوثاه يا الله أهل بيت محمد يموتون جوعاً ، فهبط جبرائيل و
قال : خذ ما هناك الله في أهل بيتك ، ثم اقرأ « هل أتى » .

وزاد محمد بن علي صاحب الغزالي في كتابه البلغة أنه نزلت عليهم مائدة
فأكلوا منها سبعة أيام ، وعد أبو القاسم الحسين بن حبيب وهو من شيوخ الناصبية
في كتاب التنزيل ، ما نزل بالمدينة وهو تسعة وعشرون سورة و ذكر هل أتى منها
ولم يذكر خلافاً فيها ، ويقرب منه ما ذكره هبة الله المفسر البغدادي في الناسخ و
المنسوخ ، بل ذلك قد شاع وذاع ، و قرع جميع الأسماع ، وأنشد فيه :

أنا مـولاً لفتى ✽ أنزل فيه هل أتى

آخر ^(٢) :

إلام الألام وحتّى متى ✽ أفنّد في حبّ هذا الفتى

فهل زوجت فاطم غيره ✽ أفي غيره أنزلت هل أتى

(١) راجع الكشف ج ٤ ص ١٦٩ اسباب النزول ص ٣٣١ تفسير الرازي ج ٣

ص ٢٤٣ ، تفسير الفرطبي ج ١٩ الدر المنثور ج ٦ ص ٢٩٩ ، فتح القدير للشوكاني ج ٥

ص ٣٣٨ . علي ما في ذيل احقاق الحق ج ٣ ص ١٥٧ .

(٢) نسبه في ذيل الاحقاق الى الامام الشافعي .

و قال ديك الجن :

شرفي محبة معشر * شرفوا بسورة هل أتى

و ولا، من في فتكه * سمّاه ذو العرش الفنى

ولمّا كان الله سبحانه قد علم صدق نبيّاتهم وإخلاص طويّاتهم أنزل على نبيّه :
« إنّما نطعمكم لوجه الله ^(١) » ، قال مجاهد و ابن جبير لم يتكلّموا بذلك بل علم الله
ما في قلوبهم فأثنى به عليهم .

﴿ الفصل العاشر ﴾

نزل في عليّ و فاطمه و الحسنين « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت و يطهركم تطهيراً ^(٢) » . و في رواية القميّ : إنّما نزلت في عليّ و السّبطين
و الأئمّة من ولده ، قال أحمد بن فارس اللّغويّ صاحب المجمل ، فيه : التطهير :
التزيه عن الاثم و عن كلّ قبيح ، و أقول : فيه شاهد عدل على عصمتهم .
إن قلت : الواحد المعرف بلام الجنس لا يعمّ ، قلت : بل يعمّ في النقي لا نه
لو ثبت من الرجس فرد كانت الماهيّة فيه ، فلم يصدق الإذهاب و ليست اللّام للمعهد
لعدم تقدّم ذكر الرجس .

قالوا : الله يريد إذهاب الرّجس عن كلّ أحد . قلنا : نمنع أن الرّجس
المستلزم إذهابه للمعصية يريد الله إذهابه عن كلّ أحد .

قالوا : « يريد » لفظ مستقبل فلا دليل على وقوعه ، قلنا : دعا النبيّ ﷺ
لهم به ، ولا يدعو إلّا بأمر ربّه ، فيكون مقبولا فيقع ، مع أن صيغة الاستقبال قد
جاءت للماضي و الحال : « إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة . يريد الله
أن يخفف عنكم . يريدون أن يبدّلوا كلام الله ^(٣) » .

(١) النور : ٩ .

(٢) الاحزاب : ٣٣ .

(٣) البقرة : ٩٤ . النساء : ٢٧ . الفتح : ١٥ .

قالوا : الإذهاب يستلزم الثبوت أو لا وليس من قولكم ذلك ، قلنا : لا ، لأن
الإنسان يقول لغيره : أذهب الله عنك كل مرض ، ولم يكن حاصلًا له كل مرض .
قالوا : المراد النساء لأن مبدء الآية وختامها فيهن قلنا : الميم الذي هو
علامة التذكير يخرجهن .

قالوا : فلتخرج فاطمة وليس قولكم . قلنا : يدخل المؤنث إذا جاء معه
بخلاف قولكم فاتكم خصصتموها بالنساء .

إن قالوا : خاطب موسى امرأته بالميم في قوله «لعلّي آتيكم منها بقبس» قلنا :
أقامها مقام الجمع مجازاً

إن قالوا : فكذا هنا بل أولى ، قلنا : لضرورة تحوج إلى المجاز هنا وحديث
أم سلمة أخرج النساء و سيأتي ذلك متاً ، مع انعقاد الإجماع في أن ترتيب القرآن
ليس على ما نزل

وقال الامام الطبرسي : عادة الفصحاء الذهاب من خطاب إلى آخر و العود
إليه ، و القرآن مملوء منه : «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وسيقام بهم
شرباً طهوراً ، إن هذا كان لكم جزاء» (١) ، وقد أخرج صاحب جامع الأصول ما
رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم لما قيل له : من أهل بيته ؟ نسأوه ؟ قال : لا
إن المرأة تكون مع الرجل الدهر ثم يطلقها فترجع إلى قومها أهل بيته هـ
أصله و عصبته الذين حرّموا الصدقة بعده .

وأسند ابن حنبل إلى وائلة بن الأسقع أن النبي ﷺ اجلس علياً
على يساره و فاطمة على يمينه و الحسنين بين يديه ، ثم التفت عليهم بثوبه و تلاهذه
الآية ثم قال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي هؤلاء أحق» . وفي الرواية قالت أم سلمة :
أنا معكم قال : إنك على خير (٢) .

(١) يونس : ٢٢ . الدهر : ٢١ و ٢٢ .

(٢) قد نقل المصنف رحمه الله روايات في هذا الفصل ترى مواضعها ذيل احقاق

الحق ج ٢ ص ٥٠٢ و ج ٣ ص ٥١٣ ، وأخرجها في البعاز ج ٣ ص ١٢٧ الطبعة الحديثة .

قالوا : عنى بالخير نزول الآية فيهن . قلنا : لو كن معنيات بالآية لم يكن لقول أم سلمة فائدة ، و أيضاً فقد أسند ابن حنبل إليها أنها لما قالت ذلك قال لها : قومي فتنحيتي عن أهل بيتي ، قالت : فتنحيت ، و أسند أيضاً إليها أنه ألقى عليهم كساءً فدكياً ثم وضع يده عليهم و قال : اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك و بركاتك على محمد و آل محمد إنك حميد مجيد ، قالت : فرفعت الكساء لأدخل معهم فاجذبه من يدي ، و قال : إنك على خير و رواه في المصابيح عن عائشة و رواه أحمد ابن حنبل عن أم سلمة بطريق آخر ، و رواه البخاري و مسلم في صحيحهما بطريق آخر ، في الجزء الرابع للبخاري على حد كراسين .

و في تفسير الثعلبي عن الصادق عليه السلام معنى طه طهارة أهل البيت ثم تلا آية التطهير ، و روى مثل ذلك في تفسيره عن الخدري و عن أبي الحمراء و رواه أيضاً الطبراني في معجمه عن الخدري .

قال صاحب المستدرک : إنه حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرج له قال الترمذي ! إنه حديث حسن صحيح على شرط البخاري و لم يخرج له ، و ذكر نحو ذلك أبو داود في مواضع من سننه ، و ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الرابع و الستين من افراد مسلم و ذكر مسلم أيضاً في الجزء الرابع في ثالث كراس أن النبي لما خرج بالأربعة إلى المباهلة قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي . و ذكر الشيخ المفيد أن النبي صلى الله عليه و آله وضع الكساء عليهم ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فأنزل الله آية التطهير فيهم و في أخبار مسلم أنه قال لا أم سلمة : إيمانزلت في و في أخي و ابني و تسعة من ولد الحسين ليس معنا فيها غيرنا .

و مما يدل على تخصيصهم ما أسنده الثعلبي في تفسيره إلى الخدري أن النبي قال : نزلت آية التطهير في و في علي و الحسين و فاطمة و أسند إلى مجمع قال : دخلت على أمي عائشة فقلت : أرايت خروجك يوم الجمل ؟ قالت : كان قدراً من الله ، قلت : فعلي ؟ قالت : أحب الناس إلى رسول الله ، و لقد رأيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم و فاطمة و الحسين و قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي و خاصتي فأذهب عنهم الرجس

و طهرهم تطهيراً ، قلت : أنا من أهل بيتك ؟ فقال : تنحني إنك على خير ، ونحوه في ذنب .

و مما يدل على خروج النساء قوله « لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » ولو كن مقصودات لم تخرج عائشة عن الاسلام ، وحاربت المجمع على إمامته عليها السلام كما عرفت من صاحب المجلد أن التطهير التنزيه عن كل قبيح ، و في الفردوس : « قال النبي ﷺ إنا أهل بيت أذهب الله عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » . و بهذا يسقط قول من زعم أنه لا يلزم من إرادة ذلك وقوعه ، وقد سلف ، و لأن الله مدحهم ولا يمدح بغير الواقع ، و لأن وصفهم بالطهارة ليس عديمياً لأنه نقيض الاتصاف العدمي فوصفهم بها ثبوتي .

و قال : انتهت دعوة إبراهيم إلي و إلي علي في قوله : « اجنبنني و بني أن نعبد الأصنام ^(١) » ، و أنساب الجاهلية ليست بصحاح لما فيها من العفاح : أسنديزيد ابن هارون أن عمر بن الخطاب لما قيل له إن علياً نذر عنق رقبة من ولد إسماعيل فقال : والله ما أصبحت أثق إلا ما كان من حسن وحسين وعلي و عبد المطلب فانهم شجرة رسول الله .

و روى الحديث عن أم سلمة الفقيه الشافعي علي بن المغازلي في كتاب المناقب ، و رواه عن زاذان عن الحسن بن عطاء بن يسار ، و رواه ابن عبد ربّه في كتاب العقد ، و أسند نزولها فيهم صاحب كتاب الآيات المنزعة ، و قد وقفه المستنصر بمدرسه ، و شرط أن لا يخرج من خزائنه ، و هو بخط ابن البواب و فيه سماع لعلي بن هلال الكاتب و خطّه لا يمكن أحد أن يزوره عليه .

قال الحميري :

طبت كهلاً و غلاماً	✽	و رضيعاً و جنيناً
ولدى الميثاق طيباً	✽	يوم كان الخلق طيناً

كنت مأموناً وجيهاً ✽ عند ذي العرش مكينا

و قال :

له شهد الكتاب ألا تخزوا ✽ على آياته صمماً و همياً

بتطهير أمارت الرجس عنه ✽ و سميت مؤمناً فيها زكياً

و هذه آيات تطهيرهم قد ظهر سرها فيهم ، قال الحسن : والله ما شرب الخمر

قبل تحريمها ، قال شاعر :

عليه على الاسلام و الدين قد نشأ ✽ ولا عبد الأوثان قط ولا انتشأ

وقد عبد الرحمن طفلاً و يافعاً ✽ و ذلك فضل الله يؤتيه من يشا

و في التاريخ من طرق كثيرة عن بريدة الأسلمي قال : قال النبي ﷺ :

قال لي جبرائيل : إن حفظه علي تفتخر على الملائكة لم تكتب عليه خطيئة منذ صحباه .

قال العبدى : وإن جبرائيل الأمين قال لي عن الملائكة الكائنين : إنهما لم

تكتبنا على الطهر علم زلة ولا خنا .

قديس : ذكر ابن قرطة في مراصد العرفان عن ابن عباس : قال شهدنا النبي

تسعة عشر شهراً يأتي كل يوم عند كل صلاة إلى باب علي فيسلم عليهم و يتلو

الآية ويدعوهم إلى الصلاة ، و نحوه عن أنس و أبي بردة الأسلمي و عن الخدري

لما دخل علي بفاطمة جاء النبي أربعين صباحاً و يتلو الآية و يقول : أنا حرب لمن

حاربكم و سلم لمن سالمكم .

﴿ الفصل الحادى عشر ﴾

جعل الله أجر رسالة نبوته في مودة أهله في قوله تعالى : و قل لا أسئلكم عليه

أجراً إلا المودة في القربى (١) .

قالوا : المراد القريب في الطاعات أي في طاعة أهل القريب . قلنا : الأصل عدم الاضرار ، ولو سلم فلا يتصور إطلاق الأمر بمودتهم إلا مع عصمتهم .
قالوا : المخاطب بذلك الكفار يعني راقبوا نسبي بكم يعني القرشية . قلنا : الكفار لا تعنفد للنبي أجراً حتى تخاطب بذلك ، على أن الأخبار المتفق عليها تنافي الوجهين ففي صحيح البخاري : قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال : علي و فاطمة و ابناهما ومثله في صحيح مسلم ، وتفسير الثعلبي و مسند ابن حنبل ، و نقله ابن المرتضى و الزمخشري في تفسيريهما ، و قال صاحب التقریب : قد صح ذلك عن ابن عباس ، و قي مناقب ابن المغازلي بالاسناد عن السدي في تفسيره و من يقترب حسنة نزل له فيها حسناً^(١) ، قال : المودّة في آل الرسول . قال مكّي القيسي في مشكل إعراب القرآن : أصل آل أهل ، و هو أعلم بمن صنّف في المشكل^(٢) .

قالوا لا ننكر تعظيم الآل و التقرب بهم إلى الله لكن لا ندخلهم في حيز المغالات من تفضيلهم على الأنبياء ، و وجوب العصمة ، و علم الغيب ، و حضور المهدي في كل مكان ، و عند ذاك ربه في كل أوان ، و هل ذلك إلا فسوق و عدوان ؟
قلنا : لولا إنكاركم فضلهم ما جحدتم ما قال الله و رسوله فيهم حتى بفضن التسمية بأسمائهم ، و نادى إمامكم معاوية بالكف عن فضائلهم ، و سب علي على المنابر فلم يتحام للإسلام أحدكم ، أما تفضيلهم على الأنبياء فبعب كلام ، و إذا قام الدليل على إمامتهم لم يكن دعوى العصمة مغالاة فيهم ، و إلا لزم مثله في جدّهم .
قال الرازي في مفاتيح الغيب في تفسيره « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القريب » الدعا للآل منصب عظيم ، و لذلك جعل خاتم التشهد ، و هذا التعظيم لم يوجد في غير الآل ، و كل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب ، قال و قال الشافعي :

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) ترى تلك الاحاديث مشيراً إلى مواضعها في احقاق الحق ج ٣ ص ٢ - ١٩ .

يا راكباً قف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها و الناهض
 سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضاً كملتطم الغرات الفائض
 إن كان رفضاً حبّ آل عُد * فليشهد الثقلان أنّي رافضي
فائدة: قال القاضي النعماني: أجل الله في كتابه قوله: «إن الله وملائكته
 يصلون على النبي» يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً^(١)، فبيّنه النبي
 لأئمته ونصب أوصيائه، لذلك من بعده، وذلك معجز لهم لا يوجد إلّا فيهم، ولا يعلم
 إلّا فيهم، فقال حين سألوا عن الصلاة عليه: قولوا اللهم صلّ على عُدّ و آل عُدّ كما
 صلّيت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

فالصلاة المأمور بها على النبي و آلّه ليست هي الدعاء لهم كما تزعم العامة
 إذ لا نعلم أحداً دعا للنبي فاستحسنه، ولا أمر أحداً بالدعاء له و إلّا لكان شافعاً فيه
 ولأنّه لو كان جواب قوله تعالى «صلّوا عليه» اللهم صلّ على عُدّ و آل عُدّ لزم
 أن يكون ذلك ردّاً لأمره تعالى كمن قال لغيره افعل كذا فقال افعل أنت، ولو
 كانت الصلاة الدعاء لكان قولنا اللهم صلّ على عُدّ و آل عُدّ بمعنى اللهم ادع له و
 هذا لا يجوز.

وقد كان الصحابة عند ذكره يصلّون عليه و على آلّه، فلمّا تغلب بنو أميّة
 قطعوا الصلاة عن آلّه في كتبهم و أقوالهم، و عاقبوا الناس عليها بضاً لآله الواجبة
 مودّتهم، مع روايتهم أنّ النبي ﷺ سمع رجلاً يصلّي عليه ولا يصلّي على آلّه
 فقال: لاتصلّوا على الصلاة البترة، ثمّ علّمه ما ذكرناه أوّلاً فلمّا تغلب بنو العبّاس
 أعادوها و أمرّوا الناس بها وبقي منهم بقيّة إلى اليوم لا يصلّون على آلّه عند ذكره.
 هذا فعلهم و لم يدركوا أنّ معنى الصلاة عليهم سوى الدعاء لهم، و فيه شمة
 لهم من منزلتهم حيث إنّ فيه حاجة ما إلى دعاء رعيّتهم، فكيف لو فهموا أنّ معنى
 الصلاة هنا المتابعة و منه المصلّي من الخيل، فأوّل من صلّى النبي أي تبع جبريل
 حين علّمه الصلاة ثمّ صلّى عليّ [على] النبي إذ هو أوّل ذكر صلّى بصلاته فبشّر

الله النبي أنه يصلي عليه باقامة من ينصبه مصلياً له في أمته ، و ذلك لما سأل النبي بقوله : « اجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشد به أزري » ثم قال تعالى « صلوا عليه » أي اعتقدوا ولاية عليّ و سلموا لأمره ، و قول النبي : « قولوا اللهم صل على محمد و آل محمد » أي اسألوا الله أن يقيم له ولاية ولاء يتبع بعضهم بعضاً كما كان في آل إبراهيم ، و قوله و بارك عليهم أي أوقع النمو فيهم ، فلا تقطع الامامة عنهم .

و لفظ الآل وإن عمّ غيرهم إلا أن المقصود ، هم ، لأن في الاتباع والأهل و الأولاد فاجر و كافر لا تصلح الصلاة عليه ، فظهر أن الصلاة عليه هي اعتقاد وصيته و الأئمة من ذريته ، إذ بهم كمال ديسهم ، و تمام النعمة عليهم ، و هم الصلاة التي قال الله إنها تنهى عن الفحشاء و المنكر ، لأن الصلاة الراجعة لا تنهى عن ذلك في كثير من الموارد .

فهذا وجه من البيان ، و عند أولياء الله من ذلك ما لا يحصى ، فقد ذكر أن الصادق عليه السلام بين في شيء ثانياً خلاف ما بين أولاً فقال : « إننا نجيب في الوجه الواحد سبعة أوجه ، قال الرجل بسبعة ؟ - مستكراً لذلك - قال : نعم و سبعين . و هذا معنى ما نقله ، و لكن لم نطئه بلقيطات قليلة ، روجت دخوله كل رواية صعبة ، وقد أجملت فيهم تفصيل ما قيل فيهم .

هم الهداة إلى دين الآله فلا قوم سواهم بهم يهتدى إلى الباري
قل للمعادي لهم مهلاً فأنت على سبيل غيتك موقوف على اللذ

لذئيب : أسند صاحب نهج الايمان إلى الصادق عليه السلام في تفسيره ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، قال : لم يكونوا من أتباع الأئمة السابقين و هذا قريب مما سلف ، و أسند نحوه إلى أبي الحسن الماضي عليه السلام أي كنا لا نتولى وصي محمد و الأوصياء من بعده ، ولا نصلي عليهم .

تكميل : قال المرتضى في رسالته الباهرة في تعظيم المنزلة الطاهرة : دلنا الله على أن المعرفة بهم إيمان ، والشك فيهم والجهل بهم كفران ، وقد أصبحت الامامة

على وجوب معرفتهم ، و هو حجة لدخول المعصوم فيهم ، بل و يمكن الاستدلال
 باجماع الأمة على وجوب معرفتهم ، فإن أكثر الشافعية يوجبون في التشهد الأخير
 الصلاة عليهم ، فوجبت معرفتهم ، و الباقيون استحبوها ، فعلى الحالين هي من
 العبادة ، و هذه فضيلة لم تحصل لغيرهم بعد جدّهم ، و قد غرس في القلوب مع اختلاف
 أديانهم عظم شأنهم ، فيهتمون مع تباعد البلاد لزيارة مشاهدهم ، ليستفتحون بها
 الأغلاق ، و يسألون عندها الأرزاق .

قيل : هذا التعظيم لهم إنّما هو لأجل جدّهم . قلنا : كم من قرابة لجدّهم
 ولا تعظيم لهم يقارب تعظيمهم ، مع زهادة لهم و علم و غيره فيهم .

إن قيل : لم لا تكون الأئمة على غير مذهب الامامية . قلنا : فشيوخ الامامية
 كانوا أهل بطانتهم ، و مظهرين أنّ كلّما ينتحلونه و يصحّحونه فعنهم أخذوه ، فلو
 لم يكونوا عليهم السلام مع شدة صلاحهم بذلك راضين ، و عليه مقرّين ، لأبوا عليهم
 نسبة المذهب إليهم .

إن قيل : قد لا يمكنهم إظهار ذلك لهم لأجل تقيّتهم . قلنا : فالتقية إنّما
 هي للامامية لا منهم .

﴿ الفصل الثاني عشر ﴾

في الطائفتين المشويّتين فضيلة لعليّ بدعوة النبيّ لا ينكرها إلّا الغويّ أخرج
 الفراء في مصابيحهم ، و صاحب جامع الأصول ، و صاحب الوسيلة ، و ابن حنبل في
 مسنده ، و ابن المغازلي في مناقبه ، و رزين في الجزء الثالث من الجمع بين الصحاح
 الستة ، و أبو داود في سننه ، و الترمذي في جامعه ، و أبو نعيم في حليته ، و البلاذريّ
 في تاريخه ، و ابن البيع ، و الخركوشيّ ، و مسعود ، و النطنزيّ ، و داود ، و أبو
 حاتم ، و السمعانيّ ، و ابن إسحاق ، و الأزديّ ، و شعبة ، و المازنيّ ، و ابن شاهين
 و البيهقيّ ، و مالك ، و الطبريّ . .

و قال ابن المغازلي : رواه عن أنس يوسف بن إبراهيم الواسطي و إسماعيل ابن سليمان الأزهري ؟ و إسماعيل السدي ، و إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة و ثمامة بن عبد الله بن أنس ، و سعيد بن زري ، و رواه من الصحابة عن أنس خمسة و ثلاثون رجلاً ، و ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، و صنّف فيه أحمد بن سعيد كتاباً و صحّحه القاضي عبد الجبار .

و قال أبو عبد الله البصري إن طريقة أبي عليّ الجبائي في تصحيح الأخبار تقتضي تصحيحه ، حيث ذكره عليّ عليه السلام يوم الشورى ، فلم ينكروا .
وفي تكرير الدعاء زيادة مرتبة لعليّ في محبة الله و رسوله لا يقاربه أحد فيها فسقط ما يهولون به من أن الله يحبّ المتّقين لأنّ المحبة تنفاوت بتفاوت التقوى .
وفي مسند أحمد ابن حنبل : أهدت امرأة من الأنصار إلى النبيّ صلى الله عليه وآله طيرين فقال اللهم ائمني بأحبّ خلقك إليك و إلى رسولك يأكل معي ، فدخل عليّ و أكل معه ، و زاد ابن المغازلي أنّه أتى مرّتين و يرده أنس و في الثالث سمعه النبيّ فقال صلى الله عليه وآله : ادخل ما أبطأك عنّي ، قال هذه ثالثة و يردهني أنس ، قال : ما حملك ؟ قال : سمعت دعوتك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي و في موضع آخر من المناقب أنّه قال : أحبّ خلقك إليك و إليّ . و في موضع منها : يا أنس أو في الأنصار خير من عليّ ؟ أو في الأنصار أفضل من عليّ ؟ و قد رواه ابن المغازلي قريباً من ثلاثين طريقاً .

و في المحاسن المفيد أنّه لما دخل قال له : قد كنت سألت الله أن يأتيني بك مرّتين ولو أبطأت لأقسمت عليه أن يأتيني بك و نحو ذلك في كتب القوم كثير حذفناه و حذفنا بعض الألفاظ اختصاراً ، فهل يسوغ لمسلم أن يدّعي أنّه حديث مكذوب بعد هذه الشهرة و قد جعل القوم أساس دينهم قول عائشة و قد رواها أبا بكر فليصل .

قالوا : قلتم : كذب أنس ثلاث مرّات أن رسول الله صلى الله عليه وآله على الحاجة ، فكيف قبلتم روايته ، قلنا : ذكرناه إلزاماً و قد أجمع على جواز الأخذ عن الراوي قبل

فسقه كما ذكره ابن الصلاح في كتابه .

هذا روى أنس بن مالك لم يكن ✽ ما قدرناه مصحفاً و مبدلاً
 وشهادة الخصم الألد فضيلة ✽ للخصم فاتبع الطريق الأسهل
 قالوا : خبر واحد . قلنا : تلقته الأمة بالقبول ، فلحق بالمجمع عليه ، ولأنه
 موافق للقرآن في قوله تعالى «سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» (١) الآية ، و
 للسنة فذكر ابن جبر في نخبه قول النبي ﷺ «عليّ : من زعم أنّه آمن بما جئت
 به و هو مبغض فهو كاذب ، و في كتاب الثّقميّ قال ﷺ : لا يبغضك مؤمن ، ولا
 يحبك منافق ، و في إبانة العكبري و كتاب ابن عقدة ، و فضائل أحمد عن جابر و
 الخدري : كنّا نعرف المنافقين على عهد النبي ببغض عليّ و في شرح الآل كني عن
 زيد بن أرقم : كنّا نعرفهم ببغض عليّ و ولده .

قالوا : معنى أحبّ خلقك أي الذي كنته رزقاً له لا أنّه أحبّ الخلق إلى
 الله و إلّا لكان أحبّ من النبي . قلنا : خرج النبي بقوله «أثنتي» فأنه ليس بمن
 يأتي إلى نفسه وقد رويتم ما أظلمت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر ، فيلزم
 على قولكم أنّه أصدق من نبيكم ، و لو كان القصد بالمحبة ما ذكروه من كتب
 الرزق ، فلم يبق لقوله إليّ أو إلى رسولك فائدة ، و كان الواجب على العلماء على
 هذا التأويل أن لا يخرجوا ذلك في مناقب عليّ ﷺ .

إن قالوا : فلغة أحبّ قد لا توجب [أفعل] التفضيل لقوله تعالى : « أصحاب
 الجنة خير مقاماً » (٢) و قال الشاعر :

تمنّت سليمي أن أموت و إن أمت ✽ فتلك سبيل لست فيه بأوحد
 أي بواحد . قلنا : لا شك أن ذلك من المجاز ، فلا يعدل عن الحقيقة إليه
 فإنّ الانسان إذا قال : فلان أحبّ الناس إليّ . تبادل إلى الذهن أن غيره لم يبلغ
 في المحبة منزلته ، و أيضاً فلو لا قصد التفضيل حتّى صار المعنى أثنتي بالمحبوبين

(١) المائدة : ٥٤ .

(٢) الآية في الفرقان هكذا : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً » .

لم يكن قد أحبيب دعاء النبي ﷺ لعدم إتيان كل المحبوبين ، ولكن أفراد علي من بينهم ترجيحاً بلا مرجح ، ولأن في قول النبي ﷺ له : ما أبطأك عني ؟ دليل على أنه كان ينتظره بعينه دون غيره ، ولولذلك لم يحب أنس أن يكون رجلاً من قومه لما فهم الفضل والشرف بذلك .

قالوا : لا يدل الفضل في الحال على الفضل في الاستقبال . قلنا : لولذلك لم يخصم به علي في الشورى معانديه من الرجال ، وفي عدم رد ذلك منهم دليل ثبوت الفضل في الاستقبال كالحال ، وقد أنشأ الفضلاء في ذلك أشعارهم فمن أبيات للحميري :

وفي طائر جاءت به أم أيمن ✽ بيان لمن بالحق يرضى ويقنع

فقال إلهي آت عبدك بالذي ✽ تحب وحب الله أعلى وأرفع

وقال صاحب :

علي له في الطير ما طار ذكره ✽ وقامت به أعداؤه وهي تشهد

وقال ابن رزيك :

وفي الطائر المشوي أوفى دلالة ✽ لو استيقظوا من غفلة وسبات

وفي رواية أن كلاً من عائشة وحفصة قالت : اللهم اجعله أبي وفي بعضها

لم يبق في البيت أحد إلا أرسلته إلى أبيها وفي رواية لما قال : أحبت أن يكون

رجلاً من قومي ، قال النبي ﷺ أبي الله إلا أن يكون علي ابن أبي طالب .

قال الطبرسي في احتجاجه : أسند الصادق عليه السلام إلى آبائه عليه السلام أن علياً

قال : جاع النبي فطلب من الله فجاءه جبرائيل عليه السلام بطير قال النبي فقلت : اللهم

يسر عبداً يحبك ويحبني يا كل معي ، فلم يأت أحد فقلت : ثانية اللهم يسر عبداً

يعبك ويحبني وأحبه ، فلم يأت أحد ، فقلت ثالثة : اللهم يسر عبداً يعبك و

تجبه ويحبني وأحبه ، فسمعت صوتك ، فقلت لعائشة أدخله أخبرني ما أبطأك

عني فقلت : طرقت الباب مرة فقالت عائشة نائم ، فانصرفت ، وطرقت ثانية فقالت :

على الحاجة ، فرجعت وجمت وطرقت ثالثاً عني فسمعتني النبي فأدخلني وقال :

ما أبطأك عني فقلت هذه ثالثة وتردني عائشة فكلمها فقالت : اشتهيت أن يكون أبي

فقال ﷺ : ما هذا بأوّل ضغن بينك وبينه لفتاتليه ، وإنّه لك خير منك له ولينذرّنك بما يكون الفراق بيني وبينك في الآخرة ، وكذا كل من فرّق بيني وبينه بعد وفاتي .

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

روي عن النبي ﷺ أنّه قال : يا عليّ حبّك حسنة لا تضرّ معها سيئة ، وبغضك سيئة لا تنفع معها حسنة .

قالوا : أحبّه أبوه وقد روي أنّ في رجله نعلان يفلّ منهما دماغه . قلنا : هذا الحديث افتراء من علماء السوء الذين رضوا بسبّ عليّ جهاراً و ستعلم إيمان أبيه ، ولو سلّم عدمه إنّما لم تنفعه محبة ابنه لأنّها طبيعّية والمحبة المرغّبة فيها إنّما هي في الله ، فهي ربّانية .

قالوا : الخبر مكذوب . قلنا : رواه الخوارزمي في الأربعين والديلمي في الفردوس ، وقد أجمع المسلمون على قوله ﷺ : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة . ولا شك أنّه الامام ، فلا تنفع الجاهليّة حسنتهم .

قالوا : لو صحّ ذلك لزم إحباط أكثر أعمال الناس لأنكم تزعمون أنّ الأكثر يفضّه ، وقد كذب القرآن ذلك بمدحه للصحابة : « ومن يعمل صالحاً . ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ^(١) » ، ونحوها ، ولم يشترط فيه حبّ عليّ ولا بغضه .

قلنا : لا ، فإنّ أعظم الصحابة كانت في جانب عليّ كما قاله شارح الطوابع وغيره ، إلّا أنّهم الأقلّ عدداً ، وكذلك أتباع كلّ نبيّ ووصيّ ، وقد أخرج صاحب المصابيح وغيره أنّ النبي ﷺ مات ساخطاً على ثلاثة أحياء من العرب و عدّ منهم أمّية ، وقال ابن الجوزي في زاد المسير : ورد أنّ الشجرة الملعونة في القرآن بنو أمّية وقال في المصابيح وغيرها : قال النبي ﷺ : هلاك أمّتي على يد أغلطة من قريش ، و ظاهر في بني العبّاس شرب الخمر ، و ركوب الفجور ، و

قتلهم أولاد علي* وتشريدكم ، حتى أنشئت الأشعار ، في القتل والطرده لبني المختار
منها قول دعبل :

لأضحك الله سن* الدهر إذ ضحكت ✽ يوماً و آل رسول الله قد قهروا
مشتتون نفوا عن عقر دارهم ✽ كأنهم قد جنوا ما ليس يغفر
وقال أبو نواس :

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت ✽ تلك الجرائم إلا دون نبيلكم
أأنتم آلهم فيما ترون و في ✽ أظفاركم من بنيه الطاهرين دم
وقال الشهرستاني* :

بمحمد سلوا سيوف عهد ✽ ضربوا بها هامات آل محمد
فكان آل محمد أعداؤه ✽ وكأنما الأعداء عترة أحمد

وقال العلوي* :

أهل النبي* الذي لولا هدايتهم ✽ لم يهد خلق إلى فرض ولا سنن
مشتتين حيارى لا نصير لهم ✽ مشر دين عن الأهلين والوطن

وقال السروجي

لأصبح دين الله من بعد قوة ✽ على جرف هار بغير دعائم
و آل علي* الطهر شرقاً ومغرباً ✽ يطاق بهم في غربها والأعاجم
كأنهم كانوا على الدين سوقة ✽ تطل دماها بالقنا والصوارم
وأوصى رسول الله قبل وفاته ✽ بقتل بنيه دون أولاد آدم

و نحو هذا كثير يخرج عن قانون الكتاب ، فكيف يقال إنهم غير مبغضين وفي
أي موضع مدح القرآن الصنابة ، بل ذمهم و ذم كثير منهم في آية النجوى وفتاب
عليكم^(١) ، وفي سورة الفتح فممن نكت فأنما ينكت على نفسه . لقد رضي الله
عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة^(٢) . وقد كانت البيعة على عدم الفرار وقد

فر كثير بأحد وخير وحنين ، ولهذا قال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ^(١) » ولم يقل كل المؤمنين وقال تعالى : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار و كان عهد الله مسؤولاً ^(٢) » .

وقد جاء في السنة ذمٌ بعضهم كحديث الحوض ، وحديث الدباب أخرج مسلم في صحيحه والجامع بين الصحيحين ونحوه ذكر ابن كيسان والثعلبي في تفسيره وفي تفسيره لبراءة في قوله « يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ^(٣) » قال الحسن : كانت هذه السورة تسمى الخفارة خفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته وقد قال النبي : « لنز كبن سنن من كان قبلكم » .

وآية مثقال الذرة من الخير مخصوص بغفر المشركين إجماعاً مع أنه قدير في الدنيا أوفي الآخرة بتخفيف العقاب .

قوله : ولم يشترط حب علي ولا بغضه . قلنا : بل حيث قال تعالى « إننا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ^(٤) » الآية وقوله : « إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ^(٥) » نقل ابن المرتضى والكواشي وغيرهما أن الاعتناء إلى عبدة أهل البيت ، وقد أجمع المسلمون على قوله : « حب علي يا كل الذنوب ، كما تأكل النار الحطب » قال صاحب الوسيلة : إنه من خصائصه وأخرج أيضاً من خصائصه قوله ﷺ : « من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله » . وحديث ابن عمر : « من فارق علياً فقد فارقني » وقوله : « يا علي طوبى لمن أحببك وصدق فيك ، ودل لمن أبغضك وكذب فيك » وقوله : « علي أفضى أمتي بكتاب الله ، فمن أحبني فليحبه ، فإن العبد لا ينال ولايتي إلا بحب علي » وقال : « ولا يقبل الله فريضة إلا بحب علي » وقال : « حب علي فرض ، وبغضه كفر » وقد

(٢) الاحزاب : ١٥ .

(١) الاحزاب : ٢٣ .

(٤) السائدة : ٥٥ .

(٣) براءة : ٦٥ .

(٥) طه : ٨٢ .

أخرج ذلك كله صاحب الوسيلة فيما خص به علي^ع دون غيره .

قالوا : لو كان حبه حسنة لا تضر^ع معها سيئة ، لم يضر^ع ترك العبادات ، ولا فعل المنهيات ، وبطلت الحدود والتوعيدات . قلنا : قد جاء عن النبي^ص : « المرء مع من أحب » ، ومن قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، ونحو ذلك كثير فالطعن فيه و فيما سلف نحوه طعن على ملة الاسلام ، وتأويل ذلك أن من أحب^ع علياً لا يخرج من الدنيا إلا بتوبة تكفر سيئاته ، فتكون ولايته خاتمة عمله ، ومن لم يوفق للتوبة ابتلي بغم في نفسه ، أو حزن على ماله ، أو تعسير في خروج روحه ، حتى يخرج من الدنيا ولا ذنب له يؤاخذ به

قالوا : فقد ضر^ع ذلك . قلنا : متناه محقر بالقياس إلى الخلو من طبقات الجحيم ، والخلود في جنات النعيم ، فصح^ع إطلاق اللفظ من النبي^ص كما أطلقت اللغة الأسود على الزنجي^ع ، وقالوا : لا ضرر على من نجت من المهلكة نفسه وإن تلف ماله ، ولو لم يكن لنا إلا الحديث المجمع عليه : « لا يحبه إلا مؤمن ولا يفضيه إلا منافق » لكفى ولقد علمت ما جاء في المنافق ، ولا يشك عاقل أن حبه حسنة وقد قال تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات^(١) » ، وكيف تقولون لا يضر^ع ترك العبادات ، وفعل المنهيات ، وعندكم لا طاعة للعبد ولا معصية ، وأن الله لا يفعل لغرض فله إثابة العاصي ، ومواخذة الطائع ، وناهيك بقول المضلين فساداً في الدين أعادنا الله منه وسائر المؤمنين .

إن قالوا : إنما ذكرنا ذلك إلزاماً لكم لأنكم ترون للعبد فعلاً ، وتعتقدون في أفعال الله غرضاً ، قلنا : نرجع إلى جوابنا الأول من أن ضرر اليسير ينغمر في جنب الحاصل بمحبته من الخير الكثير .

﴿ الفصل الرابع عشر ﴾

أخرج صاحب الوسيلة في المجلد الخامس قول النبي لعلي : لولا أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت مقالاً لا تمرّ على ملاء إلا أخذوا من تراب رجلك ، و فضل طهورك يستشفون به ، و لكن حسبك أن تكون منّي كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، و إنك تبرى ذمتي و تقتل على سنّتي ، و إنك في الآخرة معي ، و على الحوض خليفتي ، و أوّل من يدخل الجنة معي ، و إن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم ، أشفع لهم و يكونون جيرانني و إن حربك حربي ، و سلمك سلمي ، و سرّك سرّي ، و علانيتك علانيتي ، و إن الحقّ معك ، و على لسانك ، و في قلبك ، و بين عينيك ، و إن الإيمان يخالط لحمك و دمك ، كما خالط لحمي و دمي ، و لن يرد الحوض مبعوض لك ، و لن يغيب عنه محبّ لك . و قد أخرج صاحب المتأفّف صدر هذا الحديث بأسانيد ، و أخرج ابن المغازلي الشافعي في موضعين من مناقبه قول النبي ﷺ : عليّ يوم القيامة على الحوض ، لا يدخل الجنة إلا من جاء بجواز منه .

قالوا : جاء القرآن بأنّ الكوثر للنبيّ لا لعليّ . قلنا : قد ذكرنا كون عليّ خليفة فيه للنبيّ و سيأتي في ذلك شيء مما روي .

قالوا : لو تولّى عليّ سقي أهل الأرض ، لم يفرغ من سقي الأقلّ إلا وقد مات الأكثر عطشاً . قلنا : هذا تعجيز لله فانه إذا أراد أمراً بلغه و أيضاً فقد أورد الكنجي الشافعي أنّ هذا منصب النبيّ فيرد عليه ما أوردتم على عليّ و قد جاء في ملك الموت و ملك الرزق مثل ما قلنا في عليّ ، و قد أخرج البخاريّ سعة الحوض و أنّ آتية كعدد النجوم ، و السقي عبارة عن التولية بينهم ، و عدمه عبارة عن الذود عنه .

قالوا : كيف يليق لعليّ الرفيع جعله خادماً و يسقي الرفيع و الوضيع ؟

قلنا : لأبل هو منصب شريف لا ينكره إلا ذو عقل سخي ، وهل يشرب من الحوض
وضيع كذوي المحال الشنيع ، و ناهيك بشناعته جرأته على النبي كما ذكرنا عن
الكنجي

قال ابن الأطيس :

من قال فيه المصطفى معلماً ✧ أنت لدى الحوض لدى الحشر
أنت أخي أنت وصيي كما ✧ هارون من موسى في الأمر
قال ابن أبي الحديد في مدحه عليه السلام :
والمترع الحوض المددع حيث لا ✧ واد يفيض ولا قلب ينزع
و قال آخر :

صفات أمير المؤمنين من اقتفى ✧ يدارجها أقنته ثوب ثوابه
صفات جلال ما اعتذى بلبانها ✧ سواء ولا حلت بغير جناحه
تفوقها طفلاً و كهلاً و يافعاً ✧ معاني المغالي فهي مله إهابه
مناقب من قامت به شهدت له ✧ بإزلافه من ربه واقترابه
مناقب لطف الله أنزلها به ✧ وشرف ذكرها بها في كتابه

﴿ الفصل الخامس عشر ﴾

أخرج أبو بكر ابن فورك في كتاب الفصول عن أسماء بنت عميس حديث ردّ
الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام ، وأسند محمد بن عثمان المزني ، وأخرج ابن المغازلي
من طريق فاطمة بنت حبش و رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، و أخرجه القاضي أبو
يعلى في المعتمد ، و صاحب كتاب الشافي في بشارت المصطفى ، و قال فيه إمام المعتزلة
ابن أبي الحديد :

إمام هدى بالفرض آثر فاقتضى ✧ له القرص ردّ القرص أبيض أزهر
و أخرج ابن مردويه ، و النطنزي ، وابن منده ، والجرجاني ، وابن إسحاق

و الشيرازي ، و الوراق ، و الحسكاني ، و صنّف أبو عبد الله الجعل فيه كتاباً ، و ابن شاذان كتاباً ، و قد ذكر ابن شهر آشوب أنّه روي أنّها ردّت له في مواضع كثيرة منها بالصبا ، في غزوة خيبر ، قال ابن حنّاد :

و الشمس قد ردّت عليه بخيبر * وقد أبدت زهر الكواكب تطلع
و يباهل ردّت عليه ولم يكن * والله خير من عليّ يوشع
و قال العوني :

ولا تنس يوم الشمس إذ رجعت له * بمنشر وار من النور مقنع
كذلك بالصبا ، و قد رجعت له * يباهل أيضاً رجعة المنطوع
و روى الكليني في الكافي ردّها بمسجد الفضيل ، و المشهور مرّتان : مرّة
بكرام الغميم روتها أم سلمة و أسماء بنت ميس ، و جابر ، و ابن عباس ، و الخدي
و أبو هريرة ، و الباقر و الصادق عليهما السلام أنّ الوحي تفشّى النبي صلى الله عليه وآله فأسند عليّ
فلما تمّ قال صليت ؟ قال : لا ، قال : ادعوا الله يردّ عليك الشمس ، فدعا فردّت ، و قد
ذكره ابن جمهور في كتاب الواحد و قد روي أنّه صلى إيماء فلما ردّت الشمس أعاد
فأمر النبي صلى الله عليه وآله حسناً أن ينشد شعراً فقال :

لا تقبل التوبة من تأب * إلّا بحبّ ابن أبي طالب
أخي رسول الله بل صهره * و الصبر لا يعدل بالصاحب
يا قوم من مثل عليّ و قد * ردّت عليه الشمس بالغائب

و مرّة يباهل ، رواها جويرية ابن مسهر ، و أبو رافع ، و زين العابدين ، و
الباقر عليه السلام أنّه لما غيّر الفرات لم يفرغوا من العبور حتّى غابت فلم يصلّ الجمهور
فتكلّم الناس في ذلك فسأل الله فردّت فصلّوا فقال قدامة السعدي :

ردّ الوحي لنا الشمس التي غربت * حتّى قضينا صلاة العصر في مهل
لـم أنّه حين يدعوها فنتبعه * طوعاً تلبيّه مهلاً ها بلا عجل
و تلك آياته فينا و حجته * فهل له في جميع الناس من مثل
أهملت لا أهنّي يوماً به هدلاً * و هل يكون لنور الله من بدل

حسبي أبي حسن مولاً أدين به * ومن به دان رسل الله في الأول
و بالجملة فهذان الموضوعان ، أمران شايعان ، قال السيد المرتضى :
ردت عليه الشمس بجذب ضوءها * صباحاً على بعد من الإصباح
من قاس ذا شرف به فكأنما * وزن الجبال السود بالأشباح
وقال الحميري :

ردت عليه الشمس لما فاته * وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
وعليه قدردت به ابل مرة * أخرى وماردت لخلق مغرب
وقال صاحب بن عباد الرازي :
كان النبي مدينة العلم التي * حوت الكمال وكنت أفضل باب
ردت عليك الشمس وهي مضية * ظهرت ولم تستر بكف نقاب
وقال آخر :

جاد بالقرم والطوى بين جنبيه و عاف الطعام و هو مغوب
فأءاد القرص المنير عليه * الفرض والمقرم الكريم كسوب
وقد أنشد فيه ابن حماد ، والمفجع المصري ، و كشاجم ، و العوني ، و
الرضي ، و السروجي ، وابن الحججاج ، والصنوبري ، وابن رزيك ، و ابن الرومي
و الجمانى ، و الاسكاني ، و الاصفهاني .

اعترض ابن فورك في كتاب الفصول أنه لو كان صحيحاً لرآه جميع الأبطال
في سائر الأقطار ، أجبنا بانشقاق القمر للنبي المختار ، ولم تعترف به طوائف الكفار
وقد اختلف الناس فيما هو أظهر من ذلك : البسمة والوضوء وغيره مما كان النبي
يكرهه ، وقد عرفت برداية الفريقين بطلان ما قالوه من أن تلك الروايات ليست
حجة علينا لأنها من طرقكم .

قالوا : لو ردت الشمس لعلي لزم أن يكون أفضل من النبي لأن العصر
فاته يوم الخندق ، ولم ترد له . قلنا : هذا من رواياتكم الكاذبة ، لتمقطوا بها فضيلة
علي كيف ذلك وقد ذكر خطيب دمشق عن صاحب كتاب الفروع أن علياً عليه السلام

ليلة الهرير بسط له نطع فصلّى نافلته والسهم تمر عليه ، فلم ترعه ، و تريع النبي يوم الخندق فلم يصل ، و الهرير أشد من الخندق لأنها انكشفت عن ستة وثلاثين ألف قتيل ، فكان يلزم كون علي أشجع من النبي ، و بطلانه إجماعي .

قالوا : نام النبي عن صلاة الغداة ولم ترجع الشمس إلى الليل . قلنا : قد أخرج البخاري في صحيحه قول النبي ﷺ : تمام عيني ولا ينمام قلبي ، و هو كذب ذلك .

قالوا : ترك علي للصلاة إن كان عمداً أو نسياً بطل ما تدينه من عصمته ، وقد قال النبي ﷺ : « ليس بين الإيمان والكفر إلا ترك الصلاة » . قلنا : قد جاء أن علياً صلى جالساً ليجمع بين طاعة ربه في صلاته ، وما فيه تكميل الوحي إلى نبيه فلمّا أفاق النبي و رأى غمّه علم تكميل صلاته ، سأل ربه أن يردّها كرامته وله وفي رواية أن الله تعالى ألقى على علي النعاس ليفرد نبيه باسماع الوحي ، فلم ينتبه فنزلت عن موضع الفضيلة ، ورجعت إليه ، وببابل اشتغل الناس بالعبور وصلّى وحده فتكلموا في ذلك فأراد جمعهم على الصلاة ، و ليريم كرامته ، و قيل لم يصل فيها لأنها أرض خسف ، و قد أمر النبي أصحابه أن لا يبيتوا في واد خوف الشياطين ففعلوا ففاتهم الصبح ، و قيل صلى علي متفرداً و أعادها بهم لذهاب إرجاف أعدائهم ، و لينزل بكرامته شك أصحابه في أمره .

تذييل : روى محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام عن جابر أن الشمس كلمت علياً سبع مرّات :

الأول : قالت يا أمير المؤمنين اشفع لي عند ربي لا يعذبني . الثاني : أمرني أن أحرق مبغضيك . الثالث : لما قال لها يبابل : ارجعي قالت : لبيك . الرابع : قال لها : هل تعرفين لي خطيئة ؟ قالت : و عزّة ربي لو خلق الله الخلق مثلك لم يخلق النار . الخامس : لما اختلفوا في الصلاة في عهد أبي بكر فخالقوا علياً فقالت : الحق له و بيده ومعّه ، و سمعها قريش و من حضر . السادس : لما جاءته بالسطل

فتوضّأ و قال : من أنت ؟ قالت : الشمس المضيئة . السابع : لما دنت وفاته جاءته فسلمت عليه ، و عهد إليها و عهدت إليه ، و أنشأ في ذلك الناشئ و العوني و ابن حماد و المغربي و غيرهم .

﴿ الفصل السادس عشر ﴾

جاء في الأخبار الحسان أن علياً عليه السلام مضى في ليلة إلى المدائن لتفصيل سلمان ، فأخبر الناصبة ذلك ، و قالوا : هذا خارج عن قدرة الانسان ، قلنا : قد جاء من خبر آصف و عرش بلقيس ما حكاه القرآن حيث أتى به من مسيرة شهرين إلى سليمان في طرفة عين ، و قد صح في أخبارهم أن الدنيا خطوة رجل مؤمن ، و قد نسب إلى بعض شيوخ الصوفية ذلك : فلم ينكروه ، فكيف بأمر المؤمنين و روي حديث مر بسارية و هو قريب من ذلك فلم ينكروه ، و حكموا في كتبهم بأنه لو عقد رجل بالشرق على امرأة بالمغرب فولدت لحق به استناداً إلى كون الدنيا خطوة مؤمن ، و قد روي أن ابن هبيرة شكأ إليه عليه السلام شوقه إلى أولاده فأغمض عينيه ثم فتحهما و إذ ابداره في المدينة و عليٌّ على السطح فجلس هنيئة ثم قال : هلم ننصرف فأغمض عينيه ثم فتحها فاذا هو بالكوفة فتعجب و سيأتي فيه مزيد كلام . قالوا : ادعيت إنكار سلمان على المشايخ إمامتهم و قد كان عاملاً لعمر على المدائن يدعو إلى إمامته ، قلنا : لا يرتاب أحد أن سلمان كان من شيعة علي و قد روى سبط الجوزي الحنبلي في كتاب الرجال أن جماعة من الصحابة سألوه لمن الأمر بعد رسول الله ﷺ فقال :

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً ✧ عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبيلتهم ✧ و أعرف الناس بالأحكام و السنن
ما قيمهم من صنوف الخير يجمعها ✧ وليس في القوم ما فيه من الحسن
فانصرفوا عنه إلى السقيفة ، فلما أخبر بها ، قال : « كردن و نيك نكردن ،

فكيف يقال : إنه يدعو إلى خلافة عمر ، وأما توليته فالظاهر أنها كانت باذن عليّ لأن الحق له ولو أمكنه تولية جميع أصحابه عن أمره وجب عليه .

قالوا : عرّضتم بكفر المشايخ وغيرهم أن عليّاً لم يشرك قطّ و المراد أنه أسلم قبل البلوغ و ليس ذلك من خصائصه إذ سائر أطفال المسلمين كذلك . قلنا : لا قياس إذ المراد زمان الفترة التي هلك الناس فيها بعبادة الأصنام و عليّ و آباؤه على ملة إبراهيم عليه السلام ، وقد ذكرنا من طرقكم قول النبي ﷺ سبّاق الأمم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين ، فلولم يكن من خصائصه ، انتفت الفائدة في التنويه بذكره و فيه أكبر دليل على عصمته ، حيث قطع النبي بعدم الشرك و هو غيب لا يكون إلا بأعلام ربه .

إن قلت : فحدث السبق يناfi أنه لم يشرك قطّ قلت : لا يناfi إذ المراد سبق إلى الإيمان بالنبيّ و هو استدلاليّ و عليّ ظهر له ذلك قبل آباءه وغيرهم لا أنه كان مشركاً .

قالوا : كان طفلاً في كفر آباءه فمحجور على إيمانه إلى بلوغه . قلنا : سيأتي إسلام أبويه في باب النصّ من الرسول عليه ، وقد اشتهر في شعرهم « نحن آل الله في كعبته » لم يزل ذلك على عهد إبراهيم ، و هل قولكم إلّارداً على النبيّ سبّاق الأمم ثلاثة ، وقد أخرج صاحب الوسيلة في مناقب عليّ قول النبي ﷺ : صلّت الملائكة عليّ و عليّ عليّ سبع سنين من قبل أن يسلم بشر ، و المحجور عليه كافر فكيف تصلي الملائكة عليه ، و أيضاً فقد ذكر شارح المصابيح أنه أسلم ابن خمس عشر سنة و شارح الطوالع ابن أربعة عشر سنة ، و سيأتي .

قالوا : قلتم : عليّ لم يزل مسلماً فلو كان صحيحاً لكان أفضل من النبي لقوله تعالى لنبيه : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان »^(١) . قلنا : قديمتاً أن معنى « لم يزل مؤمناً » أي لم يسبقه بشر و أما إسلامه بمحمد فلم يشك في تجددّه عاقل و الإيمان المقتضي عن النبيّ ليس هو المستلزم للشرك لعلنا و علمكم بإسلامه الأنبياء

منه ، بل المراد : ما كنت تدري ما الايمان الذي تبلغه .

قال الامام الطبرسي : ما كنت تدري معالم الايمان ، وقبل ما كنت تدري أهل الايمان ، من يؤمن و من لا يؤمن ، وقد أخبر عليه السلام أن الايمان بضع و سبعون شعبة ولم يدر كلها في أول البعثة و أيضاً فمعرفة الايمان كسبية ، فحال النظر لا يسمى الانسان كافراً و إلا لم يسلم من الكفر أحد .

لذليبه : جوز الفضيلية من الخوارج الكفر على الأنبياء ، و ذهب ابن فورك إلى جواز بعثه من كان كافراً ، و قال بعض الحشوية أن نبينا عليه السلام كان كذلك لقوله تعالى : « و وجدك ضالاً » فهدى ^(١) ، و قوله : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » و صاحب هذا الاعتراض إن كان يعتقد أنه لاحق بها ولا أعادنا الله من ذلك .

﴿ الفصل السابع عشر ﴾

روى أبو المؤيد الخوارزمي في كتاب المناقب قول النبي : خاطبني ربّي في المعراج بلفظ عليّ فقلت : يا ربّ تخاطبني أم عليّ ؟ فقال : خلقتك من نوري ، و خلقت عليّاً من نورك ، فأطلعت على سرّك فلم أجد إلى قلبك أحبّ منه في قلبك فخاطبتك بلسانه كي يطعم من قلبك .

قالوا : في الرواية سمعتك تقول : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى فما رأيتك تحبّ أكثر منه فخاطبتك بلفظه ، ولا شك أن حديث هارون من موسى كان في غزوة تبوك و المعراج قبله بنحو سنة ، فللرواية بالمخاطبة بلفظه مزورة ، قلنا : بل قولكم سمعتك تقول الخ هو المزور إذ حديث هارون بالوحي لامتناع الاجتهاد من النبي عند المحققين ، فكيف يقول الله : سمعتك تقول ، و أيضاً ننمّح اختصاص حديث هارون بغزوة تبوك ، فإن أوّل حديث الأخوة و قد أوردّه صاحب الوسيلة في عدة مواضع منها قول النبي مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله ، محمد رسول

الله ، عليّ أخو رسول الله ، ومنها قول جبرائيل له في المعراج : نعم الأخ أخوك عليّ ابن أبي طالب ، ومنها أنّه رأى ليلة المعراج حوراء ولم ير أحسن منها فسلمت عليه وقالت : خلقتني الله لأخيك عليّ بن أبي طالب ومنها لما ولد الحسن أهبط الله جبرائيل يهنئ به ويقول : عليّ منك بمنزلة هارون من موسى ، فسماه باسم ابن هارون شبر فقال : لساني عربيّ قال : سمّه الحسن .

قالوا : فيلزم من مخاطبة الله بلسان عليّ أن يكون فيه شبه ما لعليّ وهو كفر قلنا : الله متكلّم عندنا بخلق الكلام في جسم فالشبه لذلك الجسم دون الله ، فلا كفر . قالوا : فيلزم أن يكون عليّ أحبّ من الله إلى النبيّ . قلنا : زيادة الاستيناس بلفة عليّ لكثرة الممازجة لا تدلّ على أنّه أحبّ من الله إلى النبيّ ^(١) ولهذا أنزل جبرائيل إليه في صورة دحية الكلبيّ ولم يكن أحبّ من جبرئيل إلى النبيّ . قالوا : بذكر الله تطمئنّ القلوب ، لا كما رويتهم في اطمينان قلب النبيّ بلفة عليّ . قلنا : إن غنيتهم بالذكر القرآن فهو غير لازم ، وإن غنيتهم ما هو أعمّ منه فلفة عليّ منه على أن الله قد عبّر بالذكر عنه في قوله : « لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني » ^(٢) ، وعبّر به عن النبيّ في قوله : « قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً » ^(٣) ، وظاهر أن الاطمينان بالنبيّ والوصيّ كما هو بالكتاب الإلهيّ ، مع أن القلوب عامّ مخصوص بغير الكتمان ، وقد يكون الذكر موجباً للخوف ، كما قال : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ^(٤) ، ونحوها .

ثمّ إن المخالفين الجاحدين اقتدوا بأسلافهم في بغضة أمير المؤمنين ، وأنكروا ما خصّه ربّ العالمين ، ورسوله النبيّ الأمين ، وكتبهم ناطقة بالأحاديث القدسيّة والأخبار النبويّة ، فقد أخرج صاحب الوسيلة قول النبيّ لعليّ : « أكرمك الله عليّ بأربع خصال : زوجة مثل فاطمة زوجها الله فوق عرشه ، وصهر مثلني ، ولدين مثل

(١) في التستعين : أحب إلى الله من النبيّ . وهو سهو .

(٢) الباقية : ٢٩ .

(٣) الطلاق : ١١ .

(٤) الانفال : ٨ .

الحسين ، ولم أرزق مثل ذلك ، وقوله نظرت في الاسراء فإذا على ساق العرش الأيمن : تجد رسول الله أيّدته بعليّ ونصرته به ، وقال : عليّ منّي بمنزلة رأسي من جسدي ، وقال : من أحبّ أن يحبّي حياتي ، ويموت موتي ، ويتمسك بالقضيب الباقوت الذي خلقه الله فليتمسك بعليّ ابن أبي طالب بعدي .

أيّها المؤمن الذي طاب فرعاً * وزكى منه أصله وتمسك
طب بدين النبيّ نفساً وإن خفت من النار في غداة تمسك
فاستجر من لظأ لظى بعليّ * وبنيه و باليتول تمسك^(١)
وقال : ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادة ، وقال : أوّل من يأكل من
شجرة طوبى عليّ بن أبي طالب ، وقال : عليّ وشيعته هم الفائزون يوم القيامة
وقال : عليّ بن أبي طالب وأهل بيته عمود الجنة ، وقال : لعليّ من الثواب ما لو
قسم على أهل الأرض لوسعهم ، وقال : عليّ يحمل لوائي يوم القيامة وقد أُعطي
كعبري وحسن يوسف وقوّة جبرائيل ، وجميع الخلائق تحت لوائي ، وقال و
هو في منزل عليّ : أخبرني جبرائيل أنكم قتلى ، وأنّ مصارعكم شتى ، قال
الحسين : فمن يزورنا ؟ قال : طائفة من أمّتي يريدون بذلك برّي وصلّني ، إذا كان
يوم القيامة زرتهم وأنجيتهم من أهواله ، وفي حديث آخر : ولكن حثالة من الناس
يعبّرون زوار قبوركم ، كما تعبّر الزانية ، أولئك أشرار أمّتي ، وقد أوردناه
تأمناً في شرح التكمليّة من وفق له وقف عليه ، وقال : أخبرني جبرائيل أنّ السعيد
كلّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياتي وبعد وفاتي ، وقال عليه السلام : أنا شجرة و
فاطمة حلما ، وعليّ لقاحها ، والحسين ثمرها ، والمحبّون لأهل البيت ورقها
إلى الجنة حقّاً حقّاً .

وأسند ابن ماجيلويه في كتاب الآل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه لما خلق الله آدم
وحوّى تبختر في الجنة وقال آدم : ما خلق الله تعالى أحسن منّا فأمر الله جبرائيل
فأخذهما إلى الفردوس فرأيا جارية على رأسها تاج من نور ، وفي أذنيها قرطان من

نور ، قد أشرقت الجنان من نور وجهها ، فقال آدم : ما هذه ؟ قال جبرائيل : هذه فاطمة بنت محمد نبيي من ولدك ، قال : فما التاج ؟ قال : بعلمها عليّ ابن أبي طالب قال فما القرطان ؟ قال : ولداها الحسنان قال : خلقوا قبلي ؟ قال : هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة .

فهذه روايات الفريقين ، ناطقة بأفضليته ، وشاهدة من الله ورسوله بعظم منزلته ، والسوالف ينكرونها ببغيمهم وحسدهم ، والخوالف يجحدونها ببغيمهم وبغضهم .

شعر :

حسدوا الفنى إذ لم ينالوا فضله ✽ فالداس أعداء له و خصوم
كضراير الحسنا قلن لوجهها ✽ حسداً و بغياً : إنه لدميم
و قال آخر :

أزاحوك ظلماً عن مقامك غصة ✽ رأوا فيك فضلاً لم يروا في جياها
ومن عادة الغربان تكره أن ترى ✽ بياض البزاة الشهب بين سوادها^(١)

﴿ الفصل الثامن عشر ﴾

نقل مالك بن أنس أخباراً جمة في فضائل عليّ وكان يفضلّه على أولي العزم من الأنبياء فرمي بالقلو لذلك ، وكان الجعاريّ ، وأبو الأزهريّ الهروي وغيرهم يرون الحق فرمواهم بالرفض ، وأكثر شيوخنا يفضلونه على أولي العزم لمعوم رئاسته ، وانتفاع جميع أهل الدنيا بخلافته ، لكونه خليفة نبوة عامّة بخلاف نبوتهم ولقول النبي ﷺ في خبر الطائر المشوي : اللّذي بأحبّ خلقك إليك ، ولم يستثن الأنبياء ، ولأنّه مساوٍ للنبيّ الذي هو أفضل في قوله : « د و أنفسنا و أنفسكم »^(٢) ، والمراد المماثلة لامتناع الاتحاد ولأنّه أفضل من الحسنين في قوله ﷺ : « د أبوهما خير منهما » وقد جعلهما جدّهما سيّدين لأهل الجنّة في الحديث المشهور فيهما .

(١) البراة جمع البازي وهو ضرب من الصقور . (٢) آل عمران : ٦١ .

وقد أسند الأعمش إلى جابر الأنصاري قول النبي ﷺ له : أي الأخوان أفضل ؟ قلت : النبيون ، فقال : أنا أفضلهم وأحب الأخوة إلي علي بن أبي طالب فهو عندي أفضل من الأنبياء ، فمن قال : إنهم خير منه ، فقد جعلني أقلمهم لأنني اتخذته أماً لما علمت من فضله ، وأمرني ربي به .

وأسند ابن أبي عمير إلى الصادق عليه السلام أن الله قال لموسى عليه السلام : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء ^(١) » ولم يقل كل شيء ، وفي عيسى : « ولا يبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ^(٢) » وقال في علي بن أبي طالب : « ومن عنده علم الكتاب ^(٣) » وقال : « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ^(٤) » فعند علي علم كل رطب ويابس .

إن قلت : عند علي علم الكتاب ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب ، هذا من الشكل الثاني وعقيم ، وهو هنا لا يجاب مقدّمته

قلت : فلنردّه إلى الأول ، فنقول : كل رطب ويابس علمه في كتاب مبين و علم ذلك الكتاب كله عند علي بطريق أبي نعيم وفي تفسير الثعلبي .

وفي هذا أيضاً نظر من عدم اتحاد أوسطه فإن الكتاب الذي فيه الرطب واليابس ، هو اللوح المحفوظ ، والكتاب الذي علمه عند علي هو القرآن ، إلا أن يقال : نذكر ذلك إلزاماً للخصم ، لأنه يقول : كل شيء أحضيناه في إمام مبين هو القرآن و علم القرآن عند علي عليه السلام .

على أنه لا مانع من حمل الكتاب الذي عند علي على اللوح لا إطلاق اللفظ . إن قلت : المانع امتناع إحاطة علي بعلم الله ، قلت : ليس في تلك دليل على حصر علم الله فيها ، على أنه يجوز أن يريد بالعلم باللوح علم بعض إطلاقاً للعام وإرادة الخاص .

(٢) الرخوف : ٦٣ .

(١) الاعراف : ١٤٤ .

(٤) الانعام : ٥٩ .

(٣) الرعد : ٤٥ .

إن قلت : فيلزم أن يكون عند علي^{عليه السلام} بعض علم القرآن لذلك وحينئذ فلا فضيلة له لأن قليلاً من علماء الاسلام لا ويعلم بعضه ، قلت : الأفضلية في التفاوت وإلا لخلّا تقييده في الآية عن الفائدة ، ولا أنه لا مانع في القرآن من الحمل على كله ، بخلاف ما في اللوح المحفوظ لما ذكرتم .

وقد أخرج البيهقي^{رحمته الله} ما رواه صاحب الوسيلة من قول النبي^{صلى الله عليه وآله} : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في تقواه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في هيئته ، وإلى عيسى في عبادته ، فليُنظر إلى علي^{عليه السلام} بن أبي طالب » . فقد اجتمع فيه ما تفرق فيهم فهو أفضل من كل واحد منهم .

وقد استدلل الرازي^{رحمته الله} في المعالم بمثل هذا على تفضيل النبي^{صلى الله عليه وآله} على الأنبياء ، عند قوله تعالى « فبهدهم اقتده ^(١) » ،

قالوا : أتى الله نوحاً السفينة وانتصر فأغرق قومه ، ونجى إبراهيم من ناره ومن الملك الذي همّ بزوجه ، وانتصر له بهلاك نمروده ، وأعطى موسى العصا واليد البيضاء وسلط الآيات التسع على أعدائه ، وانتصر له بهلاك فرعون ، ونفخ في عيسى من روحه ورزقه يبرى ، ذوي العاهات ، وانتصر له من أعدائه برفعه إلى السموات ، ولم ينصر لعلي^{عليه السلام} من معادية وابن ملجم ، فليس له كرامة تقابل واحدة من معجزات الأنبياء ، وهو وإن كان له المنزلة العالية لكن أين درجة الولاية من درجة النبوة السامية .

قلنا : ما ذكرتم من كرامات الأنبياء فهو حق لكن لا يلزم من فقدانها عن علي^{عليه السلام} أفضليتهم عليه ، وإلا لزم أفضليتهم على النبي^{صلى الله عليه وآله} حيث لم يحصل له مثلها ، وأنتم جعلتم عدم مثلها موجباً لعدم أفضليته فاقدها ، ولا يبعد أفضلية الولاية على النبوة كما في الخضر وموسى وقد أخرج أبو نعيم في كتاب الفتن في حق المهدي^{عليه السلام} أن عيسى وزيره ، وقال بعض علماء الطريقة : بداية النبوة نهاية الولاية ، وقال آخرون

بداية الولاية نهاية النبوة ، وأبلغ من ذلك ما أجمع فيه من قول النبي ﷺ :
علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل .

وقد تجرئتم على الأنبياء في قولكم كذب إبراهيم ثلاث كذبات ، وولد ابن
نوح على فراشه ، وعشق داود امرأة أوريا ، ووطئ الشيطان نساء سليمان وغير ذلك
وقد قال الغزالي : أما علي فلم يقل فيه ذو تحصيل شيئاً .

قلنا : فعلى تقريركم هو أفضل من الأنبياء ، حيث قلتم فيهم تلك الأشياء
وقد باهى الله به الملائكة ليلة الغرashed وهم عند الرازي وغيره أفضل من الأنبياء
وأشار إلى ذلك ابن الجوزي في تفسيره : ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله^(١) ، والانصرار له من معاوية لا يتعمس في الدنيا ، فإن الكفار إلى الآن يصورون
النبي في بيوت عباداتهم بأقبح الصور ، ولم ينتقم الله منهم في الدنيا ، إنما نعلمي لهم
ليزدادوا إثمًا .

و نحبكم لكراماته لم يقل أحد به ، منها قوله للخنعمي الذي أبى أن يبايعه إلا
على سنة الشيخين : كأنني بك وقد نفرت في هذه القننة ، وقد شذخت حوافر خيلي
وجهلك ورأسك ومثل بك ، وقال قبيصة لما رآه كذلك : لله أبو حسن ما حررك
شفتيه بشي ، قط ، إلا كان كما قال ، وأجيب دعاؤه على بشرين أرطاة أن يسلبه الله
عقله فخلوط فيه حتى كان يدعو بالسيف فاتخذ له سيف من خشب ، ودعا على
العيزار حين حلف لا يرفع أخباره إلى معاوية فقال : إن كنت كاذباً فأعني الله بصرك
فما دارت الجمعة حتى عني ، وأخرج خطيب دمشق الشافعي في قتال الخوارج لما
قال له رجل : قد عبروا النهر هاربين ، فقال : لا يعبرون ولا يبلغون قصر كسرى
حتى يقتل الله مقاتلتهم على يدي ، فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة ، ولا يقتل من
أصحابي إلا أقل من عشرة ، فكان كما قال .

و من ذلك ما وجدناه مروياً عن سعد بن عبادة والأصبغ بن نباتة : أنه عليه السلام

لَمَّا خَرَجَ إِلَى النُّهْرَانِ اسْتَقْبَلَهُ دَهْقَانٌ ، وَ قَالَ لَتَعُودَنَّ عَمَّا قَصَدْتَ إِلَيْهِ لَتُنَاحِسَ
النُّجُومَ وَ الطَّوَالِعَ فَسَعِدَ أَهْلُ النُّحُوسِ ، وَ نَحَسَ أَهْلُ السُّعُودِ ، وَ اقْتَرَنَ فِي السَّمَاءِ
كُوكَبَانِ يَقْتَتِلَانِ ، وَ شَرَفَ بَهْرَانٌ فِي بَرَجِ الْمِيزَانِ ، وَ قَدَحَتْ فِي بَرَجِهِ النَّيِّرَانِ
وَ تَنَاشَتْ الْحَرْبُ حَقًّا بِأَمَّا كُنْهَا ، فَتَبَسَّمَ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقَالَ : أَنْتَ الْمُحَذَّرُ مِنَ الْأَقْدَارِ
أَمْ عِنْدَكَ دَقَائِقُ الْأَسْرَارِ ، فَتَعْرِفُ الْأَكْدَارَ وَ الْأَدْوَارَ ، أَخْبَرَنِي عَنْ الْأُسْدِ فِي تَبَاعُدِهِ
فِي الْمَطَالِعِ وَ الْمَرَاجِعِ ، وَ عَنِ الزُّهْرَةِ فِي التَّوَابِعِ وَ الْجَوَامِعِ وَ كَمْ مِنَ السَّوَارِي إِلَى
الدَّرَارِيِّ ، وَ كَمْ مِنَ السَّاكِنَاتِ إِلَى الْمُتَحَرِّكَاتِ ، وَ كَمْ قَدَرُ شِعَاعِ الْمُدَبِّرَاتِ ، وَ كَمْ
أَنْفَاسُ الْفُجَرِ فِي الْغَدَوَاتِ ؟ قَالَ : لَا عَلِمَ لِي بِذَلِكَ .

فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ أَنَّهُ قَدْ اسْتَقَلَّ الْمَلِكُ فِي بَارِحَتِنَا مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ
بِالصَّيْنِ ، وَ انْقَلَبَ بَرَجُ مَا جِئْنَا ، وَ هَاجَ نَمْلُ الشَّيْخِ ، وَ تَرَدَّدَى بَرَجُ الْأَنْدَلُسِ وَ طَفَحَ
جَبُّ سُرَنْدِيبٍ ، وَ فَقَدَ دِيَّانُ الْيَهُودِ ابْنَ حَمَّةٍ ، وَ عَمِيَ رَاهِبُ مَمُورِيَّةٍ ، وَ جَنَمَ بِطَرِيقِ
الرُّومِ بَرُومِيَّةٌ ، وَ تَسَاقَطَتِ شَرَاغِفَاتُ مِنْ سُورِ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ أَفَانَتْ عَالَمٌ بِمَنْ أَحْكَمَ هَذِهِ
الْأَشْيَاءَ مِنَ الْفَلَكَ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : هَلْ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ أَنَّهُ قَدْ سَعِدَ فِي بَارِحَتِنَا
سَبْعُونَ أَلْفَ عَالَمٍ مِنْهُمْ فِي السَّمَاءِ وَ مِنْهُمْ فِي الْبَحْرِ ، أَفَانَتْ عَالَمٌ بِمَنْ أَسْعَدَهُمْ مِنَ
الْكُوَاكِبِ ؟ قَالَ : لَا .

ثُمَّ أَخْبَرَهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِأَنَّهُ تَحْتَ حَافِرِ فَرْسِهِ الْيَمْنِيِّ كَنْزٌ ، وَ تَحْتَ الْيَسْرِيِّ عَيْنٌ مِنَ
الْمَاءِ ، فَنَهَشُوا فَوَجَدُوا كَمَا ذَكَرَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَالَ الدَّهْقَانُ : مَا رَأَيْتُ أَعْلَمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ
مَا أَدْرَكَتْ عِلْمُ الْفَلَسَفَةِ ، فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : مِنْ صِفَتِي مَزَاجُهُ اعْتَدَلَتْ طَبَائِعُهُ ، وَ مِنْ اعْتَدَلَتْ
طَبَائِعُهُ قَوِيَ أَثَرُ النَّفْسِ فِيهِ ، وَ مِنْ قَوِيَ أَثَرُ النَّفْسِ فِيهِ ، سَمَا إِلَى مَا يَرْتَقِيهِ ، وَ مِنْ
سَمَا إِلَى مَا يَرْتَقِيهِ تَخَلَّقَ بِالْأَخْلَاقِ الْفَسَادِيَّةِ ، وَ أَدْرَكَ الْعُلُومَ الْإِلَهِيَّةَ ، وَ مِنْ
أَدْرَكَ الْعُلُومَ الْإِلَهِيَّةَ صَارَ مَوْجُودًا بِمَا هُوَ إِنْسَانٌ دُونَ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا بِمَا هُوَ
حَيَوَانٌ ، وَ دَخَلَ فِي بَابِ الْمُلْكِيِّ الصُّورِيِّ ، وَ مَالَهُ عَنْ هَذِهِ الْغَايَةِ مُعْبَرٌ ، فَسَجَدَ
الدَّهْقَانُ وَ أَسْلَمَ ، وَ قَدْ وَجَدْتَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كِتَابِ نَهْجِ الْإِيمَانِ ذَكَرَهُ الْحَسَنِ

ابن جبر في نخبه مسنداً إلى سعيد بن جبر ، وفي ألفاظ مختلفة اكتفيت عنها بما وضعت منها .

ومنها ما نقله ابن طلحة عن صاحب فتوح الشام وعن كتاب ابن شهر آشوب أن علياً عليه السلام صلى الصبح يوماً ثم قال لرجل : اذهب إلى عمّلة بني فلان تجدر جلاً وزوجته يتشاجران فأحضرهما إليّ فذهب فأحضرهما فقال عليه السلام : قد طال تشاجركما الليلة ، قال الرجل : وجدت في نفسي منها نفرة ، فقال لها علي عليه السلام : أليس كان يرغب فيك ابن عمك ومنعه أبوك منك ، فخرجت ليلة لقضاء الحاجة فاغتالك ووطئك وحملت وأعلمت أمك ، فلمّا وضعته ألقيته خارج الدار ، فجاء كلب فشمه فخشيت أن يأكله فرميته بحجر فشجيت رأسه فعدت إليه أنت وأمك فشدت أمك رأسه بخرقه من مرطها ومضيتما ؟ قالت : نعم ، لم يعلم بها سوى أمي ، قال : فقد أطمعني الله عليه فأخذه بنو فلان وربّوه وهو زوجك هذا ، اكشف عن رأسك فكشف فوجدت الشجّة فيه فقال : هو أبك فخذيه ، ولانكاح بينكما .

ومنها ما قاله خطيب دمشق عن الحسين بن زكريّا الفارسي أن أهل الكوفة طلبوا من علي أن ينقص لهم القرات لما طفت ، فلبس جبّة النبي و عمامته وبردته وأخذ في يده قضيبه وأهوى به إليهم فنقصت ثلاثة أذرع ، فهذا بعض ما جاء من طريق الخصم وأما الطريق الآخر فكثير سلف منه جانب وسيأتي إنشاء الله جانب . ولما ادّعى الإمامة وأقسم عليها في قوله : وإيم الله لقد تمّصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ، وقد أظهر الله كراماته على يده الدالة على صدقه ، لأن الله تعالى لا يخرق العادات لعدوّه والكذب عليه ، فعلم من ذلك صحّة إمامته ، كما علم من اقتران دعوى الرسول بمعجزته صحّة نبوته .

وهذا كاف شاف لو لم يوجد نص على خلافته كما قال العلامة الفريد عز الدين ابن أبي الحديد :

و خلافة ما إن لها لولم تكن * منصوبة عن جيد مجدك معدل
عجبا لقوم أخبروك وكعبك الـ * مالي وخذ سواك أضرع أسفل

﴿ الفصل التاسع عشر ﴾

نذكر فيه ما وعدناه في أول الباب من إحاطته عليه السلام بفضائل أولي الأبواب ولا عجب ممن رباه النبي المؤيد بالوحي الإلهي أن يبلغ الغاية القصوى من العلوم ويطلع على سر السر المكتوم فقد روى مسلم في أول كتابه من صحيحه في تفسير سورة غافر عن ابن عباس كان علي تعرف به الفتن قال وأراه ذكر فيه كل جماعة كانت في الأرض أو تكون ، وقال وروي عنه نحو ذلك كثير وروى الفرقة المحقة قوله عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتوني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفي من نزلت وأنبأتكم بناسخها ومذسوخها ، و خاصتها وعامها ، ومحكمها ومتشابهها ، والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها و سائقها وناقصها إلى يوم القيامة ، و زاد في نهج البلاغة : ومن يقتل من أهلها و من يموت

و في غرر الحكم عن الأمدى : سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي بطرق السماوات أخبر منكم بطرق الأرض . وقد اشتهر أن النبي صلى الله عليه وآله علمه ألف باب فتح له كل باب ألف باب ، وفيه قال الشاعر :

علمه في مجلس واحد	✽	ألف حديث حسبة الحاسب
كل حديث من أحاديثه	✽	يفتح ألفاً عجب العاجب
وكان من أحد يوم الوفا	✽	جلدة بين العين والحجاب

قال الجاحظ : في تزكية علي لأبي بكر بالرواية عنه دون العكس ، دليل الأفضلية ، قلنا : ليس في الرواية عنه إن صح ذلك تزكية له ، ولا استفادة منه ، لجواز أن يكون عالماً بها من الرسول فيرويهما عنه إلزاماً له ، وأولي حنج بها على من يحسن ظنه به ، وعلي لم يحق إلى تزكية أبي بكر بعد تزكية الله تعالى في قوله : « و يطهركم تطهيراً » ^(١) و تزكية رسول الله في قوله : « أنا حارب لمن حاربتم وولي »

لمن واليتيم . على أن الدرك على تارك الفضيلة لاعلى صاحب الفضيلة .

قال : سكت علي^{عليه السلام} نرجيحاً للشيخوخة عليه ، قلنا : في خطبته الشقة شقية جواب هذا الكلام وقد روى أخطب خوارزم أن النبي^{صلى الله عليه وآله} أعطى الراية ببدر لعلي^{عليه السلام} وهو ابن عشرين سنة ، فلم تمنعه الفتوة عن تأميره ولم تأبرت عجايبه عقول الغلاة ، ترفعوا به عن درجات المخلوقين ، فحفر النار وألقى منهم كثيراً لينزلوا به إلى درجات المحدثين .

وأسند ابن جبر في نخبه إلى النبي^{صلى الله عليه وآله} أنه كان إذا نزل الوحي ليلاً لم يصبح حتى يخبر به علياً وإذا نزل نهاراً لم يمس حتى يخبر به علياً ، وفيه أيضاً من طرق عديدة أنه^{عليه السلام} قال بحضرة المهاجرين والأنصار وأشار إلى صدره : كنيف ملى ، علماً لو وجدت له طالباً ، سلوني قبل أن تفقدوني هذا سبط العلم هذا لعاب رسول الله ، هذا ما زقني رسول الله زقاً ، عندي علم الأولين والآخرين ، لو شئت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة والانجيل والزبور والفرقان بكتبهم حتى ينادي كل كتاب بأنه حكم الله في^ه وفي رواية : حتى يزهر كل كتاب ويقول : يارب إن علياً قضى في^ه .

وفيه أيضاً : لو شئت أخبرت كل أحد منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه وفيه أيضاً عن سلمان عندي علم المنايا والبلايا ، والأنساب وفصل الخطاب ، ومولد الاسلام ومولد الكفر ، وأنا صاحب الميسم ، والفاروق الأكبر ، سلوني عما يكون إلى يوم القيامة ، ومما كان قبلي وعلى عهدي .

وفيه عن المسيب : ما كان أحد من أصحاب رسول الله^{صلى الله عليه وآله} يقول : سلوني ، غير علي^{عليه السلام} وعن ابن شبرمه ما قال أحد على المنبر سلوني غير علي^{عليه السلام} ، وفي تفسير الشيرازي من علمائهم في قوله : « فاسألوا أهل الذكر^(١) » يعني عمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين ، هم أهل العلم والعقل والبيان ، والله ماسمي المؤمنين مؤمناً إلا كرامة لأمر المؤمنين علي^{عليه السلام} .

تذنيب : طعن أبو هاشم في الحكم بالكتب المتقدمة بأنه منسوخ لا يجوز الحكم بها . قلنا : لعل المراد منها علمه بأحكامها [وعلمه بأحكامها] الواردة في القرآن الناسخ لها أو أنه يعرف ما حرّف منها فيقضي بينهم بغيره ، و يردّ قضاءهم به ، أو يمكنه استخراج النصوص الواردة في حقّ النبي وأهل بيته منها .

تذنيب آخر : بما سمعناه مذاكرة أن ابن الجوزي قال على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني . فسألته امرأة عما روي أن علياً سار في ليلة إلى سلمان فجهر به و رجع ، فقال روي ذلك ، قالت و عثمان تمّ ثلاثة أيام منبذاً في مزابيل البقيع ، و عليّ حاضر ؟ قال : نعم ، قالت فقد لرم الخطأ لأحدهما . فقال : إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن بعلك فلعنة الله و إلّا فعليه فقالت خرجت عائشة إلى حرب عليّ باذن النبي أولاً ؟ فانقطع .

و ذكر ابن شهر آشوب عن الصغواني قال : أم سلمة أعطاني النبي كتاباً و قال من طلبه منك ممن يقوم مقامي فأعطيه فمضت الثلاثة ولم يطلبوه فلمّا بويع عليّ عليه السلام طلبه قالت : و كان فيه كل شيء دون قيام الساعة ، و في رواية عن ابن عباس لما فتحه قال : هذا علم الأبد .

ففيه : إذا كان الرب القديم جعل كل شيء في القرآن العظيم ، فقال : «ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين» ^(١) و من المعلوم أن ذلك ليس في ظاهره فهو في باطنه فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام قوله : سلوني ونحوها و لم يردّ عليه أحد من الصحابة والتابعين ، فهو الذي عنى الله بقوله « و كل شيء أحصيناه في إمام مبين » ^(٢) فهو أولى من الله بامامته لقبح تقديم المفضول في حكمته و العلماء والحكماء و أهل الزواجر بفضلهم يعترفون ، ومن لجج بحاره الزواجر يعترفون .

و أمّا المتكلمون فناهيك بنهج البلاغة وما فيه من التوحيد لباريه ، وقد شهد له الرسول الذي هو مدينة العلم بأنه رباني هذه الأمة و قال الغزالي في كتاب

إحياء العلوم : أول من سنّ دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحقّ عليّ بن أبي طالب وقد ناظرته الملاحدة في مناقضات القرآن فأجاب مسألة الجاثليق فأسلم .

وقد روى ابن جبر في نخبه عن ابن عباس أنّ الله تعالى جمع القرآن في قلبه وجمعه بعد موت رسوله ، وأمّا القرأ فحمزة و الكسائي يعوّلان على قراءته وقال ابن مسعود : ما رأيت أحداً أقرأ من عليّ ، و نافع و ابن كثير و أبو عمرو يرجعون في الأكثر إلى ابن عباس و هو قرأ على عليّ و أبيّ و قراءتهم تخالف قراءة أبيّ فهو عن عليّ ، و عاصم قرأ على أبي عبد الرحمن السلميّ و هو قرأ على عليّ .

وأمّا المفسّرون فابن عباس ، و ابن مسعود ، و أبيّ ، و زيد بن ثابت ، معترفون له بالتقدّم قال ابن شهر آشوب : سمعت مذاكرة أنّه عليه السلام تكلم لابن عباس في الباء من بسم الله إلى قرب الفجر و قال لوزادنا الليل لزدنا ، و في قوت القلوب : لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير الفاتحة ، و في فضائل العكبريّ قال الشعبيّ : ما أحدكم أعلم بكتاب الله بعد نبيّ الله من عليّ بن أبي طالب ، و في حلية الأولياء و تاريخ البلاذريّ أنّه عليه السلام قال : ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت ، و أين نزلت ، بليل أدنهار ، في سهل أو جبل ؟ إن ربّي و هب لي قلباً عقولاً و لساناً سوؤلاً .

وأمّا الفقهاء فابن أبي ليلى ، و سفيان الثوري ، و الحسن بن صالح ، و شريك من أهل الكوفة يرجعون إليه ، و يرجعون الأبواب بقولهم هذا قياس قول عليّ ، و الحسن و ابن سيرين من أهل البصرة يأخذان ممّن أخذ عن عليّ وقد أفصح ابن سيرين بأخذه عن عبيدة السلماني ، و هو أخصّ الناس بعليّ و المكثرون أخذوا عن ابن عباس و عليّ و أخذ ابن عباس معظم علمه عن عليّ ، و المدنيّون قد صنّف الشافعيّ كتاباً في اتّباعهم لعليّ و في مسند أبي حنيفة قال له الصادق عليه السلام : من أين أخذت القياس ، قال من عليّ و زيد حين شاجرهما ممر في الجدّ مع الاخوة فقال له عليّ : لو أنّ شجرة انشعب منها غصن ثمّ انشعب منه غصنان أيّهما أقرب إلى أحدهما الغصن الأوّل أم الشجرة ، و قال زيد : لو انبعث من الجدول ساقية و انبعث من الساقية

ساقيتان أيهما أقرب إحدى الساقيتين إلى الأخرى أم إلى الجدول .
وأما الفرضيون فقد روي في فضائل أحمد أن أعلم أهل المدينة بالفرائض علي
ابن أبي طالب . قال الشعبي : ما رأيت أفرض منه ، ولا أجيب منه ، سئل على المنبر
وهو يخطب عن مات وترك امرأة وأبوين وبنين كم نصيب المرأة ؟ فقال عليه السلام
صار ثمنها تسعاً . وذلك إنما استفهام أو بيان حكم على رأي من يقول بالعلول ، فلقبت
المسألة بالمنبرية ، وروت العامة أنه سئل عن خلف ست مائة دينار فاستحققت امرأة
من الورثة ديناراً واحداً ، كم كانوا ؟ فقال : بنتان وأم وزوجة واثنا عشر أخاً و
أختاً فسميت المسألة الدينارية فأين هذا من عمر حيث أنى إليه زوج وأم وأخوان
لأم وأخوان لأبوين فجعل للزوج نصفاً وللأم سدساً ولأخوي لأم ثلثاً فقال :
أخو الأبوين : هب أن أبانا كان حماراً فأشركنا بأمننا فسميت الحمارية .
وأما النحاة فظاهر وصفه لأبي الأسود الدؤلي فإنه دخل عليه فرآه متفكراً
فقال له : فيما أنت متفكر ؟ قال : سمعت في بلدكم لحناً وأردت أن أصنع في اللغة
كتاباً ، قال : فأتيت به بعد أيام فألقى إلي صحيفة فيها : الكلام كله ثلاثة : اسم
وفعل ، وحرف ؛ والأشياء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وغيرهما ، فأنح هذا النحو .
فجمع حروف النصب ولم يذكر ذلك منها ، فقال له : هي منها فزدها فيها ، وبخل
أبو الأسود به زماناً حتى سمع قارئاً يقره : « أن الله بريء من المشركين ورسوله ^(١) »
بكسر الهمزة فقال : لا يحل أن أترك الناس بعد هذا ، فوضع أدوات الأعراب الثلاث
و الوصل والتسكين ، والتشديد ، والتمديد ، ثم أخذ عنه ، عتبة ، ثم ابن أبي
إسحق وهو أول من فتح النحو وشرح العلل وصنف ، ثم عيسى ، ثم الخليل
ثم سيدييه ، ثم الأخفش ، ثم المازني ، ثم المبرد ، ثم ابن السراج ، ثم أبو علي
الفارسي ، ثم علي بن عيسى ، ثم الحسن بن حمدان ، ثم أحمد بن يعقوب ، كل
واحد من المذكورين أخذ من تقدمه . قاله الزجّاج في أماليه .

وأما الخطباء، والفصحاء، فناهيك بكلامه في نهج البلاغة وكتاب الخطب وغيره في الأصول من خطبته في التوحيد وغيرها، وفي الفروع من أحكامه التي لا يمكن أحد أن يفوه بنكيرها، ومن نظر في العلوم وجد أسسها^(١) عليه، ورآه رأسها المنة إلى به، وكل من حصل علماً فمعه احتذى وابتدى، وبه اقتدى واهتدى كل جليل من بحره اعترف، وبدقيق علمه اعترف، فقد قبل لعبد الحميد كاتب بني أمية لما كتب إلى أبي مسلم كتاباً بجملة أجمل فيها: من أين لك هذه البلاغة؟ قال: من حفظي لألف خطبة لأصلح بني هاشم.

وقد دهش الجاحظ الذي هو علامة الدهر في مفردات كلماته الحكيمية، واعترف بأنهم حوت متفرق المعاني، واشتملت على أحسن المباني، ومن رزق الهداية رأى كلامه منضوداً في عقد الألفاظ الرائقة، والأساليب الفائقة، لا بالمستعمل الخلق، ولا بالمشكل الغلق، بل أشهى إلى النفوس من الخرد الحسان، وأعلق بالقلوب من تعلق الجزع بالأمان، فان وجدت شارداً منسوباً إلى غيره فبتفضيله وإن رأيت وارداً مضافاً إلى سواء فلا تعرض عن تبجيله، ومن بلغ في الهداية إلى هذا المرتبة، كان أحق بقوله: «أمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع»^(٢) فوجب اتباعه بعد النبي بلا فصل، لاخصاصه بعظيم الخصل، شعر رواه ابن جبر في نخبه عن الصادق عليه السلام:

محال وجود النار في بيت ظلمة * وأن يهتدي حيران في ظل حابر
فلا تطمعوا في العدل من غير أهله * ولا في هدى من غير أهل البصائر
قال السيد الرضي: كان عليه السلام مشرح الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذ قانونها، وأشد بعضهم في المعنى:

وخطوب بالوزارة من إليه * تنهى الفضل واجتمع الفخار
منيع لا يطاوله زم أن * وفي لا يضام له جوار
خطيب لا يعثره خطاب * بليغ لا يجاوزه اختصار

فنحن ننتهب جواهر البلاغة من بحار خطباته وملح أشعاره ، و ننتقب فرائد البراعة من وجيز توقيعاته و كنوز أفكاره ، فمن كلامه فهمت جواهر العربية ، و يواقتب الحكم الدينية و الدنياوية ، عليه مسحة من الكلام الإلهي و فيه عبقة من اللفظ السوي .

قال قطب الدين الراوندي : سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول : رأيت بمصر مجموعاً من كلام علي في نيّف وعشرين مجلداً . وأسند صاحب النخب إلى الكلبي إلى أبي صالح أن الصحابة اجتمعت و قالت : الألف أكثر دخولاً في الكلام ، فارتجل خطبته الموقنة أوّلها : حمدت من عظمت منته ، وسبقت نعمته ، و سبقت رحمته غضبه ، إلى آخرها لم يوجد فيها ألف ، ثم ارتجل أخرى خالية من النقط . و أما الوعظ فليس لأحد من الرجال ماله من العبر و الأمثال ، مثل : من زرع العدوان حصد الخسران ، من ذكر المنية نسي الأمانة ، من قعد به العقل قام به الجهل ، من عدل في سلطانه استغنى عن عدوانه ، من طال عدوانه زال سلطانه ، من سات سيرته سات منيته ، من مال إلى الحق مال إليه الخلق ، من ساء اختياره قسحت آثاره ، من قلّ اعتباره قلّ استظاره ، من جار في سلطانه صغره ، و من من باحسانه كدّره ، العدل أقوى جيش ، و الأمن أهنى عيش ، كل دولة يحوطها الدين لا تغلب ، و كل نعمة يحرسها الشكر لا تسلب .

وله مائة كلمة مشهورة قد توضع المحققون بنشرها ، و اعتنى المدققون بكشف سرّها ، اشتملت من العلوم على أعذاق جانبية ، و أقطاف دانية . و أما الفلاسفة فهو أرجحهم ، قال عليه السلام : أنا النقطة أنا الخط ، أنا الخط أنا النقطة ، أنا النقطة أنا الخط . و قال جماعة : القعدة هي الأصل ، و الجسم حجاب الصورة ، لأن النقطة هي الأصل و الخط حجاب ومقامه ، و الحجاب غير الجسم الناصتي .

و قال صاحب النخب : سئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال : صور عارية عن المواد . عالية عن القوة و الاستعداد ، تجلّى لها فأشرقت ، و طالما فتالأت ، و

ألقى في هويته مثاله ، فأظهر عنها أفعاله ، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة ، إن زكاهما
بالعلم فقد شابته جواهر أوائل علمها ، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد
شارك بها السبع الشداد .

و أمّا المهندسون فقد روي أن رجلين مرّاً بعبد مقيد فقال أحدهما : إن كان
وزن قيده كذا فأمرأته طالق ، وقال الآخر بخلافه ، فسألا سيده أن يحلّه فأبى
حلّه ، فارتفعا إلى عمر فأمرهما باعتزال نسائهما ، و بعث إلى عليّ فوضع رجله
بالقيد في إجانة صلب الماء عليه ، ثم رفع و وضع الحديد مكانه ، ثم أخرج الحديد
و وزنه ، ثم أخرج القيد و وزنه فتعادلا ، فتعجب منه عمر .

و في المصالحات : جاء رجل بآخر و قال : هذا احتلم بأمني ، فقال : أوقفه في
الشمس و اضرب ظمّه ، و في التهذيب قال له رجل : حلفت أن أزن القيل ، فأدخل
القيل قرقوراً^(١) و علم الماء ، ثم أخرجه و وضع القصب ، فلمّا وصل الماء إلى العلامة
أخرجه و وزن القصب ، و قال : هذا وزن القيل .

و أمّا الحساب فذكر الشيخ في النهاية و غيره مسألة الأربعة و هي مشهورة
و وجدنا أن إنساناً سأله من الكسور التسعة فقال : هي مضروب أيتام أسبوعك في
أيّام سنك .

و أمّا أصحاب الكيمياء فمدل في أثناء الخطبة : هل لها كون ؟ فقال : لها كون
و هي كائنة ، قالوا : ممّ هي ؟ قال : في الزبيق الرجراج ، و الأسرب و الزاج ، و
الحديد المزعفر ، و زنجار النحاس الأخضر ، قيل : زدنا . قال : اجعلوا البعض
أرضاً و البعض ماءً ، و اقلجوا الأرض بالماء ، و قد تمّ ، قيل : زدنا . فقال : لزيادة
إنّ القنما الحكما ، ما زادوا لكلاً يتلاعب الناس به ، و في كلام آخر له : إنّ الكيمياء
أخت النبوءة ، و عصمة المروءة ، ما في الأرض من شيء ، إلّا و فيه منه أصل و فرع
إنّي لأعلم به من العالمين ، إنّ في الزبيق الرجراج ، و الذهب و الزاج ، و الحديد
المزعفر ، و زنجار النحاس الأخضر ، تكون إصباغ لا يؤتى على عابرها ، يصلح
بعضه ببعض ، فتفتقر عن ذهب كاین ، و صيغ غير متباين .

(١) الفرقور : السفينة الطويلة أو العظيمة .

قيل : ما نعقل هذا ، قال : ما جامد ، و هوا ، راكد ، و نار حامية ، و أرض سائلة . فمن يبلغ زهده إذ ترك الدنيا باختياره ، و غيره باضطراره .
و أما الأطباء فروي عن الصادق عليه السلام أن علياً عليه السلام قال : إذا كان الغلام ملتث الأزر ، صغير الذكر ، ساكن النظر ، فهو مومن يرجى خيره ، و يؤمن شره .
و إن كان شديد الأزر ، كبير الذكر ، حاد النظر ، فهو مومن لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره .

و روي عنه أنه قال : يعيش الولد لسنة أشهر و لسبعة و لتسعة لا ثمانية ، و قال : لبن الجارية من المثانة ، و الغلام من العضدين و المنكبين ، و قال يشب الصبي كل سنة أربع أصابع بأصابع نفسه ، و قد روى المخالف و غير علمه ، و غزير حكمه ، فأسند ابن حنبل إلى ابن المسيب أن عمر كان يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن ، فإذا ثبت أنه الأعلم بقول الفريقين ، و الأحكم باتفاق الخصمين كان بالإمامة أولى ممن سئل عن الله أين هو ؟ فقال : في السماء .

روى المفيد في إرشاده أن حبراً قال لأبي بكر : أنت خليفة نبي هذه الأمة؟ قال : نعم . قال : فإننا نجد في توراتنا أن خلفاء الأنبياء أعلم أمهم فأخبرني أين الله ؟ قال : في السماء . قال فأرى الأرض خالية منه ، ثم ولى مستهزئاً بالاسلام فلقبه علي عليه السلام فقال له : قد عرفت سؤالك و إننا نقول : إن الله أين الأين فلا أين له ، جل أن يحويه مكان ، وهو في كل مكان بغير ممانسة ، يحيط علماً بما فيها ولا يخلو من تدبير شيء منها .

أليس في كتبكم أن موسى جاءه ملك فقال له : من أين أقبلت ؟ فقال : من المشرق من عند الله ، ثم آخر من المغرب و آخر من السماء و آخر من الأرض كل يقول : جئت من عند الله ، فقال اليهودي : هذا هو الحق و أنت أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه .

ولقد سألت جمعاً من أهل النعمة قرأوا التوراة و كتاب يوشع و كتباً تسمى

كتب النبوة فقالوا : فيها أن خليفة الأنبياء لابد أن يكون أعلم الرعية وأزهد الخليقة ، وأسدهم رأياً ، وأعلامهم حسباً ، وذلك أيضاً في الجزء الخامس من السفر الثاني والأول من السفر الخامس .

وقد روى أنس وغيره قول النبي ﷺ لسلمان : إنما أوصى موسى ليوشع لأنه كان أعلم أمته ، وإذا ثبت في الكتب السالفة ، والأخبار الخالفة ، أن الأولي هو الأعلم ، وظهر مما ذكرنا وغيره أن علياً هو الأعلم ، اتضح أنه أحق بمن تقدم ، وقد روي أن أبا بكر حفظ البقرة في سبع عشرة سنة ، ونحر جزوراً وليمة عند فراغه من حفظها ، وقد حكمت ضرورة العقل بقبح تقديم المفضول ، وعندها قول الرب والرسول « أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع ^(١) » ، « زو جنتك أعظمهم جِلماً ، وأقدمهم سلماً ، وأعلمهم علماً . » وفي علوم علي الولي ، قال السيد الحميري :

علي أمير المؤمنين أخو الهدى	✧	وأفضل ذي نعل ومن كان حافياً
أسر إليه أحمد العلم جملة	✧	وكان له دون البرية واعياً
ودونه في مجلس منه واحد	✧	بألف حديث كلها كان هادياً
وكل حديث من أولئك فاتح	✧	له ألف باب فاحتواها كماهاياً

و قال ابن الفودي :

ومن ذا يساميه بمجد ولم يزل	✧	يقول أسألوني ما يحل ويحرم
سلوني ففي جنبي علم ورثته	✧	عن المصطفى ما فاء مني به الفم
سلوني عن طرق السماء فأنني	✧	بها من سلوك الطرق في الأرض أعلم
ولو كشف الله الفطال لم أزد به	✧	يقيناً على ما كنت أدري وأفهم

و قال صاحب :

من كالوصي علي عند مشكلة	✧	وعلمه البحر قد فاضت نواحيه

من كالوصي عليّ عند غمصة * قد جاد بالقوت إيثاراً لعافيه
يا يوم بدر تجشّم ذكر موقفه * فاللوح يحفظه والوحي يمليه
وأنت يا أحد قل ما في الوري أحد * يطيق جحداً لما قد قلته فيه
براءة استرسلني في القول وانبطي * فقد لبست جهلاً من توليه
و بما ارتجله جامع الكتاب في هذا الباب :

عليّ علا فوق السماوات قدره * وسارمع الركبان في الأرض أمره
يعلم زهد وافر وشجاعة * وأنواع إفضال بها شيد ذكره
رواها الموالى والمولى فإن يكن * لها منكر يوماً فقد فاه نكره
فبها بحوب لا يعدّ عذابه * وأصروهتك لا يؤمّل ستره

﴿ الفصل العشرون ﴾

من تكميل ما سبق ، أنواع الفضائل خمسة : الأوّل : العلم وقد سبق جانب منه ، و يزيده وضوحاً ما أسنده أبو نعيم في حلية الأولياء إلى علقمة عن عبد الله أنّه سأله النبيّ عن عليّ فقال : قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي عليّ تسعة والناس كلّهم جزءاً . ونحوه ذكر ابن جبر في نخبه عن ابن عباس ، قال : إنّهُ لأعلمهم بالعشر الباقي .

و في أربعين الخطيب قسم من العلم سنة وقال : لعليّ خمسة ، وللناس واحد ولقد شرّكنا في السدس الآخر حتّى لهو أعلم مثابه .

وعن الصادق عليه السلام : أهدى إلى النبيّ خوفاً فسأل أبا بكر ومن وعثمان اسمه فلم يعرفوه فسأل عليّاً فقال تسميته أهل فارس خوفاً فقال من : من أين علم عليّ تسمية أهل فارس ، فقال النبيّ ﷺ علمه الله الأسماء التي علمها لآدم .

و في تفسير النقاش عن ابن عباس : ما علمي وعلم أصحابي في علم عليّ إلا كقطرة في سبعة أبحر و في كتاب الحسن البصريّ : رأى الخضر عصفوراً وضع نقطة

على يد موسى فقال : هذا العصفور يقول : ما علمكما في علم وصي نبي يأتي في آخر الزمان إلا كما أخذت بمقاري من هذا البحر .

و في المناقب مسنداً إلى رسول الله ﷺ يأتي الناس يوم القيامة بالأعمال فلا تنفعهم إلا ما قبلت أنا وعلي بعد قبول الله تعالى إن الله تعالى جعلني ميزان قسط وجعل علياً كلمة عدل ، وهذا يدل على زيادة علمه بأفعالهم الموجبة للدارين ولا يخفى ذلك إلا على ذي رين .

الثاني : العمل وقد اشتهر زهده وعبادته وملاك العمل الخشية وملاكمها العلم ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ^(١) ، وقد بان أنه أعلم ، فهو أخشى ، فهو أعمل ، ومن العمل الجهاد ، وهذا الباب غني عن الإيراد ، فأنه لا خفاء على أحدهم أن سيفه أقام الاسلام قال :

يامن به للدين فخر والهدى ✽ نور وفي كتب العلوم نائم

ومن الذي لولا ثبات حسامه ✽ ما قام للإسلام قط دعائم

يامن له فصل الخطاب وعنده ✽ علم الكتاب ومن بنى القائم

الثالث : المال وعلي استغنى فيه بالله عن غيره ، حيث نزلت المائدة عليه عند

سغبه ، و الماء لظهوره ، وأسند ابن المغازلي إلى أنس قول النبي لأبي بكر وعمر :

امضيا إلى علي يحدثكما بما كان منه في ليلته وأنا على أثركما ، فمضيا وقال :

بعثنا النبي لتحدثنا فجاء النبي ﷺ وقال : حدثتكما . فقال : أردت الطهور و

خفت أن تتوتني الصلاة فانشق السقف ونزل سطل مغطى فتنظرت منه ثم ارتفع و

النائم السقف ، فقال النبي ﷺ : السطل والمندبل من الجنة ، من مثلك ؟ جبريل

يخدمك . ونحوه ذكر أخطب خوارزم إلا أنه قال : كان الطهور لصلاة العصر ، قال

النبي ﷺ : ما زال إسرائيل قابض على ركبتني حتى لحقت معي الصلاة ، أفيلومني

الناس على حبك ، والله وملائكته يحبونك ؟ والمفهوم من هذين الحديثين نزول

السطل عليه مرتين .

عليه : الظاهر أنه إنما أرسل الشيخين إليه ليعلمهما بنقصهما عنه ، فلا يستوجبان التقدم عليه و في ذلك يقول ابن حماد :

أعطيت بالفضل ما لم يعطه أحد ✽ كذا روى خلفاً منّا عن السلف
كالجم والسطل والمنديل يحمله ✽ جبريل ما أحد فيه بمختلف
و قال العوني :

و هل يقاس حيدر بحبتر ✽ وهل تقاس الأرض جهلاً بالسماء
هل يستوي المؤمن و المشرك و المعصوم عن معصية و من عصا
هل يستوي من كسر الأصنام و الساجد للأصنام كلاً لاسوى
هل يستوي الفاضل والمفضول أم ✽ هل يستوي شمس النهار والذبحي
الرابع : الجاء ولا ريب في بسط قدرته و قيام الاسلام بسيفه و قوته ، ونزول
« إنما وليكم الله و رسوله » في ولايته .

الخامس : النسب و الانساب أعلى من بني هاشم ، في الجاهلية بأجداده الكرام
و في الاسلام فهايك النبي و ابنته و ابنيه عليهم السلام ، وعليّ أوّل من ولد من
هاشمين ^(١) و قد ذكر الخركوشي و الثعلبي عن جابر قول النبي ﷺ لعلّي :
الناس من شجر شتى و أنا و أنت من شجرة واحدة ، و بنحوه ذكر ابن عقدة و عطاء
و الخراساني و ابن شريح الفلكي و الطوسي في الأربعين و في الفردوس و في
بعضها : أنا الشجرة وعليّ فرعها و الأئمة من ولده أغصانها و الأئمة ثمرها و شيعتهم
ورقها و نحو هذا كثير .

فضيحة : لما عدّ دغفل النسابة للأوّل مقابح رهطه هرب منها و تبسّم
النبي ﷺ لها ، ذكر ذلك سلمة في الفاخر ، و ابن عبد ربّه في العقد ، و الخطيب
في التاريخ ، و قد قيل للفرزدق : و صفت كلّ قبيلة إلاّ تيمّاً فقال : لم أجد حسباً
فأصفه ولا بناءً فأهدمه .

قال الجاحظ : النسب لا تأثير له في الخلافة بل الدين « و أن ليس للإنسان

(١) بل الصحيح ما ذكره المؤرخون بقولهم : و أمه أول هاشمية ولدت لها شمس .

إلا ما سمى ^(١) قلنا : النسب من السعي كما جاء في الحديث : ولد الإنسان من كسبه .

قال : « يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ^(٢) » قلنا : هذا مختص بالكتمان الاجماع باثبات الشفاعة .

قال : « لا يغني مولى عن مولى ^(٣) » قلنا : في آخرها « إلا من رحم الله » و قرابة النبي ^{مرحومة} .

قال : روي أن النبي ^ﷺ قال : يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً . قلنا : رواية ساقطة من الكتب و الرجال ، فلا يعتمد فيها على حال ، ويردّها ما أسنده الثعلبي ^{برجاله} من قوله ^ﷺ : من صنع صنعة إلى أحد من ولد عبدالمطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها في القيامة ، وقد أورد المرزباني في كتابه : « كل نسب و سب منقطع يوم القيامة إلا نسبي و سبي » وقد ألح عمر في الزويج عند أمير المؤمنين لهذه العلة .

قال شعبي ^{لناصبي} : أو بعث النبي أين كان يحط رحله قال : في أهله وولده قال : فقد حطت هواي حيث يحط النبي ^ﷺ رحله و ثقله ، قال الحسن من بني العباس :

و قالت قریش لنا مفخر	✽	رفیع علی الناس لا ینکر
فقد صدقوا فلهم فضلهم	✽	و بینهم رتب تقصیر
فأدناهم رحماً بالنبي	✽	إذا فخرُوا فبه المفخر
بنا الفخر فيكم على غيركم	✽	و أمّا علينا فلا تفخروا
فضل النبي عليكم لنا	✽	أقرُّوا به بعد أن أنکروا
فان طرتم بسوى مجدنا	✽	فان جناحکم الأقصر

(١) النجم : ٣٩ .

(٢) البقرة : ٤٨ و فيه : واتقوا يوماً لا تجزي الإابة .

(٣) الدخان : ٤١ .

و في خبر حرّة بنت حلينة مرضعة النبي ﷺ لما أراد الحجّاج هلاكها التفضيلها
 علياً على الثلاثة : أنّها لما رأت شدة غضبه قالت : إن الله ورسوله فضله عليهم بل
 هو أفضل من آدم و نوح و داود و سليمان و إبراهيم و موسى و عيسى ، فاشتد غضبه
 و طلب منها سبب ذلك ، فقالت : « و عصى آدم ربه فغوى ^(١) » و شكر الله سعي علي
 في « هل أتى » و امرأة نوح خائنة و زوجة علي فاطمة الطاهرة ، و إبراهيم قال :
 « ليطمنن قلبي ^(٢) » و علي قال : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، موسى خرج
 خائفاً و علي ليلة المبيت لم يرخائفاً ، و داود حكم في الغنم و كان الصواب في حكم
 سليمان كما نطق به القرآن و قال النبي : أعلمكم علي أقضاكم علي ، و سليمان
 طلب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، و علي يا دنيا اعزبي عني لا حاجة لي فيك
 و قال الله لعيسى : « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ^(٣) » فاعتذر
 بقوله : « إن تعدّ بهم فأنتم عبادك » و علي لم يعتذر بقتل الخوارج و غيرهم ، فتخلّى
 غضبه و أمر لها بألف دينار و جعلها رسماً لها في كل سنة .

و في قضاء العقول : من كان أفضل من رعيته ، امتنع أن يستحق أحدهم عظم
 رتبته ، فما ظنك بمن فضل على الأنبياء هل يكون غيره أولى منه بمنازل الأولياء
 و لما أنكروا قوم طالوت ملكه بقولهم : « أنسى يكون له الملك علينا ^(٤) » رد الله
 عليهم بقوله : « إن الله فضله عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » قال ابن الرومي :
 رأيته عند الله أعظم زلفة * من الأنبياء المصطفين ذوي الرشد
 وجدت هذا البيت مفرداً فأحببت أن أنسج على منواله ، وأقتدي به في إفضاله
 بمقاله ، فقلت :

فأدّم لما أن عصى زال فضله * وفي هل أتى شكر الإمام على الرشد
 و امرأتا نوح و لوط فخاننا * و نور الوردى عن طهر فاطمة بيدي

(٢) البقرة : ٢٦٠ .

(١) طه : ١٢١ .

(٤) البقرة : ٢٤٧ .

(٣) السجدة : ١١٩ .

- وقد سأل إبراهيم إحياء ميت * ليطمئن منه القلب بالواحد الفرد
ولو كشف المستور مولاي لم يزد * يقيناً على ما كان في سالف العهد
وقد خاف موسى حين ولّى مبادراً * و بات عليّ لم يخف سطوة الضدّ
ولم يخف ما في حكم داود سابقاً * و حكم عليّ إذ تجلّ عن الردّ
سليمان جاء الذكر فيه بقوله * هب الملك لا تحببه من أحد بعدي
و دنيا أتت مولاي ذي بنية * فقال اعزبي عني ولا تمكثي عندي
وقد عاتب الرحمن عيسى بقوله * أنت أمرت الناس أن يعبدوا بعدي
فأبدى اعتذاراً إن تعدّ بهم على * جرائمهم أو تعف لا زلت ذا مجد
و مولاي لم يبد اعتذاراً بقتله البغاء * ولكن فاز بالشكر والحمد
فقد عرف التفضيل حقاً لطالب * لحقّ ولم يحتج إلى منع الكدّ
فقد ضلّ من قاس العتيق بجديد * ولا ملحة فيه لمنفعة تجدي

﴿ الفصل الحادى والعشرون ﴾

﴿ في سدّ الابواب دون باب على عليه السلام ﴾

هذا الفصل ينضمّن معنى النصّ من الله و رسوله لكونه بأمر الله و فعل رسوله و في روايه أبي رافع : لما سدّ الأبواب تكلموا فيه فصعد المنبر و قال : ما فعلت إلاّ عن أمر ربّي إنّ الله تعالى أوحى إلى موسى و هارون : « أن تبوّأ لقومكما بمصر بيوتاً و اجعلوا بيوتكم قبلة ^(١) » ثمّ أمره أن يسكن مسجده فلا يدخله جنب غيره و غير هارون و ذرّيته ، و اعلّموا أنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي و هذا أمر مستفيض رواه الفريقان ، و اتّفق عليه الخصمان ، فرواه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن ابن عمر ، و عن عمر ، و عن زيد بن أرقم : و لما تكلموا فيه صعد المنبر و قال : أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ ، و قال فيه قائلكم

فوالله ما سددت شيئاً ولا فتحتهُ ولكن أمرت بشي، فاتّبعته .

وأسنده الحافظ الاصفهاني إلى ابن عباس وفيه أن موسى سأل الله أن يطمّر مسجده ولا يسكن فيه إلّا هو و هارون و أولاد هارون ، و إنّي سألت الله لك و لقد ينك ذلك ، و فيه ما أنا سددت ولا فتحت و لكن الله سدّ أبوابكم و فتح باب عليّ ، و رواه ابن المغازلي الشافعي من طرق ثمانية : عدي بن ثابت و سعد بن أبي وقاص بسندين ، والبراء بن عازب و ابن عباس بسندين ، و نافع مولى عمرو حذيفة ابن أسيد .

و فيه انقض كوكب فقال النبي ﷺ : من انقض في داره فهو الوصي ثم بعدي ، فنظر فنية من بني هاشم فإذا هو في دار عليّ فقالوا : غوى في حبّ عليّ . فنزل : « و النجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم و ما غوى ^(١) » .

و فيه أنه بعث معاذ بن جبل إلى أبي بكر و عمر و عثمان و حمزة بسدّ أبوابهم فقالوا : سمعاً و طاعة ، وقال لعليّ عليه السلام : اسكن طاهراً مطهراً فبلغ حمزة قول النبيّ فقال : تخرجنا و تسكن غلمان بني عبد المطلب ؟ فقال : لو كان الأمر لي ما جعلت من دونكم أحداً ، و الله ما أعطاه إنياء إلّا الله و رواه أحمد في فضائله و أبو يعلى في مسنده و السمعاني و ذكره في الخصائص و حلية الأولياء ، و الخطيب في تاريخ بغداد و صاحب الابانة في مسند العشرة ، و شرف المصطفى ، و الزمخشري في الفائق ، و أبو صالح في الأربعين و المطار الهمداني و الترمذي في جامعهم و الخطيب أيضاً في الحقائق .

و فيه : لا يحلّ أن يدخل مسجدي جنباً غيره و غير ذرّيته فمن شاء فهنا و أشار بيده نحو الشام ، فقال المنافقون : لقد ضلّ و غوى في أمر خنثه ، فنزل : « ما ضلّ صاحبكم و ما غوى » و رواه ابن جبر في نخبه عن الباقر و الرضا عليه السلام و عن نحو ثلاثين رجلاً من الصحابة منهم ابن عباس و عن أمّ سلمة أيضاً .

هداية : إذا كان الله هو المطلع على البواطن سدّ أبوابهم و فتح بابه ، فعلمه

بصلاح باطنه دونهم ، أوجب تمييزه عنهم ، وأرشد بذلك إلى المنع من اتباعهم ، إذ
 نوّه بشرف ذكره وظمور فضله ، وعرض بنقصهم وعدم صلاحهم ، قال السيد الحميري :
 وخص رجلاً من قریش بأنني ☆ لهم حُجراً فيه و كان مسدداً
 فقيل له اسد كل باب فتحت ☆ سوى باب ذي التقوى عليّ فسدداً
 لهم كل باب أشرعوا دون بابهِ ☆ وقد كان منقوساً عليه محسداً
 وقال أيضاً :

و أسكنه في مسجد الطهر وحده ☆ و زوجته والله من شاء يرفع
 فجواره فيه الوصي وغيره ☆ و أبوابهم في مسجد الطهر شرع
 فقال لهم : سدوا عن الله صادقاً ☆ فضنوا بها عن سدّه و تمنعوا

﴿ الفصل الثاني والعشرون ﴾

☆ (في السبق إلى الاسلام) ☆

قال الثعلبي : قال الحسن والشعبي وعبد بن كعب القرظي : نزلت : وأجعلنم
 سقاية الحاجّ و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل
 الله لا يستوفون عند الله ^(١) ، حين افتخر طلحة بن أبي شبة بالمفساتيح ، و العباس
 بالسقاية ، فقال عليّ : ما أدري ما تقولان ؛ لقد صليت سنة أشهر قبل الناس : و أنا
 صاحب الجهاد ، فنزلت الآية ، و ذكره في الجمع بين الصحاح رزين العكبري ^(٢) في
 الجزء الثاني من صحيح النسائي مسنداً إلى القرظي و أسند نحو ذلك الشافعي
 ابن المغازلي من طريقين فلا سبيل إلى مشابهته لأنّ الله تعالى نوّه بعظيم ذكره
 و نبّه على علوّ قدره ، مضافاً إلى ما آتاه الله من وجوب ولايته ، كولاية نفسه
 و رسوله .

و أسند ابن جرير الطبري في كتاب المناقب إلى النبي ﷺ : امتحن الله
 قلب أبي بكر بالصبر فلم يجده صابراً و بالشجاعة فوجده خوّراً ^(٣) و بالسبق إلى

الايمان فوجده لم يكن مسارعاً ، وهذه من أعظم صفات الامامة فالمبصوف بأضدادها موصوف بضد استحقاقها .

وأسند ابن مردويه إلى ابن عباس في قوله تعالى : « اركعوا مع الراكعين »^(١) ، قال : نزلت في النبي ﷺ وعليّ وإتتهما أوّل من صلى و ركع .
قال الجاحظ : لو كان إسلامه ذلك معتبراً لاحتجّ به في السقيفة . قلنا : قد كانت الصحابة تناظر النبي ﷺ وتردّ عليه في غير أسباب الامامة فكيف بأمر المؤمنين في ذلك ، وهم في مقام طرده و صرفه .

قال : و لقي أبو بكر من الأذى ما يفوق سبق عليّ ولم يلق مثله عليّ . قلنا : المشهور خلاف ذلك كيف و النبي ﷺ و عليّ أصل القاعدة في تغيير الشرك ، و إسقاط كلّ غوى ، ولو سلم فلا يدلّ ذلك على شرف إسلامه إلّا بعد علمه أو ظنّه أنّه يؤذى ، و علم عليّ أو ظنّه أنّه لا يؤذى .

قال : إسلام زيد و خباب أفضل من إسلامه إذ لا ظهر لهما كأبي طالب . قلنا : هذا كلّه واه لأنّ هاشماً كلّها لم يكن فيها مقاومة قريش كيف ذلك وقد طردوا إلى الشعب و نالهم ألم السغب .

إن قيل : هذا رجوع منكم من أنّ أبا طالب كان يحمي النبي ﷺ . قلنا : جاز أن يحميه من الواحد و الاثنين و نحو ذلك أمّا إذا اجتمعت قريش فظاهر عدم قدرته على منعها .

وأسند سبق إسلامه جماعة من أهل المذاهب ستأتي ، وبها تسقط رواية الشعبي النادرة أنّ أوّل من أسلم أبو بكر مع أنّه منحرف عن عليّ وضعفه الشافعي . وأيّ عاقل يقبل إسلام البعيد عنه في حال كبره ، على من ربّاه النبي ﷺ في حجره و كيف لا يبده في هذا الأمر المهمّ بالمختصين ، مع قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين »^(٢) .

(١) البقرة : ٤٣ .

(٢) الشعراء : ٢١٤ .

١ - سلمة بن كهيل قال علي عليه السلام : اللهم ! إني لأعرف عبداً لك عبدك من هذه الأمة قبلي غير نبيها ، ولقد صليت قبل أن يصلي أحد سبعا .

٢ - المنهال قال علي عليه السلام : لقد أسلمت قبل الناس بسبع سنين .

٣ - جابر الحضرمي قال علي عليه السلام : لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث سنين لم يصل فيها أحد غيري .

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : المراد أنه عليه السلام صلى سبع سنين بعد بلوغه إلى ثمان سنين ولم يكن للنبي صلى الله عليه وآله دعوى رسالة بل كان يتعبد في الاسلام بدين إبراهيم عليه السلام و كان إسلام علي عليه السلام صغيراً كإسلام إبراهيم فقد ذكر أهل العلم أن أمه حننوه وهو صغير في سرب لثلاثاً يطالع عليه فلما نشأ قال لأمته : من ربّي ؟ قالت : أبوك ، فقال : ومن ربّ أبي ، فزيرته ففطن من شقّ السرب فرأى كوكباً الآية .

٤ - بعادة العدوية ، قال [علي عليه السلام] على منبر البصرة : أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم .

٥ - البخاري ، قال [علي عليه السلام] صليت قبل الناس بسبع سنين .

٦ - خالد الخفاف : قال عثمان بن عفان : أبو بكر و هو خير منك ، فقال علي عليه السلام : كذبت والله لأنا خير منك و منها ، عبت الله تعالى قبلهما و بعدهما .

٧ - الحارث الأعور قال علي عليه السلام : لا أعرف عبداً من عبادك عبدك قبلي و قال عليه السلام حين بلغه أنه يكذب : على من أكذب ؟ أعلی الله فأنا أول من عبده أم على رسول الله فأنا أول من صدّقه .

٨ - أبو أيوب قال النبي صلى الله عليه وآله : صلت الملائكة علي و على علي سبع سنين و ذلك أنه لم يصل معي رجل غيره . و مثله عن ابن عباس من طريقين ، وعن مجاهد وعن أنس وفي آخره : لم ترفع الشهادتان إلى السماء إلّا منّي ومنه .

٩ - سلمان قال النبي صلى الله عليه وآله : أو لكم وروداً على الحوض أو لكم اسلاماً : علي ابن أبي طالب .

١٠ - أبو ذر قال النبي ﷺ لعلي : أنت أول من آمن بي .

١١ - حذيفة : علي أقدم الناس سلماً وأرجحهم علماً .

١٢ - جابر الأنصاري : بعث النبي يوم الاثنين ، وأسلم علي يوم الثلاثاء .

١٣ - زيد بن أرقم : أول من صلى مع النبي ﷺ علي ابن أبي طالب .

١٤ - أم سلمة : والله لقد أسلم علي ابن أبي طالب أول الناس وما كان كافراً

وقد نقل ذلك عن جماعة منهم الأشتر ، وسعيد بن قيس ، وعمر و بن الحرق ، و هاشم بن عبيد ، و محمد بن كعب ، و مالك بن الحارث ، و أبو بكر ، و عمر ، و أبو غلدة ، و أنس ، و ابن العاص ، و الأشعري ، و الحسن بن أبي الحسن البصري ، و قتادة ، و مالك بن الحارث ، و محمد بن إسحاق ، و الحسن بن زيد ، و أسند ذلك ابن حنبل من عدة طرق و ابن المغازلي من عدة طرق و الثعلبي في تفسيره قال : و هو قول ابن عباس و جابر و زيد بن أرقم و ابن المنكدر و ربيعة الرأي و ابن حبان و المزني و ذكره ابن عبد ربه في الجزء التاسع و العشرين من كتاب العقد .

و روى ابن مردويه و هو من أعيانهم قول أبي ذر : دخلنا على النبي ﷺ و

قلنا : يا رسول الله من أحب إليك فان كان أميراً كنّا معه ؟ قال ﷺ : هذا علي أقدمكم سلماً و إسلاماً

وقد أنشد في ذلك من الأشعار ، ما يفني عن الاكثار ، قال خزيمة في

أبيات له :

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا * أبو حسن مما نخاف من الفتن

إلى قوله :

و أول من صلى مع الناس كلهم * سوى خيرة النسوان والله ذو منن

و قال كعب بن زهير :

صهر النبي و خير الناس كلهم * فكل من راعه بالفخر مفخور

صلى الصلاة مع الأمي أولهم * قبل العباد ورب الناس مكفور

و قال ربيعة بن الحارث عند البيعة :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
 أليس أوّل من صلى لقبلتهم * وأعلم الناس بالآثار والسنن
 وآخر الناس عهداً بالنبي * جبريل عاونه في الفصل والكفن
 من فيه ما فيهم لا يمترون به * وليس في القوم ما فيه من الحسن
 ما ذا الذي ردكم عنه فنعلمه * ها إن بيعتكم من أوّل الفتن
 وقال مالك بن عباد :

رأيت علياً لا يلبث قرنه * إذا ما دعاه حاسراً أو مزحلاً
 فهذا وفي الاسلام أوّل مسلم * وأوّل من صلى وصام وهللاً
 وقال زفر بن زيد :

فحطوا علياً واحفظوه فأنه * وصي وفي الاسلام أوّل مسلم
 وقال قيس بن عباد :

هذا عليّ وابن عمّ المصطفى * أوّل من أجابه حين دعى

وقال في ذلك : الفضل ، و عبدالله بن أبي سفيان ، و النجاشي ، و ابن الحارث
 و جرير بن عبدالله ، و عبدالله بن حكيم ، و عبد الرحمن بن حنبل ، و أبو الأسود
 الدؤليّ ، و هاشم بن عتبة تركنا أشعارهم خوف الإطالة ، وقد روى المنحرفون
 روايات شاذة ضعيفة في تقدّم إسلام أبي بكر سنذكرها في باب الروايات المختلفة و
 نجيب عنها و نبين ندورها .

تذنيب : قالت البكريّة : إسلام عليّ لا على النظر و المعرفة ، بل على وجه
 التلقين ، فليس كالسلام البالقين ، فأنه كان ابن سبع سنين . قلنا : من المعلوم أنه
 صاحب النبي ﷺ ثلاثاً و عشرين منها عشرأ بعد الهجرة ، و مات سنة أربعين فعلم
 أن عمره عند المبعث يزيد على سبع سنين وقد اشتهرت الأخبار بأن عمره ثلاث و
 ستين و خمس و ستين و أمّا ما سواهما فشاذ مطروح بعيد ، لا يؤثره من كان له قلب
 أو ألقى السمع و هو شهيد . وقد قال بصفين لما بلغه قول أعدائه أنه شجاع لكن لا
 بصيرة له بالحروب : و لله أبوه و هل أحد أبصر بها مني ؟ لقد قتت فيها و ما بلغت

العشرين ، وها أنا قد ذُفرت على الستين ولكن لأرى لمن لا يطاع^(١) ، فأخبر أنه قد نيف على الستين ثم عاش بعد ذلك دهراً .

فممن روى الثالث و الستين محمد بن الحنفية و أبو نعيم عن شريك عن إسحق و يحيى ابن أبي بكر عن مسلمة عن الخدرى و أحد بن زكريا عن عائشة و ممن روى الخمس و الستين الكواسجي عن الوليد بن هاشم و روى قتادة عن الحسن و غيره أنه أول من آمن و هو ابن خمس عشرة سنة و قال خباب بن الارت : أسلم و هو ابن خمس عشرة سنة ، و لقد رأيته يصلي مع النبي ﷺ و هو يومئذ بالغ مستحلق البلوغ ، و روى الحسن بن زيد أنه أول من أسلم و هو ابن خمس عشر سنة ، و ذكره محمد بن عبد البر منهم و قال ابن عمر : قال إبراهيم : هذا أصح ما قيل و على هذا قال عبد الله بن أبي سفيان بن عبد المطلب :

و صلى عليّ مخلصاً بصلاته ✽ لخمس و عشر من سنه كوامل
و خلّى أناساً به يبعونه ✽ له عمل أمصل به صنع عامل^(٢)
قال الجاحظ : لو كان بالفاكان إسلام زيد و خباب أفضل منه حيث تركا المؤلف
من عبادة الأصنام ، قلنا : بل إسلامه طفلاً أشرف و قد كان يخالط الكفار و يتفرع عن أفعالهم
ثم ما يديده أنهما أظهر الإسلام . و أن أظهره جاز لمجاورتهم رؤساء كفاراً تمنع

(١) أما كلامه هذا فهو نس على أن إسلامه كان في السادسة أو السابعة من عمره الشريف فانه اول ما قام بالحرب كان في بدر السنة الخامسة عشر من البعث و اما حديث صلته مع النبي صلى الله عليه وآله قبل الناس سبعا فلانه كان يصلي مع جماعة في المسجد الحرام و أصحابه المسلمون لا يقدرون على ذلك خوفاً من المشركين بل يصلون فرادى خفية في دورهم حتى اذا حصر و افي الشعب للسنة السابعة من البعث و حرم النبي صلى الله عليه وآله من الصلاة في المسجد صلى مع بنو هاشم و سائر أصحابه هناك جماعة مع النبي ، فصح أنه كان يصلي قبل الناس معه سبعا و لا يصلي معها أحد من الرجال .

(٢) كذا ، وقد صحح في احدى النسختين «أفضل به» ، يقال : مصل ماله : أفسده و صرفه في مالا غير فيه ، و امصل به صيغة تمجيب . كأفضل به .

منهما كما جرى لغيرهما ، على أنه ليس الحد في التكليف بالمعارف بلوغ العلم بل ذلك في الشرعيات وقد كمل الله عقل الطفل حتى برأ يوسف وقال الله في يحيى : « وآتيناه الحكم صبياً ^(١) » وقال في عيسى : « وجعلني نبياً ^(٢) » .

واعلمهم يقولون : ما ذكرتم في الطفل بمعجزة ليوسف ، ويحيى وعيسى معجزة ١١ لهما أيضاً فإسلام علي صبيّاً خارقاً للعادة لا يجوز أن يكون معجزاً له ، وإلا لكان نبياً ، ولا للنبي لأنه لم يعد في معاجزه ، ولا نقله المسلمون في دلائله .

قلنا : بل إسلامه صغيراً كرامة له ، ولا يلزم منها نبوة ، وأنتم تجوزون الكرامات لمشايخ الطريقة وليس لهم نبوة ، بل وربما لاعدالة لهم مع جواز كونه معجزة للنبي ، وإن لم يشع ذلك في العوام ، إذ ليس كل معاجزه عليه السلام أعلام ولو استشهد على حال صغره بتصديق النبي ﷺ كما شهد ليوسف الطفل ببراءته ، ونطق عيسى ببراءة أمه ، ويحيى بتقرير نبوة أبيه ، والمعاجز التي هي أعلام تدل على نبوته بظواهرها ، فاستغني به عن غيرها ، ولما تقررت نبوته أخبر بإسلامه صغيراً فكان معجزاً لكنه غير مقرون بالدعوة ، ومن الجائز أن يكون الله تعالى أعلم نبيه الكف عن ذكر إسلامه لعلمه بما في ذلك من مصلحة خلقه .

ثم نرجع ونقول : كيف يكون إسلام علي عليه السلام وجه التلقين ، وقد تمدح به بين أعدائه ، وجعله من أعظم فضائله ، وذلك كله في معنى الشهادة بصدق نبوته ولم يرد أحد من خصومه ما تمدح به من سبق لإسلامه ، ولاذكروا أن ذلك لافضيلة له فيه ، لأنه حال صغره ، وقد اشتهر ذلك في شعره عليه السلام :

سبقتمكم إلى الإسلام طراً * على ما كان من فهمي وعلمي
وكذا وجدناه في العيون والمحاسن للشيخ المفيد رحمه الله وقد قال
وصليت الصلاة وكنت طفلاً * صغيراً ما بلغت أوان حلمي

(١) مريم : ١١ .

(٢) مريم : ٣٠ .

وقد أظهرنا وجه فضيلته على القولين .

قالوا : لو سلم سبق إسلامه فإسلام أبي بكر أفضل منه ، لحصول الشوكة و القوة الإسلامية به دونه ، لأنه كان شيخاً من الشيوخ محترماً ، ودعى الناس إلى الإسلام . قلنا : نمنع احترامه ، ودعاه إلى الإسلام ، وحصول الشوكة ، ففي إسلام عليٍّ صغيراً فضيلة لا تعادل إذ الميل إلى الأيوين في طباع الصبيان ، وكثير اللب مع الأخدان ، فالعدول عن ذلك بصحيح النظر ، لم يكن لغيره من البشر ، فكانت النقوى المستلزمة للمكرامة ، ثابتة له لسبق إسلامه ، لا لمن مضى على الكفر أكثر أعوامه ، وكيف لا يكون إسلامه بالاستدلال : وقد ذكر النبي ﷺ في مناقبه حيث قال لغاطمة : أما ترضين أني زوجتك أقدمهم سلماً ، وقال في حديث سلمان : أوّل هذه الأمة وروداً على الحوض أوّلها إسلاماً عليٌّ بن أبي طالب ونحو ذلك قد سلف . و أيضاً فالنبي ﷺ لم يستكنمه على سرّه وإلا يثق بعقله وأمانته إلا وهو عالم بصدق سريره ، وعلمه وحكمته ، وحصول عصمته ، وإلا لكان مضطرباً لحرمة ومفرطاً بوضع الشيء في غير موضعه ، ومتشاكلاً مما يجب عليه من المهمّ بغيره ولأنّ حاله بعد الإسلام ليس كما كان من قبله ، وإلا لم يصدق الإسلام عليه . إن قيل : قد يصدق الاسم بمجازه دون حقيقته كالإسلام الطفل تبعاً لأبيه وسابيه^(١) قلنا : الأصل في الإطلاق الحقيقة وعندكم لا إسلام لأبيه ، ومن المعلوم نفي سابيه ولو صدق بمجازه لصدق السلب فيه ، ويلزم صدق الكفر حقيقة عليه ، وذلك قول فنيد ، لم يذهب إليه رشيد ، والحمد لله القوي الحميد .

(١) أي الذي سباه في دار الحرب .

﴿ الفصل الثالث والعشرون ﴾

في كونه عليه السلام بمنزلة: « قل هو الله أحد » ، و البئر المعطلة ، و الحسنة ، و أبو الأئمة .

[روى ذلك] و أسند بن جبر في نخبه قول النبي ﷺ : مثل علي في هذه الأئمة مثل « قل هو الله أحد » و أسنده الشافعي ^١ ابن المغازلي ^٢ إلى النعمان بن بشير و إذا كان علي ^٣ مماثل للنسبة الرب تعالى إلا ما أخرجه العقل ، فمن يطمع في مساواته أو مداناته .

و أسند ابن جبر في نخبه إلى الصادق عليه السلام : البئر المعطلة و القصر المشيد علي ^٤ بن أبي طالب .

و أسند إلى الكاظم عليه السلام : البئر المعطلة : الامام الصامت ، و القصر المشيد : الامام الناطق .

قال العوني ^٥ :

هو القصر و البئر المعطلة التي * متى فتحت تروي الأنعام عن السغب
فمن دخل القصر المشيد بنائه * فلا ظمأ يلتصق هناك ولا نصب
و قال آخر :

علي ^٦ هو البئر المعطلة التي * مياها شفاء للغليل من الظما
إذا كشفت للمخلق فاضت علومها * كفيض مياه البحر في البر إذ ظما

و أمّا الحسنة ، فأسند صاحب النخب إلى الباقر عليه السلام في قوله تعالى : « و من يقترب حسنة ^(١) » قال عليه السلام : هي المودة لعلي ^٧ بن أبي طالب ، و روى زادان عن السبيعي ^٨ ، عن الجدلي ^٩ أن علياً عليه السلام قال : في قوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله خير منها و من جاء السيئة فلا يجزى إلا مثلها ^(٢) » الحسنة حبنا أهل البيت و السيئة بغضنا .

و في تفسير الثعلبي : إني أنبئك بالحسنة التي من جاء بها دخل الجنة
و بالسيئة التي من جاء بها دخل النار ، ولم يقبل معها عملاً ؟ قلت : بلى ، قال :
الحسنة حبنا أهل البيت والسيئة بغضنا .

و أمّا الأبوة فأسند ابن جبر في نخبه إلى النبي ﷺ : أنا و عليّ أبوا هذه
الأمّة . و روى الثعلبي في ربيع المذكرين ، والخر كوشي في شرف النبي ، والديلمي
في الفردوس ، والطوسي في الأمالي قول النبي ﷺ : حقّ عليّ على هذه الأمّة
كحقّ الوالد على الولد ، و في الخصائص عن أنس : حقّ عليّ على المسلمين كحقّ
الوالد على الولد ، و في مفردات الراغب قال النبي ﷺ : يا عليّ أنا و أنت أبوا
هذه الأمّة . و من حقوق الآباء على المسلمين أن يترحم عليهم في أوقات الاجابات .
و المراد بالأبوة وجوب شكر نعمتها كما وجب للوالدين على ولدهما وقد
روى أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام أن قوله تعالى «أن أشكرلي ولوالديك» (١) ،
نزلت فيه ، و روى هو أيضاً عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : « و بالوالدين إحساناً » (٢) ،
الوالدين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين . و روي عن الرضا عليه السلام أن النبي ﷺ
قال : أنا و عليّ الوالدان .

و ذكر ميثم في شرح نهج البلاغة ما يقرب من هذا المعنى حيث روى قول
النبي ﷺ : كلّ نبي هو آدم و قته فصدقت الأبوة عليه و عليّ عليّ بالمجاز
و لم يخصّ النبي ﷺ غير عليّ عليه السلام بمثل ذلك الاعزاز .

قلت : لما كانت الرحمة توجب السرور ، فأمر ترحم بمن قتلوا ذريتهم و صرفوا
بنت نبيهم عن حقّها بغصبهم و سبوا إمامهم على رؤس منابرهم .

و قد روينا عن شيخنا زين الدين عليّ بن محمد التوليني أن الأصمغ بن نباته
دخل على عليّ عليه السلام حين ضربه ابن ملجم اللعين فأخذ عليّ عليه السلام بأصبعه و قال :
دخلت على رسول الله ﷺ فأخذ بأصبعي هكذا و قال : أخرج فناد : ألا من عقّ

والديه فعليه لعنة الله ، الأيمن أبق من مواليه فعليه لعنة الله ، الأيمن ظالم أجيراً أجزته فعليه لعنة الله ، فخرجت فناديت فلم يفهموا ، فرجعت فقلت له : يا رسول الله لم يفهموا ، فقال : يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة ، فمن عقتنا فعليه لعنة الله ، وأنا وأنت مولا هذه الأمة فمن أبق معنا فعليه لعنة الله ، وأنا وأنت أجيرا هذه الأمة فمن ظلمنا أجزنا فعليه لعنة الله ، فخرجت فأوضحت ذلك .

﴿ الفصل الرابع والعشرون ﴾

أسند الخطيب في الأربعين إلى محمد بن الحنفية قول النبي ﷺ : لما عرج بي رأيت في السماء ملكاً مكتوب على جبهته : أيد الله محمداً بعلي . فتعجبت فقال الملك : إنه مكتوب قبل الدنيا بألفي عام ، وفي الكتاب المذكور أيضاً أن النبي ﷺ قال : مكتوب على جناح جبرائيل : لا إله إلا الله محمد النبي ، وعلى الآخر : لا إله إلا الله علي الوصي .

وأسند ابن جبر في نخبه إلى ابن عباس وابن مسعود قول النبي ﷺ : مكتوب على وجه القمر الذي يلي السماء : الله نور السماوات ، وعلى الوجه الذي يلي الأرض محمد وعلي نور الأرضين .

وأسند الفحام وهو عامي إلى أنس قول النبي ﷺ وقد ركب إلى موضع كذا : خذ البغلة وأت علياً في موضع كذا تجده يستبج بالحصي فاحمله عليها إلي فلما جاء قال له : اجلس هنا فقد جلس في هذا الموضع سبعون مرسل ما جلس فيه نبي إلا وأنا أكرم على الله منه ، و اجلس موضع كل نبي أخ له ما جلس منهم أكرم على الله منك ثم أظلمت غمامة فأكلنا منها غيباً ثم قال : يا أنس والذي يخلق ما يشاء ، لقد أكل منها ثلاث مائة وثلاثة عشر نبياً ما فيهم أكرم على الله مني وأوصياؤهم ما فيهم أكرم على الله من علي .

وفي أمالي النيسابوري : دخل الكاظم على الصادق ، والصادق على الباقر والباقر

على زين العابدين ، و زين العابدين على الحسين الشهيد عليه السلام ، و كلهم فرحون قائلون : ناول النبي عليه السلام ^(١) تَفَاحَةً فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ ، فَانْفَلَقَتْ فَخَرَجَ فِيهِ مَكْتُوبٌ : مِنَ الْغَالِبِ الطَّالِبِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

و أَسَدُ الْخَوَارِزْمِيِّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ جِبْرَائِيلَ أَتَى النَّبِيَّ بِأُتْرُجَةٍ وَ قَالَ : هَذِهِ هَدِيَّةٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَسَقَطَتْ فَادَّا فِيهَا : هَذِهِ هَدِيَّةٌ مِنَ الطَّالِبِ الْغَالِبِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ يُقَالُ : إِنَّ ذَلِكَ كَانَ لما قَتَلَ عَلِيُّ عَمْرُو بْنُ عَبْدِودٍ .
و فِي أَحَادِيثِ ابْنِ الْجَعْدِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ رَأَى تَحْتَ الْعَرْشِ مَلَكًا عَلَى صُورَةِ عَلِيٍّ يَسْبِّحُ فَقَالَ : يَا جِبْرَائِيلُ مِنْ هَذَا الْمَلِكِ ؟ فَقَالَ جِبْرَائِيلُ : اشْتَقَّى الْعَرْشَ إِلَى عَلِيٍّ لِأَنَّ كَثَارَةَ اللَّهِ تَعَالَى الثَّنَاءَ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، فَخَلَقَ هَذَا عَلَى صُورَتِهِ يَسْبِّحُ وَثَوَابُهُ لِأَهْلِ بَيْتِكَ .

وَأَسَدُ ابْنِ جَبْرِ فِي نَجْبِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ صلى الله عليه وآله رَأَى صُورَةَ عَلِيٍّ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ : سَبَقْتَنِي يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟ قَالَ جِبْرَائِيلُ : هَذَا مَلِكٌ عَلَى صُورَتِهِ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ اشْتَاقَتْ إِلَى صُورَتِهِ فَسَأَلَتْ رَبَّهَا فَخَلَقَهُ لِيُزَوِّدُونَهُ قَالَ الْعَبْدِيُّ :
يَا مَنْ شَكَتْ شَوْقَهُ الْأَمْلَاقَ إِذْ شَغَفَتْ بِهِ بِحَبِّهِ وَ هَوَاهُ غَايَةَ الشَّغْفِ فَصَاغَ شَبْهَكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَمَا بِهِ تَنْفَكُّ مِنْ زَائِرٍ مِنْهَا وَ مَعْتَكِفِ

﴿ الفصل الخامس والعشرون ﴾

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاسْأَلْ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ^(٢) » قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : أَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ مِنْ كِبَارِ الْجُمْهُورِ قَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله : لما أُسْرِيَ بِي [إِلَى] السَّمَاءِ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنِي وَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ قَالَ : سَلِّمُوا عَلَيَّ مَا بَعَثْتُمْ فَسَأَلْتُهُمْ فَقَالُوا : عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ الْإِقْرَارِ بِذُبُوتِكَ وَ الْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
دَلُّ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يُوَالِهِ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ كَانَ عَادِيًّا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ

الايمان ، وخارقاً لعهده المأخوذ على أنبيائه ، وهذا نص الكتاب المجيد ، و قول النبي الرشيد . لا يحتمل التردد ولا يقبل التفتيد ، ولو اجتهد في رده المنعصب العنيد ، إذ هو تنزيل من حكيم حميد .

وأسند ابن قرطبة في كتابه مراصد العرفان إلى أنس قول النبي ﷺ : الجنة مشتقة إلى أربعة من أمتي قال أنس : فهممت أن أسأله عنهم فجئت إلى أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى عثمان فأخبرتهم وطلبت منهم سؤاله فكل يقول : أخاف أن أسأله فلا أكون منهم فيعيرني قومي فأخبرت علياً عليه السلام فقال : والله لا سأله فإن كنت منهم حدث الله إذ جعلني منهم ، وإن لم أكن منهم سألت الله أن يجعلني منهم ، فأتيت معه إلى النبي ﷺ فوجدت رأسه في حجر دحية الكلبي فقام وسلم عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين خذ رأس ابن عمك فأنت أولى به مني فلما انتبه النبي ﷺ أعلمه أنه كان جبرائيل فقال : يا رسول الله أعلمني أنس أنك قلت : الجنة مشتقة إلى أربعة من أمتي فمن هم ؟ فأومى إليه بيده وقال : والله أنت أولهم - ثلاثاً - قلت : فمن الباقي ؟ قال ﷺ : المقداد و سلمان و أبو ذر .

و في هذا الحديث نص النبي ﷺ باشتقاق الجنة إليه ونص جبرائيل أنه أولى بالنبي منه و بأنه أمير المؤمنين ، ومنى كان أولى بالنبي من جبرائيل ، كان أولى من الثلاثة و غيرهم بالتقدم للفضل .

و أسند إلى جابر من طرق عديدة أن النبي ﷺ ناجى علياً بالطائف فأطال قرأى في وجوه بعض الصحابة تغيراً - وقيل : هما أبو بكر وعمر - فقال ﷺ : ما أنا ناجينه و لكن الله انتجاء .

و أسند إلى أبي ذر قول النبي ﷺ لعلي : أنت أول من يضافني يوم القيامة ، و أنت الصديق الأكبر و الفاروق بين الحق و الباطل ، و أنت يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب الكفار .

و أسند إلى عمرو بن الحمق قول النبي ﷺ له : هل أريك آية الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذا و قومه و أشار إلى علي ابن أبي طالب . هل أريك آية من

النار ؟ قلت : بلى ، فأشار إلى رجل . فلما وقعت الغنة ذكرت ذلك فبرزت من آية النار إلى آية الجنة .

وأسند إلى علي^{عليه السلام} من طرق عديدة قول النبي^{صلى الله عليه وآله} له : إذا اجتمع الناس في صعيد وقطع العطش أمعاهم كان أول من يدعى إبراهيم فيكسى ويقام عن يمين العرش ثم ينقجر لهي شعب من الجنة إلى حوض أعرض مما بين بصرى و صنعاء . فأشرب أنا والوصي^{عليه السلام} وأكسى وأقام عن يمين العرش ، ثم تدعى وتشرب وتتوضأ وتكسى وتقوم معي ، فلا ادعى لخير إلا وأنت معي تدعى له .

وأسند إلى الصادق^{عليه السلام} إلى جابر قول النبي^{صلى الله عليه وآله} : ما اعتصم أهل ملّة من المشركين علي^{عليه السلام} إلا رميتهم بسهم الله علي^{عليه السلام} ابن أبي طالب و ما بعثته إلى سرية إلا و رأيت جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره و ملك الموت أمامه و سحابة تظله حتى يعطي الله حبيبي النصر .

وأسند إلى علي^{عليه السلام} قول النبي^{صلى الله عليه وآله} : يؤتى بك و يدفع إليك قضيباً من الدرّ ويقول لك : غرس هذا لك في جنة عدن فخذ بيدك ، و قف عند الحوض ، واسق من شئت بإذني وردّ من شئت بعلمي .

وأسند النيسابوري^{رحمته الله} إلى ابن عباس قول النبي^{صلى الله عليه وآله} لعلي^{عليه السلام} بعد فتح مكة : قم فانظر كرامتك على الله و كلم الشمس ، فقام وسلم عليها فقالت : و عليك السلام يا أخا رسول الله و وصيه و حجة الله على خلقه .

﴿ الفصل السادس والعشرون ﴾

أسند الطبري^{رحمته الله} إلى الخدري^{رحمته الله} قول النبي^{صلى الله عليه وآله} المختار : أعطاني الله مفاتيح الجنة و النار ، و قال تعالى : سلمها لعلي^{عليه السلام} ابن أبي طالب ليدخل من شاء ، ويخرج من شاء . و أسند جلال بن هيثم إلى ابن عباس قول النبي^{صلى الله عليه وآله} له : عليك بعلي^{عليه السلام} ابن أبي طالب فإن الحق ينطق على لسانه و إن النفاق في مجانبيه و إن هذا قفل الجنة و مفاتيحها و قفل النار و مفاتيحها ، بيده ، يدخل من شاء ، و يعدّ من شاء .

وفي مسند ابن حنبل و الجمع بين الصحيحين وبين الصحاح السنة من صحيح أبي داود و صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال لعلي : لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ، و قيل لبعض العلماء : إن الرضا يقولون علي قسم الجنة و النار ؟ قال : أستمروا قول النبي ﷺ فيه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر ؟ قال : بلى . قال : فالمؤمن أين ؟ قال : في الجنة . قال : فالكافر ؟ قال : في النار ، قال فصار علي قسم الجنة و النار .

و هذا خبر قسم الجنة و النار ذكره الشافعي ابن المغازلي في كتابه و ذكر فيه أيضاً عن النبي ﷺ لم يجز عن الصراط إلا من كان معه كتاب بولاية علي بن أبي طالب و فيه حدث الأعمش عن النبي ﷺ أن الله تعالى يقول لي و لعلي يوم القيامة : أدخلنا الجنة من أحبكما و النار من أبغضكما فيجلس علي على شفير جهنم فيقول : هذا لي و هذا لك .

قلت : فكيف يقاس به من لا يقطع بنجاة نفسه ، و يدعو بالويل و الثبور عند موته ، و ما ذلك إلا لما عاين من سوء عاقبته .

إن قلت إن علياً عند خالفه ✱ خير غداً من أبي بكر و من زفر
عجبت عسايب من قولهم و ساءهم ✱ ولست منهم وإن عجبوا بمعتذر
و قال آخر :

ترأت لأحداق العيون شهوده ✱ فأكرم بها من شاهد لا يكذب
فلو أن أفواه الرجال عواطل ✱ من القول قال المجد ها أنا معرب

وأسند ابن حنبل عن زاذان قول النبي ﷺ : كنت أنا و علي نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلقه قسم النور جزئين فجاء أنا و جزء علي و روى نحوه الديلمي في فردوسه ، و ابن المغازلي الشافعي في مناقبه من هذا الطريق ، و من طريق جابر الأنصاري و في آخره : فلم نزل شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فمي النبوة ، و في علي الخلافة ، و في حديث آخر : فأخرجني نبياً و علياً وصياً .

وفي مناقب ابن المغازلي حديث زيدة عن أمها أن النبي ﷺ وأبا طالب أخذوا فاطمة بنت أسد حين اشتد عليها الطلق إلى الكعبة فولدت علياً . قال علي بن الحسين عليه السلام ما سمعت بشيء قط إلا وهذا أحسن منه .

وأسند الجاحظ بن ثابت إلى النبي ﷺ قال : رأيت على باب الجنة في الإسراء [مكتوب] لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي حبيب الله ، الحسن والحسين صفوة الله ، و فاطمة أمة الله ، على باغضهم لعنة الله . شعر طوّلته :

يفنى المديح ولا يحيط بوصفه	✽	أيحيط ما يفنى بما لا يتقد
فجزاه من قاس الوصي بغيره	✽	نار تؤجج حرها لا يبرد
إذ حط مرتفعاً وأعلى خافضاً	✽	بفضيلة و رذيلة لا تجحد
روت الثقة لهذه ولهذه	✽	من وامق أو مارق يتفند

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ فيما جاء في تعيينه من كلام ربه ﴾

و يندرج فيه شيء من كلام نبيته لأنه يؤكد ذلك و يزيده تعبيراً و هو آيات كثيرة غزيرة نضع منها في هذا المختصر آيات يسيرة ، كافية في الدلالة لذي بصيرة لا يعجده إلا كل ذي نفس شريفة ، قبيحة السيرة خبيثة السريرة ، لأنها آيات الكتاب المجيد ، المفعم للمعصّب العنيد ، السالك إلى الضلال البعيد ، العادل بفقهه الشديد ، عن القرآن المجيد الشديد ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد .
وقد أسند أبو علي الأشعري إلى أبي جعفر عليه السلام : نزل القرآن ربع فينا و ربع في عدونا ، و ربع سنن و أمثال ، و ربع فرائض و أحكام .

و أسند الكليني و جماعة إلى الأصمغ قول علي عليه السلام : نزل القرآن ثلث فينا و في عدونا ، و ثلث سنن و أمثال ، و ثلث فرائض و أحكام ، منها قوله تعالى في آية المباهلة « و أنفسنا و أنفسكم » سماه نفسه و قد اجتمعت الأمة على دلالتها على أفضلية أهل البيت .

قال الزمخشري : خرج النبي ﷺ بأعزته و أفلاذ كبده ، ليهلك خصمه مع أحبته . و فيه دليل لاشي أقوى منه على فضل أصحاب الكساء على غيرهم ، و قد لاح ذلك للأسقف حيث قال : أرى وجوهاً لو سألوا [الله] أن يزيل جبلاً لأزاله و ذكر خطيب دمشق و صاحب جامع الأصول ما أخرجه مسلم في الكرامس الثالث من الجزء الرابع ، و أخرجه في آخره أيضاً على حدّ كراسين ، و رواه عن الحميدي في الجمع بين الصحيحين و الترمذي في حديث سعد بن أبي وقاص حين لامه معاوية على تركه سب علي فقال : ثلاث قالهن له النبي ﷺ : أما ترضى أن تكون منسباً بمنزلة هارون من موسى . و قوله ﷺ : لا أعطين الراية غداً رجلاً يحب الله و رسوله و

يحبّه الله ورسوله ، فأعطاهما علياً . ولما نزلت آية المباهلة دعا به و زوجته و ابنه
و قال : اللهم هؤلاء أهلي .

و في تفسير الثعلبيّ مسنداً إلى مقاتل و الكلبيّ : لما نزلت الآية و خرج
النبي ﷺ بهم قالت النصارى للعاقب : ما ترى ؟ قال : والله لقد عرفتم أنّه نبيّ
والله ما لآعن قوم نبيّاً فعاش كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم . و قال الأسقف : إن
بأهلنموه ام يبق على وجه الأرض نصرانيّ فطلبوا المصالحة على ألف حلّة في صفر
و ألف حلّة في رجب كل عام فوادعهم و قال : و الذي نفسي بيده إنّ العذاب قد
تدلّى عليهم ، ولولا عنوا لمسخوا و لا اضطرم الوادي عليهم ناراً . و لا حال الحول على
نجران و أهله و نحو ذلك ذكر ابن المغازليّ في مناقبه و الثعلبيّ و السديّ و في
تفسير الحافظ أبو نعيم إلى غيره و اكتفينا بقليله عن كثيره .

اعترض الواسطيّ الفويّ بأنّ جميع قريش نفس النبي ﷺ في قوله تعالى :
ولقد جاءكم رسول من أنفسكم^(١) ، فلا خصوصيّة بالفضل في ذلك لعليّ فلا يختصّ
بالإمامة دون كلّ قريش . قلنا : قد سلّم أنّ علياً نفس النبي ﷺ فيلتزم بهبوط
الصحابة عن منزلة عليّ لتخصيص النبيّ له ولولديه و زوجته بالمباهلة دون كلّ
قريش ، و المعارض خصّ بها علياً بعد الثلاثة لأفضليّته دون كلّ قريش ولم يأت
لأحد من الفضائل ما أتى لعليّ لحديث سعد و غيره .

قال صاحب الوسيطة في المجلّد الخامس : قالت عائشة : قالت فاطمة : لما
ذكر النبي ﷺ فضل [بعض] الصحابة لم يقل في عليّ شيئاً ف قيل له في ذلك فقال :
عليّ نفسي فمن رأيت يقول في نفسه شيئاً .

و روى ابن جبر في نخبه أنّ النبي ﷺ سئل عن بعض الصحابة فقال فيه
ما قال ، ف قيل له و عليّ ؟ فقال ﷺ : سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي ، فلو
كان الذين قال فيهم نفسه كعليّ لما قال فيهم شيئاً و معنى النفس في الآية : أي
من نسبكم و قد قرئت « من أنفسكم » بفتح الغاء أي من أعلاكهم و سيأتي البحث في

معاني « من » في الفصل التاسع من الباب الثامن .

إن قالوا : يلزم على ما ذكرتم أن لا يقول النبي في نفسه ولا في علي شيئاً البتة ، وهو خلاف المشهور باعترافكم . قلنا : ذلك لا يلزمنا لكون المقام يقتضي هذا دون غيره فإن النبي ﷺ قال في مقام : أنا سيد ولد آدم [آدم] و من دونه تحت اوائني يوم القيامة ، و قال في آخر : لا تفضلوني على يونس . على أن النفس لو صحت لكل قریش لم يبق لتخصيص الأبناء و النساء بالذكر فائدة لدخولهم في ذكر النفس .

إن قيل : افردوا بالذكر لترجيح الخاص على العام . قلنا : ذلك هو مطلوبنا في أوّل الكلام .

فان قيل : المراد بأنفسنا نفس النبي ﷺ . قلنا : ظاهر « ندع » يقتضي المغايرة إذ لا يكون الانسان داعياً لنفسه .

إن قيل : ذهب الجبائي إلى أن القائل لسليمان « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك »^(١) هو سليمان فقد صح أن يخاطب الانسان نفسه . قلنا : هذا قول شاذ لم يذهب إليه سواه فدل على أن قانون اللغة يوجب المغايرة .

إن قيل : فقد يأمر الانسان نفسه « إن النفس لأتارة بالسوء »^(٢) ، فالأمر هنا هو المأمور و الأمر كالدعاء . قلنا : لا ، فإن الأمر هو القلب ، و الدعاء يقتضي مدعواً فافترقا . ولأن النصارى فهموا أن علياً نفسه و لهذا لم يقولوا : جئت بزيادة صمن شرطت .

و حكى الواحدي في الوسيط عن ابن حنبل أنه أراد بالأنفس بني العم و العرب تسمي ابن العم نفساً و قال تعالى : « ولا تلمزوا أنفسكم »^(٣) ، أي المؤمنين من إخوانكم . قلنا : مجاز لا يحمل عليه .

إن قيل : كون علي نفس النبي ﷺ مجاز أيضاً . قلنا : مسلّم و لكنّه

(٢) يوسف : ٥٣ .

(١) النحل : ٤٠ .

(٣) العنكبوت : ١١٠ .

أقرب إلى الحقيقة فتعین الحمل عليه .

بيان القرب قول النبي ﷺ له في رواية ابن سيرين : يا علي أنت مني و أنا منك . وذكره البخاري و في فضائل السمعاني و تاريخ الخطيب و فردوس الديلمي عن ابن عباس : علي مني مثل رأسي من بدني و قوله : أنت مني كروحي من جسدي ، و قوله : أنت مني كالصنو من الصنو .

و يؤيد ما قلناه أن النبي ﷺ قال لعلي : أنا و أنت من شجرة واحدة ، رواه الخركوشي و الثعلبي في الكشف و البيان و كذا رواه في أماليه ابن شاذان و النطنزي في الخصائص و شرويه في الفردوس و في تفسير عطاء الخراساني و التللكي الطوسي ، و نحوه أبو صالح المؤذن و السمعاني و قد أخرج صاحب المراسد قول النبي ﷺ لزيد بن حارثة : علي كنفي لافرق بيني و بينه إلا النبوة فمن شك فقد كفر . و نحوه ذلك كثير من جنسه و غير جنسه .

إن قيل : لم يقصد في المباهلة الأفضل بل النسب و لهذا أحضر الحسين و كانا طفلين . قلنا : لو لا إرادة الفضل لدعا عقيلاً و عباساً و ولده فاتهم انضموا إلى النبي ﷺ و أسلموا قبل المباهلة بمدة و المباهلة كانت في سنة عشر من الهجرة و قد كان الحسنان في حدّ العقل و العرفان ، و إن لم يبلغا حدّ التكليف على أنه يجوز اختصاصهما بما يخرق العادة فيهما لثبوت إمامتهما و قد شهرت في عيون الزمان مدائحهم في كل أوان قال الحماني :

و أنزله منه النبي كنفسه * رواية أبرار تأدت إلى البر
فمن نفسه منكم كنفس محمد * ألا بأبي نفس المطهر و الطهر
و قال ابن حنّاد :

فسماه رب العرش في الذكر نفسه * فحسبك هذا القول إن كنت ذا خبر
و قال لهم : هذا وصي و وارثي * و من شد رب العالمين به أذري
وله أيضاً :

و قال ما قد رويت حين ألحقه * بنفسه عند تأليف يؤلفه

و نفس سيّدنا أولى النفوس بنا * حقاً على باطل النصاب نقدفه
العلوي :

و ألحقه يوم البهال بنفسه * بأمرأتى من رافع السموات
فمن نفسه منكم كتفس عهّد * بني الافك والبهتان والفجرات
و أسند أبو العلاء القطان أن النبي ﷺ أتاه قوموز فجعل يقشره ويضعه
في فم عليّ فقيل : إنك تحبّه : فقال ﷺ : أو ما علمت أنّه منّي و أنا منه .
الحميري :

أنت ابن عمّي الذي قد كان بعد أبي * إذ غاب عني أبي لي حاضناً و أبا
ما إن عرفت سوى عمّي أباك أبا * ولا سواك أخاً طغلاً ولا شيباً
كم فرجت كفتك اليمنى بذى شطب * في مارق حرج عن وجهي الكربا
وهو لا أهل شرك لاخلق لهم * من مات كان لنار وقّدت حطباً
الصاحب :

أما عرفتم سمو منزله * أما عرفتم علو مثواه
أما رأيتم عهداً حدباً * عليه قد حاطه و ربّاه
واختصّه يافعاً و آثاره * و اعنانه مخلصاً و آخاه
زووجه بضعة النبوة إذ * رآه خير امرء و أتقاه
و قال آخر :

بمن باهل الله أعداءه * و كان الرسول به أبهلاً
و هذا الكتاب و إعجازه * على من وفي بيت من أنزله
و قل آخر :

أنت يوم الغدير أمرك الله وهم أمّرتهم الفوغاء .
أين كان - و أيوم نجران إذ قيل - له - ألوا و كلّمكم شه - داء .
أين كانت فلانة و فلان * بان ثمّ الدناة و الشرفاء .

و قال آخر :

يا من يقيس به سواه جهالة * دع عنك هذا فالقياس مضيق
لولم يكن في النص إلا أنه * نفس النبي كفاء هذا الموضع
فقد بان في هذا بلوغ علي أعلى غايات الكمال ، وأقصى نهايات الجلال و
الجمال ، و جملة الله و ولديه حجة على تصديق نبوته ، فهم كالقرآن الذي تحدى
العرب به ، فلزم وجوب متابعتهم ، وإذا كان رفع الصوت على النبي يحبط العمل
بنص الكتاب ، فالمقدم بين يدي الله و رسوله بتأخير وصيته ذاهب عن الصواب .
ومنها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم »^(١) فقد روي أن جابرًا لما نزلت هذه الآية قال للنبي : قد عرفنا الله و
رسوله ، فمن أولي الأمر ؟ قال : خلفائي وأئمة المسلمين بعدي : أولهم علي بن
أبي طالب .

وقد أسند الشيخ العالم الاصفهاني الأموي إلى الصادق عليه السلام أن علياً عليه السلام
من أولي الأمر فسأله أبو مريم : هل كانت طاعته مفروضة ؟ فقال : والله ما كانت
لأحد إلا لرسول الله ﷺ ولآله ، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله ، و طاعة
أمير المؤمنين من طاعة الله^(٢) و روي من طريق آخر نزولها في علي بن أبي طالب
و آل محمد عليه السلام .

قالوا : لا عموم لطاعة أولي الأمر بعد تكرير لفظ « أطيعوا » فيها فان أمروا
بما يدخل في طاعة الله و رسوله أطيعوا و إلا فلا ، و لهذا لم يأمر بالرد إليهم عند
النزاع في قوله « فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله و إلى الرسول » ولم يقل : و
إلى أولي الأمر .

قلنا أولاً : و او العطف للجمع المطلق كما قرّر في الأصول فلا يدل على
المتقدم من المتأخر .

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) و من أطاع أمير المؤمنين فقد أطاع الله . خ .

و ثانيا : عدم تكرير «أطيعوا» لا يدل على عدم عموم الطاعة وإلا لدل في حق الرسول فإنه تعالى قال في موضع آخر : «أطيعوا الله ورسوله^(١)» فلم يجب طاعته في كل شيء ، وهو باطل بالاجماع .

إن قيل : فهذه وإن لم تدل على عموم الطاعة ، لكن الأولى دلت فبها حمت قلنا : الآية الخالية من التكرير سواء تقدمت على هذه أو تأخرت لزم منها تبعض طاعة الرسول في بعض الأوقات وهو باطل بالاجماع وإنما لم يقل في آية النزاع و إلى أولي الأمر منكم إيماء إلى أن طاعتهم قسم من طاعة الرسول و يؤيده : «إن كنتم تؤمنون ، على الشك و الامام ليس في إيمانه شك» .

و ثالثا : أن طاعة الله ورسوله واجبة دائما ، والمعطوف عليهما بحكمهما ، ولا يجب طاعة غير المعصوم دائما .

قالوا : أولوا الأمر أمراء السرايا . قلنا : لم يجتمع العلم فيهم الذي أمر الله بالرجوع فيه إليهم في قوله «ولو ردوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم»^(٢) على أن أول أمراء السرايا علي بن أبي طالب كما رواه الشعبي عن ابن عباس في تفسير مجاهد أن الآية نزلت في علي حين استخلفه في المدينة النبي ، و في إبانة الفلكي أنها نزلت حين شك أبو بردة من علي .
قالوا : هم علماء العامة . قلنا : لا يأمر الله بانبياءهم لوجود الاختلاف بينهم بل التناقص فيهم .

ومنها قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين^(٣)» ثم بين الصادقين في الآية الأخرى وهي قوله تعالى : «و الصابرين في البأساء والضراء . و حين البأس أولئك الذين صدقوا^(٤)» و حين البأس اشتداد الحرب ، و تواتر الطعن و الضرب ، وقد هرب من لا خفاء فيه ، و لزب من لا غطاء

(٢) النساء : ٨٦ .

(١) الانفال : ١ و ٢٠ و ٤٧ .

(٤) البقرة : ١٧٧ .

(٣) براءه : ١٢٠ .

عليه ، و من المعلوم الضروري أنه لم يكن لأحد من الثبات والقتل مالم علي حتى قالت عايشة مع شدة بغضا له لما بلغها قتله : لنفعل الحرب ما شئت ، فليس لها من ينهاها . وقد أمر الله تعالى بالكون معه ومع ذريته الداخلين في صفته فوجب الانحراف والنخلف عمن ليس ذلك من نعته ، بل هرب عن رسول الله في أكابر حروبه .

و أيضاً قوله تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً »^(١) ، روى المفسرون أنها نزلت في علي و حمزة ولا ريب أنه لما قتل حمزة اختصت بعلي فأمن منه التبديل بحكم التنزيل و روى اختصاصها بعلي : ابن عباس ، و الصادق ، و أبو نعمير الحافظ ، و صدق ذلك طائفة ما روي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : « و اجعل لي لسان صدق في الآخرين »^(٢) قال هو علي بن أبي طالب لأن الله تعالى عرض على إبراهيم ولايته فسأله أن يجعلها في ذريته ففعل . شعر :

فهذي المزايا بعض ما حملى به و جبي من الخيرات و البركات
نطقت بها آي الكتاب و حسبها أن جاء شاهدها من الآيات

إن قيل : « صدقوا » و « ما بدلوا » ماضيان ، فلا يدلان على عدم التبديل في مستقبل الأزمان قلنا : قد أريد بالماضي الاستقبال كما في قوله تعالى « و نادوا يا مالک »^(٣) ، و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة^(٤) ، و قالوا ما لنا لأنرى رجالاً كهنا نعدّهم من الأشرار^(٥) .

إن قيل : هو من المجاز . قلنا : يتعين الحمل عليه لقول النبي صلى الله عليه وآله فيه : علي يدور مع الحق حيث دار ، و غيره ، و قد بلغ في الاشتهار إلى حد يمنع فيه الإنكار .

قال إمامهم الرازي : ليس المراد بالصادقين من كان صادقاً في بعض الأمور

(٢) الشراء : ٧٤

(٤) الاعراف : ٤٩

(١) الاحزاب : ٢٣

(٣) الزخرف : ٧٧

(٥) س : ٦٢

و إلاّ لزم الأمر بمتابعة الخصمين ، إذ كل واحد صادق في أمر ما ، فالصادق في الكل وإن وجبت متابعتة في بعض فهو غير معيّن فيلزم التعطيل ، فنوجب المتابعة في الكل وهذا الصادق إمّا كل الأئمة و هو باطل ، إذ التقدير حينئذ : كونوا معكم . و هو مناف للبلاغة فهو بعض الأئمة فهو الامام المعصوم ، إذ لا صادق في الكل غيره .
ولا يستوحش ممّا ذكرنا بما نقل عن الضحّاك أنّها نزلت في أبي بكر و عمر فقد ذكر غدير بن حبان صاحب كتاب المجروحين أنّ الضحّاك ضعيف و نزولها في عليّ أسنده أبو نعيم الحافظ و هو من القوم برجاله إلى ابن عباس و كذا الثعلبي رواه عن ابن عباس فإذا أمر الله بالكون معهم على الإطلاق اقتضى عصمتهم عن ذمهم الأخلاق .

إن قيل : يخصّ بمنفصل عقليّ الكون معهم ، و هو ما علم فيه صدقهم ، فلا يدلّ على عصمتهم . قلنا : غير المعصوم لا يعلم الصدق فيه ، و حسن الظاهر لا يوصلنا إليه ، لظهور النفاق في كثير ممّن يعتمد عليه .

إن قيل : لم لا يكون الصادق أبوذرّ الذي قال النبي ﷺ فيه : ما أظلمت الخضراء ولا أفلت الغبراء ذاهجة أصدق من أبيذرّ ، قلنا : هذا عام مخصوص أفترأه أصدق من النبي ﷺ فيخصّ بغير من ثبتت عصمته .

إن قيل : إنّ أفعال التفضيل يرجّحه على غيره ، قلنا : جاءت لغير التفضيل مثل قوله تعالى « و سيحببها الأتقى »^(١) و في الشريعة الحدث الأصغر أو الأكبر و في الشعر :

تمنّت سليمى أن أموت و إن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
على أنّه قد أورد ابن قرطبة في مراصد العرفان زيادة هي أنّه لما قيل ذلك لأبي ذرّ و عليّ عليه السلام مقيب ، قال : إلاّ هذا المقبل ، و المقرر في الأصول قبول الزيادة و تقديمها على ما فيها مع أنّ الله قد بيّن الصادق في قوله تعالى « و لكن البرّ من

آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين و آتى المال على حبه ذوي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و السائلين و في الرقاب و أقام الصلاة و آتى الزكاة و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا و الصابرين في البأساء و الضراء و حين البأس أولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتقون (١) ، و هذه النعوت لم يحوها أحد غير علي ، فدلّت على ثبوت إمامته و إمامة المتصّفين بصفته من ذرّيته .

فأول النعوت الايمان بالله ، و قد سبق في الفصل الثاني و العشرين من الباب

السابع .

و ثانيها إيتاء الزكاة و هو مشهور في قصّة الخاتم و سيأتي قريباً إن شاء الله ، و الوفاء بالعهد و غيره و قد كفى ما أتى في هل أتى من مديحه و قد أورد الزمخشري في كشّافه و الثعلبي في تفسيره و زاد محمد بن علي الغزالي في كتاب البلغة نزول المائدة عليهم بعد تصدّقهم بالطعام ، و قيامهم بالصيام ، فأكلوا منها سبعة أيّام ، و رواه أخطب خوارزم في كتابه .

و ثالثها الرقاب فإنّ عليّاً عليه السلام عمر أرضاً و باعها و اشترى بها رقاباً و اعتقها . و رابعها حين البأس ، و هو حال الفرار من الزحف و معلوم ثبوت علي عليه السلام في جميع أوقاته حتّى تعجّبت الملائكة من حملاته ، و قال فيه ملك يقال له رضوان : لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي . فوضع في أوّله حسن أبياته الحسن :

جبريل نادى في السما * و التّع ليس بمنجلي

و الخيل تعثر بالجماجم * و الوشيح الذّبل

و المسلمون قد أحدقوا * حول النبي المرسل

هذا النداء لمن له * الزاهراء ربّة منزل

لا سيف إلّا ذو الفقار * ولا فدى إلّا علي

إن قلت : كيف ذكر جبرائيل حسن مع أنّ المنادي رضوان ؟ قلت : جاز

كون النداء من جبرائيل وأصل المدح من رضوان ، وقد اعترف له عمرو بن العاص في قوله :

و ضربته كبيعته بخـم * معاقدها من الناس الرقاب
هو النبأ العظيم و فلـك نوح * و باب الله و انقطع الخطاب
و اعترف له المأمون الخليفة في قوله :

الأم على شكر الوصي أبي الحسن * و ذلك عندي من عجائب ذي المن
خليفة خير الناس و الأول أنـذي * أعان رسول الله في السر و العلن
و قد روى ابن قتيبة في المعارف و هو منهم فرار الشيخين بوقعة حنين و في بدر
قتل علي عليه السلام خمسة و ثلاثين بطلاً عرف ذلك من اتحاد ضرباته و تكثـر ضربات
غيره ، و من المستحيل عد أبي بكر من الشجعان ، و قد فر في أحد يوم النقي
الجمعان ، و ثبت علي للطعان ، و مكابدة الأقران ، و كتب هذا الفن تجعل الخبر
فيها كالعيان ، و إذا اجتمعت النعوت في علي ، و جب الـكون معه بالأمر الإلهي .
و منها قوله تعالى « بلغ ما أنزل إليك من ربك » ^(١) قالوا : قلتم : كانت
في المصحف « في علي » فأسقطها أهل السنة كيف ذلك والله تعالى يقول : « لا يأتيه
الباطل من بين يديه و لا من خلفه » ^(٢) . قلنا : هذه الدعوى لم يذهب إليها إمامي
كيف و قد أجمعوا على أن من قرأ بتلك الزيادة في صلاته بطلت ، و إنما قلنا :
إنها نزلت في علي و قد قال ابن المرتضى في تفسيره : نقل الثعلبي عن أبي جعفر
عنه بن علي عليه السلام أن المراد بقوله تعالى « بلغ ما أنزل إليك » في فضل علي عليه السلام
و نقله أيضاً عن الفراء فأقامه بغدير خم و سيأتي إنشاء الله محروراً و نقل نزولها فيه
أيضاً الثعلبي و أبو القاسم الحسكاني عن ابن عباس و نقلها ابن البطريق في الخصائص
عن أبي القاسم ، و من تفسير الثعلبي كل منها بطرق عديدة .
و منها قوله تعالى : « إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون

(١) المائدة : ٧٠ .

(٢) فصلت : ٤٢ .

الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون^(١) ، ذكر الرمحشري في كشفه أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمته و ذكره الثعلبي في تفسيره عن السدي و عتبية و غالب و رواه الثعلبي أيضاً من طرق عدة منها عن أبي ذر قال : سمعت النبي ﷺ بهاتين و إلا صمتاً و رأيته بهاتين و إلا فعميتا يقول : علي قائد البررة ، و قاتل الكفرة منصور من نصره ، مخذول من خذله . أما إنني صليت يوماً مع النبي ﷺ فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فأومى [علي] إليه راكعاً فأخذ الخاتم من خنصره اليمنى ، فلما فرغ قال النبي ﷺ : اللهم إن موسى قال : اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي [هارون] فأنزلت : و سشد عضدك بأخيك^(٢) ، الآية و أنا نبيك و صفيتك ، فاجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشد به ظهري فما استتم كلامه حتى نزل جبرائيل عليه السلام بهما نعماً و ليكنكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون .

و روى نزولها فيه رزين في الجزء الثالث من الجمع بين الصحاح ، و ذكره في صحيحه النسائي عن ابن سلام ، و رواه الفقيه الشافعي ابن المغازلي من طرق خمسة ، و الماوردي ، و القشيري ، و النيسابوري ، و القزويني ، و الفلكي في الإبانة ، و الطوسي و الأصفهاني في تفاسيرهم ، عن السدي ، و مجاهد ، و الحسن و الأعمش ، و عتبية ، و غالب ، و ابن الربيع ، و عباية ، و ابن عباس .

و ابن البيع في معرفة أصول الحديث ، و الواحدي في أسباب النزول ، و السمعاني في فضائل الصحابة ، و أبوبكر الرازي في أحكام القرآن ، و سليمان بن أحمد في المعجم الأوسط ، و البيهقي في الشعب ، و محمد بن قتال في التنزيل و الروضة و ابن أبي رافع و ذكر أن هذان إمامان و ابن عباس ، و الثقي ، و أبو صالح و مجاهد ، و الشعبي ، و المنطري في الخصائص و ناصح التميمي ، و الكلبي .

(١) المائة : ٥٥ .

(٢) القصص : ٣٥ .

و رواه من الفرقة المحقة زرارۃ عن الباقر عليه السلام في روايات مختلفة المباني متفقة المعاني .

والحسين بن جبر في كتابه نخب المناقب ، و ابن البطريق في كتاب الخصائص من عدة طرق ، و محمد بن جرير الطبري و ابن بابويه القمي في الأمالی مسنداً إلى عمر بن الخطاب قال : صدقت بأربعين خاتماً وأنا راكع لينزل في ما نزل في علي فلم ينزل .

و أسنده صاحب الكافي إلى الصادق عن آبائه عليهم السلام : لما نزلت « إنما وليكم الله ورسوله » الآية اجتمع نفر في المسجد فقالوا : هذا ذل حين سلط علينا علي بن أبي طالب وقد علمنا صدق محمد ولكن تتولاه ولا نطيع علياً فنزلت : « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها - يعني ولاية علي - و أكثرهم الكافرون ^(١) » لولاية علي . فقد ظهر بنقل الفريقين و إطباق الخصمين نزولها في علي عليه السلام .

قالوا : كان بين علي و أسامة بن زيد بعد الفدير كلام فقال له علي : ألسن مولاك بالأمس؟ قلنا: قد ولّاه عليه النخّاس وولّاه الله عليه في جملة الناس ، كما روئتم في الآيات المنتزعة عن ابن عباس على أن المقرّر في الأصول أن السبب لا يخص . قالوا : أسند الثعلبي عن ابن عباس نزولها في عبادة بن الصامت و أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله : كان بينه وبين اليهود حلف فلمّا أسلم قطعوه فنزلت تسليّة له . قلنا : أكثر روايتها في علي منكم ومن ولايتهم عليكم فلا يعدل عنها إلى رواية نادرة و كيف تكون في الأصحاب وقد حدثت المناكير من أكثرهم .

فتقول حينئذ : لفظه « إنما » تفيد الحصر ، و منه قوله تعالى « إنما إلهكم الله ^(٢) » أراد تعالى إثبات الإلهية لنفسه و نفيها عن غيره و كذا « إنما أنت منذر ^(٣) » و فهم ابن عباس اختصاص الربا بالنسبة في قوله صلى الله عليه وآله « إنما الربا في النسية » وقال الشاعر :

(٢) طه : ٩٨ .

(١) النحل : ٨٣ .

(٣) الرعد : ٨ .

أنا الزائد العامي الضمار وإنما * يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي
وقال : د و إنما العزة للكائر ^(١) ، و إنما مركبة من «إن» وهي للاثبات
ودما» وهي للتفي ، فان تواردا على محل اجتمع المتنافيان فلا بد من محلين فان ورد
الاثبات على غير المذكور والتفي عليه فباطل بالاجماع ، فتعين العكس وهو إثبات
المذكور ونفي المهجور .

قالوا : جابت إنما لغير الحصر في قوله تعالى « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر
الله وجلت قلوبهم ^(٢) » و قولهم : إنما الناس العلماء مع وجود الايمان في غيرهم .
قلنا : ذلك للمبالغة في مدحهم ، لا لتفي الايمان والناس عن غيرهم ، ولهذا إن
الجهال و ناقصي الايمان تنقر طبائعهم عند هذا الكلام ، ولولا إفادة الحصر لم
يحصل ذلك .

إن قالوا : فما المانع من أن يكون ذكرها في آية الولاية للمبالغة لا لتفي
الولاية عن غيره . قلنا : فلا بد للمبالغة من زيادة معنى لامتناع العبث فأصل الولاية
ثابت لكل مؤمن في قوله تعالى : « و المؤمنون بعضهم أولياء بعض ^(٣) » ولا زيادة في
المعنى توجب المبالغة سوى الولاية العامة وهي المطلوبة هنا إذ هي الامامة .

قالوا : « إنما أنت منذر » ليس فيها حصر لوجود الانذار لغيره . قلنا : بلى
إذ التقدير إنما أنت منذر لا مجبر و لم يقل الله تعالى : « إنما أنت المنذر » .

قالوا : إذا أفادت الحصر لزوم منه سلب إمامة أولاده وأنتم لا تقولون به .
قلنا : إذا قام الدليل الخارج على إمامتهم كان كافياً فيهم و ستأتي الكرامات منهم
و النصوص من جدّهم عليهم و لأن الصدقة إذا وقعت من أبيهم جازت نسبتها إليهم
مثل قوله تعالى في منّاخري اليهود : « فلم تقتلون أنبياء الله ^(٤) » و القتل من أسلافهم

(١) أوله : و لست بالاكثر منهم حصي .

(٢) الانفال : ٢ .

(٣) براه : ٧٦ . وفيه : و المؤمنون و المؤمنات بعضهم الخ .

(٤) البقرة : ٩١ .

قال بعض الأدباء :

هذه إنا و ليكنم الله أنت بالولاية من الله فيه
 فإذا ما اقتضى من اللفظ معنى ٥ فيه كانت من بعده لبنيه
 ولئن خصصنا الخطاب بالحاضرين كما هو ظاهر الآية ، تمّ الحصر أيضاً و
 نستفيد إمامتهم من غيرها .

إن قيل : « يقيمون » و « يؤتون » للاستقبال فيصح لكل من يفعل ذلك .
 قلنا : قد نقلنا من طرقكم نزولها في علي و نقلنا أن عمر تصدق مراراً فلم ينزل فيه
 شي ، و صيغة الاستقبال لا تنلزمه كقوله تعالى « يريدون أن يبدلوا كلام الله »
 « يريدون ليطلقوا نور الله ^(١) » ونحوها كثير و إنما تخلص اللفظ للاستقبال السين
 و سوف ، وهنا تخلص للحال بقوله تعالى « وهم راكعون » كما يقال : رأيت الأمير
 و هو آكل ، و لقينته و هو راكب ، ولو كان « وهم راكعون » استينافاً لزم التكرار
 لدخوله في ذكر الصلاة و إذا كانت الولاية هي التصرف و هي ثابتة لبعض الأئمة
 تعيّنت لعلي بالاجماع على أن الآية لا تقتضي إمامة غيره فلو لم تثبت ألفت الآية
 ولو فر من مومها الناس دخل علي فيها بالاجماع و يلزم من ذلك ثبوت إمامته لوجوب
 اتحاد الاضافة .

و ربما قيل : إن كل واحد منهم زكاً راكعاً لتعميم الآية و فيه نظر إذ قد
 بينّا أن المراد بيوتون الحال دون الاستقبال إلا أن يقال لم يرد بالحال الزمان
 الحال ، بل حال الركوع فيذهب الاشكال .

قالوا : الذين لفظ جمع فلا يحمل على الواحد . قلنا : في العرف والاستعمال
 موضوع للواحد للتعظيم و التفضيل مثل « إننا أنزلناه في ليلة القدر » « إننا نحن
 نزلنا الذكر » « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ^(٢) » أراد إبراهيم أو النبي ﷺ

(١) الفتح : ١٥ ، الصف : ٨ .

(٢) القدر : ١ ، الصبر : ٩ ، البقرة : ١٩٩ .

وقوله تعالى : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ^(١) » ، أراد تعالى نعيم بن مسعود ولو حمل لفظ « الَّذِينَ » على العموم لزم أن يكون كل واحد ولياً لنفسه فكأنه قال : إنما وليكم بعد الله ورسوله أنتم هذا وقد ذهب جماعة من الأصوليين إلى أنه لا صيغة تختص بالعموم .

قالوا : ذكرتم أن علياً كانوا يخرجون النصول من جسده في سجوده لاجتذاب نفسه إلى ملاحظة عظمة ربّه فكيف شعر بالسائل في صلاته ؟ قلنا : ذلك من خصائصه عليه السلام ليجمع بين العبادتين وليس في ذلك انصراف عن عظمته تعالى بل انصراف إليها من جهة أخرى فإن الساقى لا يضل مع سكره عن أن يشرب و يسقي ندماءه قال بعضهم :

يسقي و يشرب لا تلهيه سكرته ✽ عن النديم ولا يلهو عن الكأس
أطاعه سكره حتّى تصكّن من ✽ فعل الصّحاة فهذا أفضل الناس

قالوا : المشهور بين الفريقين ^(٢) أن علياً عليه السلام قال : الفخر بالفقر ولا زكاة مع الفقر . قلنا : الفقر هنا هو سلب الاعتماد على غير الله ولو سلم أنه فقير المال لم يناف الزكاة المستحبة و هي مطلق التطوّع و على تقدير وجوبها لا يلزم نفي الفقر ممّن كلّف بها لجواز حصول نصابها مع دين يستغرقها فأنه لا يمنعها قال الخوارزمي : مؤدّر في الركوع زكاة مال ✽ جرایب قد حواها بالجراب

قالوا : هو جواد و هل تجب الزكاة على الجواد ؟ قلنا : كلام الجواد خطابي مع أن دفع الزكاة جود فكيف ينافي الجود ، بل كيف يتحقّق الجود مع نفي ما به يوجد على أن الاعطاء يتعلّق بالحكمة و المصلحة و إلّا لنسب عدم الجود إلى الله في منع الفقراء .

قالوا : الركوع لغة الخضوع فمعنى « وهم راكعون » أي و هم متواضعون قلنا : لا بل الركوع هو النطاطؤ قال صاحب كتاب العين : كل من ينكب لوجهه

(١) آل عمران : ١٧٢ .

(٢) المشهور عن علي الفخر بالفقر ، خ .

سواء مسّت ركبته الأرض أولاً فهو راكم ومثله قال ابن دريد وإن حمل الركوع على التواضع فهو من المجاز .

قالوا: فالزكاة الواجبة تفتقر إلى نية وهي بطله للصلاة . قلنا: نمنع إبطالها إذ هي قلبية ولا منافاة بينها وبين الصلاة للاكتفاء بالاستمرار الحكمي* ولجواز أن يكون أوماً إلى الفقير فأخذ الخاتم وأم ينو الزكاة حتى فرغ وكان الإيمان فعلاً قلبياً ، ولو فرضت كثرته جاز أن يكون جازاً نسخ كما كان الكلام في الصلاة جازاً ثم نسخ فأنه قد روي عن زيد بن أرقم قال : كنّا نتكلم في الصلاة فلمّا نزل قوله تعالى : « و قوموا لله قانتين ^(١) » أمسكنا عن الكلام .

و بالجملة فعلي* أفقه الأمة والحجة الكبرى في فعله فلا وصمة وقد أسلفنا إثبات عصمته ، وقد ذكر ابن حنبل في مسنده عن سعيد : لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ يقول : سلوني . غير علي عليه السلام وقد مدحه الله على ذلك ، فلو كان مفسداً للصلاة لم يثن الله تعالى عليه على فعله ، وقد أسند الحافظ أبو نعيم وصاحب النخب أنه كان يصلي النافلة .

وإذا تخلصت هذه الأمور لعلي عليه السلام ثبتت ولايته بالعطف على ولاية الرسول المعطوفة على ولاية الله تعالى وإذا ثبت ولايته حكم بحصول عصمته لاطلاق وجوب طاعة خليفته فلو وقع منه قبيح كان الله قد أوجب فعله على خليفته هذا وقد نظمت في ذلك الأعيان ، على اختلاف البلدان والأزمان ، فقال فيه حسّان أبياته الحسان :

أبا حسن تفديك نفسي وأسرّتي * وكلّ بطي في الهوى ومسارع
أينذهب مدحاً من محبّيك ضائعاً * وما المدح في جنب الاله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راکماً * زكاة فدتك النفس يا خير راكم
فأنزل فيك الله خير ولاية * وثبتهم في محكمات الشرائع
ذكر ذلك صاحب المنهاج باسناده وسيأتي في باب ردّ الشبهات أطراف آخر

في هذا .

و قال دعبل الخزاعي ، الساعي بنشر فضائله أحسن المساعي :

- نطق القرآن بفضل آل محمد ✧ و ولاية لعليّه لم تجحد
 بولاية المختار من خير الورى ✧ بعد النبي الصادق المنوّد
 إذ جاءه المسكين حال صلاته ✧ فامتدّ طوعاً بالذراع وباليّد
 فنناول المسكين منه خاتماً ✧ هبة الكريم الأجوّد
 فاخصّه الرحمن في تنزيله ✧ من حاز مثل فخاره فليعدد
 إنّ الإله وليكم و رسوله ✧ والمؤمنون ومن يشأ فليجحد
 يكنّ الإله خصيمه فيها غداً ✧ والله ليس بمخلف في الموعد
 و قال السيّد الرضي في جملة مدائحه لأمر المؤمنين عليه السلام :

- و من سمحت بخاتمه يمين ✧ تضنّ بكلّ عالبة الكعاب
 أهذا البدر يكسف بالدياجي ✧ وعين الشمس تعمش بالضباب
 و قال العوني :

- تصدّق بالختام الله راكعاً ✧ فأثنى عليه الله في محكم الذكر
 و أنزل فيه الله وحياً مفصلاً ✧ لدى هل أتى إذ قال يوفون بالنذر
 و قال أيضاً :

- أهن لي من في القوم جاد بخاتم ✧ على السائل المعترّ إذ جاء قانعا ؟
 و جاد به سرّاً فأفشاء ربه ✧ و بين من كان المصدّق راكعاً
 و قال آخر :

- أيمن بخاتمة تصدّق راكعاً ✧ يرجو بذاك رضا القريب الداني
 حتّى تقرّب منه بعد نبيّه ✧ بولاية و شواهد و معاني
 بولاية في آية لا ولي النهي ✧ جاءت حصاهم واحد و اثنان
 الأوّل الصمد المقدّس ذكره ✧ و نبيّه و وصيته التبّعان
 هل في تلاوتها بأنّ ذوي هدى ✧ من قبل ثالث أهلها يليان

ومنها قوله تعالى لا إبراهيم عليه السلام إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذرّيتي

قال لا ينال عهدي الظالمين^(١) ، وقد قال الربُّ العليم « إنَّ الشُّركَ لظلمٌ عظيمٌ^(٢) ، وأبزيكر وعمر وعثمان عبدوا الأوثان ، برهة من الزمان .

إن قيل : توهم ترفع الظلم عنهم . قلنا : اللفظ مطلق فنخصيه بوقت ترجيح بغير مرجح ، ولا نَه قد تقرر في الأصول عدم اشتراط بقاء المعنى في صدقه .
إن قيل : فعلى هذا يطلق على أكابر الصحابة الذين أسلموا أنهم ظلمة .
قلنا : سلّمنا ذلك لغةً و نمنع منه شرعاً .

إن قيل : فعلى يدخل في ذلك لتجدد إسلامه قلنا : لا ، بل أظهر الإسلام لانعقاد إجماع الأنام ، أنه لم يسجد للأصنام ، ولهذا اختصَّ وحده بكرم الله وجهه .
إن قيل : « لا ينال عهدي الظالمين » مهمله وهي كالجزيئية فيصير التقدير لا ينال عهدي بعض الظالمين ولا يدلُّ هذا في الثلاثة على خروجهم من وصول العهد إليهم . قلنا : عهدي مضاف وهي للعموم والألف واللام للاستغراق وذلك يدلُّ على أنها كَلْبِيَّة وقد قيل بسقوط المهمله في كلام العرب لأنَّ القضية إن وجد فيها الألف واللام فكلبِيَّة وإن عدما فجزئِيَّة فلامهمله ، على أن « لا ينال » نكرة منقيبة فهي للعموم كما قرّر في العربية وأيضاً « ينال عهدي الظالمين » موجبة جزئِيَّة على رأي الخصم فتقيضها « لا ينال عهدي » سالبة كلبِيَّة ولأنَّه يصحُّ استثناء كلِّ زمان منه وهو معيار العموم فما يهول به كلام موهوم .

إن قيل : تقديم حرف النفي دلُّ على السلب الجزئي . قلنا : كلام المنفرد بالجلال ، أصدق من هذا الخيال ، إذ قال « ولا تقتلوا النفس . ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . ولا تقربوا الزنى ، ولا تأكلوا الرُّبى^(٣) » . وغيرها .

إن قالوا : هذه نواهي وما نحن بصدده خبر ، فلا قياس . قلنا : فقوله : لا إله إلا الله خبر ولا تدركه الأبصار خبر مع جواز أن يراد بالخبر في قوله « لا ينال

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) لقمان : ١٣ .

(٣) الانعام : ١٥١ ، البقرة : ١٨٨ ، أسرى : ٣٢ ، آل عمران : ١٣٠ .

عهدي الظالمين ، النهي كما في لا تجتمع أمّتي على ضلال على رأي من ضمّ عينها و يكون ذلك نهياً لإبراهيم عليه السلام أن يجعل الإمامة في ظالم .

إن قيل : إمامة إبراهيم هي النبوة ونحن نسلم اشتراط النبوة بعدم الظلم ولا يلزم ذلك في الإمامة . قلنا : الإمامة فرع النبوة فالمانع منها مانع منها ، مع أن صريح الآية في الإمامة ولما استلزمت النبوة الإمامة ذكر الله سبحانه اللّازم ثم نفاء عن الظالم .

إن قيل : إنتما نفي الملزوم وهو النبوة فلا يلزم من نفيه نفي اللّازم وهو الإمامة ، قلنا : هذا خلاف ظاهر الآية .

إن قيل : نمنع كون مانع الأصل مانع الفرع كما ذكرتم ، فإن القاضي فرع النبي و الامام ليس مانعها مانعه . قلنا : بينهما فرقان فإن وجود النبي و الامام عليه السلام يمنع النائب من ارتكاب الآثام ، خوفاً من عزله والضرب على يده بخلاف الامام ، إذ قيامه بمصالح الأئمة بعد موت النبي صلى الله عليه وآله .

إن قيل : لا يمتنع العهد لكونه للإمامة . قلنا : تالي الكلام مبني على مقدّمته و مقدّمته الامام ، ألا ترى لو قال الملك لشخص : إنني جاعلك وزيراً . فقال : ومن ذرّيتي فقال الملك : لا يصل عهدي إلى من كان شريراً ، فهم السامعون من غير تأخير عدم وصول الوزارة إلى الشرير واولمنا اشتراك لفظ العهد لم يضرنا لوجوب حمل اللفظ على عمومه ، فتدخل الإمامة فيه ، وهذا مثل قول القائل لا ينال عطائي الفاسق فإنه يقتضي نفي جنس عطائه عنهم بالإطلاق .

قال فخر الدين الرازي : هذه الآية كما دلّت على أن عليّاً هو الامام بعد الرسول دلّت على أنه لم يكفر طرفه عين لأنه لو كان قد كفر للزم بحكم الآية أن لا يكون أهلاً للإمامة وثبت أيضاً أن أبابكر و العباس ليسا أهلاً لها بمقتضى الآية ، فلو جاز الكفر عليه لزم خروج الثلاثة عن مقتضى الآية و هي أهليته للإمامة ، و كان إجماع الأمة على أن الإمامة بعد الرسول لأحد الثلاثة باطلاً ، و بطلان الإجماع باطل ، و أبوبكر و العباس كانا كافرين ، فنبت أن عليّاً لم يكفر

طرفة عين لئلا يلزم الطعن في الاجماع انتهى ملخصاً .

وقد أسند الفقيه الشافعي عن علي بن المغازلي في كتاب المناقب أن النبي ﷺ قال : انتهت دعوة إبراهيم عليه السلام وهي قوله و اجنبنني وبني أن نعبد الأصنام إلي و إلى علي فأنا و علي لم يسجد أحدا لصنم فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً وقد طلب النبي ﷺ غلاماً لم يعبد صنماً فأتوه يزيد بن ثابت فجعل إليه كتابة الوحي فالتبني لم يجوز كتابة الوحي لمن عبد وثناً ولو آية فكيف يجوز أن يحكم في دين الله من كان أكثر عمره في الشرك بالله .

وأسند ابن المغازلي في الكتاب من طرق عدة قول النبي ﷺ : يا علي إنك سيد المسلمين ، و إمام المتقين ، وقائد الفرّ المحجّلين ، و يعسوب المؤمنين و أسند في طرق آخر قوله ﷺ : أوحى الله إلي ليلة الإسراء في علي أنه سيد المرسلين ، و إمام المتقين ، و قائد الفرّ المحجّلين . و أسند نحوه من طريق آخر وفي آخره : قائد الفرّ المحجّلين إلى جنّات النعيم .

وأسند إليه ﷺ في طريق آخر : أن الله تعالى عهد إلي في علي عهداً فقلت يا رب بيّنه لي فقال : اسمع ، قلت : سمعت قال : إن علياً راية الهدى ، و إمام أوليائي ، و نور من أطاعني ، و هو الكلمة التي ألزمتها للمتقين ، من أحبّه أحببني ، و من أطاعه أطاعني ، فبشّره بذلك ، فبشّرتّه ، فقلت : اللهم أجل قلبه واجعل ديبه إيمان ، فقال عز وجل : فقد فعلت .

وأسند الخطيب في تاريخه إلى النبي ﷺ : ما في القيامة راكب غير أربعة أنا و صالح و حمزة و أخي علي بن أبي طالب على ناقة من الجنة ، بيده لواء الحمد يناذي بالشهادتين ، فتقول الخلائق هذا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ؟ فينادون هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين ، و إمام المتقين ، وقائد الفرّ المحجّلين . و أسند ابن مردويه و هو من ثقاتهم إلى أبان بن تغلب عن مسلم قال : سمعت أبا ذر و المقداد و سلمان يقولون : كتبنا قعوداً عند النبي ﷺ إذ أقبل ثلاثة من المهاجرين ، فقال ﷺ : تفترق أمتي بعدي ثلاث فرق فرقة أهل حق لا يشوبونه

باطل ، مثلهم كالذهب كلما فتنته النار زاد جودة وطيباً وإمامهم هذا وأشار إلى أحد الثلاثة ، وهو الذي أمر الله في كتابه إماماً ورحمة وأهل فرقة أهل باطل لا يشوبونه بحق مثلهم كخبث الحديد كلما فتنته النار زاد خبثاً وإمامهم هذا ، فسألهم عن أهل الحق وإمامهم فقالوا : علي بن أبي طالب إمام المتقين ، وأمسكوا عن الآخرين فجهدت في الآخرين أن يسموهما فلم يفعلوا .

هذه رواية أهل المذهب ، وأما الفرقة المحقة فروى الحسين بن جبر في نخبه مرفوعاً إلى الباقر عليه السلام قال : لما نزل قوله تعالى : « وكل شي أحصيناه في إمام مبین ^(١) » ، قيل : يا رسول الله هو التورية و الانجيل أو القرآن ؟ فقال عليه السلام : لا فأقبل علي فقال النبي عليه السلام : هذا هو الإمام المبین الذي أحصى الله فيه كل شي . و روى الفقيه ابن بابويه في أماليه وذكره عدة مشايخ في كتبهم عن ابن عباس قال : بعد النبي عليه السلام المنبر فخطب واجتمع الناس فقال : إن الله تعالى أوحى إلي أني مقبوض وأن ابن عمي مقتول وإنني أخبركم ما إن علمتم به سلمتم وإن تركتموه هلكتم إن ابن عمي هذا علي أخي ووزير ، وهو خليفتي ، وهو المبلغ عني ، وهو إمام المتقين ، وقائد الفرقة المحجطين ، إن استرشدتموه أرشدكم ، وإن اتبعتموه نجوتم ، وإن خالفتموه ضللتهم ، وإن أطعتموه فالله أطعتم ، وإن عصيتموه فالله عصيتم ، وإن بايعتموه فالله بايعتم ، وإن نكثتم بيعته فبيعة الله نكثتم ، إن الله تعالى أنزل علي القرآن فمن خالفه ضل ، ومن ابتغى علمه عند غير علي هلك .

وهذا الخبر رواه أبو الفرج المعافا بن زكريا وأخطب خوارزم وفي آخر رواية الخطيب : علي بن أبي طالب إمام أمة محمد ، وحجة الله بعد النبي عليه السلام فقد ظهر بتقل الفريقين المعتادين ، والخصمين المتباينين ، لنقل لا يحتمل التأويل والابهام أن علي بن أبي طالب هو الإمام .

إن قيل : لا يلزم من قوله « خليفتي » ومن قوله « هو الإمام » وغير ذلك نفي

خلافة غيره لما تقرّر في الأصول من عدم الدلالة للتقييد بالوصف على عدم الحكم . قلنا : بل قد ذهب جماعة إلى نفي الحكم عند نفي الوصف لثلاث يلزم العبث في القيد بالوصف ، وهو قوي .

على أن النصّ على الامام إمّا من قبل نفسه وتبطله وما ينطق عن الهوى ، أو من الله تعالى فإن أمره بالنصّ على الكلّ جارٍ إذ لم ينصّ على البعض ، وإن أمره بالنصّ على البعض لزم الترجيح بلا مرجح مساواة الكلّ في العلة ، وأيضاً فالامام ينصب لكشف حيرة الأمة لزيادة علومه ، وليس في أبي بكر كشف حيرة الأمة لنقص علومه .

ولهذا لما قال هشام بن الحكم لعمر بن عبيد : ألك عين ؟ قال : نعم أبصر بها قال : ألك أنف ؟ قال : نعم أشمّ به . قال : ألك أذن ؟ قال : نعم أسمع بها ، قال : ألك فم ؟ قال : نعم أذوق به ، قال : ألك قلب ؟ قال : نعم أحقق كلّما ورد على هذه الجوارح ويزول شكّها قال : فلا غناء لها عنه مع سلامتها قال : نعم ، قال : لم يترك الله جوارحك من إمام يزيل شكّها ويترك الخلق في حيرتها بغير إمام يزيل اختلافها .

ومما سنح لجامع الكتاب :

نفسى الفداء لمن قال النبيّ له	✽	أنت الامام بلا شك ولا خلل
وأنت يعسوب أهل الدين قائدهم	✽	غرّ إلى الجنة الغرّى ذوى حجج
وأنت كلمته التقوى التي لزمت	✽	إليك حلّ اللّوا في الموقف الوحل
إليك دعوة إبراهيم قد وصلت	✽	روى المعادي لها عن سيد الرسل
من ذكره جاء في الذكر الحكيم هلا	✽	سوى الامام أمير المؤمنين عليّ
فالويل والخزي للغاوين عن رجل	✽	له المزايا التي لم تلق في رجل
مع أن أعداءه يخفونها حسداً	✽	والأولياء له يخفون من وجل
- ومنها قوله تعالى : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ^(١) صنّف أحد بن محمد بن

سعيد كتاباً في نزولها في عليّ وذكرها الحسنائي في شواهد التنزيل والمرزبانيّ فيما أنزل في عليّ والثعلبيّ في تفسيره عن ابن عباس أنها لما نزلت وضع النبي ﷺ يده على صدره وقال: أنا المنذر وأوماً بيده إلى منكب عليّ وقال: وأنت الهادي يهتدي بك المهتدون، من بعدي .

وذكره ابن مردويه في المناقب ورواه الثعلبيّ عن عليّ عليه السلام أيضاً وعن جابر مسنداً وعن ابن المسيّب مسنداً وأسندها الحسين بن جبر في كتاب نخب المناقب إلى عليّ عليه السلام وإلى ابن عباس أيضاً وإلى الضحّاك والزجاج وأبي بردة أيضاً أنه قال دعا النبي ﷺ بالطهور وعنده عليّ فأخذ بيده بعد ما تطهر وألقها ب صدره وقال: «إسمّا أنت منذر»، ثم ردّها إلى صدر عليّ وقال: «و لكلّ قوم هاد» فقد بان بمنقل الموالي والمعادي أن عليّاً هو الهادي وإطلاق كونه هو الهادي باجمال الله و تفصيل رسول الله، يقتضي كونه هادياً في سائر أوقاته وذلك مستلزم لعصمته .

إن قيل: فكون عليّ هادياً لا يستلزم سلب هداية غيره، وقد قال النبي ﷺ أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم: هتديتم . قلنا: الألف واللام في الهادي دليل الاستغراق، ولولا اختصاصه من الهداية بما لا يوجد في غيره، انحلت الغايدة عن نزول الآية فيه، وإفراد النبي ﷺ له بذكره دون غيره، وإتّما ذلك ليمتدّر في قلوب المسلمين زيادة مرتبته الموجبة للتقديم، كما جرت عادة فصحاء الأنام بترجيح الخاص على العام، وقد نطق القرآن «بفاكهة ونخل ورمّان» وقال عزّ من قائل والملائكة وجبريل وميكال .

إن قيل: يجوز أن يكون الهادي هو النبي أي أنت منذر وأنت لكلّ قوم هاد ويكون ذلك دليل محوم نبوّته . قلت: تردّها هذا الاحتمال، ويلحقه بالمحال، شهرة المفسّرين وكتب الراسخين، وأشعار السالفين :
وقد أنشد الحميري في ذلك :

هما أخوان: ذا هاد إلى ذا * و ذا فينا لإمته نذير

فأحمد منذر وأخوه هاد دليل لا يضل ولا يجرور

وأيضاً فعموم نبوته قد جاء في قوله تعالى « وما أرسلناك إلا كافة للناس »^(١) وهي أعم من قوله « ولكل قوم هاد » على تقدير تخصيص القوم بالذكران كما ورد به القرآن في قوله تعالى « لا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء »^(٢) فعلى الاحتمال إحدى الآيتين تؤكد الأخرى، وعلى المشهور تفيد آية الهادي تأسيساً وهو مقدم على التأكيد ، لزيادة فائدته دون التأكيد .

ومنها قوله تعالى « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق »^(٣) أسند ابن جبر في فخره إلى أبي جعفر عليه السلام قال : الحق علي بن أبي طالب . وذكره محمد ابن مروان عن السدي ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

وعنه عليه السلام أيضاً في قوله تعالى « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم »^(٤) يعني بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام .

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »^(٥) يعني بولاية علي .

وعنه عليه السلام أيضاً في قوله تعالى « ويستنبئوك أحق هو قل إي وربي »^(٦) أي يسألونك علي وصيكت ؟ قل إي وربي .

وعن أبي بن كعب : نزلت سورة العصر في علي وأعدائه فإن « إلا الذين آمنوا » فيه عليه السلام لقوله تعالى « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا »^(٧) وهملوا الصالحات ، فيه لقوله « الذين يقيمون الصلاة »^(٨) الآية « وتواصوا بالحق » أيضاً فيه لقوله عليه السلام « الحق مع علي وعلي مع الحق » ، و « تواصوا بالصبر » لقوله

(١) البأ : ٢٨ . (٢) العجرات : ١١ .

(٣) الرعد : ٢١ . (٤) النساء : ١٦٩ .

(٥) الكهف : ٢٩ . (٦) يونس : ٥٣ .

(٧) (٨) المائدة : ٥٥ .

تعالى والصابرين في البأس والضراء، وحين البأس^(١)، وقد سلف ذلك .

وسئل أبوذر عن اختلاف الناس عنه فقال عليك بكتاب الله والشيخ علي بن أبي طالب فإني سمعت النبي ﷺ يقول : علي مع الحق والحق مع علي وعلى لسانه ، يدور حيث مدار علي .

وذكر ابن جبر في نخبه أن محمد بن أبي بكر قال لعائشة : أليس قلت : الزم علياً فإني سمعت النبي ﷺ يقول : إنه مع الحق والحق معه لا يفترقان حتى يردا على الحوض ؟ قالت : بلى ، وناشدها عبد الله ومحمد بن أبي بكر ذلك فاعترفت به وذكره السمعاني في فضائل الصحابة وفي تفسير طسم تلك آيات الكتاب^(٢) الآية للثمالي أن الآيات مناد ينادي من السماء آخر الزمان ألا إن الحق مع علي وشيعته .

وأما المخالف فرواه سعد بن أبي وقاص وروى عبيد الله بن عبد الله حليف بني أمية أنه كان بين سعد ومعاوية كلام فروى سعد هذا الخبر ، فقال له معاوية : لتأتيني بسموعك بالمؤيد وإلا قتلتك فدخلوا على أم سلمة فقالت : في بيتي قاله وروى مالك العربي^(٣) ، نحوه ، هذا كله ذكر صاحب النخب وروى مثله الجرجاني القاضي والخوارزمي الخطيب في تاريخه وأسند الأجري في الجزء الثاني من كتاب الشريعة أن عماراً دخل على النبي ﷺ فرحب به فقال : سيكون في أمتي بعدي هنة واختلاف حتى يقتل بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض ، فإذا رأيت ذلك فعليك بعلي إن سلك الناس كلهم وادياً وعلي وادياً فاسلك وادي علي يأمركم إنه لم يزل عن هدي ، يأمركم طاعة علي من طاعتي وطاعتي من طاعة الله .

وفي تاريخ الخطيب أن علقمة والأسود عاتبا أبا أيوب الأنصاري لقتاله المسلمين مع علي في صفين فقال : إن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاث فرق مع علي : الناكثين وهم أصحاب الجمل ، وقد قاتلناهم ، والقاسطين وهم أصحاب معاوية

(٢) الشعراء : ١ .

(١) البقرة : ١٧٦ .

(٣) العوفي خل .

وهذا منصرفنا عنهم ، والمارقين والله ما أدري أين هم ولكن لا بد من قتالهم ، لأنني سمعت النبي ﷺ يقول لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، وأنت إذ ذاك مع الحق و الحق معك إن سلك علي وادياً و الناس كلهم وادياً فاسلك وادي علي فإنه لن يدخلك في ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلد سيفاً و أعان علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در ومن تقلد سيفاً أعان به عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار فقالا : حسبك رحمك الله .

وروى ابن مردويه في كتاب الأربعين بطريق عائشة قول النبي ﷺ : الحق مع علي وعلي مع الحق لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، ورواه أيضاً بطريق أم سلمة .

وروى هو أيضاً عن الأصبغ بن نباتة لما أصيب زيد بن صوحان بالجمل ووقف عليه علي و به رمق وقال : يرحمك الله ما عرفتك إلا خفيف المؤنة كثير المعونة فقال : وأنت يرحمك الله ما عرفتك إلا بالله وبآياته عارفاً والله ما قتلت معك عن جهل ولكنني سمعت من حذيفة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : علي أمر البردة ، و قاتل الكفرة ، منصور من نصره مخذول من خذله ألا وإن الحق معه يتبعه ألا فمیلوا معه . إذا عرفت هذا فقد علم بنقل الفريقين تأخيره عن بيعة أبي بكر فان كان الحق في التأخير فالباطل في البيعة ، و إن كان في البيعة فقد فارق علي الحق و بطل الخبر .

إن قالوا : تأخر علي كان لعذر هو جمع القرآن فلا يلزم خروجه عن الحق ولا خروج البيعة عن الحق وإلا لبطلت إمامة علي حين تأخر عن النهوض فيها العذر قلنا : لا ، بل الصواب إن كان في العجلة في البيعة فالخطأ في التأخير وإلا ففيها وجمع القرآن ليس عنداً مانعاً عنها مع استدراكه بعدها ، ولو كان تأخره لذلك لم يخرج من بينه مكرهاً إليها وجلوسه من طلب حقه بالسيف ليس جلوساً عن إمامته ، فإنه طلب الامامة بلسانه وذكر تظلماته ، ولو لم يرد في ذلك رواية لكن في نصوص النبي عليه كفاية .

إن قالوا : فالبيعة صارت حقاً بموافقته . قلنا : أمّا عندنا فإنه لم يوافق عليها أبداً والسكوت لا يدل على الرضا باطناً . على أنها لو كانت إنما صارت حقاً ببيعته ﷺ لزم الدور لأن البيعة لا تجوز لغير مستحقها فلو توقف استحقاق الخلافة عليها دار .

إن قالوا : يلزم مثله في النص إذ يقال : لا يجوز النص بالخلافة لغير مستحقها ثم إنه لا يستحقها إلا بالنص فدار . قلنا : لا نقول إنما يستحقها بالنص بل النص كاشف عن سبق استحقاقها لأجل الصفات والمزايا الموجبة لها ، التي علم الله في عليّ حصولها ، وليس لهم جعل البيعة كاشفة لأنهم قالوا صارت حقاً بالبيعة ، فكانت باطلاً قبلها ، ولا إجماع للرعيّة على الخواص الموجبة لها مع أن البيعة لم تصر حقاً ببعض الأئمة لعدم الاجماع فيها وعليّ عندكم ليس بمعصوم حتى يلزم صحتها بدخوله فيها .

إن قالوا : هو عندكم معصوم فيلزمكم صحتها بدخوله فيها ، قلنا عندنا أنه لم يدخل فيها فلم نحكم بصحتها فلا إلزام لكم علينا فيها ، وأمّا كل الأئمة فلم تجتمع عليها لاشتهار بني هاشم وغيرهم على خلافها وإنشاء أشعارهم بتهجينها ، قال بريدة الأسلمي :

يا بيعة هدموا بها	✽	أساً وحيث دعائم
أتكون بيعتهم هدى	✽	و تقيب عنها هاشم
ويكون رائدها إذاً	✽	مولى حذيفة سالم
فليصبحنّ و كلهم	✽	أسف عليها نادم
أمر النبيّ معاشر	✽	هم أسوة ولهاذم
أن يدخلوا ويسلموا	✽	تسليم من هو عالم
إنّ الوصي له الامامة بعده بالناس فيها قائم		
و العهد لا مخلوق	✽	منه ولا متقادم

ونحو هذا كثير نكتفي عنه بعنوانه ، من أراد طبعه من مكانه .

ومنها قوله تعالى : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » (١) ، و القربى عليّ وفاطمة وابناهما لما أسنده ابن حنبل إلى ابن عباس أنهم قالوا : من قرابتك الذين وجبت محبتهم ومودتهم قال : عليّ وفاطمة وابناهما . ونحوه في تفسير الثعلبيّ وفي الجزء الخامس من صحيح مسلم والسادس من صحيح البخاريّ عن ابن جبير : القربى آل عمّه ، قالت : من آله ؟ قال : أهله ، وقد قيل معنى « إلا » في الآية « غير » وأراد بها التعظيم للقربى . كما قال الشاعر :

فلا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكنايب
أراد المبالغة في مدحهم و القرابة نسباً في عليّ أصدق وبه الصق ، فإنّه أوّل من ولد بين هاشميّين وقال عليه السلام :

عمّه النبيّ أخيه وصنوي * وحزّة سيّد الشهداء ممّي
وبنت عمّه سكّني وعرسي * و ممتزج بها لحمي و دمي
وسبطاً أحد ولدائي منها * فمن منكم له سهم كسهمي
وأما القرابة حكماً فليس لأحد سواء ما حواه [من] الجوار ، والأخوة ، و المصاهرة ، والنفوسيّة ، والغدير ، والوصيّة ، وبراءة ، والعشيرة ، وتبوك ، والراية والوراثه للعلوم والسلاح والبغلة والمتاع والعمامة .

و أبو بكر احتجّ في السقيفة لخلافته بالقرابة فإن كان له القليل منها فلعليّ مجموعها فإن كانت الحجّة فيها فعليّ أولى بها ولأنّه أتقّدهم من النار بسيفه دون غيره كما أتقّدهم النبيّ عليه السلام بهداه فإن رادّه الله تعالى بمودتهم وجعلها أجر سفارة نبيّهم دليل على أن مودتهم أوجب من غيرهم ، ولهذا فهموا أنّها واجبة حيث سألوا عن قرابته عليه السلام فقالوا : من قرابتك الذين أوجبت علينا مودتهم ؟ وإذا كانت أوجب فالخلافه فيهم إذ لو كانت في غيرهم كانت مودته أولى منهم .

إن قالوا : ففاطمة تلك المودة تتناولها ولا خلافة لها . قلنا : خرجت من الخلافة بالنصوص المتواترة على غيرها فلا ينتقض حكم الآية بها .

و منها قوله تعالى : « ومن يتول الله ورسوله والأذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » (١) ، روى ابن جبر في نخبه عن الباقر عليه السلام أنها نزلت في علي وأسد في نخبه أيضاً إلى الصادق عليه السلام أن أهل كل سماء ليلة الأسرى أقرؤوا بولاية محمد وعلي وفضيلة شيعتهما وأسد في نخبه إلى حذيفة أن الله تعالى فرض على الخلق خمسة : الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام فأخذوا الأربعة وتركوا الخامسة وهي الولاية الواجبة من الله تعالى قال المهلبى .

فرض الولاية للوصي * أهم من كل الفروض

لا عذر فيه مستفيض للمسافر والمريض

و أسند في نخبه إلى النبي صلى الله عليه وآله : من سره أن يحيى حياتي ، ويموت مميتي ويدخل جنة عدن منزلي ، فليتول علي بن أبي طالب ولياً ثم بالأوصياء من ولده ونحو ذلك ذكر في حلية الأولياء وفضائل أحمد وخصائص النطنزي .

و أسند في نخبه أن رجلين تشاجرا في الإمامة فأتيا شريكاً فأسند إلى النبي صلى الله عليه وآله أن الله تعالى خلق خلقاً علياً قاضياً من الجنة فمن تمسك به كان من أهل الجنة فاستعظم الرجل ذلك ، فأتيا دراجاً فأخبراه بذلك فقال : أتعجبان من ذلك ثم أسند حديثاً إلى النبي صلى الله عليه وآله أن الله خلق قاضياً من نور فعلقه ببطنان عرشه لا يناله إلا علي ومن تولاه من شيعته ، فقال الرجل : هذه أخت تلك فأتيا وكيعاً فأخبراه فقال : أتعجبان من هذا ثم أسند إلى النبي صلى الله عليه وآله : أن أركان العرش لا ينالها أحد إلا علي ومن تولاه من شيعته ، فاعترف الرجل المنازع بولايته .

وفي أسباب النزول عن الواحدى « ومن يتول الله ورسوله والأذين آمنوا » يعني بهم علياً وفي الكافي : ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء لم يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد وصية علي .

و يعضده ما رواه جماعة أهل البيت ، وابن إسحق ، والشعبي ، والأعمش ، والاسفهانى ، وابن جبر في نخبه ، والحسكاني ، وابن عباس ، والنطنزي أن قوله

تعالى « وقفوههم إنهم مسؤولون ^(١) » ، عن ولاية علي بن أبي طالب ورواه الديلمي عن الخدري وقال صاحب شرح الأخبار: « ولا تموتن إلا وأنت مسلمون ^(٢) » ، يعني بولاية علي بن أبي طالب .

وفي تفسير الذعلمي لما صلى محمد بالأنبيا ليلة الإسراء بعث الله إليه ميكائيل أن يقول للأنبيا : علي ما أُرسلتم ؟ فقالوا : على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب ونحوه روى أبو نعيم المحدث ، وروى صاحب النخب أنهم كانوا تسعين نبياً منهم موسى وعيسى .

وأُسند الشافعي ابن المغازلي من طرق عدة أن النبي ﷺ قال : لا يمرُّ علي الصراط إلا من معه كتاب بولاية علي بن أبي طالب ونحوه روى جماعة من الأصحاب وفي كتاب الكليني في قوله تعالى « ومن يطع الله ورسوله - في ولاية علي بن أبي طالب - فقد فاز ^(٣) » وفيه أن اسم علي مذكور في عشرة مواضع من القرآن قال ابن شهر آشوب رأيت في مصحف ابن مسعود في ثمانية مواضع .

وأُسند الشيرازي في تفسيره إلى السدي قال صخرين حرب للنبي ﷺ : يا رسول الله هذا الأمر من بعدك لنا أم لغيرنا ؟ فقال ﷺ : لمن هو متني بمنزلة هارون من موسى ، فأنزل الله تعالى : « عم يتساءلون - عن خلافة علي - عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلاً سيعلمون - أن خلافته حقاً تكون - ثم كلاً سيعلمون ^(٤) » حين عن ولايته يسألون في قبورهم فلا يبقى ميت إلا ويسئل عن ربه ودينه ونيته وإمامه .

وأُسند ابن جبر في نخبه إلى علي ﷺ وفي رواية الأصبغ : أنا النبأ العظيم أقف بين الجنة والنار وأقول : هذا لي وهذا لك ، وذكر نحوه في نخبه أيضاً من طريقين آخرين وفي السؤال عن ولايته أدل دليل على وجوبها على كل شخص في

(٢) آل عمران : ١٠٢ .

(٤) النبأ : ٤ .

(١) الصافات : ٢٤ .

(٣) الاحزاب : ٧١ .

حياته ، لامتناع أن يسئل محمّن لم يؤمر باتّباعه .

و أسند الشيرازي إلى ابن عباس أن الله تعالى يأمر مالكا يوم القيامة بإسعاد النيران ، و رضوان بزخرف الجنان ، و ميكائيل بمدّ الصراط على جهنّم ، و جبرائيل بنصب ميزان العدل تحت العرش ، و ينادي : يا محمد ! قرب أمتك للحساب ثم يقعد على الصراط سبعة قناطر طول كلّ قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ ، على كلّ قنطرة سبعون ألف ملك قيام يسألون نساء هذه الأمة و رجالها على القنطرة الأولى عن ولاية أمير المؤمنين و حبّ أهل بيت محمد فمن أنى بها دخلها كالبرق الخاطف ، و من لا [يأت بها] سقط على أمّ رأسه في قعر جهنّم ولو كان معه من أعمال الثقلين عمل سبعين صدّيقاً .

و أمّا كون حزب عليّ هم الغالبون فأسند المفيد في إرشاده قول النبي ﷺ أن عليّاً و شيعة هم الغالبون ألا إن شيعة عليّ هم الفائزون و أسند أيضاً قول النبي ﷺ : يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً لأحساب عليهم و لأعذاب ، ثم التفت إلى عليّ فقال : هم شيعةك و أنت إمامهم .

و روى هو أيضاً أن عليّاً اشتكى إلى النبي ﷺ حسد الناس له ، فقال ﷺ : أول من يدخل الجنة أنا و أنت و الحسنان و ذرّيتهما خلف ظهورهما و أحبّنا و ناخلف ذرّيتنا و شيعةنا عن إيماننا و شمالكنا .

و في مسند ابن حنبل : يا عليّ من فارقتي فقد فارقت الله ، و من فارقتك فقد فارقتني ، و في مسنده أيضاً من أحبّك فقد أحبّني و حبيبك حبيبي و حبيبي حبيب الله ، و عدوّك عدوّي ، و عدوّي عدوّ الله ، فالويل الويل لمن أبغضك بعدي .

و قد روى الفريقان كون الحق لا يفارقه ، فهو أمير حزب الله و رسوله ، و ليس بعد حزب الله الغالب الفاخر إلا حزب إبليس الناكب الفاجر و قد سلف منّا أن الله تعالى بعث الأنبياء على ولايته ، و أن الناس لا يجوزون الصراط إلا بأجازته و ذلك يوجب حتم اعتقاد إمامته بغير فصل لاطلاق لفظ النبيّ و إشارته ، ولم يوجد لمن تأمّر عليه قطرة من هذه المدائح ولا ذرّة من هذه المنائح ، و قد ارتجل مؤلّف

الكتاب فقال في هذا الباب :

نزل الكتاب مبيّناً * فرض الوصي على العموم
وأتم الحديث مؤكداً * ومنافيا جدد الخصوم
يا للرجال لأمة * مالت إلى رجل ظلم
و تناسكت في تركها * وجه الصراط المستقيم
ميلاً إلى دنيا دنيّة فعل شيطان رجيم
فعدا الذي كتم النصوص يكبّ في نار الجحيم

و منها قوله تعالى « و الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ »^(١) ،
أسند ابن جبر في نخبه إلى ابن عباس قال : صدّق هذه الأمة عليّ بن أبي طالب
و الشهداء عليّ و حمزة و جعفر .

و أسند أيضاً في روايات من كتابه إلى الباقر و الصادق و الكاظم و الرضا عليهم السلام
و زيد بن عليّ أن قوله تعالى « و الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ »^(٢) ، هو عليّ بن
أبي طالب .

و أسند أيضاً إلى ابن عباس قوله تعالى « أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ »^(٣) ، يعني محمداً « و الصّدّيقين » يعني علياً « و الشهداء » يعني علياً و جعفر
و حمزة و الحسين عليهم السلام .

و في شرف النبي صلى الله عليه وآله عن الخركوشي و الكشف و البيان عن الثعلبي قال :
قال أبو جعفر عليه السلام « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »^(٤) ، حمزة و
عليّ و جعفر و نحوه أسند الشيرازي و زاد أن علياً هو الصّدّيق الأكبر .

(١) الحديد : ١٩ .

(٢) الزمر : ٣٣ .

(٣) النساء : ٦٨ .

(٤) الاحزاب : ٢٣ .

وروى ابن بطّة في الابانة وأحمد في الفضائل و شيرويه الديلمي في الفردوس قول النبي ﷺ : الصدّيقون ثلاثة : عليّ بن أبي طالب و حبيب النجار و حزقيّل مؤمن آل فرعون .

و في أربعين الخطيب وفضائل أحمد و كشف الثعلبيّ قال النبي ﷺ : سبّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين ثم ذكر الثلاثة و قال : و عليّ أفضلهم ورواه ابن حنبل مسنداً إلى ابن أبي ليلى بطريقين ورواه الشافعيّ ابن المغازليّ عن ابن حنبل و قد قال ﷺ : أنا الصدّيق الأكبر ، و الفاروق الأعظم ، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر و أسلمت قبل أن يسلم ورواه المفيد في إرشاده و نحوه أسند الثعلبيّ في تفسيره و زاد : أنا عبد الله و أخو رسول الله و أنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعديّ إلّا كذاب معتر ، و مثله روى ابن حنبل في مسنده .

و أسند الخوارزمي في الأربعين إلى النبي ﷺ أن عليّاً عليه السلام يتنادى يوم القيامة بسبعة أسماء : يا صدّيق ، يا دالّ ، يا عابد ، يا هادي ، يا مهديّ ، يا فتى ، يا عليّ ، مرّة أنت و شيعتك بغير حساب .

و في الخبر قال ابن سلام للنبي ﷺ : ما اسم عليّ فيكم ؟ قال : الصدّيق الأكبر قال : الله أكبر ، ثم أسلم ، فقال : إنّنا نجد في النورية عهد نبي الرحمة ، عليّ مقيم الحجّة ، قال العبدّيّ :

أبوكم هو الصدّيق آمن و اتقى ✽ و أعطى و ما كدى و صدّق بالحسنى و أنشأ المؤلف مظاهياً لهذا المولى :

عليّ هو الصدّيق جاء به الذكر ✽ و أخبار أقوام به لهم خبر
فمن ينكر النصّ الجليّ مبادراً ✽ إليه فلا يعدوه في حشره خسر
لما أنّه أبداً عداؤه ربّه ✽ فقد لزم التعذيب إذ لزم الكفر

إذا عرفت هذا فقد نصّ الجوهريّ و الفارسيّ على أنّ الصدّيق هو الملازم للمصدق الدائم عليه ، الذي صدّق فعله قوله ، و الصدّيقون نبيون و غيرهم ، و

الصالحون صدّيقون و غيرهم ، فكلّ نبيّ صدّيق ، ولا ينعكس ، و كلّ صدّيق صالح ولا ينعكس .

و نعني بعدم العكس عدم الشمول لا ما اصطلاح عليه المنطقيون فانّ العكس هنا صادق عندهم إذ الموجبة الكلّية تنعكس موجبة جزئية فكلّ نبيّ صدّيق ينعكس في المنطق إلى بعض الصدّيق نبيّ وهو حقّ . وقد علم من ذلك أنّ مرتبة الصدّيق متوسطة بين مرتبة النبيّ و مطلق الصالح فالصدّيق ينقسم إلى ثلاثة : نبيّ و يوسف أيّها الصدّيق ، إمام : و كونوا مع الصادقين ، وقد مضى ذلك قريباً و من ليس بأحدهما كحبيب و حزقيل و نحوهما . وقد أفزده اللفظ النبويّ بأنّه أفضلهما فدلّ على اختصاصه بالامامة .

إن قلت : لا يلزم من الأفضلية الانتها ، إلى الامامة إذ التفاضل واقع في الأشياء مع عدم الامامة . قلت : فيلزم ذلك في قوله ﷺ : أنا الصدّيق الأكبر فلو لم يكن هو الامام لم يكن الأكبر لأنّه انطلق له لفظ الأكبر .

إن قلت : فيلزم كونه أكبر من النبيّ . قلت : قد أخرجه الدليل ، فيخصّص به دون غيره ، هذا وقد أقسم ﷺ مع كونه للصدق ملازماً و للمين مجانباً على ما صحّ في اللغة بقول ذينك الامامين و نقل في الأحاديث من الفريقين في خطبته الشقشقية و غيرها قال ﷺ : و أيم الله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة و هو يعلم أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرجا ، ينحد عنّي السبل ، و لا يرقى إليّ الطير . و سيأتي جانب من ذلك في شيء من تظلماته ﷺ .

إن قلت : فالقطب لا يستقلّ بنفسه في منفعة الرجا ، فيكون المنتدّم عليه مكتملاً لمنفعة الرجا قلت : هذا وهم لا يغني من الحقّ شيئاً لأنّ القطب يستقلّ في الحركة الدورية بنفسه و حركة الرجا لا تكون إلّا به و كلامه ﷺ يدلّ على أنّ فلانا وضع نفسه في محلّ القطب وليس أهلاً لها ولا يخفى ذلك على من له أدنى بصيرة إلّا أن تردّه نفسه الشريرة الأمارة بخبث السريرة .

و منها قوله تعالى و أنّ هذا صراطيّ مستقيماً فاتبعوه و لا تتبعوا السبل

فنفرتُ بكم عن سبيله ^(١) ، أسند إبراهيم النخعي إلى الأسلمي قول النبي ﷺ
سألت الله أن يجعلها عليّ ففعل .

و أسند الشيرازي من أعيانهم إلى قتادة عن الحسن البصري في قوله « هذا
صراطي مستقيماً » قال : يقول : هذا طريق علي بن أبي طالب وذريته طريق مستقيم
و دين مستقيم فاتبعوه ، تمسكوا به فإنه واضح لا عوج فيه .

و في تفسير وكيع عن السديّ و مجاهد عن ابن عباس في قوله « أهدنا الصراط
المستقيم » معناه أرشدنا إلى حبّ النبي و أهل بيته .

و في تفسير الثعلبيّ و كتاب ابن شاهين : الصراط عهد و آله و أسند ابن جبر
في نخبه إلى ابن عباس في قوله تعالى « و ستعلمون من أصحاب الصراط السويّ » و
من اهتدى ^(٢) ، الصراط السويّ هو والله عهد و أهل بيته .

و أسند أيضاً عن حمزة بن عطاء بن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « هل يستوي
هو و من يأمر بالعدل ^(٣) » قال : هو علي بن أبي طالب يأمر بالعدل و هو علي
صراط مستقيم .

و أسند أيضاً إلى ابن عباس و زيد بن عليّ في قوله : « و يهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم ^(٤) » . يعني ولاية عليّ بن أبي طالب .

و أسند إلى جابر الأنصاريّ أن النبي ﷺ أشار إلى عليّ وقال : هذا صراط
مستقيم فاتبعوه ، و أسند أيضاً إلى ابن عباس أن النبي ﷺ كان يحكم وعليّ بين
يديه و رجل عن يمينه و آخر عن يساره فقال : اليمين و الشمال مضلة و الطريق
المستوي الجادة ، هذا - و أشار إلى عليّ بيده - فاتبعوه .

و أسند عن الحسن أن ابن مسعود وعظ فسئل عن الصراط المستقيم فقال :
طرفه في الجنة و ناحيته عند عهد و عليّ و أسند إلى أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى

(١) الانعام : ١٥٣ .

(٢) طه : ١٣٥ .

(٣) النحل : ٧٦ .

(٤) يونس : ٢٥ .

« فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ^(١) »، يعني على ولاية عليّ وهو الصراط المستقيم .

وفي الخصائص عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون ^(٢) » قال : عن ولايتنا . وأسند محمد بن جعفر المشهدي إلى عبد الله بن عباس قول النبي ﷺ : « أنت صاحب حوضي و لوائي ، وزوج ابنتي ، و وارث علمي ، و مسنود موارث الأنبياء ، و أمين الله في أرضه ، و حجته على خلقه ، و ركن الايمان ، و مصباح الدجى ، و منار الهدى ، و العلم المرفوع لأهل الدنيا ، من تبعك نجا ، و من تخلف عنك هلك ، و أنت الطريق الواضح و الصراط المستقيم .

و أسند أيضاً إلى عبد الله ابن عمر أنه قال : قال لي أبي : اتبع هذا الأصلح فإنه أول الناس إسلاماً و الحق معه فأنني سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول في قوله تعالى : « أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم ^(٣) » عليّ صراط مستقيم فالناس مكبّون على الوجوه غيره ، لأنهم يحتاجون إلى هداة و فقه . فإذا كان هو الصراط المستقيم إلى الله و أهل البيت هو أعلامهم كان أولى بالاتباع و التقديم و أجرى من غيره بالتحكيم ، عند كل ذي عقل سليم ، و هذه غاية لا مزيد عليها ، ولا يمكن المحيد عنها ، و الطعن فيها ، قال أبو الفتح الواسطي :

هذا عليّ النبا العظيم تفهّموا * وهو الصراط المستقيم إلى الهدى

هذا عليّ دنيا و ديني فاعلموا * فليستحيد لجيده المستنقدا

لذلك : ذكر صاحب المصالحات عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى : « إنهم عن الصراط لنا كبون . قال عليه السلام : الأول و الثاني و الثالث عن الولاية معرضون .

(٢) المؤمنون : ٧٥ .

(١) الزخرف : ٤٣ .

(٣) الملك : ٢٢ .

و منها قوله تعالى : « فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ^(١) » أسند ابن جبر في نخبه إلى الرضا عليه السلام قول النبي ﷺ من أحب أن يتمسك بالعروة الوثقى ، فليتمسك بحب علي بن أبي طالب و روى أيضاً في نخبه : العروة الوثقى ولاية علي بن أبي طالب .

إن قلت : إن الله تعالى جعلها الكفر بالطاغوت و الايمان بالله ، ولم يذكر علياً ؟ قلت : رد ذلك إلى الرسول أوجب حيث يقول : « و لوردوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ^(٢) » ولو كان من كفر بالطاغوت و آمن بالله حسب حصل بالعروة الوثقى ، لم يبق بالاقرار بالنبوة فائدة وهو باطل بالاجماع ، و حيث وجب التمسك بالنبي وجب بمن عينه النبي . قال ابن حنبل : علي الملعون القدر عند مليكه ✽ و إن أكثر في الفواة ملاها و عروته الوثقى التي من تمسكت ✽ يدها بها لم يخش قط انفصامها

و منها قوله تعالى : « و اعتصموا بحبل الله جميعاً ^(٣) » أسند ابن جبر في نخبه إلى العبدي أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن هذه الآية فأخذ بيد علي و قال : هذا حبل الله فاعتصموا به ، و أسند مثله إلى الباقر عليه السلام .

و أسند أيضاً إلى الباقر عليه السلام في قوله تعالى : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله و حبل من الناس ^(٤) » . قال عليه السلام : حبل من الله كتابه ، و حبل من الناس علي بن أبي طالب .

و أسند الثعلبي في تفسيره إلى الصادق عليه السلام : نحن حبل الله الذي قال فيه « و اعتصموا بحبل الله » و إذا أمر الله و رسوله بالاعتصام به فقد هلك من لم يعتصم به ، و من تأمر عليه لم يعتصم به ، فهلك من تأمر عليه ، قال الحميري :

إننا وجدنا له فيما نخبره ✽ بعروة العرش موصولاً بها سبباً
حبلأ متيناً بكفيه له طرف ✽ شد العراق إليه العقد والكربا

(٢) النساء : ٨٢ .

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٤) آل عمران : ١٢٢ .

(٣) آل عمران : ١٠٣ .

من يعتصم بالعري من حبله فله * أن لا يكون غداً في الحال منعباً
ومنها قوله تعالى : « و صالح المؤمنين ^(١) » أسند ابن جبر في نخبه إلى ابن
عباس قول النبي ﷺ : عليّ باب الهدى بعدي ، والداعي إلى ربّي ، و صالح
المؤمنين .

و أسند إلى زيد بن عليّ أن الناصر للحقّ و صالح المؤمنين عليّ بن أبي
طالب ، و روى نحوه السديّ عن ابن عباس و الخضرميّ عن أبي جعفر و الثعلبيّ
عن أبي جعفر و عن الباقر عن عليّ عن النبي ﷺ و ذكره الثعلبيّ في تفسيره .
إن قيل : فصالح لا يدلّ على الأصلح ؛ قلنا : بل العرف يوجب ذلك لأنّ
قولنا فلان عالم قومه و زاهد بلده ، يراد به أعلم و أزهد ، و لأنّه أخبر أنّه ناصر
نبيّه ، و جبرائيل عند وقوع الظاهر ذكر [مع] صالح المؤمنين ولا يذكر في النصر
إلاّ من كان في الدفاع أمنهم وفي النبّ عنه أنفعهم إذ لا يليق ذكر ضعيف ولا متوسط
في النصرة فإنّ الملك لا يهدّد من يروم سلطانه بمثلها بل بمن هو الأعلى في مرتبة
النصرة ، و لهذا إنّ عليّاً هدّد معاوية بمالك الأشر حيث إنّّه معروف بالشجاعة
مشهور بالبراعة ، و إذا كان عليّ أصلح ، فتقديمه أنجح ، لأنّه الأرجح ، فالقول
بإمامته الأرجح .

ومنها « يا أيّها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم
يحبّهم و يحبّونه أدلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا
يخافون لومة لائم ^(٢) » روت الفرقة المحققة أنّها في عليّ عليه السلام و رواه الثعلبيّ في
تفسيره .

قالوا : الآية في أبي بكر و أصحابه لأنهم الذين قاتلوا المرتدّين . قلنا :
تنزيل الآية على اليقين المستقيم أولى من تنزيلها على الظنّ والترخيم ، والمحبة ^(٣)

(١) التعريم : ٤ .

(٢) المائدة : ٥٧ .

(٣) والعجة ، خ ل .

له سذكراها عند فتح خيبر ، و المبالغة فيها عند خبر الطائر المشوي* و الذلة على المؤمنين لم تصدق على أبي بكر و صاحبيه . بما أحدثوا في فاطمة و بنيتها و رد جماعة من المؤمنين بالسيف عن شهادتها ، و العزة على الكافرين إنما هي نعماً له ، و لم يكن لأبي بكر خطأ في جهادهم إذ لم نعرف له قتيلاً بل ولا جريحاً منهم و إنما شاع ذلك من علي* فيهم ، فإذا كذبت هذه الأوصاف عليهم ، كيف يقال إن الآية نزلت فيهم ، و إذا اجتمعت لعللي* كيف يقال إنه معزول عن هذا المقام .

و المشهور في اللسان أن* [زمان] سوف أنفس من زمان السين ، و زمان حرب علي* بعد أبي بكر أنفس من زمان أبي بكر ، وقد روي عن عمار و حذيفة وغيرهما قوله ﷺ في البصرة : والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلا* و من يرتد* منكم عن دينه ، الآية .

ومنها : « إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان ^(١) » ، روى محمد بن الحسن برجاله إلى الصادق ﷺ أن* الأمانة في الآية هي الولاية لعللي* ابن أبي طالب ﷺ .

ومنها : « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ^(٢) » ، أسند محمد بن يحيى إلى الصادق ﷺ قال : « آمَنُوا » بما جاء به محمد من الولاية « وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ » لم يخلطوه بولاية فلان و فلان .

ومنها : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا ^(٣) » ، أسند علي بن إبراهيم إلى الصادق ﷺ أنها كانت آمَنُوا بما نزلناه في علي* .

ومنها : « وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ - في علي* - لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ^(٤) » ، هكذا أسندها علي بن إبراهيم إلى أبي جعفر ﷺ .

ومنها : « هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ^(٥) » ، أسند البخاري في آخر كتابه

(٢) الانعام : ٨٢ .

(٤) النساء : ٦٥ .

(١) الاحزاب : ٧٢ .

(٣) النساء : ٤٧ .

(٥) الحج : ١٩ .

من الجزء الخامس من صحيحه أن علياً عليه السلام قال : أنا أوّل من يجنّب بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة .

ومنها : « بل تؤثرن الحياة الدنيا ^(١) » يعني ولايتهم « والآخرة خير وأبقى » ولاية علي ، هكذا أسنده معلى إلى الصادق عليه السلام .

ومنها : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ^(٢) » ولاية علي « استكبرتم ففريقاً كذبتم » من آل محمد « وفريقاً تقتلون » أسنده إلى أبي جعفر عليه السلام .

ومنها : « كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ^(٣) » من ولاية علي « هكذا أسنده الحسين بن محمد إلى الرضا عليه السلام .

ومنها : « وعدا لله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ^(٤) » قال الشيرازي في كتابه المستخرج من التفسير الاثنى عشر عن ابن مسعود : الخلافة من الله لثلاثة : آدم « إني جاعل في الأرض خليفة ^(٥) » داود : « إنا جعلناك خليفة ^(٦) » علي عليه السلام « ليستخلفنهم في الأرض ^(٧) » .

ومنها : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ^(٨) » و سيأتي أيضاً قال في الكتاب المذكور قال النبي صلى الله عليه وآله اختارني وأهل بيّتي فجعلني الرسول وجعل علياً الوصي . ومنها : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ^(٩) » أسند أحمد بن مهران إلى أبي جعفر عليه السلام الطريقة هي ولاية علي والأوصياء .

ومنها : « إنّما أعظكم بواحدة ^(١٠) » أسند الحسين بن محمد إلى أبي جعفر عليه السلام أنّها ولاية علي عليه السلام .

ومنها : « الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً ^(١١) »

(١) الأعلى : ١٦ .	(٢) البقرة : ٨٧ .	(٣) الشورى : ١٣ .
(٤) النور : ٥٥ .	(٥) البقرة : ٣٠ .	
(٦) ص : ٢٦ .	(٧) النور : ٥٥ .	
(٨) القصص : ٦٨ .	(٩) الجن : ١٦ .	
(١٠) السبا : ٤٦ .	(١١) النساء : ١٣٧ .	

أسند معلّى ابن عثم إلى الصادق عليه السلام أنها نزلت في فلان و فلان آمنوا بالنبي فلمّا قال : « من كنت مولاء فعليّ مولاء » كفروا ثم آمنوا بالبيعة عليّ عليه السلام ثم كفروا بعد مضيّ النبيّ ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من تابعه بالبيعة و هؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء .

و منها : « إنّ الذين ارتدّوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ^(١) ، بأسناد معلّى إلى الصادق عليه السلام أنها في فلان و فلان ارتدّوا عن ولاية عليّ عليه السلام .
و منها : « ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله ^(٢) » قال الصادق عليه السلام : نزلت والله فيهما و في أتباعهما كرهوا ما أنزل الله في عليّ عليه السلام .

و منها : « و من يرد فيه بالحد بظلم ^(٣) » نزلت فيهم حيث تعاقدوا في الكعبة على جحودهم ما أنزل في عليّ عليه السلام .

و منها : « فلنجزينّ الذين كفروا ^(٤) » أسند الحسين بن عثم إلى الصادق عليه السلام : كفروا بولاية عليّ عليه السلام .

و منها : « إنّكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك ^(٥) » أسند عثم بن يحيى إلى أبي جعفر عليه السلام القول المختلف الولاية يؤفك عن الجنة من قد أفك عنها .
و منها : « فلا أقنم العقبة و ما أدريك ما العقبة فك رقبة ^(٦) » أسند الحسين ابن عثم إلى الصادق عليه السلام أن ولاية أمير المؤمنين فك رقبة .

و منها : « فالأذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ^(٧) » أسند عليّ بن إبراهيم إلى أبي جعفر عليه السلام كفروا بولاية عليّ عليه السلام .

و منها : « هنالك الولاية لله الحق ^(٨) » أسند الحسين بن عثم إلى الصادق عليه السلام أنها ولاية عليّ عليه السلام .

(٢) القتال : ٢٦ .

(١) القتال : ٢٥ .

(٤) فصلت : ٢٧ فيه : ولنديقن الذين كفروا .

(٣) الحج : ٢٥ .

(٦) البلد : ١٣ .

(٥) الذاريات : ٩ .

(٨) الكهف : ٤٥ .

(٧) الحج : ١٩ .

ومنها : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ^(١) » أسند محمد بن يحيى إلى الصادق عليه السلام أن الله تعالى أصبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق .

ومنها : « فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ^(٢) » أسند عبد العظيم إلى أبي جعفر عليه السلام : فأبى أكثر الناس إلا كفوراً بولاية عليّ قال : و هكذا أنزلت .

قال : و نزلت : « فقل الحق من ربكم » في ولاية عليّ عليه السلام .

ومنها : « و حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ^(٣) » فمن الصادق عليه السلام يعني به أمير المؤمنين [عليّاً] عليه السلام .

ومنها : « ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليعبطن عملك ^(٤) » عن الصادق عليه السلام أي لئن أشركت في ولاية عليّ عليه السلام غيره و سيأتي في حديث الغدير .

ومنها . « بلى من كسب سيئة و أحاطت به خطيئته ^(٥) » قال : جحدوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون .

ومنها : « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذه عند الرحمن عهداً ^(٦) » أسند محمد ابن يحيى إلى الصادق عليه السلام العهد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده .

ومنها : « من يطع الله و رسوله ^(٧) » أسند الحسين بن محمد إلى الصادق عليه السلام يطع الله و رسوله في ولاية عليّ و الأئمة من بعده قال : و هكذا نزلت .

ومنها : « يا أيها الذين آمنوا لا تؤذوا رسول الله ^(٨) » روى الحسين بن محمد عنهم عليه السلام لا تؤذوا رسول الله في ولاية عليّ و الأئمة من بعده .

(١) البقرة : ١٣٨ . (٢) أسرى : ٨٩ ، الفرقان : ٥٠ .

(٣) العنكبوت : ٧ . (٤) الزمر : ٦٥ .

(٥) البقرة : ٨١ . (٦) مريم : ٨٧ .

(٧) النور : ٥٢ .

(٨) الآية ليست هكذا بل في القرآن : و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتكفروا أزواجه من بعده . الاحزاب : ٣٣ .

ومنها : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ، الآية ^(١) » أسند الحسين بن محمد إلى الصادق عليه السلام الآيات المحكمات هو أمير المؤمنين والأئمة .
و الآخر المتشابهات فلان و فلان [و فلان] « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيقتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ، أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام » .

ومنها : « فأقم وجهك للدين حنيفاً ^(٢) » أسند علي بن إبراهيم إلى أبي جعفر عليه السلام أنه الولاية .

ومنها : « و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ^(٣) » ، عن أبي جعفر عليه السلام هو الولاية لعلي عليه السلام .

ومنها : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ^(٤) » أسند علي بن محمد إلى أبي الحسن الماضي يريدون ليطفئوا نور الله ولاية أمير المؤمنين والله متم نوره قال : متم الامامة له .

ومنها : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ^(٥) » قال : أرسله بالولاية لوصيه وهي دين الحق « ليظهره على الدين كله » عند قيام القائم « ولو كره الكافرون » لولاية علي عليه السلام .

ومنها : « وقفهم إنهم مسؤولون ^(٦) » بطريق الحافظ أبي نعيم إلى ابن عباس وابن سلام ومجاهد أي مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ومثله في الفردوس للديلمي عن الخدي « ومثله في الآيات المنتزعات عن ابن عباس .
وعن الحافظ أبي نعيم في قوله تعالى : « ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ^(٧) » قال : عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام و من مناقب ابن المغازلي : « وإنه لذكر

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) يونس : ٢ .

(٣) براءة : ٣٣ .

(٤) التكاثر : ٨ .

(٥) الروم : ٣٠ .

(٦) الصف : ٨ .

(٧) الصافات : ٢٤ .

لك ولقومك وسوف تسئلون^(١)، عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وغير الامام لا يسئل عن ولايته، ولهذا إن ابن عباس عند موته كان يتقرّب إلى الله بولايته، و يجعلها خاتمة ما يكتب له من عمله، مع كونه كنيفاً مملوءاً علماً كما قال عليّ عليه السلام فيه.

وفي كتاب أبي نعيم الذي استخرجه من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر الأندلسي في قوله تعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا^(٢)» أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لما أُسري بي إلى السماء جمع الله تعالى بيني وبين الأنبياء وقال: سلمهم على ما بعثتم؟ فسألهم فقالوا: على شهادة أن لا إله إلا الله وعلى الاقرار بنبوّتك والولاية لعليّ بن أبي طالب، وإذا كان الله تعالى بعث الأنبياء على ذلك كيف يرضى لنفسه بالمدول عن ذلك، وفي هذا كفاية لمن أراد نجاته وعدل مأوف آبائه وهميَّاته وقد سلف ذلك في الفصل الخامس والعشرين من الباب السابع.

ومنها: «و الذي جاء بالصدق وصدق به^(٣)» روى ابن المغازلي عن مجاهد أن الذي صدّق به عليّ بن أبي طالب ورواه غير واحد عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول أهل الجنة دخولا عليّ بن أبي طالب وقال لبيّ دجانة: أما علمت أن الله لوأأ من نور، وقصوراً من ياقوت، مكتوب بالنور لا إله إلا الله محمد رسول الله خير البرية. صاحب اللّواء وإمام القيامة هذا، وضرب بيده على عليّ بن أبي طالب.

ومنها: «في بيوت أذن الله أن ترفع^(٤)» أسند الثعلبيّ إلى أنس و بريدة أنها بيوت الأنبياء، فقال أبو بكر: يا رسول الله هذا البيت منها؟ يعني بيت عليّ وفاطمة - قال: نعم، من أفاضلها.

قلت: المقصود من البيوت أهلها إذ لافضيلة لها بمجرّد ما قال شاعر:
ألا يا بيت في العلياء بيت * ولو لا حبّ أهلك ما أتيت

(٢) الزخرف: ٤٥.

(١) الزخرف: ٤٤.

(٤) النور: ٣٦.

(٣) الزمر: ٣٣.

ألا يا بيت أهلك أوعدونى * بأننى كل ذنبهم جنيت
فظاهر حديث النبي ﷺ أنه جعل علياً من أفاضل الأنبياء، فيستحق التقدم
و هو بين لمن ترك الهوى .

ومنها : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ^(١) » أسند ابن المغازلي
إلى ابن عباس أنه سأل الله بحق الخمسة ولو لا أنه علم أشرفيتهم عند ربهم لما
توسل إليهم بهم .

ومنها : « ولتعرفنهم في لحن القول ^(٢) » أسند الحافظ إلى الخديري : لحن
القول بغض علي عليه السلام .

ومنها : « هو الذي أبدك بقصره . و بالمؤمنين ^(٣) » أسند أبو نعيم إلى أبي
هريرة مكنوب على العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي بن أبي طالب .
قلت : فمن عدل عنه عدل عن تأييد دينه وإيمانه ، و سقط في غي قرينه و
شيطانه .

ومنها : « يا أيها النبي حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين ^(٤) » في طريق
أبي نعيم الحافظ أنها نزلت في علي بن أبي طالب .

ومنها : « ومن عنده علم الكتاب ^(٥) » أسند بطريق أبي نعيم و تفسير الثعلبي
أنما هو علي بن أبي طالب ، و هذا نص يوجب التقديم لاحاطته بعلم الكتاب دون
غيره ، فيستحق التقديم على جاهل ميراث الجد وغيره « أفن يهدي إلى الحق
أحق أن يتبع » الآية وقد استوفيت الكلام على هذه الآية في الفصل الثامن عشر
من الباب السابع فليطلب منه .

ومنها : « و أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ^(٦) » أسند ابن مردويه

(٢) القتال : ٣٠ .

(١) البقرة : ٢٢٢ .

(٤) الانفال : ٦٤ .

(٣) الانفال : ٦٣ .

(٦) فاطر : ٣٢ .

(٥) الرعد : ٤٣ .

إلى عليّ عليه السلام أنّه قال : نحن هم .

ومنها : « يوم لا يخزي الله النبيّ و الذين آمنوا معه ^(١) » أسند أبو نعيم إلى ابن عباس : أوّل من يكسى من حلل الجنة إبراهيم و محمد ثمّ عليّ يزفّ بينهما ثمّ قرأ الآية .

قلت : ولا يساويهما في الكرامة ، إلّا من له منزلة الامامة .

ومنها : « ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد ^(٢) » قيل : سئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال صلى الله عليه وآله : أنا وعليّ نقوم على يمين العرش فيقول الله لنا : ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد . أي من أبغضكما و كذبكما . وقد كذب به من اعتقد إمامة غيره لأنّه ادّعاها لنفسه و نصبه النبيّ صلى الله عليه وآله عن أمر ربّه .

ومنها : « و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ^(٣) » أسند ابن مردويه أنّ من بعد ما تبين له الهدى في أمر عليّ .

ومنها « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلّاً بسيماهم » ^(٤) قال الامام الطبرسي : أسند الحسنانيّ إلى الأصمغ بن نباتة أنّ ابن الكوثر سأل عليّاً عليه السلام عن هذه الآية فقال عليه السلام : ويحك نحن نقف بين الجنة والنار فمن نصرنا عرفناه بسيماهم وأدخلناه الجنة و من أبغضنا عرفناه بسيماهم وأدخلناه النار .

وقد أسند ابن البطريق في العمدة قول النبيّ صلى الله عليه وآله ينصب الصراط على شعير جهنّم فلم يجز عليه إلّا من معه كتاب بولاية عليّ بن أبي طالب .

فهذه قطرة بما منحت به * على مزايا خواص أنت منطبع
فكن بهامقذي من هول مطلعها * يوماً وأنت على الأعراف تطلع
ومنها : « و تمتّ خلقنا أمة يهدون بالحقّ و به يعدلون ^(٥) » قال عليّ بن

(٢) ق : ٢٤ .

(١) التحريم : ٨ .

(٤) الاعراف : ١٨٠ .

(٣) النساء : ١١٤ .

(٥) الاعراف : ٤٥ .

أبي طالب عليه السلام : هم أنا و شيعتي .

ومنها : « قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ^(١) » ، أسند أبو جعفر الطبري إلى ابن عباس أن النور ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام .

ومنها : « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ بِهِمْ ^(٢) » الآية أسند أبو جعفر الطبري إلى ابن عباس أن سادات قریش كنبت صحيفة تعاهدت فيها على قتل علي و دفعوها إلى أبي عبيدة الجراح أمير قریش فنزلت الآية فطلبها النبي صلى الله عليه وآله منه فدفعها إليه فقال : أكرهتم بعد إسلامكم فحلفوا بالله لم يهتوا بشيء منه فأنزل الله « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ^(٣) » ، و لما حكم الله بكفرهم عند المهمل على قتله علم أن الله اختاره للولاية على خلقه ، إذ المقر في الشريعة أن المهمل يقتل غيره غير موجب لتكفيره .

ومنها : « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ ^(٤) » الآية روى سلمان بن عبد الله عن الصادق عليه السلام هم الذين كذبوا بولاية علي بن أبي طالب الوصي « و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون » لتكذيبهم بولاية علي عليه السلام « فصدوا عن سبيل الله » والسبيل وصي رسول الله « ذلك بأنهم آمنوا » برسالته « ثم كفروا » بولاية وصيه .

ومنها : « كَمْشَكُوهُ فِيهَا مَصْبَاحٌ ^(٥) » ، أسند ابن المغازلي إلى الحسن المشكاة فاطمة ، و المصباح الحسن ، و الزجاجة الحسين ، و الشجرة إبراهيم « يكاد زيتها يضيء » قال : يكاد العلم ينطق منها إمام بعد إمام « يهدي الله لنوره من يشاء » قال يهدي لولايتنا من يشاء .

ومنها : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ^(٦) » ، روى الاصفهاني الأموي من عدة طرق إلى علي عليه السلام أنه قال : السلم ، ولايتنا أهل البيت ، وعن

(٢) المجادلة : ٧ .

(١) التباين : ٨

(٤) المنافقون : ١ .

(٣) براءة : ٢٥ .

(٦) البقرة : ٢٠٨ .

(٥) النور : ٣٥ .

الباقر والعابد عليه السلام نحوه ، وعن الباقر : أمروا والله بولاية علي بن أبي طالب .
ولقد قال بعض الأعيان في هذا الشأن :

أصغ واستمع آيات وحي تنزلت	✽	بمدح إمام بالهدى خصه الله
ففي آل عمران المباهلة التي	✽	بأنزالها أولاد بعض مزياء
وأحزاب حم وتحريم هل أتى	✽	شهود بما أثنى عليه وزّاء
وإحسانه لما تصدّق راکعاً	✽	بخاتمه يكفيه من نيل حسناء
وفي آية النجوى التي لم يفز بها	✽	سواء سنا رشد به تم معناه
وأزلفه حتى تبوأ منزلاً	✽	من الشرف الأعلى وآناه تقواه
وأكنفه لطفاً به من رسوله	✽	بوارق إشفاق عليه وربّاه
وأرضه أخلاف أخلاقه التي	✽	هداه بها نهج الهدى فتوخّاه
وأنكحه الطهر البنول وزاده	✽	بأنك منّي يا علي وآخاه
وشرفه يوم الغدير وخصه	✽	بأنك مولى كلّ من كنت مولا
ولو لم يكن إلا قضية خبير	✽	كفّت شرفاً فيما تراءت سجاياء



﴿الباب التاسع﴾

فيما جاء في النص عليه من رسول الله ﷺ المستلزم لا بطلان إمامة المنتقم عليه ، و يندرج فيه شيء من كلام الله سبحانه لشدة الملازمة بينهما و هو قسمان جللي و خفي : فالجللي مثل قوله ﷺ : سلموا عليه بأمره المؤمنين ، هذا خليفتي عليكم اسمعوا له و أطيعوا ، و الخفي مثل حديث الغدير و المنزلة و ربما علم مدلوله بالاستدلال الموجب للميقين و موافقة المخالف على نقله و تلقى الأمة له بقبوله و هو أمور كثيرة نذكر منها نبذة يسيرة من طريق الخصم أولاً ليكون ألزم للحجة و أثبت للنفس على المحجة ، و فيه نصوص و سيأتي بعدها فصول .

فالنصوص :

منها : ما أخرجه ابن الأثير في جامع الأصول قال و أخرجه الترمذي قال : قال النبي ﷺ : رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار ، و هو عليه السلام دارعن بيعة الأول بيقين فتكون مباءة للحق بدعوة سيد المرسلين ، و ليس لأحد أن يقول : لا يلزم من الدعاء وقوع المدعوت به . للزوم رد دعاء النبي ﷺ و لا يقول بذلك إلا القوي ؛ و لانه ﷺ لا يدعو إلا بالأذن له في الدعاء لقوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » .

و منها : ما أخرجه الملا في المجلد الخامس من الوسيلة فيما خص به علي من حديث الغدير نادى النبي ﷺ الصلاة جامعة و أخذ بيد علي و قال : ألتست بأولي من كل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ، قال ﷺ : هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من والاه ، و عاد من عاداه ، فلقيه عمر بعد ذلك و هنأه بأنه مولى كل مؤمن و مؤمنة .

قالوا : لفظ المولى يشتمل على العتق و النصرة و غيرهما فلا تتمتعين ولاية

المؤمنين بها ، قلنا : تالي الخبر يبني على مقدّمة و في مقدّمته ولاية النبي ﷺ على المؤمنين ، ولأنّ صاحب الوسيلة ذكر ذلك فيما يختصّ بأمر المؤمنين ولوأريد غيره لشاركه كثير من المسلمين ولوأريد ما قالوه من نصرته لم يكن عمر ناصراً لهم بحكم تهنئته .

إن قيل : إنّ عليّاً كان له مبالغة في النصرة دون عمر وغيره فليكن الاختصاص لأجلها لا لعدم المشاركة في أصلها . قلنا : مبالغته معلومة لكلّ أحد فالنصّ عليها بعد ذلك في مثل الحرّ الشديد ، وما أتى عليه من التوكيد ، يجري مجرى إيضاح الواضحات ، ولا شك أنّ ذلك من أعظم العيّنات .

وقد قيل : إنّ ذلك الحديث من وضع ابن الراونديّ ولو كان صحيحاً أو صريحاً لاحتجّ به ولما عدل عنه عليّ ﷺ يوم الشورى إلى ذكر فضائله من سبقه إلى الاسلام ، وإفئائه الطعام ، ومبىئته على فراش خير الأنام ، وتجهيزه لرسول الملك العلام ، وتخصيصه بالأسماء بأنه أحبّ الخلق إلى الله تعالى في خبر الطائر المشويّ عنه ﷺ إلى غير ذلك مما ذكر من صفات الإكرام . قلنا : إذا عدل عن ذكر النصّ لوجهين :

١ - لو ذكره فأنكروه حكم بكفرهم حيث أنكروا منواتراً .

٢ - إنهم قصدوا في الشورى الأفضل فاحتجّ عليهم بما يوجب تقديمه في زعمهم .

قالوا : طلب العباس مبايعة عليّ دليل عدم النصّ . قلنا : إنّما طلبها لما جملوها طريقاً فأراد أن يسبقهم إلى بيعته بما يلتزمون بصحّته .

قالوا : طلب عليّ بيعة أصحابه دليل على عدم نصّه . قلنا : الخلافة حقّه فله التوصل إليها بما يمكنه .

قالوا : يبيع أبو بكر و لم يدع أحد لعليّ نصّاً . قلنا : جاء من وجوه ذكره البخاريّ والاصفهانيّ وغيرهم .

قالوا : طلبت الأنصار منهم أميراً ومنهم أميراً فلانصّ . قلنا : عليّ لم يحضرهم

فدعيه بل كان مشغولاً بمصيبة النبي ﷺ فسارع غيره إلى فرجة خلافته وما أحسن قول بعضهم في يوم السقيفة :

حلوها يوم السقيفة أثقالاً تخفُّ الجبال وهي ثقال
ثم جاؤا من بعدها يستقبلون وهيهات عشرة لا تقال

قالوا: جهل الأول والصحب الوصيَّة لعلِّي. قلنا: فكيف نقلوها في صحاحهم عن النبي؟ وإنما ذلك لجهودهم بعد عرفانهم كما قال تعالى في الكفار: «و جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً»^(١) وسيأتي تكميل ذلك في ردِّ الشبهات والمعتزفون بوجود حديث الفدير وهم الجبلُ والجمهور كما سنعرفه في كتبهم طعنوا بما هو أوهن من بيت العنكبوت في دلالته لما لم يمتكنا من الطعن في منته .

فرواه أحمد بن حنبل في مسنده بطريق ثمانية : علي بن أبي طالب ، والبراء ابن عازب ، وزيد بن أرقم ، وشعبة ، وأبي الطفيل ، وبريدة ، والفضل ، وعبدالله ابن الصقر ، ورواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في مسنده بطريق ثمانية أيضاً رباح ، و زاذان ، وابن أرقم بطريقين ، وسعيد بن وهب ، وشعبة ، والبراء ، وعبدالرزاق .

وأورده أحمد ابن عبد ربه في الجزء التاسع والعشرين من كتاب العقد ، و أورده مسلم في الجزء الرابع من صحيحه على حد ثمان قوائم من أوَّله و ذكره الثعلبي في مواضع من تفسيره و ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين من أفراد مسلم و ذكره رزين العبدري في الجزء الثالث من الجمع بين الصحاح الستة و في سنن أبي داود السجستاني و صحيح الترمذي .

و رواه في المناقب في اثني عشر طريقاً الفقيه الشافعي علي بن المازلي وقال : حديث صحيح رواه مائة نفس و هو ثابت لا أعرف له علة تفرّد علي بهذه الفضيلة لم يشر كه فيها أحد . هذا آخر كلامه .

و أسنده في كتاب الخصائص بن علي النطنزي الذي قال فيه محمد بن النجار

أنه نادرة الفلك و كان أُوحد أهل زمانه ، و رواه ابن إسحاق ، وابن مردويه ، وابن أبي شيبة ، وابن الجعد ، و شعبة ، و الأحمش ، وابن عباس ، و ابن الفلاح ، وابن البيع ، و ابن ماجه ، و البلاذري ، و الاصفهاني ، و الدارقطني ، و المروزي ، و الباقلاني ، و الجويني ، و الخر كوشي ، و السمعاني ، و الشعبي ، و الزهري ، و الأقبليشي ، و الجعابي ، و اللالكاني ، و شريك القاضي ، و النسائي ، و الموصلي من عدة طرق و ابن بطّة من ثلاثة و عشرين طريقاً ، و صنف فيه المهلكي كتاباً و ابن سعيد كتاباً و الشجري كتاباً و الرازي كتاباً و هؤلاء كلهم من أهل المذاهب الأربعة .

شعر

فأنت الامام بما قد رووه * وأنت الوصي وأنت الخليفة
و من لا يدين بما قد رووه * يخالف جهد الدين الحنيفه
و أما غيرهم فجماعة كثيرة أيضاً منهم ابن عقدة أوردته من مائة و خمسين طريقاً و أفرد له كتاباً ، و أبو جعفر الطوسي من مائة و خمسة و عشرين طريقاً ، و رواه صاحب الكافي عن الجعابي في كتابه نخب المناقب برواة عدتهم سبعة و ثمانون نفساً .
و قال محمد بن شهر آشوب : سمعت الهمذاني يقول : أروي هذا على مائتين و خمسين طريقاً . و قال : جدّي سمعت الجويني يقول : شاهدت مجلداً ببغداد في رواة هذا الخبر مكتوب عليه المجلد الثامنة و العشرون و يتلوها التاسعة و العشرون و قال برهان الدين القزويني : إنّه سمع ذلك من بعض أصحاب أبي حنيفة ، و أسنده في الشافي بما يزيد على مائة اسناد .
و منهم الشيخ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فقد أوردته من نيف و سبعين طريقاً و أفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية .

منها : باسناده إلى زيد بن أرقم لما نزل النبي ﷺ ببغدير خم في حر شديد أمر بالدُّوحات فقامت و نادى : الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال إن الله تعالى أنزل إليّ : و بلغ ما أنزل إليك [من ربك] و إن لم تفعل فما بلغت

رسالته والله يصمك من الناس وقد أمرني جبرائيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخي ووصي وخليفتي والامام بعدي .

فسألت جبرائيل أن يستعفيني من ربي لعلمي بقلّة المشفقين ، وكثرة المؤذنين لي واللاّئمين ، الكثرة ملازمتي لعلمي وشدة إقباله علي ، حتّى سمّوني أذنأ فقال تعالى فيهم : « الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ خَيْرَ لَكُمْ ، وَلَوْ شِئْتَ أَنْ أَسْمِيَهُمْ وَأَدُلُّ عَلَيْهِمْ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنِّي بَسْتَرَهُمْ قَدْ تَكْرَهُتَ ، فَلَمْ يَرْضَ اللَّهُ إِلَّا بِتَبْلِيغِي فِيهِ .

فاعلموا معاشر الناس ذلك فإن الله قد نصبه لكم إماماً و فرض طاعته على كل أحد ، ماض حكمه جائز قوله ، ملعون من خالفه مرحوم من صدّقه ، اسمعوا وأطيعوا فإن الله مولاكم وعلي إمامكم ثم الامامة في ولدي من صلّبه إلى يوم القيامة لاحتلال إلا ما حلّله الله وهم ، ولا حرام إلا ما حرّمه الله وهم ، فصلّوه فما من علم إلا وقد أحصاه الله في وقتلته إليه .

لا تضلّوا عنه ، ولا تستنكفوا منه ، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به ، لن يتوب الله على أحد أنكره ، ولن يغفر له ، حتم على الله أن يفعل ذلك ، وأن يمدّه عذاباً نكراً أبداً لا يدين فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق ، ملعون من خالفه .

قولي عن جبرائيل عن الله « فليتنظر نفس ما قدمت لقد ، افهموا محكم القرآن ولا تتبّعوا متشابهه ، ولن يفسّر لكم ذلك إلا من أنا آخذ بيده ، شائل بعضه ، ألا وقد أدّيت ، ألا وقد بلغت ، ألا وقد أسمع ، ألا وقد أوضحت .

إن الله قال ، وأنا قلت عنه ، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره ، ثم رفعه إلى السماء حتّى صارت رجله مع ركبته عليه السلام وقال :

معاشر الناس ! هذا أخي ووصي ، وواعي علمي ، وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربي ، اللهم إنك أنزلت عند تبين ذلك في علي : « اليوم أكملت

لكم دينكم ، بامامته فمن لم يأت به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة
 و فاء ذلك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ، إن إبليس أخرج آدم من الجنة
 مع كونه صفوة الله بالحسد ، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم ، وتزل أقدامكم في علي
 نزلت سورة والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا ووصى بالحق والصبر .

معاشر الناس ! آمنوا بالله ورسوله و النور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس
 وجوهاً فنردّها على أديارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت . النور من الله في
 ثم في علي ثم في النسل منه إلى القائم المهدي .

معاشر الناس ! سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون
 وإن الله و أنا بريثان منهم إنهم أنصارهم و أتباعهم في الدرك الأسفل من النار ، و
 سيجعلونها ملكاً واغتصاباً ، فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان ، ويرسل عليكم شواظ
 من نار ، ونحاس فلا تنتصران .

معاشر الناس ! عدو لنا كل من دمه الله ولعنه ، وولي لنا كل من أحبه الله
 ومدهحه .

ثم ذكر ﷺ الأئمة من ولده ، وذكر قائمهم ، وبسط يده وأوصاهم بشعائر
 الإسلام ، ودعاهم إلى مصافقة البيعة للإمام ، و قال : إن ذلك بأمر الملك العلام .
 معاشر الناس ! قولوا أعطيناك على ذلك عهداً من أنفسنا وميثاقاً بالسنتنا و
 صفقة بأيدينا نؤيده إلى من رأينا وولّدنا ، لا نبغي بذلك بدلاً وأنت شهيد علينا ، و
 كفى بالله شهيداً .

قولوا ما قلت لكم ، وسلموا على علي بإمرة المؤمنين ، وقولوا الحمد لله الذي
 هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، فإن الله يعلم كل صوت ، و خاتمة
 كل عين ، فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه
 أجراً عظيماً .

قولوا ما يرضى الله عنكم ، وإن تكفروا فإن الله غني عنكم .

فعند ذلك بادر الناس بقولهم : نعم سمعنا وأطعنا على ما أمر الله ورسوله بقلوبنا
و كان أول من صافق النبي ﷺ وعلياً أبو بكر و عمر وعثمان و طلحة و الزبير و
باقي المهاجرين وباقي الناس إلى أن صلى الظهرين في وقت واحد وامتد ذلك إلى
أن صلى العشاءين في وقت واحد واتصل ذلك ثلاثاً .

وبالجملة فهذا أمر لشهرته لا يحتاج الولي إلى إثباته لمن جدد ، ولا يستطيع
الموالي نفيه وإن جهد ، وقد فهم كل من حضر ذلك المشهد السنّي ، ما أراد النبي
ﷺ لعليّ ، فلا يخرج به إلى التأويل سوى النبيّ القوي .

وفي رواية ابن مردويه وهو من أعيانهم إنهما لم يفترقا حتى نزلت في اليوم
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، الآية فقال النبي ﷺ الله أكبر على
كمال الدين وتمام النعمة ، ورضى الرب برسالي ، و الولاية لعليّ بن أبي طالب
وروى نزولها فيه أبو نعيم أيضاً .

قالوا : لودل على الامامة لكن إماماً في حياة النبي ﷺ لا إطلاق للخبر ولعموم
ولاية النبيّ الأوقات ، فكذا هنا . قلنا : الإطلاق لا يقتضي العموم ، وقد قال تعالى
و المؤمنون بعضهم أولياء بعض ، وذلك في بعض الأحوال وبعض الأزمان ، وقد علم
كل أحد أن الخليفة لا يكون حال حياة من نصبه ، بل بعد ذلك ، فلم يجب تصرفه
في حياته بالأمر والنهي .

إن قيل : فإذا خرج عن عموم حال الحياة ، فليخرج ما بعدها إلى آخر
ولاية عثمان ، قلنا إنما أخرجنا من العموم حياة الموصي للعرف أمّا بعدها فلا
رافع للعموم .

إن قيل : لولا ثبوت عموم الولاية لبطل قول عمر أصبحت مهلاي وموالي كل
، ومؤمن ومؤمنة ، قلنا : التهنئة في الحال تقتضي ثبوت الاستحقاق في الحال لا ثبوت
الأمر والنهي في الحال .

وقد استأذن حسان بن ثابت في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول
فيه فاذن له فقال :

يناديهم يوم الغدير نبيهم * بخمّ وأسمع بالنبي مناديا
 بأنّي مولاكم نعم ووليكم * فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
 إلهك مولانا وأنت نبيّنا * ولن تجدن منّا لك اليوم عاصيا
 فقال له قم يا عليّ فأنّني * رضيّتك من بعدي إماماً وهاديا
 وقد أسند ذلك إلى حسن سبط [ابن] الجوزي في الخصائص و الفقيه حميد
 في المحاسن .

قالوا : ذلك لواقعة زيد بن حارثة حين قال له عليّ عليه السلام : تنازعني وأنا
 مولاك فشكى زيد ذلك إلى النبي فقال ﷺ : من كنت مولا فعليّ مولا . قلنا :
 مات زيد قبل الغدير بسنتين كما أخرجه في جامع الأصول فلما لزمهم بذلك
 الفضيحة إلى القيامة ، نقلوا واقعة زيد إلى أسامة ، و للقرينة الحالية من النزول
 في الهاجرة ، وإقامة الرجال ، و المقاليّة من الخطبة و التحرير و إثبات الولاية
 لنفسه أولى بمنع ذلك الاحتمال .

و حكى سبط [ابن] الجوزي في الباب الثالث من كتاب خواص الأئمة عن
 كتاب سرّ العالمين للغزالي حين أورد الغزالي حديث الغدير وبخ بن عمر قال : هذا
 رضی و تسليم ، و ولاية و تحكيم ، و بعد ذلك غلب الهوى ، و حب الرئاسة ، و عقود
 البنود ، و ازدحام الجنود ، فحملهم على الخلاف ، فنبذوه وراء ظهورهم ، و اشترابه
 ثمناً قليلاً ، فبئس ما يشترون انتهى كلامه و فيه تبصرة لذي بصيرة .

على أنّه لو كان المراد واقعة زيد لم يحتج عليّ في الشورى بخبر الغدير في
 جملة فضائله بل كانوا قالوا و أيّ فضيلة لك في ذلك ؟ و إنّما هو لكذا و كذا ، و
 لأنّ تهنئة عمر تبطل ذلك ، ولو سلم أنّ السبب ذلك لكن جاز أن يعم كغيره من
 الآيات التي نزلت على أسباب ثمّ تمت .

إن قيل : فإذا كان معنى «مولى» فرض الطاعة فأطلقوه على الأب والمستأجر ؟
 قلنا : لا مانع منه لغة لولا أغلبية الاستعمال عرفاً فإنّ الوالد أولى بتدبير ابنه و
 المستأجر أولى باستعمال أجيريه .

قال الجاحظ : من كنت مولاه فعلي^١ مولاه ، ومن كنت وليه فعلي^٢ وليه شر كه فيه سعد بن معاذ . قلنا : هذا خلاف الاجماع إذ لم يسع لبشر أن يقول كل من كان الرسول أولى به فسد^٣ أولى به . وإن أريد النصرة فلا يصح^٤ أن يقال كل من كان النبي^٥ ناصره فسد ناصره .

اعترض المخالف بمنع صحة الحديث ودعوى العلم الضروري^٦ به ممنوعة لمخالفتنا قلنا : قد شرط المرتضى في قبول الضروري عدم سبق شبهة تمنع من اعتقاده وهو حق^٧ فإن^٨ اعتقاد أحد الضدين يمنع من اعتقاد الآخر والمخالف تمكّنت في قلبه الشبهة فمنعته من ذلك .

قالوا : نجد الفرق بينه وبين الوقائع العظام . قلنا : يجوز التفاوت في الضروريات .

قالوا : لم ينقله مسلم و البخاري و الواقدي ، قلنا : عدم نقلهم لا يدل^٩ على بطلانه ولو نقلت الرواة كل^{١٠} خبر لم يختلفوا في خبر أصلاً .

قالوا : لم يكن علي^{١١} حاضراً يوم الغدير ، بل كان في اليمن . قلنا : نقل حضوره كل^{١٢} من نقل الخبر وبعضه شعر حسن وبخبة مهر .

قالوا : فنحن نقلنا تواتر فضائل الشيخين . قلنا : لا يلزم من ذكر الفضيلة فيهما ليستميلهما ثبوت إمامتهما كما ذكر فضائل غيرهما .

قالوا : نقلنا أخباراً في خلافتها . قلنا : نجزم بردّها لما قضتها ما تواتر لعلي^{١٣} و امتناع التناقض في حديث النبي^{١٤} .

إن قالوا : ليس الحكم بثبوت نقيضكم وحذف نقيضنا أولى من العكس . قلنا : نحن و أنتم نقلنا نقيضاً فما وقع فيه الخلف أولى بالحذف .

قالوا : لم يكن لكم كثرة تفيد التواتر ابتداء . قلنا : لانسلم عدمها ، على أنكم شاركنمونا فيها و ليس كل^{١٥} مقبول مشروط بالكثرة كالمحتف بالقرائن .

قالوا : و ليس لكم أن تسندوا صحة هذا الخبر إلى الاجماع لاعتبار الامام فيه عندكم ، فلو أثبتهم الامام فيه عندكم لزم الدور . قلنا : هو من المتلقى بالقبول

الموجب للجزم به ، و نقله المخالف مع شدة معاندته ، فالاجماع معتبر به فيما بعد ثبوته .

قالوا : يجوز أن يعلم الامام كذبه و يكتمه للخوف من إظهاره .
قلنا : مرادنا بالاجماع إطباق الخلق عليه وقد وقع فعلت صحته ولأنه إن كان الحق كذبه فلا خوف على الامام في إظهاره لموافقته طبع الجمهور المنكرين له إذ كان يريهم من التعسف في تأويله .
قالوا : قلتم احتج به في المناشدة ولانعلم صحة ذلك قلنا : علمت بالضرورة كما علم أصل الخبر .

قالوا : يجوز أن لا تصل المناشدة به إلى كل الصحابة ، ولو وصلت لأنكره كلهم أو بعضهم . قلنا : لا يشك في حضور المعتبرين من الصحابة يوم الشورى وإذا لم ينكره أحدهم مع طمعهم في الإمرة قبلاً أولى أن لا ينكره غيرهم .
قالوا : قد يحصل الإنكار ولم ينقل . قلنا : هو من الوقائع العظام فتتوفر الدواعي إلى نقلها لو وقعت .

قالوا : يجوز منهم ترك الإنكار تقية . قلنا : لا ينصور خوف الأمير من قوم قليلين ، و أراهم ما خافوا عند سلبه لمنصبه ، مع اطلاعهم على موجهه .
قالوا : قلتم : مقدمة الخبر وهي « ألسنت أولى منكم بأنفسكم » تدل على الامامة في تاليه ، فنحن نمنع وصول المقدمة ، قلنا : كل من نقلها نقلها .
قالوا : لم يذكرها علي في الشورى ، قلنا : لا نسلمه ، و عدم نقلها عنه لا يدل على عدمها منه ، و لجواز تركها للفناء عنها .

قالوا : ولو قالها فلا دلالة فيها على بناء تاليه عليها ، لحسن التوكيد والاستفهام بعده ، فان من قال عند جماعة : « عبيدي زيد حر » حسن الاستفهام منهم أن يقولوا وقت إشارتهم : أي عبيدك تريد ؟ و حسن منه أن يقول عبيدي الذي هو زيد .
قلنا : نمنع حسن الاستفهام إلا للفافل ، و نمنع حسن التوكيد لامتناع فهم غير المذكور .

قالوا : لا يدل لفظة « مولى » على « أولى » ، لأن مفعل موضوعه لفظة للحدث وأفعل موضوعه للتفضيل .

قلنا : إن مفعل مع وضعها للحدث لا تنقي غيرها ، وإلا لما أطلقت على باقي معاني مولى كالمعتق وغيره ، وقد أجمع أهل اللغة على اشتراكها فيها ، ولو وضعت مفعل للحدث لفظة لا يمتنع وضعها للتفضيل عرفاً .

على أن المبرِّد والفرَّاء وابن الأنباري وغيرهم ذكروا أنها بمعنى أفعل التفضيل .

قالوا : لم يذكرها الخليل وأضرابه بمعنى أفعل التفضيل . قلنا : لا نسلم عدم ذكره ، وعدم وجدانكم لا يدل على عدمه .

قالوا : الأصل عدمه . قلنا : فلا يلزم من عدمه بطلان ثقل غيره ، لجواز التسهيل في تركه ، والاكتفاء بنقل غيره ، أو تركه لشهرته ، على أنه لو صرح بانكراه لم يبطل لكونه شهادة على نفي فكيف مع سكوته .

قالوا : من ذكره من أهل اللغة في التفسير ذكره مراسلاً لم يسند إلى أصل قلنا : اكتفوا بارساله لظهور الرواية .

قالوا : لو كان « مولى » بمعنى « أولى » ، لصح أن يقرن باحدهما ما يقرن بالأخرى وليس كذلك إذ لا يقال مولى من فلان كما يقال أولى منه .

قلنا : لا نسلم أن كل لفظة ترادف الأخرى ، يصح أن يقرن بها ما يقرن بالأخرى ، فإن صحة الافتران من عوارض الألفاظ لا من لوازمها ، فإن الأوتاد والجبال مترادفة ويقال ضربت الوتد وسرت في الجبل دون العكس فيهما .

قالوا : أهل اللغة قسمان قسم حملها على معنى القرب كما يقال فلان يلي كذا أي قريب منه ، وقسم حملها على جميع معانيها فمن قال بحملها على معنى واحد منها ، وهو ولاية النصرة خرق الإجماع .

قلنا : لا نسلم الحصر في القسمين ، فإن منهم من جعلها للقدر المشترك ، على أننا لا نسلم إجماع القسمين على ذلك ، ومعنى القرب غير مراد هنا وإلا كسر لام

المولى ، على أنه وإن احتمله ، فما حملناه عليه و هو الإمارة أكثر فائدة ترجيح .
قالوا : إن دلت مقدّمته على أولوية التصرف ، دلت مؤخرته على النصرة
في قوله ﷺ : « و انصر من نصره » . قلنا : لا يتبادر إلى الذهن إلا ولاية التصرف
فأنه غير لائق إلا بسلطان له أولياء و أعداء و خدّال و أنصار .

قالوا : قد كان الغدير بعد عام الفتح فأراد النبي ﷺ أن يبين به لمن هو
قريب الاسلام عظم منزلة عليّ ، ليذهب ما في نفوسهم من الحقد له ، لقتله أقاربهم .
قلنا : لم يشك أحد من المسلمين و غيرهم في عظم منزلته من رسوله ، لقيام الدين
بسيغه دون غيره ، فلم يحسن من النبي ﷺ مع شدة الحرّ ، تعريف ما يعترف كل
أحد به .

قالوا : إمامته عندكم ثابتة بالنص الجليّ فلا فائدة بعده بالنص الخفيّ .
قلنا : لم يكن النص الجليّ بمثل هذا الجمع العظيم ، فقصد النبي ﷺ شهرته
لقرب وفاته منه ، فصار إظهاره مضيّقاً عليه ، لمسيّس الحاجة إليه .

قالوا : في القرآن لفظة أولى لغير الولاية « إن أولى الناس بإبراهيم للذين
اتبعوه ^(١) » ، و في العرف التلامذة أولى بالأستاذ ، و الرعيّة أولى بالسلطان .
قلنا : ذلك لا ينافي ما قلناه إذ معناه الذين اتبعوا إبراهيم أولى بالتصريف
في خدمته دون غيرهم ، و كذا الآخرون .

و بالجملة فاللفظة لا تحتل غير ما فهم منها الحاضرون ، و لو تركت هذه
الاعتراضات ، و خلّي العاقل عن النظر فيها ، لم يفهم سوى ما ذكرناه ، و الماه الصافي
إذا خضع في منبعه تكدر ، و إذا ترك صفا ، فكذا في هذه و نحوها و بالله العصمة
من ذلك ، و هذه الوجوه و إن تكرّرت ألفاظها فإنما هي للاستيناس بها .
إذا شعرت بهذا الباب ، فلنورد فيه شيئا ممّا شعرت أو لو الأبواب فقال عليّ
عليه السلام :

أنا البطل الذي لن تنكروه * ليوم كريهة أو يوم سلم
و أوجب لي ولايته عليكم * رسول الله يوم غدير خم
وقال كميت :

و يوم الدّوح دوح غدير خم * أبان له الولاية أو أطيعا
ولكنّ الرّجال تبايعوها * فكم لك مثلها خطباً منيعا
ولم أرمثل ذاك اليوم يوماً * ولم أرمثله حقّاً أضيعا
وروي أنّ ابن الكميت رأى النبي ﷺ في المنام فقال أنشدني قصيدته أبيك
فلمّا وصل إلى هذا بكى بكاء شديداً وقال ﷺ : صدق أبوك رحمه الله ، إي والله
لم أرمثله حقّاً أضيعا .

وقال عمرو بن العاص :

وضربته كبيعته بخم * معاقدها من الناس الرقاب
هو النّبأ العظيم وفلك نوح * وباب الله وانقطع الخطاب

وقال الزاهي :

من قال أحد في يوم الغدير له * بالنقل عن خبر بالصدق مأثور
قم يا عليّ فكن بعدي لهم علماً * واسعد بمنقلب في البعث محبور
مولاهم أنت والموفي بأمرهم * نصّاً بوحي على الأفهام مسطور
و ذاك أنّ إله الحقّ قال له * بلغ وكن عند أمري خير مأمور
فان عصيت ولم تفعل فانك ما * بلغت أمري ولم تصدع بتذكير

وقال صاحب :

وقالوا عليّاً علا قلت لا * فانّ العلّيّ بعليّ علا
وما قلت فيه بقول الغلا * ولا كنت أحسبه مرسل
ولكن أقول بقول النبيّ * وقد جمع الخلق كلّ الملا
ألا إنّ من كنت مولى له * يوالي عليّاً وإلا فلا

و قال أبو الفرج :

تجلى الهدى يوم الغدير عن الشبه	✽	و برز إبريز البیان عن الشبه
و أكمل رب العرش للناس دينهم	✽	كما نزل القرآن فيه فأعربه
و قام رسول الله في الجمع جاذباً	✽	بضبع علي ذي النعالي على الشبه
و قال ألا من كنت مولى لنفسه	✽	فهذا له مولى فيالك منقبه

و قال الملك الصالح :

و يوم خمّ وقد قال النبي له	✽	بين الحضور و شالت عضده يده
من كنت مولى له هذا يكون له	✽	مولى أثناني به أمر يؤكده
من كان يخذله فالله يخذله	✽	أو كان يعضده فالله يعضده

و قال الجوهرى :

أما أخذت عليكم إذ نزلت بكم	✽	غدير خمّ عقوداً بعد أيمان
و قد جذبت بضبعي خير من وطئ	✽	البطحاء من مضر العليا و عدنان
و قلت والله يابى أن أقصر أو	✽	أعفي الرسالة من شرح و تبيان
هذا عليّ لمولى من بعثت له	✽	مولى و طابق سرّي فيه إعلاني
هذا بن حمّي و والي منبري و أخي	✽	و وارثي دون أصحابي و إخواني
محلّ هذا إذا قايست من بدني	✽	محلّ هارون من موسى بن عمران

و قال السيّد الحميري :

و قال في الناس النبي الذي	✽	كان بما قيل له يصدع
فقام مأموراً و في كفّه	✽	كفّ عليّ لهم تلمع
رافعها للناس أكرم بها	✽	كفّاً و بالكفّ التي ترفع
من كنت مولاه فهذا له	✽	مولى فلم يرضوا و لم يقنعوا

و ذكر ذلك في إحدى و عشرين موضعاً من شعره و منها :

قد قال يوم الدّوح خير الورى	✽	بوجه للناس مستقبل
من كنت مولاه فهذا له	✽	مولى فلم يرضوا و لم يقبلوا

- لكن تواصلوا عليّ الهدى ✧ أن لا يوالوه و أن يخذلوا
وقال العوني :
- حتى لقد قال ابن خطاب له ✧ لما تنوَّس^(١) من هناك وقاما
أصبحت مولاي ومولى كل من ✧ صلى لرب العالمين و صاما
وقال أبو تمام :
- ويوم الغدير استوضح الحق أهله ✧ بفيحاء ما فيها حجاب ولاستر
أقام رسول الله يدعوهم بها ✧ ليقريهم عرف و ينهـاهم نكر
يمدُّ بضبعه و يعلم أنه ✧ ولي و مولاكم فهل لكم خبر
وقال أبو نواس^(٢) :
- قام النبي بها يوم الغدير لهم ✧ والله يشهد و الأملاك و الأمم
حتى إذا أنكر الشيخان صاحبها ✧ باتت تنازعها الذئبان و الرخم
وصيرت بينهم شورى كأنهم ✧ لا يعلمون ولاه الأمر أين هم
تالله ما جهل الأقوام موضعها ✧ لكنهم ستروا وجه الذي علموا
وقال محسن بن داود :
- فيما نظرت إلى كلام عهد ✧ يوم الغدير وقد أقيم المحمل
من كنت مولاه فهذا حيدر ✧ مولاه لا يرتاب فيه محصل
نص النبي عليه نصاً ظاهراً ✧ بخلافة غراً لا تناوُل
وقال غيره :
- وسمّاه مولى بإقرار من ✧ لو اتبعت الحق لم يجحد
فملتم بها حسد الفضل منه ✧ و من يك مولى الورى يحسد
فهذه نبذة من أقوال العلماء و الشعراء ، و كل خبر نحري عن غني عن تطويل

(١) أى شمع برأسه و تنهى ، و يحتل أن يكون « تقوض » من تقوض الصفوف

بمعنى تفرقت .

(٢) أبو فراس ، خ .

و تحرير ، فلورود ذلك على مرور الأزمان في علي لا يمكن ججده العدو الغوي و يؤكّد إيمان الولي الوفي .

و بالجملة لو أمكن إنكار هذا الحديث ، لم يعلم صحة كل حديث ، و قد روي أن يوم الغدير شهد فيه عليّ ستون ألفاً و قيل سنة وثمانون ألفاً من الأماص و القبائل المنتمية قات ، وإذا بلغ الخبردون هذا انتظم في سلك المتواترات ، فالمراتب فيه ممن طبع على فؤاده ، جزاء لانحرافه عن الحق و عناده .

وقد ذكر الرازي و القزويني و النيشابوري و الطبرسي و الطوسي و أبو نعيم أنه لما شاع ذلك في البلاد ، أتى الحارث إلى النبي ﷺ و قال : يا رسول الله هذا شيء منك أم من الله ؟ فقال ﷺ : و الله إنه من أمر الله تعالى فوّلّي يريد راحلته ، فقال حينئذ : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فرماه الله تعالى بحجر على هامته فخرج من دبره فقتله ، فأنزل الله تعالى حينئذ : « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع » (١) .

و روى معاوية بن محمد عن الصادق عليه السلام أن رجلاً قال : إنما هو شي يتنوّله فأنزل الله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لا أخذنا منه باليمين » ثم لقطعنا منه الوتين » (٢) .

و في الحديث أنه نصّ على عليّ بالامامة في ابتداء الأمر ، جاءه قوم من قريش و قالوا : يا رسول الله الناس قريبوا عهد بالاسلام ، ولا يرضوا أن تكون النبوة فيك ، و الامامة في عليّ ابن محمّد ، فقال ﷺ : ما فعلته برأيي فأتخير فيه ، و لكنّ الله أمرني به و فرضه عليّ ، قالوا : فأشرك معه رجلاً من قريش اثلاً تخالف الناس عليك ، فنزلت : « لئن أشركت ليحبطنّ عملك ، و لتكوننّ من الخاسرين » (٣) . و نحوه خبر آخر عن الصادق عليه السلام .

(١) المعارج : ٢ .

(٢) العنقا : ٤٦ .

(٣) الزمر : ٦٥ .

وعن أبي الحسن الماضي عليه السلام و عن الباقر عليه السلام أن ابن هند قام و تمطى و خرج مغضباً ، و قال : والله لا نصدق عهداً على مقالته ، ولا نقر لعلي بولايته فهم النبي عليه السلام بقتله فقال له جبرائيل عليه السلام : « لا تحرك به لسانك لتعجل به ^(١) » و أنزل الله : « و قال الذين لا يرجون لقاءنا أت بقرآن غير هذا أو بدله ^(٢) » ، يعنون : اجعل لنا أئمة دون علي فهذا كله حسداً منهم لعلي الأطهر ، و ماتخفي صدورهم أكبر .

و قد روى أبان بن تغلب أن الصادق عليه السلام قال : إن أبا بكر و عمر هزأ رأسهما و قالوا : لا نسلم له أبداً فسمعهما رجل فأعلم النبي عليه السلام بذلك ، فأحضرهما فأنكرا قولهما ، فنزلت قوله تعالى « يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر - إلى قوله - فان يتوبوا يك خيراً لهم و إن يتولوا يعدّ بهم الله عذاباً أليماً ^(٣) » ، قال الصادق عليه السلام : والله تولوا و ماتا و ماتا . و روي عن الباقر عليه السلام نحو ذلك . و من هذا و غيره استحق العذاب و اللعن في الدنيا و الآخرة ، كما قال و فعل الحارث الفهرقي و قد أسلفناه .

و في المقنع أن سالماً مولى أبي حذيفة ، و أبا عبيدة لما رأيا النبي عليه السلام رافعه قال بعضهم : انظروا إلى عينيه تدوران كأنهما عينا مجنون ، فنزلت « و إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون إنه لمجنون و ما هو إلا ذكر للعالمين ^(٤) » .

تذليل :

إن قيل : إن الامامة إن كانت ركناً في الدين ، فقد أخل الله و رسوله بها

(١) القيامة : ١٦ .

(٢) يونس : ١٥ .

(٣) براءة : ٧٥ .

(٤) القلم : ٥٢ .

قبل يوم الغدير ، إذ فيه أنزل : « اليوم أكملت لكم دينكم ^(١) » ، ولزم أن من مات قبل ذلك ، لم يكن مؤمناً لغوات ركن من إيمانه ، وفيه تأخير البيان عن [وقت] الحاجة ، وإن لم تكن ركناً لم يضر تركها .

قلنا : هي ركن من بعد موت النبي ﷺ لقيامه مقامه ، فلا تأخير عن الحاجة ولا شك أن دين النبي ﷺ إنما تكتمل تدريجاً بحسب الحوادث ، أو أنه كمل قبل فرض التكليف ، والمؤمنون قبل الغدير كمل الدين لهم بالنبي ﷺ ، والخطاب للحاضرين ، وليس فيه تكميل الدين لغيرهم .
على أن النبي ﷺ نص على علي في مواضع شتى في مبدأ الأمر ، وسيأتي شيء منها في آخر هذا الباب .

تذليل آخر :

قد سلف [أن] لفظة مولى مرادفة للأولى ، لأن النبي ﷺ قال : « ألسنت أولى ، ثم قال : فمن كنت مولاه فعلي له مولى ، وقال الله تعالى : « النار مولاكم » ^(٢) » وذكر ذلك أبو عبيدة وابن قتيبة وليبد في قوله : « مولى المخافة خلفها وأمامها » ^(٣) ، والأخطل في قوله « فأصبحت مولاهم من الناس كلهم » ^(٤) وذكر ذلك القول في كتاب معاني القرآن وابن الأنباري في كتاب مشكل القرآن .
وقد روي أن ابن مسعود قرأ : « إنما مولاكم الله ورسوله » ^(٥) وقد فهم كل من حضر أن المراد بالمولى الإمامة ، ولو أراد غيرها لما أقرهم النبي ﷺ عليها إذ هو في أشعارهم بها ، وكذا القيام في ذلك الحر الشديد ، والتمهته والبخبخة وقد استغفى النبي ﷺ ثلاثاً فلم يغفره ، وخاف أن يقتله الناس ، فبشره بالعصمة منهم .

(١) المائدة : ٣ .

(٢) يريد قوله تعالى : « ما أواكم النار هي مولاكم » في سورة الحديد : ١٥ .

(٣) أوله : ففتت كلا الفرجين تحسب أنه .

(٤) وبعده : و أخرى قريش أن تهاب وتحمدا .

(٥) يريد قوله تعالى : إنما وليكم الله ورسوله في المائدة : ٥٨ .

سؤال : كيف يستغني و هو لا ينطق عن الهوى ، فكأن الله أمره بشي ، و أمره بالاستغناء عنه .

جواب : لا محال في ذلك ، و تكون الفائدة فهم الحاضرين شدة التأكيد من الرب المجيد ، ليعلمهم أنه لا بد له و لا عنه محيد ، ويمثله ما فعله النبي ﷺ من إرساله لأبي بكر بسورة براءة و ذلك بأمر الله لعموم الآية ثم أمره الله بمزله لينبته به على عدم صلاحه ، ولو لم يبعثه أولاً لم يكن فيه من التأكيد ، ما كان في بعثه و عزله ، و أمّا لفظ « ألت » فهي للتقرير و الإيجاب ، منه :

ألتسم خير من ركب المطايا ☞ و ألتدى العالمين بطون راح
و في يوم الغدير نصب موسى يوشع و عيسى شمعون و سليمان آصف فأمر الله تعالى عمداً ﷺ أن ينصب فيه علياً و هذا يسقط كل ما يبولون به من أنه أراد غير معنى الإمامة .

تذليل آخر :

قال الجوزي لأبي هارون الخارجي أمروا - الناس - بخمسة فعملوا بأربع : الصلاة ، و الزكاة ، و الحج ، و الصيام ، و تركوا الخامسة و هي الولاية لعلي قال الخارجي و إنها لمفترضة ؟ قال : نعم ، قال الخارجي : فقد كفر الناس إذا قال فما ذنبي أنا ؟

ومنها قوله ﷺ حين خرج إلى تبوك فقال المنافقون : إنما خلفه استنقلاً به ، فلحقه فأخبره فقال ﷺ : أما ترضى أن تكون منسي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، ولا يرتاب عاقل أن منزلة هارون من موسى أعظم من غيره من أصحابه ، فكذا علي من النبي ﷺ فهو أولى بالإمامة من غيره .

وقد أخرج صاحب جامع الأصول في صحيح النسائي عن علي عليه السلام كان له من النبي ﷺ منزلة لم تكن لأحد ، و لو عرف النبي ﷺ مسد غيره مما عساه يعرض من أعدائه في المدينة ، لاستخلف غيره ، و لو عرف مسد غيره في غزواته ، لاستخلفه دائماً و لو علم في تبوك حرباً لم يتركه .

قيل لابن الجوزي: هل جرى في تبوك قتال؟ فقال: فقدت الحرب الشجاع فمن يقاتل؟

فلما استخلفه في آخر مرة ولم يعزل عمت خلافته الأيتام والأنام، وهذا أقوى من استدلالهم على خلافة أبي بكر بصلاته لو ثبتت.

قالوا: إنما كان قول النبي ﷺ ذلك فيه تسلياً له، فلا يدل على خلافته قلنا: لا، بل ذلك دال على فضيلته، فلا وجه لتخصيصه بتسليته، ولئن سلم فهو دليل على عظم شفقته، لكبر منزلته الموجبة لاستحقاق إمامته، وأنتم جعلتم قول النبي ﷺ لأبي بكر: لا تحزن، دليلاً على كبر منزلته.

قالوا: استخلف على المدينة ابن أم مكتوم أحد عشر مرة وهو لا يصلح للإمامة لكف بصره، قلنا كفى بعلي شرفاً توليته وعزل غيره، ولولا أن الله أراد لعلي إبراز فضيلته، لم يذكر الناصب عزل غيره في حجته.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود قالوا: هارون مات قبل موسى، فلم يكن له إمامة بعده، فكذا علي بعد النبي ﷺ. قلنا: دلالة على أفضلية علي عليه السلام توجب الخلافة له بعد النبي ﷺ ولوعاش هارون لكان خليفة له إذ لوعزله لكان انحطاط منزلته ولا موجب لها. ولا يلزم من نفي خلافة هارون لمانع الموت نفي خلافة المشبه به، فان قال أحد لو كيله أعط زيداً كذا إذا حضرك وأنزل عمرأ منزلته، فإذا لم يأت زيد لم يمنع عمرو، وقد عاش علي بعد النبي ﷺ فهو خليفة له.

وقول النبي ﷺ: لا نبي بعدي دال على أنه يفارق هارون في هذه الخصلة وإلا لخلا الاستثناء عن الفائدة.

قالوا: أخوة موسى لهارون بالقرابة، وليست أخوة النبي ﷺ لعلي بالقرابة فكيف يشبه به، قلنا: لا شك أنه من المجاز لأجل المشاكاة، وهو مشهور قال تعالى: «وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها»^(١)، والمقصود

المشاكلة في الأوصاف المستحسنة فإن قولهم زيد كالأسد يقتضي المناسبة في أعلى الرتب ، لا أن يكون له ناب وذنب .

قالوا : لم يحصل من خلافة هارون إلا الفتنة العظيمة بعبادة العجل ، و مثله في خلافة علي حيث قامت الفتن بقتال الفرق الثلاث ، حتى وهن الاسلام ، وطعنت الأعداء فيه بمسي الكلام ، فلم لا يكون التشبيه لهذه الوصمة الواقعة في الأنام . قلنا : ليس وقوع الفتنة عند خلافة هارون بسبب هارون ، وإن كانت عندها وقد أضاف الله في الوحي الإلهي زيادة الرجس إلى السورة ، و التقور إلى النبي ﷺ و إنما حصلت بالسامري وقد قال هارون و إنما فقتم به (١) . ولو كان ذلك هو المراد لم يكن في قول النبي ﷺ تسلمية لعلي لأنه حينئذ إعلام له بأنه سبب المحنة ، و موجب الفتنة .

و أي رذيلة في قتال الفرق الثلاث ، وقد بشره النبي ﷺ بها ، و مدحه عليها ، فقد نقل الفرء في كتابه شرح السنة مسنداً إلى الخديري قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال أبو بكر : أنا قال : لا ، قال عمر : أنا . قال : لا ، و لكن خاف النعل و كان علي ﷺ يخفف نعل النبي ﷺ .

و أخرج البخاري قول النبي ﷺ : طوبى لمن قتلهم و قتلوه ، و أخرج صاحب الوسيلة في المجلد الخامس دخول علي ﷺ على النبي ﷺ في منزل أم سلمة و قوله لها : هذا علي أخي ، لحمه من لحمي ، و دمه من دمي ، و عيبة علمي و محبي سنتي يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين بعدي ، اسمعي يا أم سلمة و اشهدي و أن رجلاً عبد الله ألف عام ثم لقيه و هو يفض علياً و عترته [أ] كبه الله على أم رأسه في النار .

و نقل خطيب دمشق الشافعي عن الشافعي : أخذ المسلمون قتال المشركين

من النبي ﷺ و قتال البغاة من علي عليه السلام .

و أخرج أيضاً قتاله الفرق الثلاث صاحب شرح السنة مسنداً إلى ابن مسعود إلى النبي ﷺ و أخرجه نظام الدين الشافعي في شرح الطوالع ، و ابن حنبل في مسنده .

فقد بان لك أن قتاله لهم حسنة و أنه تمهيد للدين في زمان ولايته ، كما كان في ابتدائه ، و كل من أخرج الحديث أخرجه في فضائله و المله اند الشقي يقول : إن الدين و هن بتوليته ، فما أحسن قول بعضهم :

إذا محاسني اللاتي أمن بها صارت ذنوباً فقل لي كيف أعتذر
على أننا نرجع و نقول : النبي ﷺ ذكر حديث المنزلة في عدة مواطن آخرها ما أكد له في خروجه إلى تبوك ، و ذكره ابن حنبل في مسنده عن الخديري و عن سعد بن أبي وقاص بطريقين .

و ذكره عبد الله بن أحمد بن حنبل بطرق أخر و الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الثامن من المتنق عليه من طرق عدة ، و البخاري في الربع الأخير من الجزء الرابع من صحيحه ، و في الجزء الخامس أيضاً في الكراس السادس و مسلم في صحيحه في أول الجزء الرابع ، و على حد كراسين في آخره منه .

و مجاهد في تفسيره و النطنزي في خصائصه و الخطيب في تاريخه ، و المعبري في فضائله و ابن التلاخ و ابن الماذلي و علي بن الجعد و التنوخي - حتى أن التنوخي و أحمد بن سعيد صنفا كتابين في طرقه - و ابن عبد ربّه في عقده و الجوزي في تحقيقه و في الجزء الثالث من أجزاء ثلاثة من الجمع بين الصحاح الستة و في صحيح أبي داود و الترمذي و ذكر ابن حنبل أيضاً أنه قال له ذلك يوم إيجائه له . فهذه أخبار أئمة القوم واضحة ، و أعلام الحق اليقين عليها لائحة ، و هي لفساد اعتقادهم فاضحة ، و رواء من الصحابة و القرابة نحو من ستة وعشرين ذكرهم التنوخي في كتابه و أسانيد و ابن قرطبة في مراصد عرفاته .

قالوا : لفظه « بمنزلة » تقتضي واحدة فلا تعم إذ لو أراد أكثر لقال منازل .
قلنا : الاستثناء معيار العموم إلا الشركة في النبوة والأخوة من الأبوين ، وبقيت
الخلافة ، وفرض الطاعة ، وشدة الأزر .

ولأن الأمة بين قائلين فمنهم من قال : أراد جميع المنازل ، ومنهم من قال :
خرج على سبب ، فلا يعم .

قلنا : قد صح في الأصول أن السبب لا يخص ، على أن المسبب المذكور
غير معلوم بالتواتر ، فلا يقصر الخبر المتواتر في عدة مواضع عن سبب مضمون
فذهب ما يهولون به من أن خلافته تختص بالمدينة فإنه متى كان إماماً على البعض
كان إماماً على الكل إذ لا قائل بجمع إمامين .

فذهب :

قيل : ابن أم مكتوم^(١) كان يصلي بالناس ، فلا محوم لخلافة علي عليه السلام على المدينة
فضلاً عن غيرها . قلنا : إنما أراد الله أن يفضع المخلفين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجعل
الأمر الذي لا يتجزأ من النجاحات وغيرها إماماً لهم ، ونزعه علياً عن كونه
إماماً لهؤلاء الصم البكم الذين لا يعقلون ، فلا يظن بذلك في إمامته إلا الملحدون .
إن قيل : استثناء النبوة ، يتبعه استثناء الخلافة ، لأن هارون إنما كان خليفة
لكونه نبياً ، فإذا خرجت النبوة خرج ما يقتضيه وهو الخلافة .

قلنا : لا نسلم التبعية ، ولهذا لو صرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : أنت مني بمنزلة
هارون من موسى في خلافته إلا أنك لست بنبي ، لم يكن مناقضاً ، ولو خرجت
الخلافة من النبوة كان مناقضاً .

إن قيل : إنه شبه خلافة علي بخلافة هارون ، ولم تحصل الخلافة لهارون
بعد الموت ، فالتشبيه بها دليل نفيها .

قلنا : لا ملازمة لحصول مانع الموت في الأولى دون الثانية ، فإن من أوصى
إلى غيره حصل له في حياته استحقاق تصرفه بعد وفاته .

(١) ابن أم كلثوم خ .

إن قيل : القيام بأمر الأمة موسى كان واجبا على هارون ، من حيث الشراكة في النبوة ، وقوله « اخلفني » ^(١) تؤكد لذلك ، لا أنه خليفة حقيقة .

قلنا : لا خلاف بين الأمة أنه كان خليفة ، و ظاهر [لفظ] « اخلفني » ينافي أنه ليس خليفة حقيقة ، إذ لا يقال للشخص « اخلفني في مصالحك » .

إن قيل : فعل « اخلفني » حكاية من الله عن موسى ، لا نفس كلام موسى ، فلا يدل ظاهره على الخلافة . قلنا : أو كان كذلك لم يفهم بحكاية عن موسى شيئا ، إذ يجوز طلبه وزارته و شر كته ، حكاية عن الفضلاء تقتضي ذلك .

على أننا نقول و إن كان شريك موسى في النبوة ، جازا اختصاص موسى باقامة الحدود و غيرها ، فليكن استخلافه لها .

إن قيل : فقوله « اخلفني » أمر لا يقتضي التكرار قلنا : المراد بيان أهلية هارون للخلافة و استحقاقه لها ، و هو حاصل بذلك .

إن قيل : قوله « لا نبي » بعدي ، معناه لا نبي بعد نبوتي ، و هارون لم يكن له منزلة النبوة بعد موت موسى ، فكأن النبي استثنى ما ثبت من منزلة هارون و هو النبوة حال حياة موسى ، فيكون لعلي الخلافة حال حياة النبي خاصة .

قلنا : بل لفظة « بعدي » حقيقة فيما بعد الوفاة ، فإن من قال لغيره « أنت وصيي تصدق على الفقراء بعدي » فهم منه بعد الوفاة ، ولم يقصد النبي ﷺ منزلة هارون من موسى في زمانها بل التشبيه بين المنزلتين لابين أوقاتهم ، فكأنه قال أنت مني بمنزلة هارون من موسى بعدي إلا أنه لا نبي بعدي واستغنى بالبعدية الثانية عن الأولى ، و هذا من أفصح الكلام ولو صرح بقوله « بعد وفاتي » أو « في حياتي و بعد وفاتي » لم يكن خارجا عن الاستقامة .

إن قيل : الخبر دال على نفي خلافة علي لأنه شبهه بمن لا خلافة له . قلنا : لا يصح التشبيه بالمسلوب ، إذ لا يحسن أن يقال : فلان مني بمنزلة فلان في كونه

ليس أخي ولا وكيلي ، على أن ذلك أوردته أئمة القوم في فضائله ، فلو أراد نفي الخلافة ، تنافى الأمران .

إن قيل : فهارون لو بقي بعد موسى لم يتجدد له منزلة لم يكن حال حياة موسى ، فكذا علي لم يتجدد له منزلة بعد النبي لم تكن حال حياة النبي ﷺ وقد علمنا أنه لم يكن إماماً في حياة النبي فكذا بعده .

قلنا : لا يمتنع أن يكون إماماً حال الحياة ، وإن لم نسمه بها لعدم تصرّفه على أنه يجوز خلافة علي بأحدى شقي خلافة هارون وهو ما بعد الوفاة . لما منع هو الحياة ، فإن من قال لغيره : أنت منّي بمنزلة وكيلي ، يقتضي كونه بمنزلته في المستقبل دون الماضي .

قالوا : لو أراد الامامة لقال : بمنزلة يوشع . قلنا : اقترح الأدلة فاسد ، إذ يلزم أن يقال لكل من استدل بأمره لا استدلت بغيره ، فالدليل على هارون كاف عن يوشع بن نون ، و خلافة يوشع لا تعلم صحتها لأنها من نقل اليهود وقد قيل إنه كان نبياً ، وكانت الخلافة في أولاد هارون ولأن النبي أراد أن يثبت لعلي جميع منازل هارون من الاستخلاف حال الحياة و بعد الوفاة .

على أن النبي ﷺ إنما ذكر هارون لورود القرآن به المزيل للشبهة فيه بخلاف يوشع إذ ليس ذلك حاصلاً ليوشع بن نون .

على أن ابن جبر في نخبه وعلي بن مجاهد في تاريخه أسندا إلى النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام عند وفاته : أنت منّي بمنزلة يوشع بن موسى .

قال الجاحظ : لا يجوز أن يستثنى ما لا يملكه وهو النبوة مما يملكه وهو الخلافة . قلنا : بلى ولأنه لا يملك الخلافة بل هي من الله أيضاً وإنما استثنى النبوة لثلاثتهم الشركة فيها كهارون .

قالوا : الخبر يوجب إمامته في حال حياة النبي ، قلنا : الظاهر ذلك لولا الاجماع ، فبقي على مقتضاء بعد وفاته ﷺ .

قالوا : فيحمل على ما بعد عثمان . قلنا : لم يقل به أحد لأن المخالف أثبتها

له بعد عثمان بالبيعة ، و المؤايف بالنص من الله و رسوله ، وهي له بعد النبي ﷺ
بلا فصل .

قالوا : فرجع النبي ﷺ إلى المدينة يقتضي عزله . قلت : ليس الرجوع عزلاً
عادة كيف ذلك وقد يجتمع الخليفة و المستخلف في البلد الواحد ، و لأن الحضور
لم يكن عزلاً إلا مع شرطه ، ولم ينقل أحد أن النبي ﷺ شرط ذلك لعلي .

فذيبي :

لما بغض عبدة العجل هارون و من معه ، سمّوهم رافضة ، فأجري ذلك الاسم
على شيعة علي ﷺ لمناسبته لهارون و شيعته ، و هم و ابقتل هارون ، فكذلك العمران
واطما خالداً على قتل علي ﷺ فبعثت أسماء بنت ميمس زوجة أبي بكر خادمها تقول
له : إن الملائكة يأتمرون بك ليقتلوك ، فقال ﷺ : رحم الله و من يقتل الطوائف
الثلاث قبل ذلك ، فندم أبو بكر و أطال الجلوس ، ثم نهى فرأى علي ﷺ السيف مع
خالد ، فقال له : أو كنت فاعلاً ؟ قال خالد : إي والله ، قال علي ﷺ : كذبت أنت
أجبن خلقه ، لست من ذلك ، أما والله لولا سبق به القضاء لعلمت أي الفريقين شر
مكاناً و أضعف جنداً .

ثم قال ﷺ أفبعد قول النبي ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه » أنت مني
بمنزلة هارون من موسى ؟ قال : نعم . فقبض على صدره فرغاكالبكر^(١) و انساغ
في المسجد ببوله .

فاجتمع الناس ليخلصوه فقال الأول : والله لو تملاً عليه أهل الأرض لما
استنقذوه ، و لكن نادوه بحق صاحب هذا القبر ، ففعلوا فحلى عنه و قال ﷺ :
لو عزمت علي ما هممت به لشققتك شقين .

روى ذلك الحسن بن صالح ، و وكيع ، و عباد عن أبي المقدم عن إسحاق
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : سفيان و ابن جبير و وكيع و كان ذلك سيمة

لم تتمّ وأُسند نحو ذلك العرفي إلى الصادق عليه السلام .

وأُسند العرفي إلى خالد بن عبدالله القسريّ قال على المنبر : لو كان في أبي تراب خيراً ما أصر أبو بكر بقتله ، وهذا يدلّ على كون الخبر مستفيضاً ، ولولا وصيّة النبي ﷺ لكان عليّ بالقبض على رؤوس أعدائه ، و ضرب بعضها في بعض حتّى ينشر دماغها ملياً .

[وفي رواية أبي ذرأنته عصر حلقه بين الوسطى والسبابة حتّى صاح صيحة منكراً] وفي رواية البلاذريّ شاله بهما ، وضرب به الأرض فدقّ عصمه ، فأحدث مكانه ، وبقي يقول : هما والله أمراني ، فقال عبد اللّات لزفر : هذه مشورتك المنكوسة قال ابن حمّاد في ذلك :

تأمل بعقلك ما أزمعوا	✽	و همّوا عليه بأن يفعلوه
بهذا فصل خالداً عنهم	✽	على أيّ ما خطّة وافقوه
وقال أذني قال قبل السلام	✽	حديثاً روه فلم ينكرده
حديثاً روه ثقة الحديث	✽	فما ضعفوه و ما علّوه
أنى ابن معوية في الصحيح	✽	وركى الرواة أذني أسنده

هذا ، وقد أسلفنا نصوصاً في الباب الثامن فيما جاء في تعيينه من كلام ربّه عند قوله تعالى « إنّي جاعلك للناس إماماً »^(١) ، وغيره .

نكتة :

انّصاف عليّ عليه السلام بهذه المنازل ، ليس سلبياً ولا نقيض الانّصاف ، فهو ثبوتيّ فمحله ليس غير عليّ برواية الفريقين ، فقد بان الحقّ من المين ، لكلّ ذي قلب وعين . وفي ذلك قال عليّ بن الحسين ، وقد سمع من يقدّم الشيخين :

فمن شرف الأقسام يوماً برأيه فانّ عليّاً شرفه المناقب

وقول رسول الله والحقّ قوله وإن دغمت منه أنوف كواذب

بأنك منّي يا عليّ معالناً ✽ كهارون من موسى أخ لي وصاحب
و قال الحمّاني :

و أنزله منه على رغبة العدى ✽ كهارون من موسى على قدم الدهر
فمن كان من أصحاب موسى وقومه ✽ كهارون لازلتم على طلل الكفر
و قال منصور :

رضيت حكمك لا أبغي به بدلاً ✽ لأن حكمك بالتوفيق مقرون
آل الرسول خيار الناس كلّهم ✽ وخير آل رسول الله هارون

ومنها قوله ﷺ يوم الذاار : وأنت أخي وصيّي وخليفتي ، لما نزلت
« وأنذر عشيرتك الأقربين »^(١) ، فجمع النبي ﷺ منهم أربعين رجلاً وقال : قد
جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، من يوازرني ؟ قال ذلك ثلاثاً وعليّ يقوم في كلّ
مرة ويقول : أنا ذكر ذلك القرأه في معالنه هو بهذا الفن أعلم الصحابة ، و
العلمي باسناده في تفسيره ، وغيره من طرق كثيرة .

وقد ذكر ابن حنبل في مسنده قول النبي ﷺ لسلمان : وصيّي و وارثي
عليّ بن أبي طالب ، وأسند إلى ابن عباس أيضاً وإلى عليّ بن أبي طالب أيضاً وذكره
ابن إسحاق في كتابه وأبو رافع والشيرازي والخركوشي ورواه الطبري في
موضعين من تاريخه والجرجاني في صفوته وابن جبر في نخبه .

و في مناقب ابن المغازلي : لما انقض الكوكب في دار عليّ قال النبي ﷺ :
من انقض في داره فهو الوصي بعدي ، قالوا : غوي في حب عليّ ، فنزلت « والنجم
إذا هوى ✽ ما ضل صاحبكم وما غوى »^(٢) .

وفي مجمع البيان للإمام الطبرسي أخبر السيد أبو الحمدة عن الحاكم الحسكاني
عن جماعة تسمعهم الضحّاك ابن مزاحم أنه لما رأته قريش تقديم النبي عليّاً قالوا :
فتن به ، فنزلت « فستبصر و يبصرون بأينكم المفتون »^(٣) .

(١) الشعراء : ٢١٤ . (٢) النجم : ١ و ٢ .

(٣) القلم : ٦ .

وقال البخاري ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً ، وقال صاحب الوسيلة عن بريدة لكل نبي وصي و وارث ، وعلي وصي و وارثي ، وذكر في الوصية أيضاً أن الوصية من خصائص علي .

وفيها أيضاً : اختارني نبياً و اختار علياً وصياً ، وفيها عن أنس قال النبي ﷺ : إن خليلي ، و وزيري ، و خليفتي في أهلي ، و خير من أترك بعدي ، ينجز موعدي ، و يقضي ديني ، علي بن أبي طالب .
قال الحميري :

و قيل له أنذر عشيرتك الأولى	✽	وهم من شباب أربعين و شيب
فقال لهم إني رسول إليكم	✽	و لست أراني عندكم يكذب
و قد جئكم من عند رب مميم	✽	جزيل العطايا للجزيل و هوب
فأيتكم يقمي مقالي و أمسكوا	✽	فقال ألا من ناطق و مجيب
فغاز بها منهم علي و سادهم	✽	و ما ذاك من عاداته بغريب

و قال أيضاً :

و يوم قال لهم جبريل قد علموا	✽	أنذر عشيرتك الأدين إن نذروا
فقام يدعهم من دون أمته	✽	فما تخلف عنه منهم بشر
و منهم آكل في مجلس جذعاً	✽	و شارب ملء عس و هو محتقر
فصدّهم عن نواحي قصعة شبع	✽	فيها من الحب صاع فوقه الوزر
فقال يا قوم إن الله أرسلني	✽	إليكم فأجيبوا الله و اذكروا
فأيتكم يجتبي قلبي و يؤمن بي	✽	أني نبي رسول فأنبري عندي
فقال تباً أتدعوننا لتلفننا	✽	عن ديننا ثم ثاب القوم و اشتمروا
من ذا الذي قال منهم وهو أحدثهم	✽	سنّاً و خيرهم في الذكر إن سطروا
آمنت أنك قد أعطيت نافلة	✽	لم يعطها أحد جنّ ولا بشر
و إن ما قلنما حق و إنهم	✽	إن لم يجيبوا فقد خابوا و قد خسروا
فغاز منهم بها والله أكرمهم	✽	فكان سباق غايات إذا ابتدروا

ومع هذه الشهرة ينكر الواسطي الغوي رواية نصب النبي في يوم الدار لعلي عليه السلام : لأنه عليه السلام أمر في الآية بإنذار الأقربين لا بطلب من يوازيه فكيف يخص واحداً منهم دون الباقين .

قلنا : قد أنذرهم ثم خص بطلب الوزارة واحداً منهم ، زيادة في ترغيبهم لوفور علمه أن الرسالة يسارع إليها كل منهم ، ولامنافاة بين إنذارهم وطلب الوزارة من بعضهم .

قال : الإيصال والاستخلاف على قوم ، لا يكون إلا بعد انقيادهم ، وهم كانوا حينئذ بخلاف ذلك .

و كيف يليق من النبي تحكيم واحد عليهم ، و يقول : استمعوا له و أطيعوا وهم حينئذ لم يسمعوا للنبي ولم يطيعوا و هل هذا إلا كالمثل المضروب ، فمن قال لآخر : أعطني ديناراً بعلامة أن أستاذي طلب منك فلساً فلم تعطه .

قلنا : النبي لا ينطق عن الهوى ، وإنما فعل ذلك بوحي من الله تعالى ، ولا منافاة بين أن يذره ثم يقول هذا خليفتي عليكم ، وأما ذكر « اسمعوا و أطيعوا » فمختلف منهم ، فان نازع في اختلافه أحد قلنا له قد أنكرت أصل الرواية الواردة به ، و حيث عارض بالمثل قول النبي ﷺ فهو بائنه يبو ، قال تعالى « الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ^(١) » فقد تبع رؤساء الشياطين الذين حذر العلماء عنها طلاب اليقين ، شوائب الطبيعة ، و وساوس العادة ، و نواميس الأمثلة .

قال : ذكر صاحب المعالم عن علي عليه السلام أن الرواية التي فيها ذكر الوصية لعلي عليه السلام و ليس فيها ذكر الإنذار المطابق للآية ، فهي مضادة لها ، و ذكر ثلاث روايات عن غيره مسندة و خالية عن ذكر الوصية فهن معارضا لها .

قلنا : تقرر في الأصول قبول الزيادة ، و قد جاز العمل بالمرسل إذا علم من طريق آخر أنه مسند كمراسيل ابن المسيب ، و قد جاء في صحيح البخاري مراسيل

وعدم ذكر الانذار لا يدل على عدم المطابقة للآية ، فلا معارضة في تلك الروايات للرواية .

ومن العجب أنه يضعف قول أصحابه طلباً للشبهة ونحن لا نذكر قول أصحابنا طلباً للزوم الحجّة .

قال : رويتم أن علياً لم يزل مسلماً أو أسلم قبل يوم الدار ، وهو المأمور بجمع العشرة الكفار ، فلا معنى لاجابته إلى الموازنة ، والخطاب ليس له مع بلاغته ، بل للكفار .

قلنا : أمّا أنه لم يزل مسلماً ، فلا معنى لاختصاصنا به إذ أجمع المسلمون عليه وجاءت روايات الخصم فيه ، قال الزمخشري في كشفه قال النبي ﷺ : سبّاق الأمم ثلاثة ، لم يكفروا بالله طرفة عين : علي بن أبي طالب ، وصاحب يس ، ومؤمن آل فرعون . ورواه صاحب الوسيلة وزاد : أكرمهم وأفضلهم علي بن أبي طالب وهذا يندفع قولهم إن أبا بكر صدّيق لأنه أوّل من صدّق ، وقد سبقه علي وخديجة وورقا وغيرهم .

قوله : لم يحسن جوابه بالموازنة إذ لم يتناوله الخطاب ، قلنا : فقد رويتم قول النبي ﷺ يوم الخندق : من يبرز إلى عمرو بن عبدود* ويكون جاري في الجنة فلم يجبه أحد ، فقام علي فقال له : إنّه عمرو ، فقال علي* : وإن كان عمراً ، فقد أجاب ولم يتناوله الخطاب .

وقد ذهب أكثر المحققين إلى أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وتناوله الأمر بالسجود ، لأجل حضوره فيهم ، و جاز أن كلام علي* بالموازنة ابتداءً لجواب قول النبي* ، فلا منافاة للمباعدة .

قال : شرط الوصيّة والاستخلاف ، الجزم بهما ، لا تعليقهما بشرط يوجد ولا يكونان إلا معاً ، والنبي ﷺ قال : من يوازنني ؟ فلا تعين ، قلنا : ذلك وعيد بالوصيّة ، فلا يشترط الجزم بالوعيد ، ولا التعين ، ولم تحصل الوصيّة لأحد في حال الخطاب ، بل لعلي* خاصّة بعد الجواب .

قال : فلو أجابه أكثر من واحد جاز أن يقع الشقاق ، قلنا : جاز أن يكون الله تعالى أمره بذلك مع علمه بعدم قبولهم ، ويكون فعل النبي ﷺ توكيذاً عليهم كما أمره بأنذار كفتار مع علمه بعدم إيمانهم .

قال : إجابة واحد تنفي الباقين ، قلنا : لا تنفي مع الانقياد التام ، وعندكم أن الله يفعل لا لغرض ، فلم نفيتوه هنا .

قال : جمعهم يقتضي ترغيبهم ، فطلب الزادة من بعضهم يقتضي تهديدهم ، فلا فائدة في جمعهم ، قلنا : إيمانهم يرغبتهم فيه بما يعمتهم ، وهو قوله جئناكم بخير الدنيا والآخرة ونحوه .

قال : الوصية هي الاستخلاف ، فكيف عطفه عليها . قلنا : لا ترادف إذ بينهما عموم من وجه ، ولو سلم الترادف جوازنا العطف مثل صلوات من ربهم ورحمة^(١) ، على أن كتبهم قد نطقت بالوصية فإذا سلم الترادف انزعم بالاستخلاف .
قال : علي كان مؤمناً فلا معنى لوزارته في ذلك اليوم . قلنا : ليس كل مؤمن خليفة .

قال : إن كان غرض النبي ﷺ الوصية لأحدهم استحالة أن يكون لعليّ ويلزم تحصيل الحاصل إن كان الغرض ثبوتها لعليّ . قلنا : قد يكون الغرض لهم ولم يقع وقد أراد شيئاً ولم يقع ، ويجوز أن يكون الغرض إظهار أن الوصية لعليّ لجواز التأكيد مرة بعد مرة .

قال : من الحاضرين من آمن كالعباس ، وقد بايع أبا بكر . قلنا : قد تركزها أولاً فجاز وقوعها تقيّةً .

قالوا : رواية الاستخلاف لم ترد إلّا من عليّ فهو متهم ، قلنا : قد جاءت من طرقكم عن ابن حنبل ، و البراء بن عازب وغيرهما ، وليس ذلك شهادة بل رواية ولم يفرّق أحد بين الروایتين لنفسه وغيره ، بعد ثبوت عدالته ، فضلاً عن الثابتة

بآية التطهير وغيرها ، ومن طرقهم رواية جامع الأصول عن النبي ﷺ عليّ مع الحق والحق معه ، وغيرها في مصابيح الفراء وغيره وقد شهدت عائشة لأبيها بصلاته وجعلوها سبباً لاختلافه .

قال : إن سلمت الرواية ، اقتضت كونه خليفة على العشيرة ، قلنا : لا قائل بالفرق ، ويلزم اجتماع إمامين ، ولم يقل به أحد ، ولهذا قال عمر للأَنْصار : سيفان في غمد لا يجتمعان ، ولا يلزم من تخصيصهم بالإنذار تخصيصهم بالاستخلاف إذ أحدهما غير الآخر .

قال : كان عليّ صبيّاً فإسلامه غير معتبر ولا بالنبعية لأصلية الكفر من أبويه ، والاستخلاف لا يكون إلا للبالغ . قلنا : لم يشترط أحد من المسلمين البلوغ في استخلاف الله ورسوله ، وقد قال تعالى : « وآتيناه الحكم صبيّاً »^(١) ، وقال « فقهناها سليمان »^(٢) ، وقد كان حينئذ ابن أحد عشر سنة ، وعند أسعابنا أن عليّاً أسلم في هو ابن خمسة عشر سنة أو أربعة عشرة ، وروى الخمسة عشرة العاقوليّ منهم في شرحه للمصابيح ، وروى الأربعة عشرة منهم شارح الطوالع ، وقد ذكر البخاريّ عن المغيرة قال : احتملت وأنا ابن اثني عشر سنة .

ولأن النبي ﷺ دعا إلى الإسلام صبيّاً فلولا لم يكن يحكم بإسلامه ، لزم العبث في دعائه ، وإن لم يكن بدعائه كان إسلامه من خصائصه ، لكمال عقله حال صغره دون غيره ، وقد عرف أن التكليف العقليّ لم يشترط فيه البلوغ الشرعيّ وقد أخرج صاحب الوسيطة أن النبي ﷺ قال : صلّت الملائكة عليّ وعليّ عليّ سبع سنين قبل أن يسلم بشر .

وأخرج أبو نعيم في حليته قول النبي ﷺ لعليّ : لك سبع خصال لا يحتاجك أحد فيهن يوم القيامة ، أنت أول المؤمنين بالله إيماناً ، وأوفاهم بعهده الله ، وأقومهم

(١) مريم : ١١ .

(٢) الانبياء : ٧٩ .

بأسر الله ، وأرأفهم بالرعية ، وأقسمهم بالسوية ، وأعلمهم بالقضية ، وأعظمهم يوم القياسه مزية .

فقد مدحه على سبق إيمانه ، و دل على عظم شانه ، والمعاند يقول لا يحكم بإيمانه ، مع انتشار ذلك في كتب إخوانه ، وقد سلف ذلك في الفصل الثاني والعشرين من الباب السابع مستوفى ، اخترناها لإيراد طرف منه فإن لكل مقام مقال .

قوله : « لكفر أبويه » مردود بما أخرجه صاحب كتاب بشار المصطفى أن أمه فاطمة بنت أسد انشقت لها ظهر الكعبة ، فدخلت إليها وولدت علياً فيه ، فلمّا خرجت قالت : فضلت على آسية وريم ، بدخول البيت الحرام ، و الأكل من ثمار الجنة ، دون كثير من الأنام ، و هتف بي هاتف سمّيه علياً فهو عليّ والله العليّ شققت له اسماً من اسمي ، و أوقفته على غامض علمي ، و هو الذي يكسر الأصنام عن يميني ، و يؤدّن فوق ظهره ، و يقدّ سني ويمجدني ، فطوبى لمن أحبّه و أطاعه و ويل لمن أبغضه .

هذا وقد ربت أمه النبي ﷺ و رأت كراماته حال صغره ، والنبي بقميصه كفّنها ، و نزل بنفسه إلى قبرها ، وشفع إلى الله فيها ، وكان ذلك من دلائل إيمانها و أمّا أبوه فربما تمسك في كفره بقوله تعالى « وهم ينهاون عنه و يناون عنه » (١) ، قيل : المراد أبو طالب ينهى عن أذى النبي و يناهى عنه ، فلا يؤمن به ، و المخالف يزعم أن لفظ الجمع لا يطلق على الواحد ، حيث قالوا « الذين يقيمون الصلاة » (٢) ، هو عليّ ، و هنا يطلقه على أبيه .

و في تفسير الثعلبيّ أن قريشاً تنهى أبا طالب عن نصر النبي ﷺ و كلامه في النبّ عنه مشهور ، حتّى أتوه بعمارة بن الوليد يتخذها خادماً عوضه ، فقال : ما أنصفتموني تعطوني ابنكم أربيه وأغذوه ، و أعطيكم ابني تقتلونه ، رواء الواقدي وغيره ثم قام إليه و أنشأ الأبيات الآتية .

قال الزمخشري في كشفه : الكناية للكفار ، لأن قوله تعالى « ومنهم من يستمع إليك »^(١) فيهم فالعطف عليهم ، ونحوه قال القطب في حاشية الكشف قال : ولأن الآيات المنقولة عنه تنافي وصفه بما سلف في الآيات ، من الصفات المذمومة ، والآيات هذه :

والله لا يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاة * وابشر بذلك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديناً لا محالة أنه * من خير أديان البرية ديناً
وقد اتفق على نقلها مقاتل والنعلبي وابن عباس وابن دinar وزاد أهل الضلال فيها بيتاً ظلماً وزوراً إذ لم يكن في حملتها مسطوراً :

لولا الملامة أو حذاري سببة * لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً^(٢)
و العجب من صاحب الكشف كيف ضمّه إليها ، ولم يتنبّه لمناقضته لها ، وإذا أخذ الله قوماً بما يظلمون أتاح لبيهم تناقض الكلام ، من حيث لا يعلمون .
و حث أخاه حمزة على نصره ، فقال :

فقد سرني إذ قلت أنك مؤمن * و كن لرسول الله في الله ناصرا
و ناد قريشاً بالذي قد كتبته * جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا
و حض النجاشي على نصره النبي ﷺ فقال :

ليعلم ملك الحبش أن تجداً * وزير طوسي و المسيح بن مريم
أتى بهدي مثل الذي أتياه * و كل بأمر الله يهدي ويعصم
و إنكم تتلون في كتابكم * بصدق حديث لأحديث المترجم
فلا تجعلوا لله ندّاً وأسلموا * فان طريق الحق ليس بمظلم

(١) المائدة : ٢٥ .

(٢) قوله « مبيناً » حال من قوله « سمحاً » أي لولا مضافة قريش و معرثهم لوجدتني أعلن بالانفراد وهذا يقتضي يفهموه ان الايمان كامن في قلبه لم يبرزه لاجل الحقية ليشك بذلك من حفظ النبي صلى الله عليه وآله . كما لا يخفى .

وقد أخرج صاحب الوسيلة في المجلد الخامس ، قوله في النبي :

ألا بلغا عني على ذات بيننا ❖ قصصاً وخصاً من قصي بني كعب
ألم تعلموا أننا وجدنا عمداً ❖ نبياً كموسى خطئ في أول الكتب
أليس أبونا هاشم شد أزره ❖ وأوصى بنيهِ بالطعان و بالحرب

وهل يصف هذا العالم الشاعر بالكفر إلا كافر ، وهم لما أخرجوا النبي ﷺ من قوله تعالى « و سيجنبها الأتقى الذي ^(١) » الآية لأن عليه تربية أبي طالب وهي نعمة تجزى ، و التربية سبيل ، وقد نفى الله سبيل الكافرين على المؤمنين ازم ذلك إيمان أبي طالب .

إن قلت : فيلزم على هذا أن يكون أبو طالب مؤمناً قبل مبعث النبي . قلت : نعم كان على دين إبراهيم ، وقد تمدح به في قوله : نحن آل الله في كعبته ، لم يزل ذلك على عهد إبراهيم ، و سيأتي ذلك في التذنيب إن شاء الله تعالى عن قريب .

وفي مسند أحمد بن حنبل لمات مرض للموت بعث إلى النبي ﷺ ادع لي ربك أن يشفيني فإنه يطيعك و ابعث إليّ بقطف من الجنة فأرسل إليه : إن أطعت الله أطاعك . فقد اعترف لله بوجوده ، و وجود جنّته ، و قبول دعا، نبيّه .

إن قالوا : قوله إن أطعت الله أطاعك دلّ على أنه لم يكن طائعاً قلنا : بل هو ترغيب في الاستمرار مثل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ^(٢) ، فلا يدلّ ذلك أيضاً على ترك الدعاء له ، وقد نقل إيمانه الحافظ القدسي في سيرة النبي في تفسير الثعلبي أنه قال لابنه عليّ : ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ قال : آمنت بالله ورسوله ، قال إن عمداً لا يدعوك إلا إلى خير فالزمه .

و في الجمع بين الصحيحين من أفراد البخاري من مسند عبدالله بن عمر ذكرت قول الشاعر حين استسقى :

[و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ❖ ثمال البتامي عصمة للأرامل]

(١) الليل : ١٧ .

(٢) النساء : ١٣٥ .

لعمري لقد كلمت وجداً بأحد * وأحبته حبّ الحبيب الموصل
 ووجدت بنفسى دونه وحميته * ودارأت عنه بالذرى والكلاكل
 فما زال في الدنيا بهالاً لأهلها * وشين على الأعداوزين المحافل
 حليماً رشيداً حازماً غير طائش * يوالي إله الخلق ليس بماحل
 وأيده ربّ العباد بنصره * وأظهر ديناً حقّه غير باطل
 ألم تعلموا أن ابننا غير مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
 وأبيض يستتقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
 تلوذبه الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل
 كذبتم وبيت الله نيزى عتداً * ولما نقاتل دونه و ناضل
 ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبائنا والحلائل
 ففي هذا عدة شواهد على إيمانه ، يظهرها من سيره ، على من جحدته وستره
 و إنما حداهم على جحدهم قصدهم مشاركة علي لأصحابهم في بعض رذائلهم ولاغرو
 في ذلك ، وقد سب ألف شهر على منابرهم ، لم يكن فيهم من يغار للإسلام بمنابزتهم
 وقد ألفت كتاب في الحجّة على الذاهب ، إلى تكفير أبي طالب ، فيه :

ولولا أبو طالب وابنه * لما مثل الدين يوماً وقاما
 فهذا بمكة آوى وحامى * وهذا بيشرب سام الحماما
 وماضراً مجد أبي طالب * جهول لقي و بصير تعاما
 وقد أخرج ابن مسكويه وغيره افتخار عليّ بأبيه ، و تفضيله على أبي سفيان
 واعترف له معوية بذلك وأخرج الكراچكى في كتابه كنز الفوائد قول العباس
 للنبي ﷺ ما ترجو لأبي طالب ؟ قال : رجة ربّي .

وقد عاب المحدثون على مسلم و البخاري حيث أخرجا في كتابيهما حديث
 المسيّب في وفاة أبي طالب^(١) مع أنه لا راوي له غير أبيه شدة حرصهما على تكفير أصل
 عليّ ﷺ حسداً له و الفرقة تتمحل كفر أبي طالب ، كما تتمحل إيمان محاربي
 عليّ الثابت كفرهم بقول النبي ﷺ : « حرك حربي » . و قد رووا قول النبي

صلى الله عليه وآله : ما قال أحد لأحد كافر إلّا باء به أحدهما .

قالوا : نزل فيه : « إنك لا تهدي من أحببت »^(١) ، قلنا : لابل هي لكل كافر كيف ذلك وقد نزلت يوم حنين وهو بعد موت أبي طالب بست سنين وأشهر ولو نزلت الآية فيه ، وفيها أن النبي يحبّه ، دلّت على إيمانه لأنّه صلى الله عليه وآله نهاء الله تعالى عن محبة الكفار في قوله تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادّون من حادّ الله و رسوله »^(٢) ، وقد قيل معنى « ولكن الله يهدي من يشاء » أن هدايتنا لأبي طالب يا محمد ، سبقت دعوتك له ، و في هذا أن أحداً لم يدركه في فضيلته إن كان الله تعالى بنفسه متولياً لهدايته .

قالوا : نزل فيه « ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين »^(٣) ، قلنا : ذكر صاحب جامع الأصول ، و صاحب التقریب موت أبي طالب قبل الهجرة و نزول الآية سنة تسع منها ، و النبي ﷺ لا يستغفر لمن مات على كفر لاخبار القرآن بتخليده مع نقي الهوى عن نطقه .

قالوا : لم ينقل له صلاة حتّى يحكم بإيمانه ، قلنا : عدم العلم بها لا يدل على عدمها على أن عدمها لا يوجب كفر تاركها .

قالوا : حرّصه النبي على الاسلام عند موته ، و حرّصه أبو جهل على دين الأشياخ ، فكان آخر كلامه أنه على دين الأشياخ عبد المطلب ثم مات .

قلنا : لابل نقل رؤساء الاسلام أنه جمع أهله وأوصاهم بمحمد و نصرته ، و أخبرهم بتملكه ، و أنه جاء بأمر عظيم عاقبته الجنان ، و الأمان من النيران ، و قال : لو كان في أجلي فسحة لكفينه الكواني ، و دفعت عنه الدواهي ، فهذا الذي هو يجب اعتماده ، لا ما ذكروه لمناقضته لأقواله و أشعاره .

قالوا : كتب الأولاد الاول إلى المنصور يردّ عليهم الملك ، و افتخروا بأشياء

(١) القصص : ٥٨ .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(٣) براءة : ١١٤ .

منها أن أبانا أبا طالب أخف أهل النار عذاباً و في قدميه نعلان يقلى منهم ١. دماغه فكتب :

دعوا الأسد تربغ في غابها * ولا تدخلوا بين أنيابها
سلمنا أمومة في دارها * فنحن أحق بأسلابها

قلنا : هذا كذب صريح ، و كيف يفتخر برجل كافر يعذب بنوع من العذاب و الشعر الأول المذكور للمعتز وهو بعد المنصور بثمانية وستين سنة سيما ذكره صاحب المنتظم في المجلد الثامن والخبر لم يروه سوى المغيرة بن شعبه ، وهو عندكم فاسق مشهور بالزنا و بعداوة بني هاشم ، و هو الذي حث عائشة على حرب علي عليه السلام بالبصرة .

و من أحاديث كتاب الحجّة أن رجلاً قال لعلي : أبوك يعذب في النار فقال له : مه والله لو شفع أبي في كل مذنب لشفعه الله كيف ذلك و أنا قسيم الجنة و النار ، وقال الرضا عليه السلام : إن لم تقر بإيمان أبي طالب ، لكان مصيرك إلى النار . و زوجته فاطمة بنت أسد مؤمنة صالحة ، لم تنزل عنده حتى مات ، مع نهي الله رسوله في غير آية أن [تبقى] مؤمنة عند كافر .

و عن الأئمة عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال : أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة يعني أبا طالب لأنه كفله صلى الله عليه وآله .

وقد أخرج في جامع الأصول أنه لما مات أوحى الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله أن اخرج ، فقد مات ناصرك ، ولما نثروا الكروش عليه ، غضب أبو طالب وخرج إلى الأبطح و نادى بعد جمع الناس : من أرى فعل بمحمد هذا : وقد خربت الألسن من هيبتة ، فلم يجبه أحد فدفع كرشاً إلى عبيدة فلفطخ بها شواربهم ثم حلف برب البيت لأن أقمتهم على إنكاركم لا أفعلن بكم أشد من هذا ، فجاءوه بالفاعل فنكل به ، و أطاف به بلد مكة ثم قطعه قطعاً و رماه بينهم .

فهذه جل من رواية المخالف وغيره ، تمنع ملاّ تقول بكفره و تجمع بكفر من قال بكفره ، ولو كانت مدافعتة لا تدل على إسلامه ، لاندل مدافعة جيوش النبي

على إسلامهم إذ لم يتغل تلفظهم بكلمة الاسلام ولا فعل أكثرهم لصلاة ولا صيام ولا يخفى ما في ذلك من الاهتمام .

وقد ذكر الدينوري الحنبلي في غاية السؤل أن أبا طالب حدث عن أبيه أنه قال : إن من صلي لنبياً ولوددت أني أدر كنه [ولو أدر كنه] لآمنت به ، فمن أدر كه من ولدي فليؤمنوا به .

تذنيب :

نعني بإيمان أبي طالب الولي إيمانه بالنبي الأمي ﷺ لأنه قد كان في ابتدائه على دين إبراهيم ، معترفاً بالرب القديم ، وقد أخرج صاحب روضة الواعظين أن فاطمة بنت أسد حضرت مولد النبي ﷺ فأخبرت أبا طالب بما رأت من حضور الملائكة وغيره من العجائب ، فقال : أنتظر ك تأتين بمثله فولدت علياً عليه السلام بعد ثلاثين سنة .

و عن ابن بابويه أن أبا طالب نام في الحجر حول البيت ، فرأى في منامه باباً انفتح من السماء ، و نزل منه نور شمله فأتى راهب الجحفة يقص عليه ، فقال له :

أبشر أبا طالب عن قليل ✽ بالولد الخالي عن المثل
[يا ال قریش اسمعوا تأويلي] ✽ هذان نوران على السبيل

كمثل موسى و أخيه السؤل

فرجع أبو طالب فرحاً و طاف بالكعبة ، و هو يقول :

أطوف لله حوالي البيت ✽ أدعوه بالرغبة محي الميت
بأن يريني السبط قبل الموت ✽ أغر نورياً عظيم الصوت
مصلحاً يقتل أهل الجيت ✽ و كل من دان بيوم السبت

ثم نام في الحجر ثانية فرأى كأنه الـبس إكليلاً من ياقوت ، و سربالاً من عبقر ، و كأن قائلاً يقول له : يا أبا طالب ! قرأت عيناك ، و ظفرت يداك ، و حسنت رؤياك ، فأتى لك بالولد ، و مالك البلد ، و عظيم الندد ، على رغم الحسد ، فانتبه فرحاً و طاف قائلاً :

أدعوك رب البيت و الطواف * دعاء عبد بالذنوب واف
 تعينني باليمن اللطاف * والولد المحبوس بالعفاف
 وسيد السادات والأشراف

ثم نام في الحجر فرأى عبد مناف قائلاً : ما يبطلك عن بنت أسد ، فانتبه
 فنكحها ، و طاف بالكعبة قائلاً :

قد صدقت رؤياك بالتعبير * ولست بالمرتاب في الأمور
 أدعوك رب البيت والنذور * دعاء عبد مخلص فقير
 فأعطني يا خالتي سروري * بالولد الحلال الذكور
 يكون للهمم كالوزير * يا لهما يالهما من نور
 قد طلعا من هاشم البدور * في فلك عال على النحور
 فيطحن الأرض على الكرور * طحن الرحى للحب بالتدوير
 إن قريشاً بان بالنكير * منهوكة بالغي والثبور
 ومالها من موئل مجير * من سيفه المنتقم المبير
 وصنوه الناموس بالشفير * حسامه الخاطف للكفة-ور
 ومن شعره فيه :

يكلّم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى * وأمرأتى من عند ذي العرش قيم
 فلا تحسبونا مسلميه ومثله * إذا كان في يوم فليس بمسلم
 ومنه :

أخلفم بأننا مسلمون غداً * ولما تقاذف دونه ونراجم
 أمين محب للعباد مؤمن * بخاتم رب قاهر للخواتم
 يرى الناس يرماناً عليه وهيبة * وما جاهل في فعله مثل عالم
 نبيّ أتاه الوحي من عنده * فمن قال لا تفرع بهاسن نادم
 ومنه :

فلا تحسبونا مسلمين غداً * لذي غربة فينا ولا متقرب

فلأول الذي تحدى إليه فلائص * لا درالك نسك من منى والمحصب
تفارقته حتى نفرّقى حوله * وما بال تكذيب النبي المقرّب
ولمّا قام عثمان بن مظعون يدعو قريشاً إلى اتباعه ضربه سفهاؤها ففقاؤا عينيه
فنهض أبو طالب في أمره و أخذ بحقه فقال :

أمن تذكر دهر غير مأمون * أصبحت مكتشباً إنني لحزون
أمن تذكر أقوام بذى سفه * يغشون بالظلم من يدعو إلى دين
ألا يرون أقلّ الله خيرهم * أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إلى قوله :

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب * على نبيّ كموسى أو كذي النون
وقال يحثه على إظهار دعوته :

لا يمنعك من حقّ تقوم به * أيدّ تصول ولا أضاعف أصوات
فان كفاك كفتي إن مننت بها * ودون نفسك نفسي في الملمات
ومنه :

زحمت قريش أن أحد ساحر * كذبوا وربّ الراقصات إلى الحرم
ومنه :

وقد حلّ مجد بني هاشم * فكان النعمائم والعنزة
وخير بني هاشم أحد * رسول الاله على فترة
ومنه :

لقد أكرم الله النبيّ محمداً * فأكرم خلق الله في الناس أحد
ومنه :

إن ابن آمنة النبيّ محمداً * عندي بمنزلة من الأولاد
ومنه :

صدق ابن آمنة النبيّ محمداً * فتميّزت غيظاً به وتقطّعا
إن ابن آمنة النبيّ محمداً * سيقوم بالحقّ الجليّ ويصدع

و منه :

إذا اجتمعت يوماً قریش لمفخر ✽ فبعد مناف سرها و صميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها ✽ بني هاشم أشرافها و قديمها
و فيهم نبي الله أعني عمداً ✽ هو المصطفى من سرها و كريمةها
فهذا اعتراف أبي طالب بتصديق نبيه ، و وزادة علي وليه ، و لعل قعوده
يوم الدارعن البعثة في جملة عشيرته إنما كان لعلمه السابق من اختصاص ابنه بوزارته
لما تلوناه عليك من أشعاره و إشارته .

تذليل آخر :

إيمان أبي طالب بالله سبحانه مسطور في كتب العلماء ، و تعاليق الأدباء ، فمن
[ثبوته و] شعره فيه :

ملك الناس ليس له شريك ✽ هو الجبار و المبدئي المعيد
و من فوق السماء له بحق ✽ و من تحت السماء له عبيد
و منه :

لا تبسّن لروح الله من فرج ✽ يأتي به الله في الروحات والدالج
فما تجرّع كأس الصبر معتمص ✽ بالله إلا أتاه الله بالفرج
و أما سبب كتمان إيمانه برسول الله ﷺ ، فإنه كان مطاعاً في قومه ، و هم
على إنكار نبوته ، فلو أظهر لهم إيمانه لخالقوه فلم يتم غرضه من نصرته ، و تدبير
أمره ، و تهديد قاعدته ، و لأشركته قریش في عداوته و خصومته ، فلم يقبل شيئاً
من مقالته ، فكان يحضر مجالسهم ، و يظهر لهم أنه منهم ، و هو مع ذلك يشوب منه
الفعل و الكلام ، بتصديقه عليه السلام .

و لهذا أنشد شعراً يستعطف فيه أبا لهب بالرحم ، ليخدعه به حيث رأى منه
النهي عن قتل النبي خوف محوم الفتنة ، فكان باظهار كفرانه كمؤمن آل فرعون
يكتنم إيمانه ، و كأهل الكهف و غيرهم كنمو إيمانهم عن قومهم ، و ليس كتمان
الايان خوفاً بمخرج عنه حقيقة ، و إلا لكان من شهد بالله بإيمانه كافراً بكتمانه .

تذليل آخر :

قالوا بكفر أبي النبي لقول قريش ، لا نرغب عن ملة عبد المطلب . قلنا : نقل باطل ، فقد روى الثعلبي في التفسير « و تقلب في الساجدين » ^(١) أن عذرا لم يلبه إلا نبي أو وصي نبي أو مؤمن ، و قال أبو عمر الزاهد منهم في كتاب الباقوت قال النبي ﷺ : لم أزل أنا و أنت نركض في الأصاب الطاهرة ، إلى عبد الله و أبي طالب لم تدنسنا الجاهلية بأرجاسها و سفاوحها . و أخرج الكراچكي قول عبد المطلب لأبرهة : إن لهذا البيت رباً يدفع عنه و تمدح بكونه على ملة إبراهيم ، و قد سلف .

و ظاهر قوله تعالى « و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » ^(٢) ، أنه خطاب للنبي ﷺ مع قوله تعالى : « ما كان للنبي و الذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ^(٣) . و في كتاب البشائر مسنداً إلى الصادق عليه السلام أن الله أوحى إلى النبي ﷺ : أني قد حرمت النار على ظهروك ، و بطن حملك ، و حجر كفك ، و ودي أرضك . قالوا : قال الله تعالى : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » ^(٤) ، فمن أين لأبويه إيمان ؟ قلنا : يلزم من هذا تكفيره بالتبعية لكفرهما ، و هو خلاف الإجماع من علماء الاسلام ، و الإيمان المنفي هو العبادة الشرعية ، و ما كان الله ليضيع إيمانكم ^(٥) ، أي صلاتكم إلى البيت المقدس . و قد ذكر جماعة أنه كان قبل النبوة على دين إبراهيم ، و الحق أن تعبد به بالهام الرب الحكيم .

قالوا : زعمتم أن علياً دحى أصنام قريش عن الكعبة ، و عبد الله من أكابرها فمن أين علمتم منه عدم عبادتها ؟ قلنا : علمناه من الأدلة التي أسلفناها .

(٢) أسرى : ٢٤ .

(١) الشراء : ٢١٩ .

(٤) الثوري : ٥٢ .

(٣) براءة : ١١٤ .

(٥) البقرة : ١٤٣ .

قالوا : تولد النبي من كافر كإبراهيم من آزر . و تولد منه كافر ككنعان من نوح ، قلنا : لا خلاف بين السابئين أن اسم أبي إبراهيم تارخ .
 قالوا : نطق القرآن بأنه آزر . قلنا : قيل كان عمه و قيل خاله ، وقد نطق القرآن بكونهما أبوين « واتبعت ملة آبائي إبراهيم و إسماعيل » ^(١) و إسماعيل عم يوسف « و رفع أبويه على العرش » ^(٢) و المراد أبوه و خاله .
 قالوا مجاز . قلنا : يجب إليه المصير ، حذراً من التفتير .
 و أمّا تولد كافر من النبي فلا محال فيه وقد قيل إن كنعان كان لنوح ربيباً ولم يكن ابناً .
 و روي عن الحسن ومجاهد أنه ولد على فراشه ، وهذا بالاعراض عنه حقيق
 قال ابن عباس ما زنت امرأة نبي قط .

(١) يوسف : ٣٨ و الآية هكذا : « و اتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحاق ويعقوب » فليس فيها وجه للاستشهاد بها و الآية التي يستشهد بها العلماء لذلك هو قوله تعالى في سورة البقرة : ١٣٤ « قالوا تعبد الهك و اله آباءك إبراهيم واسماعيل واسحاق الهأ واحداً » .

(٢) يوسف : ١٠٠ .

الفهرس

الصفحة

١٩ - ١

مقدمة الكتاب

❖ (الباب الاول) ❖

فى اثبات الواجب و صفاته

- ٢٢ الفصل الاول فى أنه تعالى يفعل لغرض هو مصلحة خلقه
» الثانى فى أن استناد أفعالهم إليهم لا بالجائه
٢٢

❖ (الباب الثانى) ❖

فى ابطال الجبر العنافى لعدله و رحمته

- ٢٣ الفصل الاول فى مباحث الجبر و التفويض و الأقوال فى ذلك
» الثانى أقوى ما يقال لهم
٣٥
» الثالث فى إلزامات آخر
٣٦
» الرابع »
٣٧
» الخامس »
٣٨

❖ (الباب الثالث) ❖

فى اثبات النبى و صفاته

- ٤٠ الفصل الاول فى إثبات وجوب البعثة
» الثانى » بعثة رسول الله ﷺ
٤٢
» الثالث فى رد الاعتراضات على نبوته
٤٤
» الرابع فى عصمة الأنبياء ﷺ
٥٠
» الخامس فى طرف من معجزه ﷺ
٥٢

الصفحة

- ٥٥ الفصل السادس في شيء من البشارة به في الكتب الماضية
 ٥٧ تذييب في الفرق بين المعجزة والحيلة
 ٥٨ الفصل السابع في مقالات المنكرين للنبوات الطاعنين على المعجزات
 ٦١ » الثامن في أنه ﷺ خاتم النبيين

* (الباب الرابع) *

في اثبات الوصى و صفاته

- ٦٣ الفصل الاول في طريق إثباته
 ٦٨ » الثاني في تكميل شيء مما سبق في هذا الباب
 ٧٠ » الثالث شبهة من أوجب نصب الامام على الأمة عقلاً
 ٧١ » الرابع في إبطال الاختيار
 ٧٦ » الخامس فيما يرد على الاختيار
 ٧٨ » السادس
 ٨٠ » السابع
 ٨٤ » الثامن وفيه مباحث من ذلك
 ٨٦ » التاسع وفيه أبحاث
 ٨٩ » العاشر في رد اعتراضاتهم على إمامته ﷺ بالنص

* (الباب الخامس) *

فيما صدر عنه من الكرامات الموجبة لاستحقاقه الامامة

- ٩٤ الفصل الاول في شيء من معاجزه
 ١٠٠ » الثاني في مساواته ﷺ لجماعة من النبيين
 ١٠٤ » الثالث أيضاً في شيء من معاجزه

❖ (الباب السادس) ❖

في شرائطه

الصفحة

- ١١٠ مقدمة في أن الإمامة لطف
- ١١٢ الفصل الاول في وجوب عصمة الامام
- ١١٨ » الثاني من لم يكن معصوماً لا يجوز إمامته
- ١٢٠ » الثالث وفيه وجوه
- ١٣٦ » الرابع في وجوه آخر
- ١٢٩ » الخامس د د
- ١٣٢ » السادس وفيه أمور
- ١٣٤ القطب الاول في آيات متضمنة للرجحة
- ١٣٤ » الثاني د د للتقوى
- ١٣٥ » الثالث د د للهداية
- ١٣٦ » الرابع د د للخوف
- ١٣٦ » الخامس د د للهلاك
- ١٣٧ » السادس د د للاستمرار على الحق
- ١٣٨ » السابع د د للحث على العمل الصالح
- ١٣٩ » الثامن د د لشفقة الله تعالى
- ١٤٠ » التاسع د د لاختفاء الحق
- ١٤٠ » العاشر د د للاستعاذة
- ١٤١ » الحادي عشر في قوله تعالى أفغير دين الله يبغون
- ١٤٢ الفصل السابع فيه جواب اعتراضات للمخالف
- ١٤٤ » الثامن د د
- ١٤٦ » التاسع د د

* (الباب السابع) *

في شيء مما ورد في فضائله ﷺ

الصفحة

١٥١ الفصل الاول في شطر من فضائله التي اعترف بها العدو

١٦٠ » الثاني أيضاً د د

١٦٥ » الثالث في شيء من علمه

١٦٨ » الرابع في اعتقاد الناس لوهيته

١٧٠ » الخامس في مصاهرته للنبي ﷺ

» السادس في مبيت علي عليه السلام على فراشي النبي ﷺ

حين خرج إلى الغار ١٧٣

١٧٨ الفصل السابع في حمله النبي لكسر الأصنام

١٨٠ » الثامن في حمله بآية النجوى

١٨٢ » التاسع في نزول سورة هل أتى

١٨٤ » العاشر في نزول آية التطهير

١٨٨ » الحادي عشر في نزول آية المودة

١٩٢ » الثاني عشر في خبر الطائر المشوي

١٩٦ » الثالث عشر في أن حبه حسنة و بفضه سيئة

٢٠٠ » الرابع عشر في أنه شبيه عيسى عليه السلام

٢٠١ » الخامس عشر في حديث رد الشمس

» السادس عشر في طي الأرض والمضي إلى هدائن لتجهيز

سلمان رحمه الله ٢٠٥

٢٠٧ الفصل السابع عشر في خبر المعراج

» الثامن عشر في أنه ﷺ أفضل من أولي العزم من الرسل ٢١٠

الصفحة

- ٢١٦ الفصل التاسع عشر في إحاطته بفضائل أولي الألباب
- ٢٢٦ » العشرون في تكميل ما سبق
- ٢٣١ » الحادى والعشرون في سد الأبواب دون بابه
- ٢٣٣ » الثانى والعشرون في السبق إلى الاسلام
- ٢٤١ » الثالث والعشرون في كونه بمنزلة قل هو الله أحد
- ٢٤٣ » الرابع والعشرون في أن وصايته كان معروفاً في السماء
- » الخامس والعشرون في قوله «وأسأل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا» ٢٤٤
- » السادس والعشرون في أنه قسيم النار ٢٤٦

✽ (الباب الثامن) ✽

فيما جاء فى تعيينه من كلام ربه

- ٢٤٩ في آية المباهلة
- ٢٥٤ في قوله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»
- ٢٥٥ في قوله تعالى «كونوا مع الصادقين»
- » «رجال صدقوا» ٢٥٦
- » «بلغ ما أنزل إليك من ربك» ٢٥٩
- » «إنما وليكم الله» ٢٥٩
- » «إني جاعلك للناس إماماً» ٢٦٦
- » «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد» ٢٧١
- ٢٩٧-٢٧٣ في آيات أخر

* (الباب الخامس) *

فيما جاء في النص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله

منها في قوله عليه السلام علي مع الحق والحق معه ٢٩٨

د د من كنت مولاه فهذا علي مولاه ٢٩٨-٣١٤

تذنيب في أن الإمامة ركن ٣١٤

د في أن لفظة مولى مرادفة للأولى ٣١٥

منها في قوله عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى ٣١٦

وبليه في الجزء الثاني :

ومنها ما ذكره مسلم البخاري ... - في حديث الراية .

